المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ والحضارة

الصِلات العلمية والاقتصادية بين جبل شمر وجنوبي العراق

(١٢٥٠ / ١٣٤٠ هـ - ١٨٣٥ / ١٩٢١م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد
مشعل بن مهجع الدهام المفضلي

إشراف الدكتور
عبدالرحمن بن علي العريني

لعام ١٤٣٣ - ١٤٣٤هـ

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية .. اللغة العربية

قسم .. اللغة العربية

(نماذج الدراسات العليا - ٢٩)

بيانات رسالة علمية

عنوان الرسالة : الصلات العلمية والاقتصادية بين جنوب غرب وجنوب العراق (١٣٤٠هـ - ١٣٤٢هـ / ١٩٢٥ - ١٩٤١م).

اسم الباحث : مشعل بن مجمع المجمع المفضلي

المرحلة العلمية : الماجستير

تاريخ تسجيل الرسالة : / / ١٤هـ

نوقشت هذه الرسالة في يوم : السبت بتاريخ : ١٥/٧/١٤٣٤؟

العام الجامعي : ١٤٣٣/١٤٣٤هـ

-	أعضاء لجنة المناقشة	-	جهة العمل
١	د. عبدالمحسن بن علي المريني	مقرراً	قسم التاريخ والحضارة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٢		مقرراً مساعداً	
٣	د. عبدالله بن إبراهيم التركي	عضواً	قسم التاريخ - جامعة القصيم
٤	د. محمد بن عبدالله الشويعر	عضواً	قسم التاريخ والحضارة بكلية الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٥		عضواً	

[ختم الكلية]

* يرفع هذا النموذج قبل صفحة الغلاف الداخلي في النسخ التي يتم إيداعها.

بسم الله الرحمن الرحيم

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry of Higher Education
Al-Imam Muhammad Ibn Saud Islamic University
COLLEGE OF SOCIAL SCIENCES

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية العلوم الاجتماعية بالرياض

Vice of The Dean Office
مكتب الوكيل

الرقم : ..... التاريخ : / / ١٤ هـ المشفوعات : .....

"نموذج توقيعات أعضاء لجنة مناقشة علمية"

اسم الطالب	مشعل بن مهجع المفضلي
القسم العلمي	التاريخ والحضارة
التخصص العلمي	التاريخ والحضارة
الدرجة العلمية	الماجستير
عنوان الرسالة العلمية	"الصلات العلمية والاقتصادية بين جبل شمر وجنوبي العراق (١٣٤٠/١٢٥٠هـ - ١٨٣٥/١٩٢١م)"
تاريخ المناقشة العلمية	١٤٣٤/٧/١٥هـ الموافق ٢٠١٣/٥/٢٥م

المشرف على الرسالة العلمية	ا.د. عبدالرحمن بن علي العريني

أعضاء لجنة المناقشة العلمية

م	الاسم	التوقيع
١	ا.د. عبدالرحمن بن علي العريني	
٢	ا.د. عبدالله بن إبراهيم التركي	
٣	د. محمد بن عبدالله النويصر	

الرياض - ص.ب: ٣١٦٩ - الرمز البريدي ١١٤٧١ تليفون: ٢٥٨٧٧٥٥ فاكس : ٢٥٩٠٤٦٨
Riyadh - 11471 - P.O.Box. 3169 Tel. 2587755 - Fax: 2590468

Study Abstract

All Praise is to be to Allah, Prayers and Peace be upon our prophet Muhammad and on all his family and companions, then :

This study aims at studying the economical and scientific aspect of Shamer Mount and the south of Iraq in general, s the importance of the study appears from highlights scientific and economical connection between the both areas as well as connect between them and showing the impact these connections. The first region of the study includes Shamer Mount that located at the northern area of the Arabian Peninsula at the northern part of of Najed hill. The second region represents in south of Iraq that includes a number of cities such as Basra, Zubair, Souq Al Sheuokh, Hallah, Najaf and Karbla'a.

This study aims to study the connections that connect between Shamer Mount and South of Iraq from the economical and scientific aspect during the period from 1250 to 1340 AH - 1835 – 1921 AD, where this period has political features and multi factors in both of Shamer Mount and South of Iraq, that has impact on the existing the scientific and economical connections, and these connections left their impact up to the present time.

The reason of studying this cultural subject represents in achieving the following goals:

- Collecting the scattered information from their origins as well as writing and analyzing them scientifically.
- Illustrating the factors of residents immigrations between Shamer Mount and south of Iraq and showing the economical and scientific impact of these immigrants between these two regions.

- Highlighting the scientific movement in Shamer Mount, South of Iraq and the scientific connections between them and their impact, showing the factors that lead to valid doctrine between the both regions.
- Illustrating the economical status of Shamer Mount and South of Iraq, the famous markets, and the factors that lead to the economical exchange and its impact on the connections between the both regions.

The study consists of an introduction and five chapters, where the introduction includes the geographical location and the political status of both regions. The first chapter includes the Arabian Tribes in Shamer Mount and the immigration factors to the South of Iraq Region, as well as the economical and scientific impact of Shamer Mount Tribes on the South of Iraq Region. The second chapter handled the Arabian Tribes in South of Iraq Region and the immigration factors to Shamer Mount, as well as the economical and scientific impact of South Iraq Tribes on Shamer Mount. The third chapter showed the economical exchange between Shamer Mount and South of Iraq and the impact of these connections on the both regions. The fourth chapter handled the scientific connections of Shamer Mount at South of Iraq region and their impact on the scientific life of Shamer Mount. The fifth chapter handled the scientific connections from South of Iraq Region to Shamer Mount and the doctrine distribution between the both regions and their impact on the scientific life in the South of Iraq Region.

The study concluded with a conclusion including the most important results obtained by the researcher.

المقدمـــة

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام علـى نبينـا محمـد وعلـى آلـه وصـحبه أجمعين ، أما بعد:

فيهتم الموضوع بدراسة الناحية الاقتصادية والعلمية في جبل شمر وفي جنوبي العراق – بشكل عام – ، وتكمن أهميته في إبراز الصلات العلمية والاقتصادية بين المنطقتين والربط فيما بينهما وبيان أثر تلك الصلات .

المنطقة الأولى من الدراسة جبل شمر فهي تقع في الجزء الشمالي من هضبة نجد ، ويحدها من جهتها الشمالية الغربية تيماء وتبوك ومن الغرب يميل إلى الجنوب المدينة المنورة ، ومن الشرق حفر الباطن ، ومن الشرق ويميل إلى الشمال العراق ، ومن الجنوب الشرقي القصيم . والموطن الآخر للدراسة جنوبي العراق فهي تضم العديد من المدن التي كانت لها أهميتها السياسية والحضارية فمنها : البصرة و الزبير و سوق الشيوخ و الحلة و كربلاء و النجف . ويحد تلك المدن من جهتها الشمالية بغداد ومن الجنوب شبه الجزيرة العربية ومن الغرب بادية الشام ومن الشرق بلاد إيران (الفرس) .

فكلا المنطقتين مرّت بهما العديد من المزايا و الظروف التي تشكلت من خلالها عدد من العوامل التي أثرت في وجود الصلات الحضارية بينهما ، ويعتبر الموقع الجغرافي هو الأساس لتلك الصلات وذلك للقرب المكاني و تميز الموقعين فالعراق يتميز بوجود نهري دجلة والفرات ، وموقع جبل شمر الإستراتيجي لوقوعه على طرق الحجاج القادمين من العراق وطرق القوافل التجارية ، وقد زاد موقع الجبل تميزاً ارتفاعه ١٠٠٠متر عن سطح البحر الذي اعطاه جمالاً في صفاء الجو و نسيمه العليل ،لذا أصبح الجبل محطةً تستريح فيه تلك القوافل مما نتج عن ذلك الصلات العلمية والإقتصادية وغيرها.

ويأتي العامل السياسي في الدرجة الثانية في وجود تلك الصلات . فمنطقة جبل شمر من الناحية السياسية تحت حكم إمارة آل رشيد (فترة الدراسة) ، والمدن الواقعة في جنوبي العراق تابعةً لولايتي البصرة و بغداد احدى ولايات الدولة العثمانية . فالعلاقات السياسية بينهما روابطها قوية ، ومصالحها مشتركة يسودها الود والاحترام في المكاتبات والمقابلات الرسمية . فتلك العلاقات أثرت في وجود الصلات الحضارية بين المنطقتين والتي منها الصلات العلمية و الاقتصادية .

جبل شمر من الناحية السياسية كغيره من بلدان نجد قبل قيام الحكم السعودي ، فقد كان يعاني من استقلالية البلدان فكل بلدة لها كيانها المستقل تحت زعمائها المحليين ، فقد توالت الزعامة على

الجبل أعداد من قبيلة شمر كزعامة آل بقار و آل جشعم ، وآل جربا ، وآل علي ، أما إمارة آل رشيد فقد كانت في بداياتها تابعة للدولة السعودية الثانية منذ تعيين الإمام فيصل بن تركي لمؤسسها عبدالله بن رشيد أميراً على جبل شمر في عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م إلا أنها استقلت فيما بعد في عهد الأمير محمد العبد الله آل رشيد ومنذ تلك الفترة أصبحت الإمارة تدير شؤونها الداخلية والخارجية بنفسها حتى دخول الملك عبد العزيز . رحمه الله . حائل في عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م .

أما جنوبي العراق من الناحية السياسية في فترة الدراسة ١٢٥٠ - ١٣٤٠هـ / ١٨٣٥ -١٩٢١م فهي مرت بمراحل :

المرحلة الأولى : فترة حكم الدولة العثمانية ، وكان ضمها لبغداد في عام ٩٤٠هـ / ١٥٣٤م في عهد السلطان سليمان القانوني ، أما أهم المدن في جنوبي العراق البصرة فقد كانت تابعة لولاية بغداد في عام ٩٥٣هـ / ١٥٤٦م عندما أبقت شيخ المنتفق راشد بن مغامس صاحب البصرة على حكمه بشرط التبعية للحكم العثماني ، استمر الحكم العثماني في العراق بشكل عام حتى عهد السلطان عبد الحميد ١٣٢٥هـ / ١٩٠٨م .

المرحلة الثانية : منذ عام ١٣٢٥هـ / ١٩٠٨م تحت حكم الاتحاديين بعد انقلابهم على السلطان عبد الحميد حتى دخول الاحتلال البريطاني إلى العراق في عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م .

المرحلة الأخيرة : منذ دخول الاحتلال البريطاني ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م حتى رحيل الحكومة البريطانية من العراق ، وبدية النظام الملكي في عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م ويوافق هذا العام نهاية إمارة آل رشيد في جبل شمر ، وبداية دخول المنطقة تحت الحكم السعودي .

لقد ركز الباحثون في دراساتهم السابقة والمؤلفون عن إمارة آل رشيد على النواحي السياسية منذ بداياتها حتى نهايتها ، وترتيب حكام الإمارة وإيضاح دورهم السياسي وعلاقاتهم السياسية بشكل عام مع التطرق إلى عدد من الجوانب الحضارية . فهي تتطرق لأوضاع الإمارة اقتصادياً وعلمياً التي كانت تتحدث داخل المنطقة ، بجانب المعلومات عن صلاتها الحضارية مع الأقطار المجاورةلها ، وتلك الصلات تحتاج إلى توسع أكثر ؛ لكونها غنية بالأحداث والآثار المصاحبة لها ، أو تكون دراسات الباحثين عن أحد حكام الإمارة ، وذلك جيد ؛ لأنه يبرز الجوانب السياسية للحاكم ، وعلاقته السياسية مع القوى المحلية والدول الكبرى ، وأهم السمات الحضارية والتي منها الصلات الاقتصادية والعلمية في فترة حكمه ، إلا أن تلك الصلات تشمل الأقطار الأخرى بشكل عام .

أما هذه الدراسة فتسعى إلى تقصي الصلات ما بين جبل شمر وجنوبي العراق في الجانب الاقتصادي والعلمي خلال الفترة الممتدة ١٢٥٠- ١٣٤٠هـ / ١٨٣٥هـ - ١٩٢١م وهي فترة لها سمات سياسية ، وعوامل متعددة في كل من جبل شمر وجنوبي العراق كان لها تأثيرها في وجود الصلات العلمية والاقتصادية ، فقد تركت تلك الصلات فيما بينهما آثارها حتى وقتنا الحاضر .

أما أسباب اختيار الموضوع فهي تعود إلى :

- هجرة أعداد من جبل شمر إلى جنوبي العراق وتعدد العوامل التي أدت إلى الهجرة ووضوح الأثر العلمي والإقتصادي لقبائل جبل شمر في جنوبي العراق ، وكذلك الهجرة العكسية من جنوبي العراق إلى جبل شمر .
- بروز الصلات الاقتصادية مع جنوبي العراق أكثر من غيره من البلدان الأخرى .
- تطرق الرحالة في كتاباتهم إلى وجود الصلات الاقتصادية والعلمية ما بين المنطقتين كالرحالة فالين وداوتي وبالجريف وموزل ، وكذلك الليدي آن بلنت التي زارت العراق وجبل شمر وأشارت إلى الصلات الحضارية فيما بينها .
- وجود عدد من الوثائق والمخطوطات في مكتبات حائل الخاصة بالعلماء التي تشير إلى وجود الصلات العلمية فيما بينهما ، ووجود الوثائق في الأرشيف العثماني التي توضح أثر الصلات الاقتصادية .
- سماع الباحث لعدد من الروايات الشفهية التي تتحدث عن القوافل التجارية بين جبل شمر وجنوبي العراق ومدى أهميتها لدى السكان عندما تحل في نجد بشكل عام وفي جبل شمر خاصة مشكلة الجفاف ، وهذا أدى إلى بروز التبادل الاقتصادي المستمر بين المنطقتين .

أما التحديد الزمني للدراسة فقد ربطه الباحث بقيام إمارة آل رشيد ونهايتها ١٢٥٠ ١٣٤٠هـ /١٨٣٥ - ١٩٢١م ، وذلك التحديد يعود إلى عدة أسباب :

- وضوح الصلة ما بين جبل شمر وجنوبي العراق في الناحيتين العلمية والاقتصادية في إمارة آل رشيد خاصة بعد اتساع الإمارة وتطورها حضارياً .
- حصول الباحث على مادة علمية يستطيع من خلالها كتابة البحث في تلك الفترة ، وذلك لقدوم العديد من الرحالة إلى جبل شمر في فترة إمارة آل رشيد وكتابتهم لمعلومات تاريخية قيمة في المجال الاقتصادي والعلمي ، فقدوم الرحالة إلى المنطقة لا يقارن بما كان قبل إمارة آل رشيد .

- وقوع العديد من الأحداث السياسية في إمارة آل رشيد التي ساهمت في وجود الصلات الاقتصادية والعلمية ،والتي منها حُسن العلاقات السياسية بين إمارة جبل شمر والدولة العثمانية والتي كانت المدن الواقعة في جنوبي العراق تابعة لها ، ومرور الحجاج القادمين من العراق وإيران في منطقة جبل شمر واهتمام الأمراء بتأمين قوافل الحجاج حتى عودتهم إلى العراق فقد نتج عن ذلك صلات علمية واقتصادية ، أضف إلى ذلك اهتمام الحكام في تشجيع العلماء وطلبة العلم مما أدى إلى ازدهار الحركة العلمية ، واهتمامهم بأخبار القوافل التجارية وتقدير أصحابها وتكريمهم ، فجميع تلك الأحداث دفعت الباحث إلى تحديد الدراسة في عهد إمارة آل رشيد .

أما الاتجاه لدراسة هذا الموضوع الحضاري المتعلق بالصلات العلمية والاقتصادية بين جبل شمر وجنوبي العراق ، وأثر تلك الصلات فيما بينهما ، فقد استخدم الباحث في منهجيته جمع المعلومات المتناثرة من مصادرها الأصلية التي تتعلق بالدراسة وتدوينها وتحليلها بأسلوب علمي ، وذلك لتحقيق الأهداف التالية :

- توضيح عوامل الهجرات السكانية بين جبل شمر وجنوبي العراق ، وبيان الأثر الاقتصادي والعلمي لأصحاب تلك الهجرات على المنطقتين .
- إبراز الحركة العلمية في جبل شمر وجنوبي العراق والصلات العلمية فيما بينما وأثرها ، وإيضاح العوامل التي أدت إلى أسباب التوزع المذهبي ما بين المنطقتين .
- بيان الأوضاع الاقتصادية في منطقة جبل شمر وجنوبي العراق وأشهر الأسواق فيما بينهما والعوامل التي أدت إلى التبادل الاقتصادي وأثر تلك الصلات ما بين المنطقتين .

وقد جاءت الدراسة في تمهيد وخمسة فصول ؛ تناول الباحث في التمهيد الموقع الجغرافي لمنطقة جبل شمر وجنوبي العراق ، والصلات الجغرافية فيما بينهما ،والحالة السياسية في كلا المنطقتين .

و استعرض الفصل الأول القبائل العربية في جبل شمر وهجراتهم إلى جنوبي العراق وقد جاء في ثلاث مباحث تناول المبحث الأول عن القبائل في جبل شمر . أما الثاني فتطرق إلى عوامل الهجرة إلى جنوبي العراق والمواطن التي استوطنوها . أما الثالث فيوضح الأثر العلمي و الاقتصادي لقبائل جبل شمر في جنوبي العراق .

تناول الفصل الثاني القبائل العربية في جنوبي العراق وهجراتهم إلى جبل شمر ويشمل على ثلاث مباحث تحدث المبحث الأول عن أشهر القبائل في جنوبي العراق . أما الثاني فتطرق إلى عوامل

الهجرة إلى جبل شمر ، وعلاقاتهم مع السكان والسلطة المحلية . أما الثالث فيوضح أثر قبائل جنوبي العراق في جبل شمر .

يختص الفصل الثالث بموضوع التبادل الاقتصادي بين جبل شمر وجنوبي العراق إلى خمسة مباحث ، ويتطرق المبحث الأول إلى عوامل التبادل الاقتصادي فيما بينهما ويتحدث عن الدخل الاقتصادي والعملات والمكاييل والموازين والمقاييس المتداولة بين المنطقتين . أما المبحث الثاني فكان عن طرق القوافل التجارية بين المنطقتين ، وأما المبحث الثالث فأبرز دور العقيلات في تقوية الصلات الاقتصادية فيما بينهما . أما الرابع فذكر الباحث أشهر الأسواق في جبل شمر وجنوبي العراق وعن التبادل الاقتصادي فيما بينهما ، وأما الخامس فيتحدث عن أثر التبادل الاقتصادي ما بين المنطقتين.

ويحمل الفصل الرابع عنوان الصلات العلمية من جبل شمر إلى جنوبي العراق ويتفرع إلى أربعة مباحث . يتحدث المبحث الأول عن الحياة العلمية في جبل شمر ، وأما المبحث الثاني فتطرق إلى العوامل التي أدت إلى صلة علماء جبل شمر بجنوبي العراق ، وأما الثالث فيوضح صلة علماء جبل شمر بالعلماء العراقيين ، وأما الرابع فيبرز أثر هذه الصلة على الحياة العلمية في جبل شمر .

أما الفصل الخامس فيحمل عنوان الصلات العلمية من جنوبي العراق إلى جبل شمر ويتفرع إلى خمسة مباحث . فالمبحث الأول يُفصل في الحياة العلمية في جنوبي العراق، وأما المبحث الثاني فتطرق إلى العوامل التي أدت إلى صلة علماء جنوبي العراق بجبل شمر،وأما المبحث الثالث فيوضح صلة علماء جنوبي العراق بعلماء جبل شمر ، وأما المبحث الرابع فأبرز التوزع المذهبي ما بين المنطقتين ، وأما الفصل الخامس استعرض أثر هذه الصلة على الحياة العلمية في جنوبي العراق .

وتنتهي الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج المهمة التي توصّل لها البحث .

وقد استعان الباحث في إعداد الرسالة بالعديد من المصادر والمراجع وتأتي في مقدمتها الوثائق والمخطوطات التي كانت لها أهميتها في الفصلين الثالث والرابع ، وذلك لإيضاح العملات والموازين المتداولة في منطقة جبل شمر ، وعن العوامل التي أدت إلى الصلات العلمية والاقتصادية مابين المنطقتين ، وكذلك في صلة علماء جبل شمر بالعلماء العراقيين وأثر تلك الصلات في الفصل الرابع .

فتلك الوثائق التي اعتمد عليها الباحث تنقسم إلى قسمين :

١ – **الوثائق المحلية** : وهي الموجودة في المكتبات الخاصة بعلماء جبل شمر في حائل ، ومن أهم تلك المكتبات مكتبة الشيخ صالح السالم آل بنيان ، فقد استفدت من وثيقة المراسلات التي كانت ما بين صالح السالم والشيخ نعمان الألوسي ، ومن المكتبات الخاصة مكتبة الدكتور

خليف بن صغير الشمري فقد أمدني صاحبها بالعديد من الوثائق المحلية والتي توضح العملات والموازين التي كان يتعامل بها سكان جبل شمر في تلك الفترة ، ومن الوثائق ما احتواه كتاب (منبع الكرم والشمائل في ذكر أخبار وآثار من عاش من أهل العلم في حائل) الذي ألفه الشيخ حسان الرديعان فقد نشر ٢٧٠ وثيقة تختص بعلماء جبل شمر والقضاة والوقفيات وأهم المكتبات الخاصة والصلات العلمية لعلماء وقضاة جبل شمر مع البلدان المجاورة.

٢- **الوثائق العثمانية (غير منشورة)** : حصلت عليها من مكتبة الدكتور خليف الشمري ، ومن تلك الوثائق التي اعتمدت عليها وثائق تلغراف البصرة وهي توضح أثر الصلات الاقتصادية ما بين المنطقتين ، وكذلك الوثائق التي تحتوي على المكاتبات ما بين الأمير محمد العبد الله آل رشيد والسلطان عبد الحميد والتي توضح العلاقات السياسية الجيدة فيما بينهما والتي كان لها أثر في وجود الصلات العلمية والاقتصادية ما بين جبل شمر وجنوبي العراق التابع للحكومة العثمانية .

أما المخطوطات التي استفاد منها الباحث مخطوطة عباس العزاوي والتي بعنوان : تاريخ نجد واستفدت منها في معرفة دواعي الهجرة إلى جنوبي العراق ، ومعرفة الحالة السياسية فترة إمارة آل رشيد وقد أمدني بها الدكتور طلال الطريفي . أما المخطوطة الثانية فهي مخطوطة عوض بن محمد الحجي وهي رسالة بعنوان : الصواعق في أجوبة أنموذج الحقائق في الرد على عالم العراق داوود بن جرجيس وتتكون من سبع صفحات ، أمدني بها الشيخ حسان بن إبراهيم الرديعان ، وقد اعتمد عليها الباحث في صلة علماء جبل شمر بالعلماء العراقيين وهي توضح حقيقة اعتقاد ابن جرجيس ، وكذلك أثر تلك الصلة في الناحية العلمية على منطقة جبل شمر .

ومن المصادر الكتب المطبوعة أهمها :

- عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر تحقيق : عبد اللطيف آل الشيخ ويتكون من جزأين .
- تاريخ الفاخري تحقيق : عبد الله بن يوسف الشبل ويهتم في معرفة العملات المتداولة في نجد والتي من بينها جبل شمر والعوامل التي أدت إلى الصلات الاقتصادية بجنوبي العراق والعملات والموازين التي يستخدمها السكان في نجد .

- زهر الخمائل في تراجم علماء حائل لكاتبه علي بن محمد الهندي . تحقيق : إبراهيم الحازمي ، ويهتم في الحياة العلمية في جبل شمر ويوضح إشارات عن الصلات العلمية في جبل شمر مع البلدان الأخرى .
- صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث (مذكراتي خلال قرن من الأحداث) لكاتبه خليل بن إبراهيم الرواف فهو من أشهر العقيلات التجار ، وقد زار العديد من البلدان ومنها منطقة جبل شمر ، فقد وضح فيها كيفية شراء الإبل من سكان حائل وبيعها في العراق والشام ومصر ، وما كتبه كان مهماً في المبحث الذي يتحدث عن دور العقيلات في تقوية الصلات الاقتصادية ما بين جبل شمر وجنوبي العراق .
- مذكرات الحاج صلال فاضل الموح وهو من قبيلة شمر ، وقد تحدث في مذكراته عن بداية قدومهم من جبل شمر إلى جنوبي العراق واستقرارهم في لواء الديوانية ، واستفدت منها في معرفة أثر القبائل المهاجرة من جبل شمر إلى جنوبي العراق في الجانب المعرفي والاقتصادي
- تاريخ الحلة لكاتبه يوسف كركوش الحلي ، ويتكون من أقسام وما يهمنا القسم الذي يتحدث عن الحياة الفكرية ، فقد ذكر أعداداً من قبيلة شمر الذين تميزوا بالعلم والأدب وأثرهم في جنوبي العراق في الجانب المعرفي و الإقتصادي
- ديوان الشاعر جعفر الحلي بعنوان (سحر بابل وسجع البلابل) الذي يحتوي على العديد من الأشعار التي توضح صلته الأدبية (العلمية) بجبل شمر ،
- كتاب العزاوي بعنوان عشائر العراق الذي يتكون من أربعة أجزاء استفاد منه الباحث في القبائل العربية في جنوبي العراق ، ودواعي الهجرة من جبل شمر إلى جنوبي العراق كهجرة آل جربا ، وغيرها من الهجرات المتعاقبة .

أما المصادر المطبوعة الأخرى فهي كتب الرحالة فقد استفاد الباحث منها كثيراً ، وذلك لما تحتويه تلك المذكرات من معلومات ذات أهمية سواءً في الجوانب السياسية أم الجوانب الحضارية ومن أولئك :

- جورج أوغست فالين wallin Georg August السويسري فقد كانت زيارته الأولى لجبل شمر في فترة مؤسس إمارة آل رشيد عبد الله بن علي ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م . أما الثانية فكانت عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م في عهد طلال العبد الله آل رشيد ، وتعود أهمية ما دوّنه

فالين في كتابه من معلومات،أن الباحث رجع إليها في جميع الفصول ما عدا الأخير صلة علماء جنوبي العراق بجبل شمر.

- الرحالة تشارلز داوتي البريطاني Charles Daughty وقد قدم إلى حائل ما بين عام ١٢٩٣ ١٢٩٥ هـ / ١٨٧٦ - ١٨٧٨م في فترة محمد العبد الله آل رشيد ، ويحتوي كتابه على مجلدين بعنوان (ترحال في صحراء الجزيرة) ذكر فيه رحلاته ومشاهداته ، والتي من بينها ماشاهده في جبل شمر ، وتعودأهميته بأنه تطرق إلى الأوضاع الاقتصادية في المنطقة وأثر الصلات ما بين جبل شمر وجنوبي العراق وإلى الحياة العلمية وأثر الحكام في ازدهارها .
- الرحالة الليدي آن بلنت Lady AnneBlunt البريطانية قدمت مع زوجها ويلفرد سكاون Wilfrid Scawen بهدف شراء الخيول العربية الأصيلة وكان ذلك في فترة محمد العبد الله آل رشيد وأهميتها في العملات وضرائب الحجاج والدخل الاقتصادي للإمارة وطرق القوافل التجارية التي تطرقت إليها.
- الرحالة ألويس موزل Alois Musil التشيكي وقد زار حائل في عهد سعود العبد العزيز المتعب آل رشيد في عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م له كتاب عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية ويضم عدداً من الموضوعات : الظروف الحالية بمكة ، ابن سعود ، ابن رشيد ، وما يهمنا هو ابن رشيد أحد عناوين الكتاب الذي ذكر فيه عن التبادل الاقتصادي ما بين المنطقتين وعن قدوم المشاهدة وغير ذلك من المعلومات ذات أهمية تاريخية استفاد منها الباحث .
- لوريمر J.G.Lorimer البريطاني الموظف لدى الحكومة البريطانية . تتكون الموسوعة التي بعنوان (دليل الخليج) من قسمين التاريخي و الجغرافي، وقد كانت الموسوعة قبل عام ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م سرية وصرّح بنشرها في ذلك العام ، وبعد ست سنوات ترجمت الموسوعة بأمر من أمير دولة قطر الشيخ خليفة بن حمد في عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م وتهتم الموسوعة بمنطقة الخليج العربي والجزيرة العربية والعراق ولها أهمية في جميع الجوانب الحضارية والسياسية ، وتكمن أهميتها للباحث بأنه استطاع الربط بين المدن الواقعة في جنوبي العراق ، و جبل شمر في الصلات العلمية والاقتصادية ، فالموسوعة تُفرد عنواناً لكل مدينة تذكر فيه موقعها وموضعها إدارياً وسكانها والديانة والصناعة والتجارة والسلطة التابعة لها ، وغير ذلك من المعلومات التي استعان بها الباحث .

- الرحالة أينهولت Aanholt الهولندي الذي كانت رحلته في العراق بين عامي ١٢٨٣-١٢٨٤هـ/١٨٦٦ - ١٨٦٧م فقد ألف من خلال مشاهداته كتاباً بعنوان (رحلة أينهولت الهولندي إلى العراق) ، وتعود أهميته في معرفة العملات والمقاييس ، وطريقة شراء أصحاب القوافل التجارية القادمة من جبل شمر إلى الأسواق في جنوبي العراق .

ومن المراجع الرسائل الجامعية ومنها :

- دراسة مايكل براون Michael Baran ، وهي بعنوان THE RASHIDI AMIRATE OF HAYL تقدم بها للحصول على درجة الدكتواره من جامعة متشجن (غير منشورة) في عام ١٩٩٢م ، وتعود أهميتها في معرفة إزدهار الأسواق في جبل شمر ، ودور الأمراء في ذلك ،وفترة قدوم المشاهدة الى جبل شمر ، وإيضاح العلاقات السياسية بين آل رشيد والسلاطين العثمانيين ، ومعرفة دور الحكام في تشجيع السكان لطلب العلم وتحصيله .
- دراسة حمد الحماد ، وهي بعنوان (حكم محمد العبد الله بن رشيد لنجد ١٢٨٩. ١٣١٥هـ) وتقدم بها للحصول على درجة الماجستير من جامعة الملك سعود (غير منشورة) في عام ١٤٢٥هـ ، وتعود أهميتها في معرفة الدخل الاقتصادي للإمارة و العوامل التي أدت إلى التبادل الاقتصادي بين المنطقتين ، وعوامل الصلات العلمية وعن الحياة العلمية وازدهارها في فترة محمد العبد الله آل رشيد .
- دراسة غانم بن محمد علي ، وهي بعنوان (النظام المالي العثماني في العراق ١٢٥٥ - ١٣٣٣هـ / ١٨٣٩ - ١٩١٤م) ، وتقدم بها للحصول على درجة الماجستير من جامعة الموصل ، وتعود أهميتها في معرفة العملات والموازين ومصادر الدخل في العراق في العهد العثماني .
- دراسة خلود بنت عبد اللطيف اليوسف ، وهي بعنوان (البصرة في العهد الحميدي ١٨٧٦ . ١٩٠٨م) ، وتقدمت بها للحصول على درجة الماجستير من جامعة البصرة (غيرمنشورة) وتعود أهميتها في الجانبين الاقتصادي والعلمي ، فقد وضحت الحياة الاقتصادية كالأسواق والعملات ودور الحكومة العثمانية في ازدهارها و،كذلك وضحت الحياة العلمية ابتداءً من الكتاتيب ، ومروراً بالمدارس النظامية والأجنبية ، حتى انتهت بذكر أثر الحياة العلمية والتي منها جلب المطابع وظهور العديد من المجلات والجرائد العراقية .

أما البحوث العلمية والدوريات ، فقد اهتم الباحث بما دونته مجلة لغة العرب في أكثر أجزاءها وذلك لما تحتويه من عناوين ذات أهمية عن المدن العراقية خصوصاً الواقعة في جنوبي العراق ،فقد وضحت أبرز النواحي السياسية والحضارية لتلك المدن ، وكذلك ما كتبه المؤرخ سليمان الدخيل عن نجد بشكل عام وعن منطقة جبل شمر خاصة فقد تطرق في عدد من العناوين عن الناحية الحضارية للمنطقة وتعود أهمية لغة العرب أنها عاصرت إمارة آل رشيد، والتي بدأ أول إصدار لها في عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م .

ومن البحوث العلمية ما نشره مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني تحت عنوان (الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادرها ووثائقها في العهد العثماني) فقد كتب الأستاذ الدكتور عبد الفتاح حسن أبو عليه بحثاً بعنوان (النقود والموازين والمقاييس في سنجق الأحساء في العهد العثماني ١٨٧١ . ١٩١٣م) ، وتعود أهميته في معرفة الباحث بطريقة تفريع العملات ومعرفة المقاييس والموازين وأن كانت تلك التي في الأحساء فأهل نجد يستخدمون جزءاً منها ومنطقة جبل شمر من البلدان النجدية .

ومن البحوث التي نشرها مركز الدراسات (الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني) حيث قام الدكتور عبد الجليل التميمي بجمعها ، ومن تلك المواضيع ما كتبه الدكتور فاضل مهدي بيات بعنوان (التعليم في العراق في العهد العثماني دراسة تاريخية في ضوء السالنامات العثمانية) جامعة بغداد ، وتعود أهميته في المبحث الأول من الفصل الخامس الحياة العلمية في جنوبي العراق .

ومن ضمن تلك المصادر والمراجع أيضاً الروايات الشفهية

لقد واجه الباحث بعض الصعوبات ، ومنها أنني للأسف لم أستطع السفر إلى المدن الواقعة في جنوبي العراق بسب الأوضاع السياسية للاطلاع على مناطق البحث ، وجمع المصادر التاريخية من المكتبات العراقية ، إلا أن الباحث استطاع تخطي هذه المسألة عندما قام بالاتصال المستمر مع المختصين بتاريخ العراق الحديث ، ومنهم الأستاذ الدكتور علي بن ناصر الشمري في الجامعة المستنصرية في بغداد ، الذي أمد الباحث بالعديد من الكتب التي يحتاجها البحث وكذلك الرسائل الجامعية التي لم يسبق لها النشر ، أما الكتب العراقية الأخرى فقد وجدتها في مكتبة الجامعة الأردنية ، وجامعة اليرموك .

وفي الختام يتقدم كاتب البحث بجزيل الشكر والتقدير للمُشرف الدكتور / عبد الرحمن بن علي العريني على متابعته للبحث ، وإسدائه التوجيهات والنصائح التي كان لها دور كبير في تذليل ما ظهر من صعوبات في بعض جوانب البحث ، كما أشكر الدكتور / خليف بن صغير الشمري (المحاضر في قسم التاريخ بجامعة حائل) الذي كان له دور كبير في تزويدي بالعديد من المصادر والمراجع ، وفي تخطي الكثير من الصعاب وتذليلها ، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الشيخ /حسان بن إبراهيم الرديعان الذي أمدني بالعديد من المصادر التي أفادتني في سد النقص في هذا البحث وتجاوز بعض الصعوبات ، وأوجه شكري وتقديري للصديق الصدوق الأستاذ / محمد بن عبدالعزيز الشويحاني على مواقفه الأخوية معي حيث كان مسانداً لي في إعداد الرسالة وطباعتها .

كما يسرني أن أتقدم بالشكر والعرفان للإخوة المسؤولين في مكتبة الملك عبد العزيز العامة وجامعة الملك سعود ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ودارة الملك عبد العزيز ،ومكتبة الجامعة الأردنية ، ومكتبة جامعة اليرموك ، والمكتبات الخاصة بحائل مكتبة الشيخ صالح سالم آل بنيان ، ومكتبة الأستاذ الدكتور علي بن ناصر الشمري الخاصة ببغداد ، لما قدموه من مساعدة أثناء مرحلة جمع المادة العلمية ،وتحملوا مني كثرة التردد عليهم ، وأسأل الله تعالى أن يجزي من ساعدني منهم على فعله خيراً ، وأخص بالذكر والشكر فضيلة الشيخ سبهان بن علي الحمود آل سبهان حفظه الله ، وجزاه عني خير الجزاء ، وأخيراً كل الشكر والتقدير لوالدي وأخي لتشجيعهم لي ولتوفيرهم الجو المناسب طيلة دراستي ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد للجميع

مشعل بن مهجع المفضلي

التمهيد:

أولاً – الموقع الجغرافي لجبل شمر وجنوبي العراق والصلات الجغرافية فيما بينهما .

أ– جبل شمر :

- الموقع والحدود وأبرز المعالم الجغرافية .
- التسمية .
- أهم المعالم التاريخية .

ب– جنوبي العراق :

- البصرة .
- الزبير .
- سوق الشيوخ .
- كربلاء .
- النجف .

ج– الصلات الجغرافية بين جبل شمر وجنوبي العراق :

- النفود الكبير .
- الأودية.
- موارد المياه .

– الموقع الجغرافي لجبل شمر وجنوبي العراق والصلات الجغرافية بينهما :

أ– (جبل شمر)

أولاً – الموقع والحدود وأبرز المعالم الجغرافية :

يقع جبل شمر في الجزء الشمالي من هضبة نجد [١] عند خط الطول ٣٠ – ٤١° شرقاً وخط العرض ٣٣-٢٧° شمالاً [٢] ، ومن أبرز المعالم الطبيعية سلسلتان جبليتان هما : جبلا أجا [٣] و سلمى [٤] ، ولا تختلف هاتان السلسلتان عن بعضهما من حيث التركيب الجيولوجي أما المسافة التي تفصل بينهما فهي لا تزيد عن ٤٠ كم [٥] .

يقع بين الجبلين عدد من الأدوية والسهول يزيد عددها في الجزء الشمالي والشمال الشرقي من أجا [٦]، وإلى جانب هاتين السلسلتين توجد جبال أخرى تقع بين جبلي أجا والسمراء [٧]، ويبلغ أقصى ارتفاع لها ١٠٠ متر وتحجب هذه الجبال الرؤية عن حائل للقادم من جهة الشمال[٨].

---

[١] عبيد ، جبار يحيى ، التاريخ السياسي لإمارة حائل ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ١٤٢٤هـ ، ص ١٦ .

[٢] العريفي ، فهد العلي ، هذه بلادنا حائل ، ط١ ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ١٤٠٢هـ ، ص ١١ ؛ القويعي ، عقيل بن ضيف الله ، أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل ، ط١ ، مطابع النموذجية ، الرياض ١٤١٥هـ ، ص ١٣ .

[٣] أجا : يقع غربي مدينة حائل ويمتد من الشمال باتجاه الجنوب الغربي وتبلغ مسافته حوالي ١٠٠ كم وعرضه ما بين ٢٥ إلى ٣٠ كم يبلغ أعلى قمة فيه ١٣٥٠ متر عن سطح البحر وصفته الليدي آن بلنت : (جبل شمر لاشيء يشبهه على الأقل فيما شاهدت في هذا العالم إلا أن يكون جبل سيناء وهو أجمل من ذلك) . (فهد العريفي ، نفسه ، ص ١١ ؛ آن بلنت ، رحلة إلى بلاد نجد ، ترجمة : محمد أنعم غالب ، ط٢ ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٩هـ ، ص ١٧٧) .

[٤] سلمى : تقع جنوب شرقي مدينة حائل ويمتد الشمال الشرقي باتجاه الجنوب الغربي وتبلغ مسافته حوالي ٦٠ كم وعرضه حدود ١٣ كم . وفي وسط جبل سلمى وجنوبه وشرقه العديد من القرى أشهرها : فيد ، طابة ، السبعان ، العظيم . يبلغ أعلى قمة فيها ١٢٠٠ متر عن سطح البحر . (الجاسر ، حمد ، المعجم الجغرافي ، شمال المملكة ، القسم الثاني ، دار الرياض . ص ٦٨٢ ؛ فهد العريفي ، مرجع سابق ، ص١٢) .

[٥] حمزة ، فؤاد قلب جزيرة العرب ط١ ، الثقافة الأدبية ، بور سعيد ١٤٢٣ ، ص ١٤ .

[٦] عبيد ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

[٧] السمراء : يقع شرق جبل أجا وهو من الجبال المنفصلة عن أجاء ، وتقع حائل بينهما و يبلغ أقصى ارتفاع لها ما بين ٩٠٠ إلى ١٠٠٠ متر . وهو أقصر من جبلي أجاء وسلمى . (الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الثاني ، ص٩٦٠ ؛ اوينتج ، يوليوس ، رحلة داخل الجزيرة العربية ، ترجمة : سعيد فايز السعيد ، الدارة ، الرياض ١٤١٩هـ ، ص ١٠٧) .

[٨] لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، الأجيال ، قطر على نفقة حاكم قطر الشيخ حمد بن ثاني ، ص ٧٦٩ .

يرتفع جبل شمر عن مستوى سطح البحر بحوالي ٣٥٠٠ قدم [١] أي ما يعادل ١٠٢٠ متر تقريباً ، أما الجهة الشرقية من جبل شمر لا يزيد ارتفاعها عن ٩٠٠ متر [٢].

يسكن أهالي حائل في منحدر السفح الشرقي لجبل أجا [٣] في سهل وادي الديعجان [٤] ،أما حدود جبل شمر فمنهم من يربطها بحدود طبيعية ، فهي بذلك تقع بين النفود الكبير في الشمال ووادي الرمة من الجنوب ، وبين جبال الحجاز في الغرب وصحراء الدهناء من الشرق [٥] ، والبعض الآخر من ربط حدودها بأسماء مناطق فيحدها من الجهة الشمالية بادية الشام ، ومن الجنوب بلاد القصيم ، ومن الشرق الكويت والعراق ، ومن الغرب المدينة المنورة [٦] ، أما حدودها الإدارية في وقتنا الحاضر من الشمال الجوف ورفحاء وعرعر ومن الشمال الغربي تبوك ومن الجنوب الشرقي القصيم ومن الجنوب الغربي المدينة المنورة [٧].

ثانياً – التسمية :

أطلق على المنطقة عدة أسماء منها (جبل شمر) والمقصود بالجبل هما جبلا : أجاء وسلمى وشمر نسبةً للقبيلة التي تسكن المنطقة [٨] ، ومن أسمائها (حائل) سميت بذلك نسبة إلى وادي الأديرع ؛ لأنه عندما يسيل يحول بين سكان الجبلين أجاء وسلمى فعرف الوادي بحائل [٩] ، وذكر العفنان " أن حائل أرض فضاء وربوة خصبة تحفها الأودية والشعاب من جميع جهاتها [١٠] منذ القدم

---

[١] آن بلنت ، مصدر سابق ، ص ٢٤٠ .

[٢] العفنان ، سعد بن خلف ، حائل وعبقرية المكان ، ط٢ . المعرفة ، حائل ، ١٤١٧هـ ، ص ١٦٣ .

[٣] العفنان ، نفسه ، ص١٦٣ .

[٤] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص٧٦٩ .

[٥] الدخيل ، سليمان ، إمارة آل رشيد ، لغة العرب ، ع١١ ، س ١٣٣٢هـ ، ص٥٨٥ .

[٦] عبيد ، مرجع سابق ، ص١٧.

[٧] فهد العريفي ، مرجع سابق ، ص١٠.

[٨] موزل ، الويس ، عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية ترجمه : ماجد شير ، دار الوراق ، لندن ، ٢٠٠٧ م ، ص ١٢ ؛القويعي ، مرجع سابق ، ص٢٤.

[٩] الهمزاني ، شايم لافي ، التغير الاجتماعي في منطقة حائل ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، قسم علم الاجتماع دراسة ماجستير ، ١٤١٠هـ ، غير منشورة ، ص٨٥ ؛ محمدين ، محمد محمود ، أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية الرياض ، ١٤١٣هـ ، ص٨٣.

[١٠] يحيط بها من الشمال شعيب غطاط ، ومن الجنوب شعيب أعيرف ، ومن الشرق وادي الأديرع ، ومن الغرب يفترق عنها وادي عقده حيث يكون شعيبين غطاط والنقرة ، ومن بداية هذين الشعيبين في طرف الجهة الغربية من حائل يتكون شعيب أعيرف . (العفنان ، مرجع سابق ... حائل ، ص١٦٥).

وهذه الربوة التي تقوم عليها مدينة حائل كانت تتحول من حال إلى حائل إذا نزل عليها المطر ، فسميت حائل على الربوة التي تحفها الأودية والشعاب [1] " . وإذا نظرنا إلى السببين السابقين وجدنا أن كليهما أقرب إلى الواقع ؛ لأنهما يحجزان السكان وقت نزول الأمطار ولهذه الأسباب سميت حائل بهذا الاسم .

ثالثاً – أهم المعالم :

أ- **قصر برزان** [2] : أسسه الأمير محمد بن عبد المحسن آل علي بعد ما كانت مساكنهم السابقة في أسفل بلدة حائل (السويفلة [3]) ، وبعد نهاية إمارة آل علي أصبح القصر مقراً لإمارة آل رشيد [4] ، وسبب تسمية القصر بهذا الاسم نسبة لموقعه وذلك ؛ لبروزه عن مساكن آل علي السابقة [5] ، ويقع غرب القصر جامع برزان وبينهما ساحة واسعة تسمى (المسحب) [6] .

ب- **السويفلة** : وهي من أقدم المعالم في جبل شمر تقع في منخفض شمالي حائل سميت بهذا الاسم لوقوعها أسفل المدينة وذكر العفنان أنها (القُريّة [7]) التي ذكرها امرؤ القيس :

أبت أجا أن تسلم العام جارها ... فمن شاء فلينهض لها من مقاتل
تبيت لبوني بالقُريّة آمناً ... وأسرحها غباً بأكناف حائل [8]

---

[1] مرجع سابق ، ص١٦٥.

[2] قيل في القصر أشعار أثناء بناءه منها :

بنينا لنا قصر ببرزان ... عريض الدرج زين المباني
وبنايته تسعين رجال ... وتسعين عيدٍ طرجمانِ

(أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١ ، ص٢٤)

[3] العثيمين ، عبد الله الصالح ، نشأة إمارة آل رشيد ، ط٢ ، الشريف ، الرياض ، ١٤١١هـ ؛ القويعي ، مرجع سابق ، ص٢٥

[4] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص٧٧٠ .

[5] العثيمين ، مرجع سابق ، ص٤٠.

[6] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ،ج١، ص٢٦-٢٧ ؛ القويعي ، مرجع سابق ، ص٢٥.

[7] العفنان ، سعد خلف ، معالم مدينة حائل وجمالها الطبيعي ، ط٢ ، المعرفة ، حائل ، ١٤٢٦هـ ، ص ٦٢ .

[8] ابن بليهد ، محمد بن عبد الله ، صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، ج١ ، ط٣ ، دار عبد العزيز آل حسين الرياض ١٤١٨هـ ، ص ٨٠ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١، ص١٤.

ج- **مغيضة** : تقع شرقي برزان وبينهما السبهانية [١] ، يقع فيها قصر آل علي حكام جبل شمر والذي يعرف بقصر الوشيقي [٢]، وسكان مغيضة يدعون في مقام الثناء باسم (اليتمان)[٣]

د- **لبدة** [٤]: تقع جنوب مغيضة والسبهانية وتمتد من الشرق إلى الغرب حتى تصل حي سرحة وشرقها يقع سوق النعام وجنوبها الزبارة [٥] ، وتعتبر لبدة من أقدم الأحياء وأكثرها عدداً بالسكان ، وأغلب رجال الإمارة في عهد آل رشيد وعلماء وقضاة جبل شمر من أهالي لبدة[٦]، ويتضح لنا من خلال موقع جبل شمر أن لموقعها أثر كبير على حياة السكان وعلى الإمارة في جميع النواحي الحضارية [٧] ؛ لوقوعها على ممر الحجاج الإيرانيين والعراقيين المغادرين من النجف باتجاه مكة والمدينة المنورة [٨].

---

[١] السبهانية : نسبة لأسرة آل سبهان ، وهي مزرعة وسكن لآل سبهان قديماً قبل أن ينتقلوا إلى العليا (العفنان ، مرجع سابق ... معالم ، ص٥٩) ويؤكد أن انتقالهم إلى العليا ما قبل عهد إمارة سعود العبد العزيز المتعب آل رشيد . قصيدة الشاعر / عبد الله السنيدي عندما كتب قصيدته إلى حمود آل سبهان وهو في المدينة ومعه سعود العبد العزيز ابن أخته يطلب منه القدوم إلى حائل قائلاً :

يـــا حمـــود حائـــل والعليـــا تنتظـــر منـــك المـــدد وســـقاي شـــرع الـــودي

فالمقصود بالعليا : مساكن آل سبهان . (الخريصي ، هشال عبد العزيز ، قبيلة شمر متابعة وتحليل ، ط١ ، دار الساقي ١٩٩٨م، ص٦١-٦٢).

[٢] الوشيقي : سمي بهذا الاسم ، لأنهم قطعوا النخل لبناء القصر مكانه (أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١، ص٢٣ ؛ القويعي ، مرجع سابق ، ص٢٥).

[٣] العريفي ، نفسه ، ص ٢٣ .

[٤] لبدة : هي أملاك زراعية للقوعه وهم أحد فروع الجعفر من عبده . (العفنان ، مرجع سابق ... معالم ، ص ١٠٥) .

[٥] احمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١ ، ص ٣٠ .

[٦] العفنان ، مرجع سابق ... معالم ، ص١٠٥ .

[٧] عبيد ، مرجع سابق ، ص٢٠ .

[٨] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص ٧٧٢.

ب . جنوبي العراقي :

قبل التطرق إلى الموقع الجغرافي للمناطق الواقعة في جنوبي العراق نستعرض موقع العراق بشكل عام . فهو يقع في القسم الشمالي من جزيرة العرب ويكوّن الجناح الشرقي للهلال الخصيب [١] ، وفي العراق نهران عظيمان من أشهر الأنهار في العالم هما :

أولاً . نهر دجلة : منبعه من المرتفعات العالية في جنوب شرقي تركيا ، ويبلغ طوله من منبعه حتى التقائه بنهر الفرات حوالي ١٧١٨ كم .

ثانياً . نهر الفرات : منبعه من سلاسل جبلية عالية الارتفاع في منطقة أرضروم التركية [٢] ، ويدخل النهر على الحدود السورية ويسير باتجاه الجنوب الشرقي ، ويمر بمدينة دير الزور ، ثم يدخل الحدود العراقية [٣] .

يلتقي النهران عند مدينة كرمة علي ويكونان نهراً رئيسياً يصبح مجراهما واحداً يطلق عليه شط العرب ويبلغ طوله حتى مصبه في الخليج العربي ١٩٠ كم [٤].

تضم المنطقة الواقعة في جنوب العراق عدداً من المدن ذات أهمية استراتيجية سواء من الناحية السياسية أو الناحية الاقتصادية كالبصرة والزبير ؛ لوقوعها على ضفاف شط العرب ولقربها من منطقة الخليج العربي ومن الناحية الدينية والعلمية وجود العتبات المقدسة لدى الشيعة في كربلاء والنجف .

---

[١] الهلال الخصيب ، مصطلح أطلقه المؤرخ الدكتور / بريستد على وادي الرافدين وسورية وفلسطين وشرقي الأردن (الحسني عبد الرزاق ، العراق قديماً وحديثاً ، ط٢ ، العرفان ، صيبا ، ١٣٧٥هـ ، ص٧) .

[٢] أرضوم التركية : يلفظها الأتراك ارزروم Erzurum تقع في شرق الأناضول وإلى الجنوب الشرقي من طرابزون (فريديك ، محمد ، الدولة العثمانية العلية ، تحقيق : إحسان حنفي ، دار النفائس ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢٨١) .

[٣] البغدادي ، محمد عبد الرزاق ، جغرافية العراق السياحية ، الجامعة المستنصرية ، كلية الإدارة والاقتصاد ، بغداد ١٤١٢هـ ، ص ١١٥-١١٧.

[٤] البغدادي ، نفسه ، ص ١٢١ .

ومن أهم المدن الواقعة في جنوبي العراق ما يلي :

أولاً . البصرة [١]:

تقع البصرة في أقصى الجنوب الشرقي من العراق [٢] على ضفاف شط العرب في الجهة الغربية من النهر وترتفع عن سطح البحر حوالي مترين فقط [٣] .

يحد البصرة من الشمال بغداد ، ومن الشرق إيران ، ومن الجنوب الكويت ، والخليج العربي[٤] ومن الغرب الناصرية والرمادي [٥].

تعتبر البصرة المدينة الثانية بعد بغداد من حيث الأهمية السياسية والتجارية ، ويعود إليها الفضل في نشر نفوذ الدولة العثمانية في المناطق الواقعة شرقي الجزيرة العربية وفي نجد [٦] ، ومن أبرز المعالم الطبيعية في البصرة نهر العشار [٧] ، ونهر الخندق [٨] ، ويستخدم هذان النهران لتصدير السلع والبضائع إلى بواخر السفن الراسية في شط العرب [٩] ، تشتهر البصرة عن غيرها من المدن الواقعة في جنوب العراق بجودة نخيلها وتعدد أصنافه [١٠].

---

[١] البصرة : مدينة إسلامية بُنيت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٤هـ . (فيضي ، سليمان ، مؤلفات مختارة التحفة الإيقاظية في الرحلة الحجازية والبصرة العظمى ، دار الساقي ، لبنان ، ١٩٩٨م ، ص ٢٨٥) .

[٢] نيبور ، كارستن ، رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها ، ترجمة : عبيد المنذر ، ج٣ ، ط١ ، الانتشار العربي ، بيروت ٢٠٠٧ ، ص ٧٣ ؛ الدراجي ، سعدي إبراهيم ، تحصينات مدينة البصرة في العصر العثماني ، مركز إحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ، ١٩٩١ م ، ص ٣٩٧ .

[٣] الشلاة ، حسين هادي ، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ١٤٢٢هـ ، ص ٥١ .

[٤] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٢ ، ص٣٤١ .

[٥] الشلاة ، مرجع سابق ، ص٥١ .

[٦] لوريمر ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٣٤١ .

[٧] من الأنهار الداخلة إلى البصرة ومن حوله البساتين والبيوت الكبيرة ، وعلى جانبه محل الحكومة البريطانية (البغدادي ، ابراهيم فصيح الحيدري ، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ، ط٢ ، مدبولي ، القاهرة ١٩٩٩م ، ص ١٦٧) .

[٨] من أنهار البصرة وهو مركز تجارة الحبوب وعلى شواطئه توجد هناك العديد من المخازن (لوريمر ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٣٤١-٣٤٣) .

[٩] الدراجي ، مرجع سابق ، ص٣٩٧ .

[١٠] أول من غرس النخل بالبصرة هو عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي من أعيان التابعين حيث قال هذه أرض نخل فغرس الناس بعده ، ومن أصناف النخل في البصرة : البرحي . السكري . مكتوم . هلالي . سيحاني . (الحفيظ ، عماد محمد ، دور البصرة في زراعة وانتشار نخلة التمر عند العرب ، مركز إحياء التراث العربي ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩م ، ص ١١٠) .

ثانياً ـ الزبير :

تقع في أقصى الجنوب الغربي من العراق على بعد تسعة أميال جنوب مدينة البصرة [١] وترتفع ٣٠ متر عن مستوى سطح البحر [٢] ، ويحد الزبير من الشمال الناصرية ، ومن الجنوب الكويت ، ومن الشرق البصرة ومن الغرب الصحراء السعودية [٣] ، سميت الزبير بهذا الاسم نسبة إلى ضريح الصحابي الزبير بن العوام ـ رضي الله عنه ـ ، فقد أصبح الضريح من إحدى الأسباب التي أدت إلى تجمع الناس واستقرارهم حوله [٤] .

تشتهر مدينة الزبير بالتجارة ، وبكثرة عدد التجار الذين قدموا إليها من نجد حتى أطلق عليها (نجد الصغيرة) [٥] ويرجع سبب ازدهار الزبير بالتجارة لعدة عوامل منها :

أولاً : أنها المحطة الأولى في الطريق من البصرة إلى الكويت ونجد [٦]، فقد أصبح السكان رؤساء للقوافل التجارية ومتعهدين لنقل السلع بين البصرة والزبير والولايات العثمانية الأخرى .

ثانياً : عدم صلاحية أراضيها للزراعة إلا في مناطق محدودة لذلك اتجهت أنظار السكان إلى التجارة[٧].

ثالثاً ـ سوق الشيخ :

تقع المدينة على ضفة الفرات اليمنى ويحدها من الشمال والشرق الفرات ، ومن الجنوب والغرب الصحراء الشامية [٨] ، وتعد سوق الشيوخ من المدن الحديثة [٩] ، ومؤسس السوق الشيخ ثويني المحمد جد الأسرة السعدونية فقد تأسست المدينة عام ١١٧٥هـ / ١٧٦١ م [١٠] .

---

[١] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج١٤ ، ص ٢٥٩٣ .

[٢] العليان ، عبد الحميد عبد العزيز ، جواهر الزبير ، الرياض ، ١٤١٨هـ ، ص ١٨ .

[٣] العليان ، نفسه ، ص١٧.

[٤] الصانع ، عبد الرزاق عبد المحسن والعلي ، عبد العزيز عمر ، إمارة الزبير بين هجرتين بين سنتي ٩٧٩ . ١٤٠٠هـ ج١ ط١ ، الكويت ، ١٤٠٦هـ ، ص ٤٥ ؛ اليوسف ، خلود عبد اللطيف ، البصرة في العهد الحميدي ١٨٧٦ – ١٩٠٨م ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة البصرة ١٤١٢هـ ، ص ٣١ .

[٥] الجار الله ، أحمد بن جار الله ، مدينة الزبير وإقليمها شخصية المكان وبصمة الإنسان ، الدمام ، ١٤٢٣هـ ، ص ١٢٨ .

[٦] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج١٤ ، ص ٢٥٩٤ .

[٧] خلود اليوسف ، مرجع سابق ، ص ٣١ .

[٨] الدخيل سليمان ، سوق الشيوخ ، لغة العرب ، ج٥ ، س٢ ، ذي الحجة ١٣٣٠هـ ، ص ٢٤٥ .

[٩] علي ، عبد الكريم محمد ، تاريخ مدينة سوق الشيوخ ، عصام بغداد ، ١٩٩٠م ، ص٧ .

[١٠] الدخيل ، مصدر السابق ، لغة العرب ، ج٥ ، س٢ ، ذو الحجة ١٣٣٠هـ ، ص ٢٤٥ .

سميت المدينة بسوق الشيوخ لوجود سوق للشيخ ثويني وجماعته فقد كان السوق متنقلاً بين القبائل فرغب الشيخ وجماعته بأن يكون لهم سوق مستقر بالقرب من نهر الفرات ، وبالفعل استقروا في منطقة كانت تسمى في السابق سوق النواشي [١] ، وكان الشيخ يقرض التجار من شيوخ القبائل المجاورة من نقودٍ وذهبٍ حتى أصبح هؤلاء الشيوخ يترددون على السوق فعرف بأسمائهم [٢] إلا أن التسمية لم يكن المقصود بها الشيوخ المترددون إلى السوق وإنما أطلق ذلك نسبة لشيوخ المنتفق (آل سعدون) لأن الشيخ ثويني هو المؤسس لهذا السوق وزعماء آل سعدون يُدعون بالشيوخ نظراً لأنهم من شيوخ قبيلة المنتفق العريقة بالنسب [٣] ، ولقب الشيوخ يطلق على شيخ الشمل ؛ لأنه شيخ شيوخ الأفخاذ فالأصل شيخ الشيوخ ثم اختصرت إلى الشيوخ وتطلق على بعض الأمراء والملوك أحياناً فكانت تطلق على الملك عبد العزيز .

رابعاً ـ كربلاء :

هي إحدى المدن الرئيسية في العراق فهي تقع على مسافة ١٠٠ كم جنوب غربي بغداد [٤] ، يحدها من الشمال الدليم ، ومن الجنوب الديوانية ، ومن الشرق الحلة ، ومن الغرب والجنوب الغربي بادية الشام والمملكة العربية السعودية [٥] ، ويطلق اسم كربلاء على القسم الشرقي من المدينة ، وأما المدينة نفسها تسمى المشهد [٦]، ولمدينة كربلاء أهمية من الناحية الدينية حسب اعتقاد الشيعة فهي إحدى أماكن الزيارة المقدسة لديهم والمسمّات بالعتبات [٧] وذلك ؛ لوجود ضريح الحسين بن علي(رضي الله عنه) وضريح العباس ابنه [٨] ، ولا تقتصر أهميتها على الناحية الدينية وإنما لموقعها

---

[١] فخذ بني أسد (الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٦٧) .

[٢] الدخيل ، مصدر سابق ، لغة العرب ، ج٥ ، س٢ ، ذو الحجة ١٣٣٠هـ ، ص ٢٤٦ .

[٣] علي ، مرجع سابق ، ص٢٧.

[٤] قايا ، ديلك ، كربلاء في الأرشيف العثماني (١٨٤٠ – ١٨٧٦م) ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ،٢٠٠٨ ، ص ٢١ .

[٥] الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

[٦] موزل ، ألويس ، الفرات الأوسط ، ترجمة : صدقي حمدي وعبد المطلب داوود ، المجمع العلمي العراقي ، ص ٦٧ .

[٧] العتبات : جمع عتبة والمناطق التي يطلق عليها اسم العتبات توجد في النجف ، وكربلاء ، والكاظمية ، وسامراء ، ويعتبر المكان الذي دفن فيه علي بن أبي طالب الواقع في النجف هو المقام المقدس الأول عند الشيعة والعتبة الثانية من حيث الأهمية ضريح الحسين بن علي في كربلاء . وفي الكاظمة قبر الإمام موسى الكاظم ومحمد التقي (قايا ، مرجع سابق ، ص ٢٢-٢٣)

[٨] ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تهذيب : أحمد القوامري و محمد المولى ، ج١ ، ط١ ، نوابغ الفكر ، القاهرة ١٤٣٠هـ ، ص١٩٩ ؛ قايا ، نفسه ، ص ٢١ .

الجغرافي دور في أهميتها ؛ لأنها ممراً لطرق القوافل التجارية التي تربط ما بين البصرة وبغداد [١]، لذا أصبحت كربلاء مركزاً هاماً لتجمع السكان من الناحيتين الدينية والاقتصادية وكذلك العلمية لذلك تعتبر من المدن الرئيسية في العراق[٢] .

خامساً ـ النجف [٣]:

تقع على رابية مرتفعة بالقرب من شط الهندية [٤] ، يحدها من الشمال والشمال الشرقي كربلاء ، ومن الشرق الكوفة ، ومن الجنوب والغرب بادية الشام [٥] ، تطل المدينة من الجهتين الشمالية والشرقية على مساحة واسعة من الهضاب والقبور تسمى بوادي السلام ، وفيها قبر الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) [٦] .

اكتسبت المدينة أهميتها من الناحية الدينية فهي من أهم المزارات عند الشيعة ومجمع لعلمائهم ؛ مما زاد من اقتصادها أضف إلى ذلك قدوم الحجاج الإيرانيين إليها ، ولولا وجود العتبات المقدسة في النجف لما كان لها من الأهمية فموقعها الجغرافي لا يعتبر عاملاً مهماً لظهورها ، ويذكر لوريمر : " أن مواردها وصلاتها قليلة ؛ لأن موقعها وسط الصحراء ، وماء البحر إن وجد لا تشربه غير الحيوانات ، ولكن يستخدم للغسيل والأغراض المنزلية " [٧]. ويصف المنشي البغدادي في رحلته ت مياه آبار النجف قائلاً : " وماء الآبار في النجف مالح جداً ولا تصل الحبال إلى الماء إلا بعد عشرين لفة ليصل الدلو إلى الماء " [٨].

---

[١] قايا ، مرجع سابق ، ص ٢١ .

[٢] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٦ ، ص١٢١٢ .

[٣] النجف : سميت بهذا الاسم ، لأنها مرتفعة والنجف هو المكان الذي لا يعلوه الماء ومن أسماء النجف : مشهد علي ، لأن فيها قبر الخليفة علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . (الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٣٤؛ الحموي ، مصدر سابق ، ج٥ ، ص ٢٧٢)

[٤] شط الهندية : سمي بذلك نسبة لمن قام بحفره وهو المهراجا الهندي المعروف " أصف الدولة " عام ١٢٠٨هـ ، وذلك لإيصال الماء إلى النجف (الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٤٥) .

[٥] موزل ، مصدر سابق ، ص ٥٩ ؛ لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٩ ، ص ١٧٢٠ .

[٦] الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

[٧] مصدر سابق ، ج٩ ، ص ١٧٢٥ .

[٨] رحلة المنشي البغدادي ، ترجمة : عباس العزاوي ، دار الوراق ، لبنان ٢٠٠٨م ، ص ١٣٧ .

سادساً ـ الحلة [1]:

تقع الحلة على ضفة النهر المسمى باسمها [2] ، وهي بين الكوفة وبغداد [3] ، يحدها من الشمال بغداد ، ومن الشرق الكوت ، ومن الجنوب الديوانية ، ومن الغرب كربلاء [4] .

ولأهمية الحلة اعتبرها العثمانيون من المقاطعات الخاصة [5] ؛ لأنها منطقة زراعية ، ومركز تجاري مهم ، فهي على الطريق النهري الذي يربط أعالي الفرات بجنوب العراق والخليج العربي ؛ ونظراً لأهميتها أنشأ فيها العثمانيون داراً لضرب النقود في منتصف القرن السادس عشر الميلادي كبقية المدن الرئيسية في العراق مثل بغداد والموصل . فقد أصبحت أهميتها توازي مدينة بغداد حتى سميت باسم بغداد الصغرى [6] .

---

[1] الحلة : هي القوم النازلين وفيهم كثرة . كما قال الأعشى :

لقد كان في شيبان لو كنت عالماً قباب وحي حلة ودارهم

والحلة علم لعدة مواضع أشهرها حلة بني مزيد وهو أول من عمرها ونزلها سيف الدولة صدقة بن دبيس بن علي مزيد الأسدي في محرم سنة ٤٩٥هـ (الحموي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٩٤) .

[2] الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٤٢ .

[3] الحموي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٩٤.

[4] الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٣٩.

[5] كانت المقاطعات العثمانية تقسم إلى عدة أقسام : ١- مقاطعات وارداتها تزيد عن عشرين ألف أقجة وتسمى تيمار . ٢ - المقاطعات المتوسطة وهي ما بين عشرين إلى مائة ألف أقجة وتسمى زعامات ٣- التي تزيد وارداتها عن مائة ألف أقجة تسمى خاص وتساوي الأقجة قطعة من النقود الفضية لا يزيد وزنها عن ربع مثقال وتكون نسبة الفضة منها ٩٠ % من الوزن الكلي (المهداوي ، علي هادي ، الحلة في العهد العثماني المتأخر، ١٨٦٩-١٩١٤م ، بيت الحكمة ، بغداد ، ٢٠٠٢م ، ص ٧-٨) .

[6] المهداوي ، نفسه ، ص ٧-٩ .

ج- الصلات الجغرافية بين جبل شمر وجنوبي العراق :

تبعد المسافة بين جبل شمر وجنوبي العراق ما بين ٥٠٠ إلى ٧٠٠ كم تقريباً ؛ ونظراً لتلك المسافة فمن الطبيعي أن يكون بين المنطقتين عدد من أشكال التضاريس من أهمها ما يلي :

أولا ـ النفود الكبير [١]:

تبلغ مساحة النفود حوالي ٥٦٩٨٠ كم تقريباً [٢]، يحد النفود من الجهة الشمالية الجوف والقرى التابعة لها ومن الجنوب حائل ، والجنوب الشرقي المناطق التابعة للقصيم [٣] ، ومن أهم المعالم في النفود الكبير ما يلي :

أ- **جُبه** : تقع في الشمال الغربي من حائل [٤] ، وهي على مسافة ٩٠ كم [٥] منها ، وعلى بعد ٢٥١ كم جنوب شرقي الجوف ، وترتفع حوالي ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر [٦]، وتعني جبه (البئر) ، كما أطلق عليها بطليموس [٧] اسماً أرامياً هو آيناء ومعناه : النبع[٨] وتصف آن بلنت موقع جبه بأنه " فضاء عاري في محيط من الرمال يبلغ عرضه ثلاثة أميال وهو في الواقع غور لا يختلف عن غور الجوف إلا أن النفود من حواليه بدلاً من مرتفعات الصخور " [٩] .

---

[١] النفود الكبير : يسمى قديماً باسم عالج ، وبعد أن استولت طئ على رمال عالج عرفت باسم رمل بحتر أحد بطون تلك القبيلة ، وحديثاً يطلق عليها النفود الكبير (الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الأول ، ص ٣٠٩) .

[٢] الشمري ، ساير غربي ، الأحوال السياسية في حائل في عهد إمارة عبد الله بن علي بن رشيد ، رسالة ماجستير ١٤٣٠هـ . ١٤٣١هـ ، جامعة القصيم ، قسم التاريخ ، غير منشورة ، ص ١٣ .

[٣] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٩ ، ص ١٧٠٣ .

[٤] فهد العريفي ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

[٥] الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الأول ، ص ٣٠٩-٣١٠ .

[٦] لوريمر ، مصدر سابق ، ج٩ ، ص ١٧٠٨ .

[٧] بطليموس : هو كلاوديوس بطليموس يوناني ولد في مصر عاش في القرن الثاني الميلادي كتب العديد من كتب الرياضيات والفلك من أبرز مؤلفاته Goraphika Hyphgesis الدليل الجغرافي وهو ثمانية أجزاء وفيه العديد من المعلومات الجغرافية عن الجزيرة العربية (أويتينج ، مصدر سابق ، ص ٨٨) .

[٨] أويتينج ، نفسه ، ص ٨٨ .

[٩] مصدرسابق ، ص ١٤٩ .

ب- **العليم** : جبل في وسط النفود يبلغ ارتفاعه ما بين ٨٠ — ٩٠ متر وحجارته سوداء بجواره جبل يبعد عنه مسافة ٢٥٠ متر وحجارته حمراء رملية [١] ، ولجبل العليم أهمية لدى المسافرين إلى الجوف ، والقادمين منها إلى جبه وجبل شمر [٢] ، ويُشبّه أويتنج العليم " أن الجبلين بالنسبة لمن يسافرون عبر النفود بالفنار لمن يسافرون بحراً " [٣]، ويطلق أهل النفود على العليم شيخ النفود والجبل الذي بجانبه ابنه [٤] ، ويطلق عليه أيضاً عليم السعد وعليم العطش [٥] .

ثانياً ـ الأودية :

من أشهر الأودية الواقعة بين جبل شمر وجنوبي العراق :

أ. **الأديرع** : تصغير الأدرع ، وهو من أعظم الأودية في جبل شمر [٦] ، ويبلغ طوله ١٦٠ كم تقريباً [٧] تصب فيه روافده من الجهة الجنوبية ، والغربية من سلسلة جبال أجا ، ويمر بالقرب من حائل من جهة الجنوب والشرق ومنها يتجه إلى الشمال الشرقي حتى يفيض في قاع بقعاء[٨] .

ب. **وادي الخر** : الخر يطلق على المجرى ويقع الوادي بين الجوف والدويد ، ويتجه الوادي ناحية الشمال الشرقي حتى يصل صحراء الصحن بالقرب من مناهل المعانية على الحدود العراقية ، ويجتاز صحراء الصحن متجهاً إلى الشمال الشرقي حتى يصل منخفضات نهر الفرات ويقع القسم الواقع منه في الحدود العراقية بين خطي الطول (٤٣-٤٤) وخطي العرض (٢٠-٢٩-١٠-٣٢) [٩].

---

[١] أويتينج ، مصدر سابق ، ص ٨٥ .

[٢] هوبير ، شارل ، رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨ — ١٨٨٢ م الحماد ، الشمر ، القصيم ، الحجاز ، ترجمة : اليسار سعادة دار كتب ، بيروت ٢٠٠٣م ، ص ٢٩ ؛ آن بلنت ، مصدر سابق ، ص ١٣٢ .

[٣] مصدر سابق ، ص ٨٥ .

[٤] آن بلنت ، مصدر سابق ، ص ١٣٤ .

[٥] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٩ ، ص ١٧٠٦ .

[٦] الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الثاني ، ص ٥٤٨.

[٧] ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص١٥.

[٨] الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الثاني ، ص ٤٩٤-٤٩٦ .

[٩] الجاسر ، نفسه ، ص٤٨٩.

ثالثاً . موارد المياه :

تعتبر موارد المياه عاملاً مهماً في تحديد الطرق التي يسلكها المسافرون بين جبل شمر وجنوبي العراق ومن أهم الموارد ما يلي :

أ. **الخاصرة** : تقع في الشمال الشرقي من جبل شمر على بعد ٨٠ كم . بالقرب من درجة الطول (٥٠-٤٢) ودرجة العرض (٥٠-٢٧) [١] ، وهي من المياه العذبة ، وفيها العديد من الآبار ويبلغ عمق آبارها حوالي ٨ متر وهي ذات أرض طينية [٢].

ب. **لينه** : تقع على بعد ٤٥ كم شرق درب زبيده [٣]، ولينه موضع ماء لبني غاضرة من بني أسد [٤] ، وعمق الآبار في لينه حوالي ١٦ متر [٥] ، وماؤها من أعذب المياه التي تقع على طريق مكة [٦] ، وما يؤكد أن لينه من الموارد المهمة التي يسلكها المسافرون ما ذكره لجمن قائلاً : " وفي لينه صادفنا قافلة للحجاج عائدة من المدينة إلى مشهد علي النجف " [٧].

ج . **الجميمة** : تنطق أيضاً بالجميما تقع شرق رفحاء ما يقارب ١١ كم [٨] ، بالقرب من الحدود العراقية السعودية [٩] ، وذكر الجاسر : " أن الاسم يطلق على بركة تقع في طريق الحج الكوفي المعروف بدرب زبيدة " [١٠] [١١] ، تبلغ مساحة هذه البركة ما يقارب ٣٠ متر ، وعمقها ٧ أمتار ، وعلى جوانب البركة فتحات مدورة لسقي الدواب [١٢].

---

[١] الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الثاني ، ص٤٨٩.

[٢] لوريمر ، مصدر سابق ، ج٩ ، ص١٦٥٢ .

[٣] لوريمر ، نفسه ، ص ١٦٨٤ .

[٤] الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الثالث ، ص ١١٦٨ .

[٥] لوريمر ، مصدر سابق ، ج٩ ، ص ١٦٨٤ .

[٦] الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الثالث ، ص ١١٧١ .

[٧] رحلة الكولونيل لجمن في الجزيرة العربية ، ١٩٠٩ — ١٩١٠م ، ترجمة : خالد عبد الله ، الدار العربية للموسوعات بيروت ، ٢٠٠٦م ، ص ٧٨ .

[٨] الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الأول ، ص ٣٤٠ .

[٩] لجمن ، مصدر سابق ، ص ٥٩ .

[١٠] درب زبيدة : نسبة إلى زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد التي شيدت الطريق لخدمة الحجاج المسافرين من بغداد إلى مكة (لوريمر ، مصدر سابق ، ج٩ ، ص ١٦٨٥ — ١٦٨٦) .

[١١] مرجع سابق ، القسم الأول ، ص ٣٤٠ .

[١٢] لجمن ، مصدر سابق ، ص ٦١ .

ثانياً : الحالة السياسية في جبل شمر وجنوبي العراق (١٢٥٠/١٣٤٠هـ ١٨٣٥/١٩٢١ م)

أ- الحالة السياسية في جبل شمر :

- الحالة السياسية ما قبل إمارة آل رشيد .
- بداية إمارة آل رشيد .
- حكام الإمارة بعد مؤسسها .

ب- الحالة السياسية في جنوبي العراق :

- ضم العثمانيين للعراق .
- سياسية العثمانيين في جنوبي العراق من (١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م) حتى دخول الإنجليزي عام (١٣٣٢هـ/١٩١٤م) .

أ- الحالة السياسية في جبل شمر (١٢٥٠/١٣٤٠هـ. ١٨٣٥/١٩٢١م)

أولاً ـ الحالة السياسية قبل إمارة آل رشيد :

منطقة جبل شمر كغيرها من مناطق نجد قبل قيام الحكم السعودي كانت تعاني من استقلالية البلدان فكل بلدة لها كيانها المستقل تحت حكم زعمائها المحليين فحكام حاضرة جبل شمر هم آل علي من عبده [١] ، وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري أصبحت إمارة آل علي تحت الحكم السعودي عام (١٢٠١هـ / ١٧٨٦م) [٢] ، عندما غزى حجيلان بن حمد [٣] إمارة جبل شمر بأمرٍ من الإمام عبد العزيز بن محمد فبايعوه على السمع والطاعة [٤] .

دخول منطقة جبل شمر تحت الحكم السعودي لا يعني خضوع جميع قبيلة شمر ، ويؤيد ذلك انضمام عشائر شمر القاطنة في بادية جبل شمر إلى قوة شريف مكة في هجومه على الأراضي السعودية عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م [٥] ونتيجة انضمام بادية شمر قام الإمام سعود بن عبد العزيز بتجهيز حملة تأديباً للقبائل التي انضمت لشريف مكة حيث التقى الطرفان في العدوه عام(١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م) نتج عن المعركة انتصار الجيش السعودي على قبليتي شمر ومطير التي كانت بقيادة مسلط بن مطلق الجربا[٦]،حيث قتل مسلط وبعد المعركة اضطر والده مطلق الجربا [٧] وعدد من قبيلة شمر بالهجرة من

---

[١] العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٣٩ ؛ آل علي ، محمد بن مهنا ، إمارة آل علي في منطقة حائل وعلاقتها بالدولة السعودية الأولى والثانية ، ط١ ، دار المؤيد ، الرياض ١٤٢٤هـ ، ص ١٢٦ .

[٢] آل علي ، نفسه ، ص ١٥٢ ؛ ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .

[٣] حجيلان بن حمد : من العناقر من بني تميم من المتحمسين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث قام بالعديد من الغزوات لمصلحة الدولة السعودية حتى أصبح أقوى شخصية في منطقة القصيم . ظل أميراً لبريده وتوابعها حتى قضى إبراهيم باشا على الدولة السعودية الأولى نقله إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة عام ١٢٣٤هـ حيث توفي بعد وصوله بفترة قصيرة (العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٤١-٤٢).

[٤] العثيمين ، نفسه ، ص ٤٤ .

[٥] البسام ، عبد الله بن محمد ، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، تحقيق : إبراهيم الخالد ، ط١ ، المختلف ، الكويت ٢٠٠١م ، ص ٢٣٤ ؛ العثيمين ، نفسه ، ص ٤٦ .

[٦] مسلط بن مطلق الجربا : لقب بالعديد من الألقاب منها / طهماز ، وذلك لجماله وطوله ،كان مشهوراً بالكرم والشجاعة ، يقال : أن أباه مطلق يرى التريث ومهادنة آل سعود ، لكنه برفض ذلك ، وله قصيدة في ذلك منها :

الحر وإن كثرت عليه المطاليب ... ملزوم عن دار المذله ينزّ

ليا صار ماناتي سواه الجلاليب ... وقلايعٍ بايمانا له تخزّ

(العثيمين ، نفسه ، ص ٤٧ ؛ ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ٥٠)

[٧] مطلق الجربا : يلقب بأخو جوزاء ، هاجر إلى العراق هو وجماعته بعد وفاة ابنه مسلط في معركة العدوة . (ويليامسون ، جون فريدريك ، قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي ١٨٠٠ – ١٩٥٨م ، ترجمة : مير بصري ، دار الحكمة ، لندن ، ص ٤٦ .

نجد إلى جنوبي العراق حيث استوطنوا فيما بعد منطقة الجزيرة [١].

ولأهمية جبل شمر وإخلاص أميرها محمد بن عبد المحسن لأئمة الدولة السعودية حرصت القوات المصرية بالقضاء عليه ، فقد قام إبراهيم باشا بإرسال قواته إلى جبل شمر [٢] ، لتدمير المدينة وسلبها ، وبالفعل لما وصلت تلك القوات إلى حائل قامت باغتيال الأمير محمد بن عبد المحسن غدراً عام (١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م) [٣] ، ومنذ وفاته [٤] ، فقدت المنطقة أميراً من أعظم أمرائها وأمراء نجد ، والدليل على ذلك اختياره هدفاً للقتل ، وخوفهم من بقائه حياً وإرسال رأسه إلى تركيا فالعادة لا ترسل إلا رؤوس العظماء [٥].

وبعد قيام الدولة السعودية الثانية أصبحت إمارة آل علي تابعة لها ، وذكر ابن بشر في حوادثه : " ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائتين وألف و تركي بن عبد الله رحمه الله في الرياض وبلدان نجد سامعه ومطيعه وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة " [٦]، ويدل هذا التعميم على دخول إمارة آل علي تحت حكم الدولة السعودية .

وخلال الأحداث السابقة تبين لنا أن إمارة آل علي مواليه للدولة السعودية الأولى وجزءاً من الدولة السعودية الثانية على السمع والطاعة في وقت الرخاء والشدة ، ويؤيد ذلك أن منطقة جبل شمر من المناطق التي استهدفت من قبل القوات المصرية قبل وبعد سقوط الدرعية فقد بقيت إمارة آل علي على السمع والطاعة حتى نهايتها ، والتي قامت على إثرها إمارة آل رشيد .

---

[١] البسام ، مصدر سابق ،ص ٢٣٤ ؛ ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ٤٩-٥٠-٥٣ .

[٢] العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .

[٣] آل علي ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ ، ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

[٤] توفي محمد بن عبد المحسن غدرا في مقصورة الداحس ثم قطع رأسه إلى تركيا أما بقية جسده دفن في مقبرة الزبارة في حائل ، وإلى ذلك يشير الشاعر عن تلك الحادثة قائلاً :

يا حيف راس الشيخ تلعب به الروم متقابلين بينهم يجزونه

خلف محمد العبد المحسن أربع بنات إحداهن سلمى وهي التي تزوجها عبد الله بن رشيد وهي أم محمد بن عبد الله آل رشيد (العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٥٦) .

[٥] العثيمين ، نفسه ، ص ٥٦ .

[٦] ابن بشر ، عثمان بن عبد الله ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق : عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ج٢ ، ط٤ ، الدارة ١٤٠٣ ص ٤٠.

ثانياً ـ بداية إمارة آل رشيد :

قامت إمارة آل رشيد بعد أحداث تاريخية وقعت في أواخر إمارة آل علي فقد استغل عبد الله بن علي رشيد [١] هذه الأحدث لصالحه حتى أصبحت تلك الأحداث من العوامل الرئيسة لقيام إمارة آل رشيد والتي منها :

أولاً ـ النزاع بين شمر وعنزه :

أثرت هجرة مطلق الجربا وأتباعه إلى العراق في إضعاف قوة شمر القاطنة في جبل شمر ، وبانضمام إمارة آل علي تحت الحكم السعودي أعطت المنطقة هيبة وقوة بين القبائل المجاورة لها خاصة في عهد إمارة محمد بن عبد المحسن الذي زاد من هيبتها ، وبعد سقوط الدرعية ومقتل أمير الجبل محمد بن عبد المحسن أصبح هناك فراغ سياسي في منطقة جبل شمر أدى إلى تجدد النزاع بين قبليتي شمر وعنزه [٢] ، حيث تقدمت قبيلة عنزه من مراعيها باتجاه الشمال الشرقي ناحية المراعي التابعة لبادية جبل شمر ، وفي هذه الأثناء حصل اختلاف في الرأي بين قبيلة شمر فمنهم من يرى مواجهة قبيلة عنزه ، والآخر يرى النزوح إلى العراق وطلب المساعدة من شمر العراق لاستعادة الأراضي وإبعاد قبيلة عنزه [٣]، وعلى رأس من قرر البقاء مفتاح الغيثي الذي أعلن المواجهة ولو باتباعه من الدغيرات ولذلك قرر أصحاب الرأي وعلى رأسهم مسلط التمياط وعدوان بن طواله البقاء وخوض المعركة في صف واحد [٤] .

أما موقف أمير الجبل صالح بن عبد المحسن آل علي فكان عدم المشاركة من رجال حاضرة جبل شمر في المعركة مما أدى إلى خروج مئة وخمسين رجلاً متسللين ، لمساعدة بادية شمر ومن أشهر المعارضين لموقف أمير الجبل أبناء علي بن رشيد عبد الله و عبيد[٥] .

---

[١] عبد الله بن علي بن رشيد بن خليل من آل جعفر من عبده ، ولد في حائل سنة ١٢٠٤هـ ، والدته هي : عليا بنت عبد العزيز الحميان من آل جعفر من عبده (ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ٧٤-٧٦).

[٢] Baran,Michael, The Rashidi Amirate of Hail, in the University of Michigan, History, Doctor of Philosophy, 1929,P40.

[٣] العثيمين ، مرجع سابق ، ص٧٥.

[٤] ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

[٥] العثيمين ، مرجع سابق ، ص٧٥ ، Baran, the Rashidi, P40

التقى الطرفان وكان قائد عنزه سعدون العواجي [١] ، وكانت شمر بقيادة عدوان بن طواله ومسلط التمياط ومفتاح الغيثي ، فكانت نتيجة المعركة انتصار قبيلة شمر ، فقد سجل الشاعر مبيريك التبيناوي الانتصار قائلاً :

الشيخ بدل هدته بانهزام وعقب الكتب قوتٍ تلاحي المصاليب [٢]

ولهذا الانتصار أثر كبير في ظهور شعبية عبد الله وأخيه عبيد الذي اكتسب التأييد والمناصرة من قبل أهالي جبل شمر [٣] ، مما أدى إلى خشية الأمير صالح بن عبد المحسن من طموح بن رشيد وانتزاع الإمارة منه ؛ لذلك نفاهما من حائل فانحدروا إلى العراق [٤] .

ثانياً ـ التحاق عبد الله بن رشيد بالإمام فيصل بن تركي [٥] :

ذكرنا أن عبد الله بن رشيد خرج من جبل شمر إلى العراق ، بعدما رأى صالح بن عبد المحسن آل علي تأييد أهالي الجبل لعبد الله وأخيه للحكم ، وأثناء إقامة عبد الله قويت العلاقة بينه وبين سويد بن علي وأصبح للرجلين سمعة لشجاعتهما وحراستهما للقوافل التجارية القادمة من العراق إلى نجد ؛ مما دفع الإمام تركي بن عبد الله أن يرسل إليهما ليكونا من رجاله فأصبح سويد بن علي مع الإمام تركي وعبد الله مع ابنه فيصل [٦] ، وفي آخر يوم من شهر ذي الحجة في عام (١٢٤٩هـ/١٨٣٣م) قتل الإمام تركي بن عبد الله بمؤامرة دبرها مشاري بن عبد الرحمن [٧] .

---

[١] سعدون العواجي : زعيم ولد سليمان من قبيلة عنزة اشتهر في الفروسية والشعر ، وله ابنان اشتهرا كشهرة أبيهم وهما : عقاب وحجاب (العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٧٤).

[٢] المقصود بالشيخ سعدون العواجي (الرشيد ، ضاري بن فهيد ، نبذة تاريخية عن نجد ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٦هـ ، ص٦١)

[٣] Baran, the Rashidi, P40، ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ٨٣.

[٤] العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٧٤-٧٥ ، Baran, the Rashidi, P40 .

[٥] فيصل بن تركي : هو الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود تولى الحكم على فترتين الأولى : تبدأ عام ١٢٥٠هـ عندما قضى على مشاري بن عبد الرحمن ، وتنتهي هذه الفترة باستيلاء خالد بن سعود وجيوش محمد علي باشا على نجد عام ١٢٥٣هـ . الفترة الثانية : تبدأ من عام ١٢٥٩هـ . عندما أزاح عبد الله بن ثنيان عن الحكم ، وتنتهي بوفاته عام ١٢٨٢هـ .(الفاخري ، تاريخ الفاخري ، تحقيق : عبد الله بن يوسف الشبل ، الدارة ، الرياض ، ١٤١٩هـ ، ص ٢٠٦-٢٠٧) .

[٦] Baran, the Rashidi, P40 ، ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص٩٣ .

[٧] مشاري بن عبد الرحمن : هو مشاري بن عبد الرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود من الذين رحلوا إلى مصر . أصبح بينه وبين خاله . تركي بن عبد الله . عدد من القصائد منها عندما كان في مصر حيث كتب إليه خاله قائلاً :

طاري الكرى من موق عيني وفرّا وفزيت من نومي طرى لي طواري

ومما قاله يخاطب مشاري :

وفي هذه الأثناء كان فيصل بن تركي على رأس جيش في القطيف حيث بلغه خبر اغتيال والده [١]، وذكر ابن بشر :" وكان معه عدد من الأمراء والأعيان منهم رئيس الجبل عبد الله بن علي بن رشيد " [٢]، وذكر العثيمين : " أن ابن بشر خص عبد الله بن رشيد بقوله " وكان ذا رأي وشجاعة " ، فهو يؤيد ما هو متداول بين الرواة الشعبيين في نجد أن عبد الله بن رشيد صاحب فكرة إخفاء نبأ اغتيال الإمام تركي عن عامة الجيش والتوجه بسرعة إلى الرياض[٣] .

وبدخولهم الرياض أصبح مشاري بن عبد الرحمن محاصراً في القصر . ومن الرجال الذين أسهموا في استرداد الحكم عبد الله بن رشيد حيث قام بتسلق السور وكان ذلك في (١١/صفر/١٢٥٠هـ . ١٩/يونيو/١٨٣٤م) [٤] ، وبالفعل استطاع بن رشيد ومن معه بأن يسيطروا على القصر ، ويقتلوا مشاري وبقتله لم يستمر له الحكم سوى أربعين يوماً [٥].

ومن خلال هذه الأحداث يتضح لنا دور عبد الله بن رشيد في مساعدته لفيصل بن تركي لإعادة حكم والده . ويدل على ذلك ما قاله عبد الله بن رشيد مذكراً الإمام فيصل بعد الحادثة بفترة طويلة بما قام به من جهود لخدمته قائلاً :

شهودي بجلدي والعدو به بداله　　والناس تدري بالجدايد والأسمال [٦]

== **يا حيف يا خطو الشجاع المضرّا　　في قصر مملوك لحمر العتاري**

وعندما عاد الإمام تركي إلى الحكم . الفترة الثانية . خرج مشاري من مصر قدم إلى الرياض عام ١٢٤١هـ . فولاه الإمام تركي إمارة منفوحة . لكنه لم يرض بها ، وطمع في الحكم فخرج من منفوحة عام ١٢٤٦هـ وطلب من القبائل مساعدته بالقيام ضد خاله الإمام تركي . فرفضت تلك القبائل فكاتب أهالي القصيم ، وشريف مكة فرفضوا مساعدته ثم عاد إلى الرياض بعد أن شفع أعيان المذنب له عند خاله . فعاش في الرياض ، ولم تمض فترة إلا وقام بتدبير مؤامرة لاغتيال خاله حيث قام بتنفيذها أحد عبيده يدعى (إبراهيم حمزه) و تولى مشاري الإمارة وليس له حق تاريخي في الحكم في ١٢٤٩/١٢/٢٩هـ ولم يستمر في الحكم سوى أربعين يوماً . (العبيد ، محمد العلي ، النجم اللامع للنوادر جامع أخبار القرنين الثالث والرابع عشر ورقة ١٦ ؛ الفاخري ، مصدر سابق ص ٢٠٦-٢٠٧ ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١٠١).

[١] البسام ، مصدر سابق ، ص ٣٠٩ ؛ العثيمين ، نفسه ، ص ١٠٥ .

[٢] لم يكن عبد الله بن رشيد رئيس للجبل في تلك الفترة وذلك ، لأن . هذه الحادثة . اغتيال الإمام تركي بن عبد الله ومساعدة عبد الله بن رشيد في استرجاع فيصل بن تركي لحكم والده من مشاري بن عبد الرحمن من العوامل التي ساعدت لقيام إمارة آل رشيد ، ولعل قول ابن بشر على أساس ما حدث فيما بعد حين أصبح أميراً للجبل . (مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٩٧-٩٩ ؛ العثيمين ، نفسه ، ص ١٠٥) .

[٣] العثيمين ، نفسه ، ص ١٠٥ .

[٤] ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ١٠٣-١٠٤ . لمعرفة تفاصيل القصة انظر : الرشيد ، مصدر سابق ، ص ٣٥-٤١ .

[٥] الفاخري ، مصدر سابق ، ص ٢٠٧ ؛ Baran, the Rashidi, P40

[٦] العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

أثبت عبد الله بن رشيد نفسه معتمداً على مؤهلاته الشخصية ومساعدة أخيه عبيد مستغلاً الأحداث والظروف السياسية في أواخر إمارة آل علي حتى أصبح منافساً للأمير صالح بن عبد المحسن بتأييد الأغلبية من أهالي جبل شمر له ، وبعد مساعدته لصديقه الإمام فيصل في استرجاع حكم أبيه . ولكي يحقق هدفه . طلب من الإمام فيصل تعيينه أميراً على جبل شمر التي كانت تابعةً للدولة السعودية الثانية . كما ذكرنا في السابق . ، فوافق الإمام على طلبه رداً للجميل الذي قام به إلا أن هذا التعيين لم يأتِ مباشرة ويرجع ذلك إلى أسباب منها :

أولاً : إن علاقة أمير جبل شمر صالح بن عبد المحسن بحكومة الإمام فيصل بن تركي متينة .

ثانياً : رأى الإمام فيصل ضرورة الاطمئنان على ولاء مختلف المناطق له قبل أن يقوم بإجراءات إدارية فهذه إجراءات حساسة جداً كعزل أمير وتعيين آخر مكانه [١].

يذكر العثيمين عن بداية قيام الإمارة أن حجر الأساس لإمارة آل رشيد وضع آخر عام ١٢٥٠هـ [٢] ، إلا أن هناك وثيقة ذكرها ساير الشمري مؤرخة في ١٢٥٠/٥/٢٩هـ ، وهي موجهة من الشيخ عبد الله بن خزام [٣] إلى الأمير عبد الله بن رشيد بشأن إصدار حكم نهائي حول نزاع على ملكية أرض مما يثبت أن تعيينه كان قبل تلك الفترة [٤].

نتج عن تعيين عبد الله بن رشيد أميراً على جبل شمر خروج صالح بن عبد المحسن إلى المدينة ومعه إخوته الثلاثة فقد لحق بهم عبيد الرشيد في السليمي فقتلهم ولم ينجُ منهم سوى عيسى[٥] ، الذي أراد أن يستعيد الإمارة من آل رشيد فأتته الفرصة أثناء إقامة إسماعيل بك قائد القوات المصرية في عنيزه ، فقد اجتمعت مصلحتهم مع مصلحته في انتزاع الحكم من ابن رشيد التابع رسمياً للإمام فيصل بن تركي ، لذا اتجهت فرقة بقيادة إبراهيم المعاون ومعها عيسى بن علي وأمير عنيزة يحيى بن

---

[١] العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١١٥-١١٧ .

[٢] العثيمين ، نفسه ، ص ١٢٤ .

[٣] عبد الله بن خزام : هو عبد الله بن صالح بن خزام ، تولى القضاء في زمن عبد الله بن رشيد (الرديعان ، حسان إبراهيم منبع الكرم والشمائل في ذكر أخبار وآثار من عاش من أهل العلم في حائل ، ط١ ، مكتبة فهد العريفي ، ١٤٣٠هـ ، ص ١٣٢-١٣٣ .

[٤] مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

[٥] فالين ، جورج أوغست ، رحلات فالين إلى جزيرة العرب ، ترجمة : سمير سليم شلبي ، دار الوارق ، بيروت ، ٢٠٠٨ ص ١٤٣ ؛ موزل ، مصدر سابق ، ص٥١ .

سليمان إلى حائل ، وعندما علم ابن رشيد بمباغتة الفرقة له خرج من حائل ومعه بعض مؤيديه إلى جبه ، وبعد دخول عيسى آل علي للمدينة أصبح أميراً عليها في محرم (١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) [١] .

وبعد استقرار عيسى آل علي على عرش الإمارة خرجت مجموعة من فرقة إبراهيم المعاون بحثاً عن ابن رشيد للقضاء عليه ، وعند وصول الأخبار بقدوم الفرقة إلى جبه لجأ إلى مصيخ بن فرحان الذي قام بإخفائه [٢].

وبعد فترة انسحبت تلك الفرقة العسكرية من جبل شمر مع إبراهيم المعاون ويحي بن سليم فلم يبق مع عيسى من رجال الفرقة سوى ١١٠ من الجنود النظاميين [٣] ، فقد كان لانسحاب الفرقة العسكرية أثر كبير في رفع معنويات المعارضين لعيسى آل علي ، وتقوية روح الأمل لدى عبد الله بن رشيد [٤] الذي غادر جبة متجهاً إلى قفار لاسترجاع حكمه ، فقد نزل عند زيد الخشيم من بني خالد [٥]، واستطاع ابن رشيد وأخوه عبيد تثبيت الحكم لصالحهم في قفار ، وامتدت المقاومة إلى حائل وبدأ أنصار ابن رشيد باغتيال أي جندي تسمح لهم الفرصة باغتياله ، وبالفعل تحقق له النجاح فلم يقتصر النجاح على الظروف الداخلية ، وإنما هناك ظروف خارجية ساعدته في تثبيت الحكم ، وهي علاقة ابن رشيد بخورشيد باشا . قائد القوات المصرية . الذي استطاع عبد الله وأخوه بكسب ودهم ، ولاجتماع تلك الظروف تمكن عبد الله بن رشيد من الانتصار النهائي على خصمه عيسى بن علي ولم ينتهي عام ١٢٥٣هـ إلا وقد عادت إليه إمارة جبل شمر [٦].

استمر عبد الله بن رشيد في الحكم حتى توفي يوم الجمعة (جمادي الأولى عام ١٢٦٣هـ . أبريل /١٨٤٧)[٧] .

---

[١] العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١٤٠-١٤١ ؛ Baran, The Rashidi, P44

[٢] ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ١٣٣-١٣٤ .

[٣] Baran, The Rashidi, P45

[٤] Baran, The Rashidi, P45 ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

[٥] Baran, The Rashidi, P44

[٦] Baran, The Rashidi, P45

[٧] البسام ، مصدر سابق ، ص ٣٢٦ ؛ العبيد ، مصدر سابق ، ورقة ١٨ .

ثالثاً . حكام الإمارة بعد مؤسسها :

توفي الأمير عبد الله بن رشيد وله من الأبناء : طلال ومتعب ومحمد [١] فتولى الحكم من بعده ابنه الأكبر طلال [٢] [٣] .

١ – طلال العبد الله العلي آل رشيد :

تولى الإمارة وعمره خمس وعشرون سنة إذ بايعه عمه عبيد في الحكم ، وذلك إقراراً للعهد الذي بينه وبين أخيه ، فقد جمع أهالي جبل شمر ؛ ليعترفوا بإمارته ويعاهدوه على الطاعة [٤] ، استمر طلال على سياسة والده في التبعية للدولة السعودية الثانية [٥]، وما يثبت تلك العلاقات الجيدة فيما بينهم ما ذكره موزل " كان طلال يرسل إلى ابن سعود في الرياض كل عام سبعة خيول أصيلة " [٦]

تميز عهده بارتفاع مستوى الدخل الاقتصادي ، وذلك لقيامه بعدة أعمال أهمها : جلب أصحاب الحرفة والصناعة والتجار من العراق وسوريا ، وقام بتسهيل وتنظيم الرحلات التجارية إلى العراق حتى أصبح جبل شمر من البلدان التجارية في نجد وشمال الجزيرة العربية [٧] .

امتدت الإمارة في عهده إلى خيبر وتيماء ، حيث سنحت له الفرصة في ضمها بعد رحيل الأتراك عنها فقد قام بإجبار العشائر القاطنة بين خيبر وجبل شمر على دفع الزكاة [٨].

توفي الأمير طلال [٩] عام (١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م) ، كانت مدة إمارته عشرون عاماً فخلفه

---

[١] الرشيد ، مصدر سابق ، ص ٧٧ ؛ موزل ، مصدر سابق ، ص ١٧ .

[٢] لم يتولّ عمه عبيد الحكم مع العلم أنه كبير الأسرة وأعماله كافية في تولي الإمارة بعد أخيه ، وسبب ذلك اتفاق تم بينه وبين أخيه عبد الله علي أن يكون الحكم في ذرية عبد الله وأولاده وأحفاده ، وإذا لم يبق أحد من ذرية عبد الله تنتقل الإمارة إلى عبيد وأولاده (ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ٢٢١) .

[٣] ابن بشر ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٣٩ .

[٤] الرشيد ، مصدر سابق ، ص ٧٨ ، Baran, The Rashidi, P44

[٥] فالين ، مصدر سابق ، ص ١٤٣ ، Baran, The Rashidi, P54

[٦] مصدر سابق ، ص ١٧ .

[٧] موزل ، مصدر سابق ، ص ١٧–١٨ .

[٨] موزل ، نفسه ، ص ١٩ .

[٩] للاطلاع على قصة وفاته . انظر : داوتي ، تشارلز ، ترحال في صحراء الجزيرة العربية ، ترجمة : صبري محمد حسن ، ج٢ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٤.

في الحكم أخوه متعب [١] .

٢- متعب العبد الله العلي آل رشيد :

تولى الإمارة بعد وفاة أخيه طلال وبتوليه الحكم بدأ النزاع في إمارة آل رشيد ، فأبناء طلال وعلى رأسهم ابنه الأكبر بندر الذي كان يرى أنه يرث أباه الحكم ، أما من الناحية القانونية ، فيُعد الأمير متعب أكبر أبناء مؤسس الإمارة ونائب أخيه طلال [٢] .

نتج عن هذا النزاع تدبير مؤامرة من قبل بندر وإخوته على قتل عمهم متعب [٣] ، وبالفعل تم تنفيذ المؤامرة ، وذكر ابن عيسى في حوادث ألف ومئتين وخمس وثمانون " وفي هذه السنة قُتل متعب بن عبد الله بن رشيد قتلوه عيال أخيه طلال وصارت الولاية لبندر بن طلال آل عبد الله بن رشيد"[٤].

٣- بندر الطلال العبد الله آل رشيد :

تولى الإمارة بعد قتله لعمه متعب (١٢٨٥هـ/ ١٨٦٩م) ، فلم يبقَ من أبناء عبد الله مؤسس الإمارة سوى محمد الذي أرسله أخوه متعب بهدايا للإمام عبد الله الفيصل [٥] ، وخلال فترة إقامته في الرياض أتاه خبر مقتل أخيه لذلك امتنع عن الرجوع إلى جبل شمر وفضل الإقامة في الرياض بضيافة الإمام عبد الله [٦] ، إلا أن بندر كان متخوفاً من مساعدة الإمام لعمه محمد [٧] الذي

---

[١] الفاخري ، مصدر سابق ، ص ٢٢٦ .

[٢] داوتي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٢٥ .

[٣] لمعرفة تفاصيل مقتل أبناء طلال لعمهم . انظر : الرشيد ، مصدر سابق ، ص ١٠٦-١٠٧ . و انظر : داوتي ، نفسه ، ص ٢٥-٢٦.

[٤] ابن عيسى ، ابراهيم بن صالح ، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد وأنباء وبعض البلدان (٧٠٠-١٣٤٠) ، الدارة الرياض ١٤١٩هـ ، ص١٢٩.

[٥] عبد الله الفيصل : هو الإمام عبد الله بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن سعود . تولى إمارة الرياض بعد وفاة والده عام ١٢٨٢هـ واستمر حتى عام ١٢٨٧هـ حيث خرج عليه أخيه سعود ، وسيطر على الرياض فالتجأ إلى القبائل . عاد إلى الحكم بعد وفاة سعود عام ١٢٩٣هـ . خرج عليه بعد ذلك أبناء أخيه سعود فحبسوه . الأمر الذي دعا الأمير محمد بن عبد الله آل رشيد الخروج من حائل والاستيلاء على الرياض ، وأخذه للإمام عبد الله إلى حائل ومعه إخوته وبقي فيها إلى سنة ١٣٠٧هـ . توفي بعد عودته من حائل بيومين (مؤلف مجهول ، أوراق من تاريخ نجد من عام ١٢٨٥-١٣٥٣هـ ، تحقيق : عبد العزيز سعود عبد العزيز الفرهود ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ١٤٢٩ ، ص٢٨-٢٩ .

[٦] الرشيد ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .

[٧] موزل ، مصدر سابق ، ص ٢١ .

يحظى بشعبية كبيرة بين سكان جبل شمر لذلك قرر الذهاب إلى الرياض ؛ لإرضاء عمه وإرجاعه إلى جبل شمر [١] .

وبعد رجوع محمد العبد الله إلى حائل عاد إلى منصبه السابق (إمارة الحج) ، لأن منطقة جبل شمر نقطة استقرار الحجاج القادمين من النجف إلى مكة [٢]، فقد كان محمد مُتعهداً بأمن الحجاج حتى يصلوا العراق ، وأثناء وصوله العراق أخذ مؤونة عام من الأرز (التمن) وغيره ، لذا اضطر بأن يستأجر إبلاً من قبيلة الظفير فخرج معه عدد من رجالهم لحراسة القافلة وعند وصولهم إلى جبل شمر بدأ النزاع بين بندر وعمه محمد ، وسبب ذلك أن بندر كان على خلاف مع قبيلة الظفير ويريد قتل هؤلاء ، إلا أن محمد كتم غيظه أمام بندر فلم يأتِ المساء إلا وقد قام باغتيال بندر [٣] وإخوته [٤] ، فقد كانت حادثة قدوم الظفير سبباً في اغتيال بندر وتولي محمد العبد الله الحكم عام (١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م) [٥].

٤ ـ محمد العبدالله العلي آل رشيد :

تولى محمد العبد الله الحكم عام (١٢٨٩-١٨٧٢م) [٦] تميز عهده بالإنجازات التي حققها بفضل سياسته الجيدة . فقد استطاع توسيع حدود إمارته وتنمية مواردها وإحلال النظام والأمن في جميع أنحائها فهو من أقوى حكام جبل شمر ؛ لأن عهده يعتبر العصر الذهبي للإمارة ، وذلك بفضل سياسته المتوازنة [٧] ، وذكر الزركلي عن شخصيته قائلاً : " وكان داهيه بعيد المطامع فتاكاً جباراً " [٨]

استغل الأمير محمد الأحداث التاريخية في نجد لتوسيع حدود إمارته فقد أتته الفرصة بعد اختلاف أبناء الإمام فيصل بن تركي على الحكم فيما بينهم [٩] ، وساعد على اتساع إمارته أيضاً

---

[١] عبيد ، مرجع سابق ، ص٦٥ .

[٢] داوني ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٦ .

[٣] لمعرفة تفاصيل مقتل محمد العبد الله لابنه أخيه بندر أنظر : داوني ، نفسه ، ص ٢٦-٢٧ .

[٤] قتل جميع أبناء طلال ما عدا أصغرهم واسمه نايف (الفاخري ، مصدر سابق ، ص ٢٢٩).

[٥] ابن عيسى ، تاريخ بعض الحوادث ، ص ١٣٣ .

[٦] الزركلي ، خير الدين ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ج١ ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٢م ، ص ١١٧ ؛ البسام ، مصدر سابق ، ص ٢٥٣ .

[٧] عبيد ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

[٨] مصدر سابق ، ج١ ، ص ١١٧ .

[٩] مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص ٢٨ .

استمرار النزاع بعد وفاة الإمام سعود بن فيصل [١] حيث نازع أبناء سعود عمهم عبد الله على الحكم فقاموا بسجن عمهم عبد الله لذا استغل محمد العبد الله الفرصة متظاهراً بأنه سينجد الإمام عبد الله من أبناء أخيه وأما الحقيقة فهي رغبته في الاستيلاء على الرياض ، وبالفعل تحقق له ما يريده فقام بتعيين سالم السبهان [٢] أميراً على الرياض [٣] .

ومن خلال هذا النزاع استطاع محمد العبد الله ضم القصيم إلى حكمه عام (١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م) ، وتمكن أيضاً من ضم المجمعة عام (١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م) [٤] .

استطاع محمد العبد الله من زيادة اقتصاد الإمارة بأن جعل جبل شمر مركزاً تجارياً مهماً عما كان عليه في السابق وذلك عن طريق التهديد وتقديم الهدايا لجميع قادة القوافل مقابل مرورهم بمقر الإمارة ، وبهذه السياسة زاد اقتصاد الإمارة وزاد دخل السكان المقيمين والبدو الذين كانوا يؤجرون إبلهم لتلك القوافل [٥] .

امتد نفوذ الإمارة في عهده من وادي السرحان شمالاً إلى وادي الدواسر جنوباً ومن تيما وخيبر غرباً إلى الخليج العربي شرقاً [٦]، وذكرت آن بلنت التي زارت جبل شمر في عهده : " لقد صنع هو وأسلافه اتحاد جميع مشائخ البدو من مشهد علي إلى المدينة تحت قيادته " [٧] .

توفي محمد العبد الله عام (١٣١٥- ١٨٩٧م) مريضاً بذات الجنب [٨] ، فخلفه في الحكم ابن أخيه (عبد العزيز المتعب) لأنه كان عقيماً [٩].

---

[١] توفي الإمام سعود بن فيصل بن تركي في ١٨ ذي الحجة ١٢٩١هـ (الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٥٠) .

[٢] سالم بن علي السبهان ، له من الأبناء (زامل ، إبراهيم ، عبد الكريم ، علي) (مخطط بياني لأبناء وأحفاد آل سبهان عام ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م) تنفيذ : وليد بن سبهان بن عبد العزيز السبهان ، أمدني به الأخ / سعود العبد العزيز السعود المتعب الحمود السبهان) .

[٣] مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص ٣٣ .

[٤] الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٥٠-٥١ .

[٥] موزل ، مصدر سابق ، ص ٢٧-٢٨ .

[٦] الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ١١٧ .

[٧] مصدر سابق ، ص ٢٢٣ .

[٨] الدخيل ، سليمان صالح ، القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد ، طبع ملحقاً لكتاب نبذة تاريخية من نجد ، ط١ ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٦هـ ، ص ١٥٠ ؛ البسام ، مصدر سابق ، ص ٣٨١ ؛ عبيد ، مرجع سابق ، ص ٧٠ .

[٩] الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ١١٨ .

٥- عبد العزيز بن متعب العبد الله العلي آل رشيد :

تولى الحكم بعد وفاة عمه محمد العبد الله [١] في عام (١٣١٥ – ١٨٩٧ م) [٢] اختلفت سياسته عن سياسة عمه الذي كانت سياسته السيف والكرم ، واستغلال الفرص لصالحه ، ويدل على ذلك ما ذكره موزل " كان عبد العزيز محارباً صادقاً لكنه لم يكن بارعاً فما كان يحققه سلفه محمد بالهدايا أراد هو تحقيقه بالأمر والسلاح " [٣].

ومن أبرز الأحداث في عهده النزاع بينه وبين حاكم الكويت مبارك الصباح [٤]، ومما يدل على اختلاف السياسة بينه وبين عمه أنه لم يهتم بوصيته عندما حذره بألا يطمح بنظره إلى الكويت وألا يباشر صاحبها العداء [٥]، لذا فقد نتج عن هذا النزاع عدة معارك أهمها معركة الصريف [٦] في (ذي القعدة /١٣١٨هـ/شباط ١٩٠١م) [٧] . انتصر في هذه المعركة جيش عبد العزيز آل رشيد على جيش مبارك الصباح ومن معه من أمراء القصيم [٨] .

تغيرت موازين القوى في نجد بعدما استعاد عبد العزيز آل سعود الرياض في عهده والتي كانت تابعة لإمارة آل رشيد . فقد كان دخول عبد العزيز آل سعود للرياض في (الخامس من شهر شوال ١٣١٩هـ . ١٥/كانون الثاني ١٩٠٢) [٩].

---

[١] يذكر الدخيل أن الأمير عبد العزيز آل رشيد تولى الإمارة بعد ابن عمه محمد العبد الله (القول السديد ، ص١٥) والصواب أن محمد العبد الله عمه وليس ابن عمه (ابن عيسى ، مصدر سابق ، ص ١٤٤) .

[٢] الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ١١٨ .

[٣] مصدر سابق ، ص ٣١ .عندما تولى الإمارة كتب إلى أمراء نجد يأخذ البيعة له قائلاً : " ومن امتنع فليس له إلا الحافر وصنع الكافر " . فالحافر : يقصد به الخيل وصنع الكافر ، ما أتى به الغربيون من بنادق ومدافع (الزركلي ، نفسه ، ص ١١٩) .

[٤] مبارك الصباح : هو مبارك بن صباح بن جابر بن عبد الله بن صباح بن جابر . تولى المشيخة عام ١٣١٣هـ . بعد قتله لأخويه محمد وجراح استمر في الحكم حتى توفي ١٧/محرم/١٣٣٤هـ ، له من الأولاد (جابر وسالم وعبد الله وناصر وحمد وفهد) خلفه في الحكم ابنه جابر (الشمري ، خليف بن صغير ، المستودع والمستحضر في أسباب النزاع بين مبارك الصباح ويوسف آل ابراهيم ، دار نيوى ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ص ٤٧).

[٥] الريحاني ، تاريخ نجد ، ص١١٦ .

[٦] الصريف : موضع ماء يقع شرقي القصيم في المنطقة المحاذية لمدينة بريدة من جهة الشرق على بعد ٢٧ كم (خليف الشمري ، مرجع سابق ، ص ٢٠٣) .

[٧] الريحاني ، مصدر سابق ، ص ١١٩ .

[٨] مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص ٤٢-٤٣ .

[٩] الريحاني ، مصدر سابق ، ص ١٢٦ ؛ موزل ، مصدر سابق ، ص ٣٤ .

نتج عن دخول عبد العزيز آل سعود للرياض وسيطرته عليها ما يلي :

أولاً : فقدت إمارة آل رشيد أهم منطقة سياسية . فعندما أصبحت الرياض تحت إمارة آل رشيد في زمن محمد العبد الله كانت القبائل الواقعة جنوب الرياض حتى وادي الدواسر تابعةً للإمارة وبعد استعادة عبد العزيز آل سعود للحكم أصبحت هناك قوة تحول بين تلك القبائل وإمارة آل رشيد يضاف إلى ذلك أن هذه القوة لها مكانتها التاريخية في الجزيرة العربية ؛ مما أدى إلى انكماش الإمارة في زمن عبد العزيز آل رشيد [١].

ثانياً : خروج أمراء من القصيم إلى عبد العزيز آل سعود طالبين منه المساعدة بأن يتحرك إلى بلادهم التابعة لإمارة آل رشيد [٢].

ثالثاً : حدوث العديد من المعارك بين عبد العزيز آل سعود وعبد العزيز آل رشيد ، والتي من أهمها معركة البكيرية التي وقعت في (٢٩/ربيع الأول/١٣٢٢هـ . ١٣/٧/١٩٠٤م) [٣]، ومعركة الشنانة والتي حدثت في (١٨/رجب ١٣٢٢هـ . ٢٩ سبتمبر ١٩٠٤م) ومعركة روضة مهنا التي قتل فيها عبد العزيز آل رشيد في ليلة (١٨/صفر/١٣٢٤هـ/١٤/٤/١٩٠٦م) ، فقد نتج عن المعركة الأخيرة قضاء عبد العزيز آل سعود على أشد خصومه [٤] ، ودخول جميع بلاد القصيم تحت الحكم السعودي ، وانكماش إمارة آل رشيد حتى وصلت جبل سلمى [٥].

٦- متعب العبد العزيز المتعب العبد الله العلي آل رشيد :

تولى الإمارة بعد مقتل والده في معركة روضة مهنا (١٨/صفر/١٣٢٤هـ ١٤/٤/١٩٠٦م)[٦] فقد ذكر ضاري الرشيد طريقة توليه الحكم قائلاً : " فعند ذلك أمر حمود[٧] أهل البلاد أن يعاهدوا

---

[١] الريحاني ، مصدر سابق ، ص ١٢٨ .

[٢] الرشيد ، مصدر سابق ، ص ١١٨ ؛ الشمري ، عياد بن خلف بن نهير ، الإيضاح في سيرة طير الفلاح (ندى بن خلف بن نهير) ، ورقة ١١ .

[٣] مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص ٥٨ .

[٤] البسام ، مصدر سابق ، ص ٤٠٠ ؛ الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٦٤-١٧٢ .

[٥] موزل ، مصدر سابق ، ص ٣٥-٣٦ .

[٦] الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٧٢ ؛ موزل ، نفسه ، ص ٣٦ .

[٧] حمود آل رشيد : هو حمود بن عبيد بن علي آل رشيد ، الساعد الأيمن للأمير محمد العبد الله آل رشيد في الوصول إلى الحكم وأثناء فترة حكمه ، له من الأبناء (ماجد وسلطان وسعود وفيصل وعبيد وسالم ومهنا ومحمد) رحل في آخر حياته إلى المدينة

متعب بالإمارة " [1].

تحسنت العلاقة ما بين متعب آل رشيد وعبد العزيز آل سعود بعد الاتفاق فيما بينهما ، فقد قام الاتفاق على أساس اعتراف إمارة آل رشيد بتبعية بلاد القصيم لآل سعود ، وإطلاق سراح من بقي أسيراً في حائل من آل سعود ، ويدل هذا الاتفاق على ضعف إمارة آل رشيد بعدما قضى عبد العزيز آل سعود على أشد خصومه عبد العزيز المتعب [2] .

أما الحالة السياسية داخل الإمارة فقد عاد الصراع على الحكم فيما بينهم فلم يستمر متعب في الحكم سوى تسعة أشهر[3] حيث قتل ومعه إخوته [4] على يد سلطان الحمود العبيد وإخوته[5][6].

نتج عن مقتل الأمير متعب العبد العزيز خروج حمود السبهان ، خال الابن الأصغر سعود بن عبد العزيز المتعب إلى المدينة خوفاً عليه من تعقب أبناء حمود العبيد له ، وعندما وصل حمود السبهان[7] المدينة المنورة ذهب إلى مقر الحكومة العثمانية فأكرمت نزله [8].

== المنورة ومات فيها وسبب رحيله بعدما قام أبنائه بقتل أبناء عبد العزيز المتعب آل رشيد وله قصيدة توضح رأيه عن تلك الحادثة قائلاً :

عز الله إني بالعهد ما تـرديت　　مـع نسـل عبـد الله قديـمٍ و تالي
بالعين أرعاهم إلى أقبلت وأقفيت　　لا شك جاء نقض العهد من عيالي

(مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص ٣٤)

[1] مصدر سابق ، ص ١٢٤ .

[2] الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٨٩ ؛ الريحاني ، مصدر سابق ، ص ١٥٩ – ١٦٠ .

[3] مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص ٩٦ ؛ موزل ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

[4] أبناء عبد العزيز المتعب العبد الله آل رشيد هم : متعب ، مشعل ، محمد ، سعود . (وهو أصغرهم) نجا من القتل وعمره أثناء الحادثة حوالي ثمان سنوات (الدخيل ، مصدر سابق ، ص ١٥٦) .

[5] أبناء حمود عبيد العلي آل رشيد ، هم : سلطان ، سعود ، فيصل (الدخيل ، نفسه ، ص ١٥٥) .

[6] موزل ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

[7] هو حمود بن سبهان بن سلامة آل سبهان له من الأبناء (علي ، متعب ، عبد العزيز) معلومه أمدني بها الشيخ سبهان بن علي الحمود (حفيد المترجم له) في منزله بالرياض يوم الخميس ١٤٣٢/٥/١٧هـ .

[8] الدخيل ، مصدر سابق ، ص ١٥٦ .

٧- سلطان حمود العبيد العلي آل رشيد :

تولى الإمارة بعد قتله لمتعب العبد العزيز في (ذي القعدة / ١٣٢٤هـ/ ١١/١٩٠٧م)[١] سبق وأن ذكرنا أنه في زمن متعب العبد العزيز حصل اتفاق بينه وبين عبد العزيز حصل اتفاق بينه وبين عبد العزيز آل سعود على تبعية بلاد القصيم لآل سعود ، فعندما تولى سلطان الحكم أرسل إلى آل سعود يصالحه وفي الوقت نفسه أرسل إلى أهالي القصيم لمساعدته ضد آل سعود وبينما كانت الرسائل التي تصل إلى عبد العزيز آل سعود من سلطان طالباً منه الصلح ومعترفاً بسيادته أتاه خبر من رؤساء العشائر بالرسائل التي أرسلها لهم سلطان ، والتي تقتضي بمساعدتهم له ضد عبد العزيز آل سعود[٢] ، وبعد ما انكشف الأمر تحرك سلطان إلى بريده للاستيلاء عليها ، حيث نتج عن ذلك معركة الطرفية [٣] في (ليلة ٥/شعبان/١٣٢٥هـ . ١٣/٩/١٩٠٧م)[٤].

لم تكن لسلطان إدارة جيدة في الحكم فقد تدهورت الإمارة في عهده حيث فقدت الإمارة خيبر وتردت الأوضاع الاقتصادية ، فلم تعد القوافل التجارية تمر بمركز الإمارة كما كانت عليه في عهد محمد العبد الله وذلك ؛ لانعدام الأمن ولكثرة الاضطرابات الداخلية في الإمارة [٥].

وفي أواخر فترة إمارته حاول سلطان الهروب من حائل قاصداً بلاد الشام بعدما أخذ كل ما هو ثمين في خزانة الإمارة ، وبعد هروبه من حائل أدركه أخوه سعود الطامع في الحكم فقبض عليه وسجنه ثم قتله [٦]، فتولى الإمارة عام (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م)[٧] .

٨- سعود حمود العبيد آل رشيد :

تولى الإمارة بعد قتله لأخيه سلطان عام (١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م) [٨] ، وكان أول الأعمال التي قام بها تعيين أخيه فيصل على منطقة الجوف لكي لا يضايقه في الحكم كما فعل مع أخيه

---

[١] مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص ٦٩ ؛ الرشيد ، مصدر سابق ، ص ١٢٤ .

[٢] الريحاني ، مصدر سابق ، ص ١٦٨ .

[٣] الطرفية : تسمى هذه المعركة بالطرفية الثانية ، والطرفية الأولى هي التي بين مبارك الصباح وعبد العزيز المتعب آل رشيد عام ١٣١٨هـ والتي تعرف أحياناً بالصريف (الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٩١) .

[٤] الزركلي ، نفسه ، ص ١٩١ .

[٥] موزل ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

[٦] الدخيل ، مصدر سابق ، ص ١٥٧ .

[٧] عبيد ، مرجع سابق ، ص ٧٢ .

[٨] الريحاني ، مصدر سابق ، ص ١٥٧-١٥٨ ؛ موزل ، مصدر سابق ، ص ٣٧ .

سلطان [1] ، فلم يستمر الحكم لصالح سعود ، ويرجع سبب ذلك إلى نظرة أهالي حائل له بأنه ليس أهلاً للإمارة وإنما وصلت إليه بغير حق . لذا قام الأهالي بمكاتبة حمود السبهان ليأتي إلى حائل ومعه ابن أخته (سعود) ، وبالفعل توجه إلى حائل ومعه حاشيته قادماً من المدينة ، وعندما أقبل إليها فتح الأهالي أبوابها حيث استمر في طريقه حتى وصل قصر (برزان) ، وبعد محاصرة لم تدم طويلاً سلم سعود الحمود نفسه [2] ، فأخذه الأمير وقتله [3] في(١٦/شعبان/١٣٢٦هـ ١٩٠٨/٩/١٣م)[4] فلم يستمر في الحكم سوى أربعة أشهر [5] .

٩- سعود عبد العزيز المتعب العبد الله العلي آل رشيد :

تولى الإمارة في (١٦/شعبان / ١٣٢٦هـ . ١٩٠٨/٩/١٣م) [6] وهو في العاشرة من عمره تقريباً [7] ، ونظراً لصغر عمره أصبحت الإمارة تحت سيادة خاله حمود السبهان حتى وفاته عام (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) [8] ، ثم انتقلت الوصاية بعد وفاته إلى زامل السبهان [9] حتى وفاته عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م [10] .

---

[1] عبيد ، مرجع سابق ، ص٧٢ .

[2] الدخيل ، مصدر سابق ، ص ١٥٧-١٥٨ ؛ موزل ، مصدر سابق ، ص٣٧ .

[3] الرشيد ، مصدر سابق ، ص ١٢٥ .

[4] الدخيل ، مصدر سابق ، ص ١٥٩ .

[5] موزل ، مصدر سابق ، ص ٣٧ .

[6] الدخيل ، مصدر سابق ، ص ١٥٩ .

[7] موزل ، مصدر سابق ، ص ٣٧ .

[8] يذكر موزل أنه توفي مسموماً (نفسه ، ص ٣٧) والصواب أنه توفي مريضاً بعدما أصيب بذات الجنب (الشربة) معلومات أمدني بها الشيخ سبهان بن علي الحمود السبهان (حفيد المتوفي) في منزله بالرياض يوم الخميس ١٤٣٢/٥/١٧هـ

[9] هو زامل بن سالم بن علي آل سبهان (مخطط بياني لأبناء وأحفاد آل سبهان لعام ١٤٣٠هـ . ٢٠٠٩م) . تنفيذ : وليد بن سبهان بن عبد العزيز السبهان . أمدني به الأخ / سعود العبد العزيز السعود المتعب الحمود السبهان) .

[10] موزل ، مصدر سابق ، ص ٤٠ ؛ الثويني ، سعد إبراهيم ، مذكرة خاصة عائلة الثويني في حائل والقريات ، ص ١١٤ .

لم تكن العلاقة مع عبد العزيز آل سعود جيدة في زمنه فلم يمضِ عام على توليه الإمارة حتى وقعت معركة بين الطرفين تدعى الأشعلي في (١٣٢٧هـ / ١٩٠٨م) انتصر فيها عبد العزيز آل سعود[١] .

ونظراً لتتابع الأحداث بين الملك عبد العزيز وآل رشيد مما خشيت منه الدولة العثمانية القضاء على حكم آل رشيد المؤيد لها لذا زاد اهتمامها في نجد فقد رأت في سعود العبد العزيز آل رشيد القدرة على مقابلة خصمهم عبد العزيز آل سعود لذلك كتب والي البصرة سليمان شفيق إلى سعود لمقابلته ، فلما تقابل معه أمده بالسلاح والذخائر والمال الشخصي له ، فلما علم عبد العزيز آل سعود بقدومه إلى الرياض تحرك بجيشه والتقى الطرفان على ماء جراب في (٨/ربيع الأول / ١٣٣٣هـ . ١٩١٥/١/٢٤م) [٢] ، فمن نتائج المعركة أصبحت هناك هدنة غير مقصودة بين الطرفين استمرت خمس سنوات [٣] .

استمر الأمير سعود يدبر أمور إمارته حتى قتل غدراً عام (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م) على يد عبد الله الطلال [٤]، وفي نفس اللحظة أخذ خدم سعود الثأر فقتلوا عبد الله الطلال [٥].

١٠- عبد الله بن متعب بن عبد العزيز المتعب العبد الله آل رشيد :

بعد مقتل سعود على يد ابن طلال الذي قُتل في نفس اللحظة أصبح هناك اختلاف على تولي الإمارة وسرعان ما عالج الموقف عقاب بن عجل وجماعته بتنصيب عبد الله بن متعب أميراً على حائل [٦] بتاريخ ١٣٣٨/٨/١٨هـ . ١٩٢٠/٥/٧م [٧].

أراد عبد الله المتعب أن يثبت حكمه لذا بعث إلى عبد العزيز آل سعود ليصالحه فرفض عبد العزيز آل سعود المصالحة إلا بشرط ، وهو أن تكون إمارة آل رشيد داخلية وتكون شؤونها الخارجية في يده ، فكانت النتيجة رفض عبد الله الشروط ، وبناءً على هذا الرفض أرسل عبد العزيز آل سعود

---

[١] ذكر الزركلي أنها وقعت في زمن سلطان الحمود العبيد (مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٩١) والصواب أنها وقعت في زمن سعود العبد العزيز (الريحاني ، مصدر سابق ، ص ١٧٩) .

[٢] مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص ٧٨ .

[٣] الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٥٣ .

[٤] عبد الله الطلال : هو عبد الله بن طلال بن نايف بن طلال بن عبد الله آل رشيد (مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص٧٨).

[٥] الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

[٦] عبيد ، مرجع سابق ، ص ٧٦ .

[٧] مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص ٨٣ .

أخاه محمد وابنه سعود في (أواخر ١٣٣٨هـ/١٩٢٠م) للسيطرة على حائل [١] .

وفي أثناء الحصار قدم محمد الطلال [٢] من الجوف وسبب قدومه دفاعاً عن حائل واستدعاء الأهالي له لمواجهة جيش عبد العزيز آل سعود ورده عن حائل ، فبقدومه خاف الأمير عبد الله المتعب على نفسه ظناً منه أنه سيقتله ، فكانت ردة فعله أن خرج هارباً من حائل مستسلماً إلى جيش عبد العزيز آل سعود ، وكان خروجه في (١٠/ذي القعدة/١٣٣٩هـ. ١٦/٧/١٩٢١م) [٣].

١١- محمد بن طلال بن نايف الطلال العبد الله آل رشيد وسقوط الإمارة :

بعد خروج عبد الله المتعب من حائل مستسلماً إلى عبد العزيز آل سعود تولى الإمارة محمد الطلال في الوقت الذي كانت فيه حائل فترة حصار من قبل جيش عبد العزيز آل سعود [٤]، بدأ محمد الطلال بالهجوم على جيش عبد العزيز آل سعود والذي كان بقيادة فيصل الدويش في الجثامية إلا أن الدويش قام بصد جيش ابن طلال . فاضطر الآخر أن ينسحب بجيشه إلى النيصية ، وفي هذه الأثناء قدم عبد العزيز آل سعود بقواته إلى حائل [٥] ، وتوحدت قواته وقوات الدويش تحت قيادته[٦]، حيث قام عبد العزيز آل سعود بالهجوم على جيش ابن طلال حتى تراجع ورجاله إلى مقر الإمارة وبهذا الانسحاب استطاع عبد العزيز آل سعود من محاصرة المدينة من جميع جهاتها ؛ لمنع وصول الإمدادات إليها لكي تسهل عليه عملية الاستيلاء [٧].

وبعد استمرار الحصار على حائل أرسل عبد العزيز آل سعود إنذاراً لتسليمها خلال ثلاثة أيام أو ضربها بالمدافع فكان الجواب أن استسلمت المدينة بفتح أحد أبوابها للقوات السعودية [٨] ، فلم تستسلم حائل إلا بشروط بين عبد العزيز آل سعود وأهالي حائل ومن الشروط : أن يعفو عبد العزيز

---

[١] الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٥٤ .

[٢] محمد الطلال : هو محمد بن طلال بن نايف بن طلال العبد الله العلي آل رشيد ، عندما تولى الإمارة عبد الله المتعب خرج محمد بن طلال إلى الجوف خوفاً من الاغتيال ، وسبب ذلك لأنه شقيق عبد الله الطلال الذي قام باغتيال سعود بن عبد العزيز المتعب (الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٥٤) .

[٣] مؤلف مجهول ، مصدر سابق ، ص ٨٣ .

[٤] ابن عيسى ، مصدر سابق ، ص ١٤٦ .

[٥] كان قدوم الملك عبد العزيز آل سعود في ٤/محرم/١٣٤٠هـ. ٨/أيلول/١٩٢١م (الريحاني ، مصدر سابق ، ص ٢٨٠) .

[٦] عبيد ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

[٧] الريحاني ، مصدر سابق ، ص ٢٨١- ٢٨٢ .

[٨] ابن عيسى ، مصدر سابق ، ص ١٤٦.

آل سعود عن كل من اشترك مع ابن طلال في حربه عفواً شاملاً ، وأن يسلم ابن طلال نفسه ومعه عائلته وأن يعيشوا في الرياض معززين مكرمين [١] .

ومن خلال تلك الأحداث استطاع عبد العزيز آل سعود ضم حائل [٢] تحت طاعته في (٢٩/صفر/١٣٤٠هـ ٢/تشرين/١٩٢١م) بعد أن دامت إمارة آل رشيد ٩١ سنة [٣] .

ومن نتائج دخول حائل تحت الحكم السعودي زيادة مكانة عبد العزيز آل سعود وتعاظمها ، وبداية المشكلات بين العراق ونجد على الحدود وهجرة أعداد من قبيلة شمر إلى العراق [٤] .

ب- الحالة السياسية في جنوبي العراق :

أولاً ـ ضم العثمانيين للعراق :

كانت جهود الدولة العثمانية مركزة في البداية على الميدان الأوربي حتى أصبح فيما بعد تغير في سياسة العثمانيين بحيث وجهوا أنظارهم إلى البلدان العربية ، فكان من نتائج هذه السياسة ضم العثمانيين للعراق بفضل عدة عوامل أهمها :

١- انتشار نفوذ الدولة الصفوية المتعصبة في نشر المذهب الشيعي في العراق والأناضول على نقيض العثمانيين المتمسكين بالمذهب السني [٥] ، ومن أعمال الصفويين ما قام به الشاه إسماعيل من اضطهاد علماء السنة [٦] ،وتحريض الشيعة بآسيا الصغرى على العثمانيين[٧]فلم يقف الشاه بعد هذه الأعمال فقد قام بالتحالف مع ملك المجر ضدهم[٨]واحتضن الهاربين من أبناء البيت العثماني عندما اعتلى السلطان سليم الأول

---

[١] الزركلي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٥٥ .

[٢] ذكر الريحاني في كتابه تاريخ نجد تلك الأحداث (فتح حائل) والصواب ضم أو الاستيلاء على حائل .

[٣] البسام ، مصدر سابق ، ص ٤٢١ ؛ الشمري ، عياد بن خلف ، الإيضاح في سيرة طير الفلاح ورقة ٨٩ ؛ عبيد ، مرجع سابق ، ص ٢٤١ .

[٤] الدراجي ، عبد الرزاق ، جعفر أبو الثمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨/١٩٤٥م ، ط٢ ، ١٩٨٠م ، ص ١٥١ .

[٥] نوار ، عبد العزيز سليمان ، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٣٨٧هـ ، ص ٥-٦ .

[٦] الأعظمي ، علي ظريف ، مختصر تاريخ البصرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، بور سعيد ، ص ١٤٤ .

[٧] العدوي ، إبراهيم أحمد ، الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، مكتبة الشباب ، ١٤١١هـ ، ص ٨٣ .

[٨] نوار ، مرجع سابق ... تاريخ العراق ، ص ٦ .

عرش الدولة العثمانية [١] ، فقد كانت ردة فعل السلطان سليم الأول تحريك جيشه ؛ لمحاربتهم فالتقى الطرفان في معركة جالديران (٩١٠هـ/١٥١٤م) والتي انتهت بانتصار العثمانيين فكان من نتائج هذا الانتصار استيلاء العثمانيين على شمال العراق (المنطقة الكردية) [٢] .

٢- استيلاء السلطان سليم الأول على مصر والشام والحجاز بعد انتصاره على جيوش المماليك عام (٩٢٢هـ/ ١٥١٦م) و (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) وبضم تلك المناطق أصبحت العراق محاصرة من الشمال والغرب مما شجع العثمانيين في السيطرة عليها [٣].

٣- إعلان حاكم بغداد ذو الفقار الكردي ولاءه للسلطان سليمان القانوني ، مما أثار غضب الشاه لذا زحف بجيشه إلى بغداد إلا أن السلطان سليمان حسم الموقف عندما زحف بجيشه صوب (تبريز) ثم انقلب إلى العراق واستولى على بغداد (٩٤٠هـ/ ١٥٣٤م [٤].

لم تكن المناطق الواقعة جنوبي العراق تحت السيطرة العثمانية في تلك الفترة فقد رضي السلطان بإعلان راشد بن مغامس . شيخ المنتفق وصاحب البصرة . الولاء له [٥]، بشرط أن تكون الخطبة والنفوذ باسم السلطان وأن يكون ممتثلاً لأوامر ولاة بغداد في المسائل الهامة ، ونظراً لعدم اهتمام شيخ المنتفق بالشروط التي بينهم قام العثمانيون بإرسال جيش بقيادة الوزير إياس باشا للاستيلاء على البصرة ، وبالفعل دخل الوزير البصرة دون حرب عام (٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) [٦] ، وباستيلاء العثمانيين على البصرة أصبح العراق بأكمله تحت السيطرة العثمانية [٧] .

وبعد سيطرتهم على العراق كانت سياستهم في البداية الاعتراف بالعصبيات الكردية في الشمال حيث بقي حكم كردستان للعشائر الكردية الحاكمة فلم تختلف السياسة في العراق العربي عن القبائل الكردية ، إذ بقي شيوخ القبائل العربية حكاماً على عشائرهم ، ومن أهم القبائل العربية

---

[١] العدوي ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

[٢] نوار ، مرجع سابق ... تاريخ العراق ، ص ٦

[٣] نوار ، نفسه ، ص ٦ .

[٤] نوار ، نفسه ، ص٦ ؛ الوردي ، علي ، دراسة طبيعة المجتمع العراقي ، ط٢ ، دار الوراق ، لندن ، ٢٠٠٧ ، ص ١٤٦ .

[٥] نوار ، نفسه ، ص ٦ .

[٦] الأعظمي ، مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

[٧] خلود اليوسف ، مرجع سابق ، ص ١١ .

في العراق : الخزاعل ، العبيد ، زبيد ، بني لام ، شمر ، المنتفق [١] . فقد كان الهدف من استخدام هذه السياسة هو عدم قدرتهم في السيطرة على تلك القبائل ، ويتضح ذلك عندما قاموا بسياسة التفرقة بين تلك العشائر وإشاعة الخلافات والنزاعات فيما بينهم لإضعافهم [٢].

ثانياً : سياسة العثمانيين في جنوبي العراق من (١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م) حتى دخول الإنجليز عام (١٣٣٢هـ/١٩١٤م) .

وضع العثمانيون تقسيماً إدارياً للبلاد العربية التي خضعت لسيادتهم عُرف بنظام الولايات ، وطبقاً لهذا النظام قسمت العراق إلى أربع ولايات هي : بغداد ، البصرة ، الموصل ، شهر زور[٣] ، فكان الهدف من التقسيمات الإدارية ؛ تسهيل مهمة الدولة في إدارة ولاياتها من خلال الدفاع عن تلك الولايات ضد الأخطار الخارجية والحفاظ على الأمن والاستقرار في كل ولاية ؛ مما يستلزم من وجود قوات في كل ولاية يطلق عليها " الحامية العثمانية " ، ومن الأهداف تسهيل المهمة في جمع الضرائب من كل ولاية مما ترتب على ذلك وجود جهاز مالي في كل ولاية يرأسه " الدفتردار" ويساعده عدد من الموظفين ؛ لتنظيم الشؤون المالية في كل ولاية ، وكذلك للاهتمام في الخصومات التي تحدث بين السكان والفصل بينهم مما يستلزم من وجود نظام قضائي في كل ولاية يرأسه قاضي القضاة .[٤]

تتألف كل ولاية من " سناجق " [٥] ، وينقسم كل سنجق إلى قضاء ، ويشمل كل قضاء على ناحية واحدة أو أكثر وتشمل الناحية عدد كبير من المقاطعات [٦] ، فالهدف من تلك

---

[١] نوار ، عبد العزيز سليمان ، داوود باشا والي بغداد ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ص ١١-١٢ .

[٢] الظاهر ، عبد الجليل ، تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة ، ص٧ .

[٣] نوار ، مرجع سابق ... داوود باشا ، ص ٧٠ .

[٤] عبد الرحيم ، عبد الرحمن عبد الرحيم ، النظم الإدارية في البلدان العربية وأثرها في العلاقات العربية العثمانية ، ع١ ، س٩ ، شوال ١٤٠٣هـ ، ص ١٠٤ .

[٥] السنجق : هو العلم ، وهو دون الولاية وفوق القضاء ، والسنجق مركز إداري يسمى (متصرفية) فالعثمانيون يقسمون المراكز الإدارية المدنية إلى أربع مراتب . الأولى : رتبة الوالي ومركزه الولاية . الثانية : المتصرف ومركزه المتصرفية أو السنجق . الثالثة : القائم مقام ومركزه القضاء . الرابعة : مدير الناحية ومركزه الناحية (فريد بك ، محمد ، تاريخ الدولة العثمانية العلية ، تحقيق : إحسان حقي ، ط٢ ، دار النفائس ، بيروت ١٤٠٣هـ ، ص ٢٢٥-٢٢٦) .

[٦] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٥ ، ص ١٠٣٥ .

التقسيمات ربط الإدارات الفرعية المنتشرة في أنحاء الولاية بالوالي مباشرة وربط جميع الولايات ربطاً مركزياً بحكومة الإستانة [١] .

أما المدن الواقعة في جنوبي العراق فهي تتبع ولايتين هما ولاية البصرة وولاية بغداد [٢] انفصلت البصرة التابعة لولاية بغداد عندما قام ناصر باشا السعدون بفصلها ، وبالفعل أصبحت ولاية مستقلة عن بغداد تولى مقاليدها عام (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م) إلا أن هذه الولاية لم تستمر إذ دمجت بولاية بغداد عام (١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م) حتى أعيد استقلالها التام عام (١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م) استقر التقسيم الإداري لها كولاية مستقلة عن بغداد حتى قيام الحرب العالمية الأولى ودخول القوات البريطانية[٣] .

أول السناجق التابع لولاية البصرة (سنجق البصرة) ويضم ثلاث أقضية هي : قضاء البصرة القرنه ، الفاو ، ويهمنا من هذه الأقضية قضاء البصرة الذي يتألف من ناحية شط العرب وأبو الخصيب وهارثه والزبير [٤] ثانياً : (سنجق المنتفق) ويضم أربع أقضية هي : قضاء الناصرية ، وسوق الشيوخ ، شطرة المنتفق ، وكوت الحي ، وآخر هذه السناجق التابعة لولاية البصرة سنجق العمارة ، ويضم عدد من الأقضية منها : قضاء العمارة ، شط العمارة [٥] .

أما المدن الأخرى الواقعة في جنوبي العراق فهي تابعة لولاية بغداد والتي منها : سنجق الديوانية ، وسنجق كربلاء . يضم سنجق (الديوانية) قضاء الديوانية ، الحلة ، السماوة الشامية ويضم سنجق كربلاء : قضاء الهندية وكربلاء والنجف [٦].

والملاحظ على السياسة العثمانية في جنوبي العراق من الناحية الإدارية أنها غير ثابتة فهي عرضة للتقلب والتغيير ، وذلك يعود لعدة عوامل منها :

أولاً : المقاومة العربية التي أبدتها العشائر ضد القوات الأجنبية ، وامتناع العشائر عن دفع الضرائب للدولة العثمانية .

---

[١] الشلاة ، مرجع سابق ، ص٤٤.

[٢] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٥ ، ص ١٠٣٦-١٠٣٩ .

[٣] السعدون ، خالد حمود ، الأوضاع القبلية في ولاية البصرة خلال الحكم العثماني الأخير والاحتلال البريطاني (١٣٢٦-١٣٢٧هـ) الدار العربية للموسوعات ، لبنان ١٤٢٦هـ ، ص ٢٢ .

[٤] الشلاة ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

[٥] لوريمر ، مصدر سابق ، ج٥ ، ص ١٠٣٩-١٠٤٠ .

[٦] لوريمر ، نفسه ، ص ١٠٣٧-١٠٣٩ .

ثانياً : اهتمام العثمانيين بالمدن الأكثر أهمية اقتصادية والتي تزيد فيها نسبة السكان عن طريق الهجرة ومن الأمثلة على ذلك أن الحلة أصبحت سنجقاً بعدما كانت قضاء ابتداء من عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م ، ويضم سنجق الحلة خمسة أقضية تشمل : منطقة الفرات الأوسط ما عدا كربلاء ، وهي قضاء الهندية ، النجف الشامية ، الديوانية ، السماوة . فهي بهذا التقسيم الإداري توازي أهمية سنجق بغداد بمساحته الإدارية ودخله الاقتصادي [١].

واجهت الدولة العثمانية مشكلة تعتبر من أهم المشاكل والصعوبات التي واجهتها الدولة وهي مشكلة العشائر ، فهذه العشائر التي تكون أحياناً موطن قوة للحكومة العثمانية عندما تتعاون معها ضد أي خطر خارجي إلا أنها في الوقت نفسه موطن ضعف ؛ وذلك بسبب تعدد ثوراتها ضد الحكومة العثمانية [٢].

فتلك العشائر تنظر إلى الغزو أنه علامة لإظهار قوتها وهيبتها . فقد كانت أغلب أسباب الغزو ناتجة عن حب الغزو نفسه وذلك ؛ لأنهم يرون أن صاحب المعارك أن له مكانة عظيمة فيما بينهم [٣] ، فهي بهذا الاعتقاد تتعارض مع الحكومة العثمانية التي تريد من العشائر الاستقرار والاستيطان تحت الحكم العثماني[٤] ، فقد كانت العشائر في جنوبي العراق تشجع وتقوم بالثورات ضد العثمانيين لعدة أسباب منها :

أولاً : رغبة تلك العشائر في البقاء على تقاليدهم ، وعاداتهم فهم يرغبون بالتنقل من مرعى إلى آخر والقيام بالغزو [٥].

ثانياً : أنها تفضل العرف العشائري على أي محكمة [٦] .

وضعت الحكومة العثمانية حلولاً ؛ لإخماد الثورات العشائرية ، وذلك باتباع سياسة (فرق تسد) ، فقد قامت بإثارة المشاكل بين العشائر ؛ لإضعافهم ، ويدل على هذه السياسة عندما وقع نزاع بين عشيرتي الجبور والبوسطان عام (١٣١٢هـ/١٨٩٥م) بسبب الجفاف لقلة مياه نهر الحلة

---

[١] المهداوي ، مرجع سابق ، ص ١٢-١٣ .

[٢] نوار ، مرجع سابق .... تاريخ العراق ، ص ١٤١ .

[٣] المكي ، جميل ، البدو والقبائل الرحالة في العراق ، ط١ ، دار الرافدين ، بيروت ، ١٤٢٦هـ ، ص ٩٢-٩٣ .

[٤] نوار ، مرجع سابق .... تاريخ العراق ، ص ١٤٣ .

[٥] الوردي ، مرجع سابق ، ص٢٣ ؛ المكي ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

[٦] لونكريك ستيفن هيمسلي ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة : جعفر الخياط ، ط٤ ، انتشارات الشريف الرضي ، إيران ، ١٣٨٨هـ ، ١٩٦٨م ، ص ٣٤٧ .

الذي حل بالأراضي التي يسكنها الجبور مما ألحق بهم الضرر وبمواشيهم ، لذا حاولوا العبور إلى الجانب الآخر من النهر ، والذي توجد به عشيرة البو سلطان وبقدوم الجبور إليهم ثار النزاع بينهم لسنوات عديدة حتى عام (١٣٢٢/ ١٩٠٤م) فكان موقف الحكومة العثمانية عدم التدخل في حل تلك الخلافات وذلك ؛ لإضعاف الطرفين ، وعندما هدأت الأمور بين العشيرتين قام طاهر باشا بإثارة النزاع من جديد عندما منح أراضي عشيرة الجبور إلى شيخ عشيرة البو سلطان في عام (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م) [١] .

استخدم الولاة العثمانيون طريقة أخرى في زرع النزاع بين العشائر وهي أن تطلب الحكومة العثمانية من إحدى العشائر مساعدتها للسيطرة على إحدى العشائر الأخرى ، كما هو الحال عندما عجزت الحكومة عن كسر شوكة قبيلة شمر الواقعة شمال بغداد ، لذلك قام علي رضا باشا باستخدام قبيلة المنتفق الواقعة في جنوبي العراق فقد قام بتحريض زعيمهم (عيسى) لمحاربة شمر ، و في المعركة قتل أحد شيوخ الجرباء ، وإرسل رأسه إلى والي بغداد . فقد كانت ردة فعل قبيلة شمر أخذ الثأر من المنتفق فعندما تقابل الطرفان قتلوا شيخ المنتفق (عقيل) ، مما أدى إلى عمليات الثأر الدموي بين شمر و المنتفق [٢] ويتضح لنا من تلك الأحداث أن الهدف من هذه السياسة إبعاد القبيلتين عن التحالف فيما بينهم ضد الحكومة العثمانية ؛ ولإضعاف القبيلتين علماً بأن هاتين القبيلتين من أقوى القبائل العراقية .

لم تقف الحكومة العثمانية في سياستها لإخضاع القبائل عند هذا الحد بل اتخذت سياسة أخرى تختلف عن سياسة فرق تسد ، وأساليب مواجهة العشائر بالقوة والسلاح . حيث عملت الحكومة على استمالة شيوخ العشائر إلى جانبها عن طريق منحهم الرتب والنياشين والمناصب العليا ، فالهدف من هذه السياسة تفكيك الروابط العشائرية القوية القديمة ، وجعل أولئك الشيوخ يتطلعون إلى حكومة الإستانة التي وضعت لهم بجانب تلك الألقاب مرتبات شهرية وذلك ؛ لكسب ولائهم ولإقناعهم في الاسيتطان بدلاً من حياة التنقل والترحال ؛ لكي تسهل عليهم السيطرة على العشائر[٣]

---

[١] الوردي ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ ؛ المهداوي ، مرجع سابق ، ص ٤٧-٤٨ .

[٢] أداموف ، السكندر ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة : هاشم صالح التكريتي ، ج٢ ، جامعة البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي ، قسم الدراسات التاريخية الجغرافية ، ١٩٨٩ ،ص ١٦٤-١٦٥ .

[٣] نوار ، مرجع سابق ... تاريخ العراق ، ص ١٤٨ .

استطاعت الحكومة العثمانية بفضل الوالي مدحت باشا [١] بتطبيق سياستها على أرض الواقع ففي شمال العراق أصبح فرحان الجربا [٢] حاملاً لقب الباشوية ، وحصل على راتب شهري حكومي مقابل تعاونه مع الحكومة العثمانية في محاولتها لإسكان شمر الجرباء بدلاً من حياة التنقل وقيامهم بحرفة الزراعة [٣] ، فلا يقتصر جنوبي العراق عن السياسة التي انتهجتها الحكومة العثمانية في الشمال فقد حصل ناصر السعدون على لقب الباشوية [٤] فعين متصرفاً للواء المنتفق وقام ببناء مدينة "الناصرية " ؛ لتكون مقراً له ولعشيرته ، ومن المناصب التي تولاها ناصر ولاية البصرة عام (١٢٩١هـ/١٨٧٥م)[٥] ؛ وبفضل هذه السياسة نجحت الحكومة في السيطرة على عشائر متعددة لذا أصبحت العشائر هادئة نسبياً عما كانت عليه في السابق [٦] .

وفي الوقت التي كانت الحكومة العثمانية تستخدم سياسة استمالة شيوخ القبائل إلى جانبها ، عملت أيضاً على استخدام رجال الدين كوسيلة لإكمال سياستهم التي تهدف إلى إخماد العشائرية ، وذلك عن طريق إصدار الفتاوى التي تحرم القتال ومصادرة الأموال ، لذا أصدر السيد محمد القزويني عام (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) فتواه عن الحلة وهي كالآتي : " بخصوص نهب الأموال وقتل النفوس المحرمة شرعاً يجب منع العشائر وعلى أولياء الأمر يدفعون بالنصائح والمواعظ فإذا لم يمتنعوا جائز تنكيلهم وتأديبهم بأي صورة يراها أولو الأمر " [٧].

وعلى الرغم من استخدام الحكومة عدة طرق للسيطرة على العشائر في جنوبي العراق والتي كانت أغلب سياستها مواجهة القوة بالقوة ، إلا أنها لم تنجح إلى حد كبير ، ويرجع ذلك إلى أسباب منها : أن تنفيذها جرى باستخدام قوات أقل بكثير من القوات الذي كان يستحقه هذا العمل الجسيم ، ولم توضع لهذه القوات خطة ثابتة أو أن يكون لها تدبير منظم ، لذا اتجهوا إلى توطين

---

[١] مدحت باشا : تولى ولاية بغداد عام ١٢٨٥هـ . استمرت ولايته ثلاث سنوات (سليمان ، فائق بك ، عشائر المنتفق الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٣م ، ص٣٨).

[٢] فرحان الجرباء : هو فرحان بن صفوق أكبر إخوته الخمسة وهم : (عبد الرحمن ، عبد الكريم ، عبد الرزاق ، ميموم فارس) يختلف فرحان عن إخوته بأنه هادي الطبع (اوبنهايم ، ماكس ، رحلة إلى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة ، ترجمة : ماجد شبر . ط٢ ، الوراق ، بيروت ٢٠٠٩م ، ص ٥٣-٥٤).

[٣] ويليامسون ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ ؛ الوردي ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

[٤] نوار ، مرجع سابق ... تاريخ العراق ، ص ١٤٨ .

[٥] السعدون ، مرجع سابق ، ص ٢٩-٣٠ .

[٦] نوار ، مرجع سابق ... تاريخ العراق ، ص ١٤٨ .

[٧] المهداوي ، مرجع سابق ، ص ٥٢ .

القبائل المتمردة المحبة للغزو بكل عنف وشدة ، وعن طريق الألقاب والرواتب ، فسياسة التوطين وتثقيف القبائل وتوجيههم إلى طلب العلم والتجارة نجحت في تهدئة القبائل الخارجة عن النظام العثماني ، فقد كانت هذه السياسة أفضل بكثير من سياسة مواجهة القوة بالقوة .

ومن خلال ما ذكرناه يتضح لنا بأن ضم العثمانيين للعراق نتج عن عدة أحداث مثل انتشار النفوذ الصفوي في العراق والأناضول ، وضم العثمانيين في عهد السلطان سليم الأول لمصر والشام والحجاز ، وأن سياسة العثمانيين في العراق مع القبائل لم تكن واحدة بل استخدمت عدة طرق لإخضاع تلك القبائل إلى جانبها ، فهي لم تستعمل جميع الطرق مع كل قبيلة وإنما لكل قبيلة سياسة خاصة بها بحسب هيبتها ومكانتها وأن التقسيمات الإدارية في العراق التي تتألف من أربع ولايات أنها غير ثابتة فهي عرضة للتقلب والتغيير ، وذلك لاهتمام العثمانيين بالمدن ذات أهمية اقتصادية .

الفصل الأول

قبائل جبل شمر وهجراتهم إلى جنوبي العراق

المبحث الأول : القبائل العربية في جبل شمر .

- خلفية تاريخية عن القبائل التي سكنت في المنطقة .
- قبيلة شمر .
- قبيلة تميم .

المبحث الثاني : عوامل الهجرة إلى جنوبي العراق والمواطن التي استوطنوها .

- العامل الاجتماعي.
- العامل الاقتصادي .
- العامل السياسي .

المبحث الثالث : أثر قبائل جبل شمر في جنوبي العراق في الجانب الإقتصادي والعلمي.

- الجانب الاقتصادي .
- الجانب العلمي .

المبحث الأول : القبائل العربية في جبل شمر .

أولاً ـ خلفية تاريخية عن القبائل التي سكنت في المنطقة :

قبل أن نتطرق إلى القبائل العربية في جبل شمر (فترة الدراسة) يجب أن نوضح بإيجاز عن أشهر القبائل العربية التي سكنت المنطقة بل الإسلام ، والعوامل التي أدت إلى استيطانها ، واستقرارها في المنطقة وقدوم هذه القبائل وموطنها الأصلي وأثر هذه القبائل على المنطقة .

فمن أشهرها : بنو أسد [١]وقبيلة طئ [٢]، فقد كانت منازل بنو أسد في الجزء الجنوبي من المنطقة وتحديداً في سميراء قبل نزوح الطائيين من اليمن [٣] ، لقول الشاعر مُرّه بن عياش الأسدي :

جَلتْ عن سميراء الملوك وغادروا بها شرّ قِنّ لا يُضيف ولا يقري [٤]

القبيلة الأخرى في أجأ وسلمى هي قبيلة طئ ، والتي كان موطنها الأصلي بلاد اليمن [٥] ، ثم هاجرت إلى أودية طريب وتثليث في بلاد قحطان [٦] ، وبعد حدوث سيل العرم اتجهت شمالاً حتى انتهى بها المطاف إلى الجبلين أجا وسلمى [٧] جاورت قبيلة طئ بني أسد في بداية أمرهم [٨] ، حتى أعلنوا الحرب على بني أسد وغلبوهم ، ومنذ تلك الهزيمة بدأ اسم بني أسد يندثر مع الأيام[٩] فملكت قبيلة طئ الجبلين المعروفين بأجأ وسلمى ، وأصبح الجبلان يُنسبان إلى القبيلة [١٠].

---

[١] بنو أسد : قبيلة عظيمة الشأن من عدنان تنسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مصر بن نزار ومن بطونها : بنو كاهل ، بنو غنم بن دودان بن أسد ، بنو ثعلبة بن دودان بن أسد ، بنو عمر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد . (كحالة ، عمرو رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ج١ ، ط٧ ، دار الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ ، ص ٢١)

[٢] طئ : جد هذه القبيلة وأصل اسمه (جلهمة) بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ، ويذكر الحموي سبب تسميته بطئ قائلاً : فسُمي طي لطيّه المنازل (الحموي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٩٧ ؛ العزاوي ، عباس موسوعة عشائر العراق ، ج١، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٤٢٥هـ ، ص ٨٥) .

[٣] العفنان ، مرجع سابق ... حائل ، ص ٧٩ .

[٤] الحموي ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٢٥٦ .

[٥] الحموي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٩٧ ؛ العزاوي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٨٥ .

[٦] الجاسر ، حمد ، جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، دار اليمامة ، الرياض ، ص ٥١٧ .

[٧] جبر بن سيار ، نبذة في أنساب أهل نجد ، تحقيق : راشد محمد بن عساكر ، ١٤٢٢هـ ، ص ٩٢ ؛ آل علي ، مرجع سابق ، ص ٤٣ ؛ ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

[٨] كحالة ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٢١ .

[٩] فالين ، مصدر سابق ، ص ١٦٠ ؛ القويعي ، مرجع سابق ، ص ٣٠ .

[١٠] الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الثاني ، ص ٥١٨ .

هناك عدة عوامل جعلت قبيلة طيء تستوطن وتسكن الجبلين منها : تعدد الآبار والعيون المليئة بالمياه ، وتعدد أنواع النخيل ، وكذلك المناطق الواسعة التي تلائم لرعي أبلهم وأغنامهم[1]، ومن العوامل أيضاً الموقع الجغرافي الذي من خلاله أطلق عليها " مفتاح الصحراء" وذلك لكونها حلقة وصل ومعبر رئيسي للمتجهين من الشمال والجنوب عبر شبه الجزيرة العربية [2] ،ثم تزايد عدد قبيلة طيء مع مرور الزمن ، فلم تقتصر منازلهم على جبل أجا وسلمى ، وإنما امتدت مساكنهم شمالاً إلى النفود الكبير، فقد سكنها بنو بحتر[3] من طيء[4] ، وبما أن كل قبيلة تشتهر بصفة تميزها عن غيرها من القبائل الأخرى فقد اكتسبت قبيلة طي شهرتها بالكرم والجود ، وذلك لأنهم كانوا لا يهتمون بالمال وكنزه كما جاء في أبيات لحاتم الطائي [5] منها :

يقولون لي أهلكت مالك فأقتصد　　وما كنت لولا ما تقولون سيّدا

كُلوا الآن من رزق الإله وأيسروا　　فإنه على الرحمنِ رزقهم غدا [6]

ولقبيلة طيء أثرٌ بالغ في الشعر بحيث أصبحت لهم مكانة بين العرب فكانت أشعارهم يرددها العرب ويتمثلوا بها فمنهم كما ذكرنا حاتم الطائي ومن شعره قائلاً :

وما أنا بالماشي إلى بيت جارتي　　طروقاً أُحيُيّها كأخر جانب

وقوله :

وشر الصعاليك الذي هم نفسه　　حديث الغواني وأتباع المأرب [7]

---

(1) ذكر الحموي قصة إختيار قبيلة طي لموقعهم واستيطانهم في جبلي أجا وسلمى قائلاً " وأوغل طي بأرض الحجاز وكان له بعير يشرد في كل سنة عن أبله ، وغيب ثلاثة أشهر ثم يعود إليه وقد عبل وسمن وأثار الخضرة على شدقية فقال : لأبنه عمرو تفقد يابني هذا البعير فإذا شرد فأتبع أثره حتى تنظر إلى أين يذهب فلما كانت أيام الربيع وشرد البعير تبعه على ناقة له فلم يترك يقفر أثره حتى صار إلى جبل طي – يقصد بذلك أجا وسلمى وهما لا يعرفان بطي فأقام هنالك ونظر عمرو إلى بلاد واسعة كثيرة المياة والشجر والنخيل والريف فرجع إلى أبيه وأخبره بذلك فسار طي بأبله وولده حتى نزل الجبلين (مصدر سابق ،ج١، ص٩٧ ؛ القريطي ، عقيل بن إبراهيم ، تاريخ طيء (أعلام – نسب وقائع) ط١، مطابع المحيسن ، حائل ١٤٢٠هـ ، ص٧).

(2) ساير الشمرى ، مرجع سابق ، ص٢٣ .

(3) لمعرفة فروع قبيلة طيء أنظر : العزاوي ، عشائر العراق ،ج١ ، ص٨٦-٨٩ .

(4) حمزة ، مرجع سابق ، ص١٧ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١، ص٤٨ .

(5) هو حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج بن أمرىء القيس بن عدي الطائي توفي عام ٥٧٨م (القريطي ، مرجع سابق ، ص ١٨٣ ؛ الخريصي ، مرجع سابق ، ص٩) .

(6) ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص٢٤ .

(7) العماري ، فضل بن عمار ، حول كرم حاتم الطائي " دراسة في قصيدة " ، الدارة ، ع ٤ ، س١٧ (رجب . شعبان . رمضان) ١٤١٢هـ . ص١٦٦ .

ومن الشعراء الذين ذكروا طيء الشاعر امرؤ القيس ومن شعره :

أبت أجا أن تسلم العام جارها فمن شاء فلينهض لها من مقاتل [1]

ومن الشعراء أيضاً الصحابي الجليل زيد الخيل بن مهلهل ﷺ ومن شعره :

جلبنا الخيل من أجا وسلمى تَخُبُّ نزائِعاً خَبَبَ الرِّكابِ [2]

كانت قبيلة طيء تعبد الأصنام أيام الجاهلية ومن أسماء أصنامهم : سُهيل والفلس،وبعض طيء كانوا يتبعون الديانة النصرانية [3]، فلما انتشرت دعوة محمدﷺ في الجزيرة العربية أصبحت أغلب أغلب القبائل تأتي وفوداً إليه لمبايعته وإعلان دخولهم في الإسلام فقد وفدت قبيلة طيء على الرسول ﷺ وكان على رأسهم سيدهم زيد الخيل وهو الذي قال فيه الرسول ﷺ " ما ذكر لي رجل من العرب بالفضل إلاَّ رأيته دون ما قيل فيه إلا ما كان من زيد الخيل فإنه لم يبلغ فيه كل ما فيه " وسماه الرسول ﷺ – زيد الخير[4] ، وكان قدومهم إلى النبي ﷺ في السنة التاسعة للهجرة وهو عام الوفود [5] ، أما عدي بن حاتم الطائي ، فقد أعلن إسلامه وأتبعه قومه واسلموا وحسن إسلامهم، وهكذا دخلت طيء في الإسلام [6] .

كان لقبيلة طيء أثر في الإسلام ، فعندما إرتدت العرب تمسكت طيء بالإسلام وقد كان لعدي بن حاتم الطائي دورٌ كبير في إضعاف أحد زعماء الرِّده وهو طليحة بن خويلد الأسدي الذي تقابل مع جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ في وقعة بزاخة [7] في السنة الحادية عشرة من الهجرة [8] ،ولهم أيضاً أثر في الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء

---

(1) الحموي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٩٥ ؛ ابن بليهد ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٨٠ .

(2) الحموي ، نفسه ، ج ١، ص٩٦ .

(3) القريطي ، مرجع سابق ، ص ١٠٠ ؛ آل علي ، مرجع سابق ، ص ٦٧ ؛ السرحاني ، سلطان بن طريخم ، جامع انساب قبائل العرب ، دار الثقافة ، قطر (بدون سنة الطبع) ، ص٩١ .

(4) أحمد مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ط١ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ١٤١٢هـ ، ص٦٤٧ ؛ العزاوي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٨٦ .

(5) القريطي، مرجع سابق ، ص ١٠٩ ؛ السرحاني ، مرجع سابق ، ص٩١ .

(6) القريطي ، نفسه ، ص٢١٠ ؛ ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص٢٥ .

(7) بزاخة : يطلق اسم بزاخة على أرض ذات تلال ورمال وفيها واد وآبار قليلة الماء . تقع في الجنوب بميل نحو الغرب عن مدينة حائل تبعد عنها ما يقارب ٥٠ كم . وتقع بالنسبة لسلسلة جبال رمان في الشمال الغربي منها ، ويدعها الطريق من حائل إلى المدينة على يمينه بما يقارب ٢٠ كم (الجاسر ، حمد ، بزاخة وقعتها وموقعها ، ج٨ ، س٧ ، صفر ١٣٩٣/ مارس ١٩٧٣م ، ص٥٧٠) .

(8) القريطي ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ ؛ آل علي ، مرجع سابق ، ص ٦٨ ؛ ساير الشمري ، مرجع سابق ،ص٢٦ .

الراشـــدين في العراق فقد حاربت طي مع القائد المثنى بن حارثة الشيباني سنة ١٤هـ[١] ، ومن أهم المعارك التي خاضها الطائيون ضد الفرس مع الجيـوش لإسلامية معركة ذات السلاسل ، والمذار ، والقادسية ، ونهاوند ، فقدكانت لقبيلة طيء أيضـاً مشاركة في الفتوحات الإسلامية في بلاد الشام ضد الروم وقد عُقِد لعروة بن مهلهل ابن زيد الخير الراية السابعة في فتح بيت المقدس[٢] .

ومن قبائل طيء ظهر بنو سنبس الذين كانت لهم السلطة في الجبلين ، وقد استمرت سيادتهم في الجبلين حتى العصر الحديث ،بعد أن تزعمت على المنطقة قبيلة شمر وهي بطـــن من بطون طيء [٣].
[٣].

اشتهر في الجبل ثلاثة أفرع رئيسة للطائيين:

١. بنو لآم بن طريف بن ثمامه بن خارجه بن فطره بن طيء.

٢. بنو سنبس بنو غوث بن طيء، ، أخر حكام السنابسة في الجبل.

٣. بنو شمر بن قيس بن ثعلبه بن سلامان بن غوث بن طيء. [٤].

ثانياً . قبيلة شمر :

ذكرنا أن قبيلة طيء لها أثر في المنطقة حتى أصبح الجبلان أجأ وسلمى ينسبان إلى القبيلة ، ونظراً لزيادة أعداد القبيلة مع مرور الزمن ظهرت قرى استحدثوها واستوطنوا بها ، ولكل قرية من هذه القرى زعيم لها ، فمن الزعماء في طيء (بهيج) [٥] الذي كان يتخذ من قرية عقدة [٦]مقراً له ، وكانت له له سيطرة على معظم الجبلين[٧] ، وفي الفترة التي كان فيها بهيج زعيماً [٨] ، قدمت عشيرة عبدة من

---

(١) القريطي، مرجع سابق ، ص١٤٦.

(٢) ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص٢٦-٢٧.

(٣) فالين ، مصدر سابق ، ص١٤٤.

(٤) القريطي ، مرجع سابق ، ص ٧٣ ص١٦٩ص ٢٦٥ ؛ الهمزاني ، مرجع سابق ، ص٨٩.

(٥) بهيج : هو بهيج بن ذبيان بن بهيج بن مهين بن الرمَّيل بن مهير بن غضيل العبيدي الخزعلي السنبسي وهو زعيم قبائل زبيد وتوجد الآن حصاة كبيرة في مدخل عقده يسمونها حصاة بهيج (فهد العريفي ، مرجع سابق ، ص٥٨ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١، ص٥٣ ؛ العزاوي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص١٣٠)

(٦) عقدة : قرية تقع في حائل في وسط أجا ، تبعد عن حائل حوالي ١٠كم وفيها العديد من الشعاب منها: (رُميض) (وسمي) (وسمي) و (قارح) وفي عقده العديد من البساتين التي تحتوي على اصناف عديدة من الفواكه والخضروات وتشتهر بكثرة نخيلها وتعدد أصنافه (آن بلنت ، مصدر سابق ، ص ٢٣٦-٢٣٧ ؛ فهد العريفي ، مرجع سابق ، ص٣٣) .

(٧) آل علي ، مرجع سابق ، ص١٠٤؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ،ج١، ص٥٣ .

(٨) العريفي ، نفسه ، ص٥٣ .

من مواطنها القديمة شرقي منطقة عسير في جهات وادي تثليث حتى استقر بها الأمر في منطقة جبل شمر[1] .

وأما ما يتعلق بالعوامل التي أدت إلى هجرتهم من موطنهم الأصلي فليس هناك تحديد لهذه العوامل يثبت سبب هجرتهم سواءً كانت جغرافية أم سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية[2] ، ويذكر فالين عن سبب الهجرة قائلاً :" يروى الشمر (أي قبيلة شمر) أنهم نزحوا من منازلهم في عسير باليمن بسبب مجاعة[3] ، فالسبب الذي ذكره لم يكن مقنعاً وذلك لأسباب :

أولاً : انه لم يكن جازماً في هذه الرواية .

ثانياً : ذكر شمر والمعروف أن هذه الهجرة لعشيرة عبدة وليست لقبيلة شمر فهنا نجد خطأ في روايته .

ثالثاً : عندما ذكر السبب " مجاعة " فما ذكره صحيح فقد تحدث دائماً من عوامل الهجرات المجاعة أو تغيير وضع اقتصادي ، ولكن السؤال هنا إذا كان السبب مجاعة فلماذا هذه العشيرة هي فقط التي هاجرت من منطقة عسير ، والمعروف أن المجاعة لا تحل بعشيرة دون أخرى .

ونرجح العامل الاجتماعي على العامل الاقتصادي ، الذي جعل عشيرة عبدة تختار الجبلين موطناً لها ، وذلك لصلة نسبها في قيس بن شمر الطائي [4] ، وقد ذكر العثيمين العوامل التي جعلت عشيرة عبده تختار الجبلين موطناً لها قائلاً : " فإنه من غير المرجح أن يكون السبب الوحيد او السبب الأقوى منه ما يوجد من تشابه جغرافي بين موطنها القديم ومكان استيطانها الجديد ،بل ربما كان لصلة النسب بين هذه العشيرة وبعض سكان الجبل المذكور أثرٌ لا يقل عن العامل الجغرافي أو يزيد عليه في ذلك الاختيار ، وربما كانت هناك انقسامات محلية بين أقربائها أو بينهم وبين قبيلة أخرى جعلت أحد الفريقين يغريها بالقدوم إلى منطقته أملاً في وقوفها معه ضد خصومه"[5].

ومهما كانت عوامل الهجرة فإن عشيرة عبده التي ما لبثت أن استقرت في الجبل إلا وقد تحالفت مع قسم من قبيلة طي إثر خلاف حصل بين الطائين ، ونتج عن هذا التحالف أن تغيرت الأوضاع السياسية في المنطقة ، وذلك عندما قام المتحالفون بإزاحة بهيج زعيم زبيد ومن معه من طي شمالاً إلى

---

(1) العثيمين ، مرجع سابق ، ص٢٨-٢٩ .

(2) العثيمين ، نفسه ، ص٢٩ .

(3) مصدر سابق ، ص١٦٢ .

(4) آل علي ، مرجع سابق ، ص ١٠٤.

(5) مرجع سابق ، ص٣٠ .

بلاد الرافدين[1] ، ويثبت صحة ذلك ما ذكره بهيج في أبيات يصف فيها تلك الأحداث، ويصف حاله قائلاً :

يقول بهيج بن ذبيان مثايـــــل ودمعه على الأملاك دون الشلايـــل

جلونا عن ديارنا العذبات شمـــر قراحٍ وبراد ماء يداوي العلايـــــل

ليا صار ما عدل يعادل عديـــله ما ينقعد بالدار والشيل مايـــــل[2]

ومن القصائد التي تطرقت إلى تلك الحادثة قصيدة للأمير عبيد آل رشيد ، والتي منها :

قبلك بهيج حدوده السناعيس من عقده اللي ما يحّدر قناها[3]

انتزعت شمر السلطة من بهيج وأصبحت سيدة على الجبلين بعد إجلاءه ومن معه من إحدى فروع قبيلة طي إلى بلاد الرافدين ، وأطلق على الجبلين جبل شمر بدلاً من طيء ، وذلك نسبة للقبيلة التي تسكنه[4].

أما ما يتعلق بتسمية قبيلة شمر بهذا الاسم فعلى ذلك اختلاف، فمنهم من يقول : أن شمـــر رجل وهو جد هذه القبيلة ، والآخر يقول : بأن شمر وصف وليس جد ، ويستند من قال بأن شمـــر جد وليس وصف بأنه نسبةٌ إلى القاضي والزعيم الطائي في الجاهلية قيس بن شمر الطائي[5]، فـــهومن فـــهومن أشهر زعمائها، حيث عقد أشهر تحالف بين قبائل طيء في الجاهلية ، فعندما استخدم الروم سياســة فرق تسد للقضاء على قوة طيء لتمزيقها إلى قبائل ثم إخضاعها ، رفع هذا الرجل راية إلزامية أسمـاها عالية طيء ، ومعناها (الجامعة) التي لا ترفع راية إلا في ظلها ، أوتتم محاربتها ، واقـترح

---

(1) العزاوي ، مصدر سابق ، ج١ ص ، ١٣٠ ؛ الشمري ، عياد بن خلف ، الايضاح في سيرة طير الفلاح ، ورقة ٦.

(2) آل علي ، مرجع سابق ، ص١٠٤ ؛ ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص٢٨ .

(3) ذكر الشاعر أن بهيج (زعيم زبيد) قبلك أصابته الضربة القوية منا (أي شمر) ، ويقصد بـ حدروه : أنهم أبعدوه من المكان والمقصود به أجا وسلمى ، فكأن الشاعر يقول لمن يقصده في هذا البيت إننا لا نخشاك ولا نهابك وأنت أقل مكانه وقوة من بهيج ، والسناعيس : هي نخوه لقبيلة شمر ، وعقدة : هي الموضع الذي فيه مقر زعامة بهيج ، اللي ما يحدر قناها : أي التي يصعب إنزال قنوان تمر نخيلها من فروعها وذلك لكبرها (العزاوي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٣٠-١٤٣١ ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص٣٠-٣١ ؛ ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص ٢٨) .

(4) ساير الشمري ، نفسه ، ص٢٧-٢٨ .

(5) هو قيس بن شمر هو بن عبد جذيمة بن زهير بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن جلهمة (طيء) بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (القريطي ، مرجع سابق ، ص١٦٩)

فرض خـــراج ثابت وعُرف موحد وهو عرف قيس بن شمر[1] ، وكان حاكما فعلياً لعموم المنطقة ، وقاضـياً عُرفيـــاً عـلى مستوى إقليم نجد ، وقد ورد اسمه في الــشعر الجاهلي في مـواقع عده في جبل أجـا ، ويـــدل علـى ذلك ما قاله الشاعر امرؤ القيس :

فهل أنا ماش بين شوطٍ وحيةٍ وهل أنا لاقٍ حيَّ قيس بن شمرا [2]

أما من ذكر شمر بأنه وصف وليس إسم جد للقبيلة ، فإنه يستند على ذلك من خلال تتبعه للأحداث التاريخية في جبل طيء ، وبداية استقرار عشيرة عبده في الجبلين ، وطريقة تحالفهم مع قسم من قبيلة طيء إثر خلاف وانقسام حصل بين الطائيين ، وذكر العزاوي عن تسمية شمر قائلا : "فصار الكل يدعى باسم البطن شمر المنتصر على عدوه وقيل للجميع شمر تغليباً وإلا فلا تزال قبائل عبده من شمر تَمتُ إلى القحطانية رأساً وقبائل الأسلم إلى طيء وكذا قبائل زوبع "[3].

وذكر الروضان : " أنهم اشتهروا باسم شمر بعد أن أزاحوا كلاً من طيء و زبيد"[4] ، ويفهم من ذلك أنه بعد هجرة زعيم زبيد ومن معه من طي إتحد هؤلاء المتحالفين المقيمين في الجبلين وانضموا جميعاً الطائيين والقحطانيين تحت اسم شمر وصفاًلهم من باب القوة والشجاعة .

وعندما نلاحظ هذين الرأيين نرجح الرأي الأول بأن شمر جد وليس وصف وذلك ؛لأن جميع المصادر التاريخية القديمة بجانب الروايات الشفهية التي تتضمن أراء زعماء قبيلة شمر بإختلاف عشائرها سواءً في نجد أو في العراق أو الشام تجمع على طائية القبيلة ، ومن بين القصائد التي تثبت بأن قبيلة شمر من إحدى فروع طيء ماذكره عبيد بن علي آل رشيد قائلاً :

دارٍ لنا من دور طيٍ على قيس وأبوطلال اللي بسيفه حماها[5]

ويتضح من خلال البيت بأن عبيد آل رشيد يؤكد بأن قبيلة شمر صاحبة الحق في حكم الجبلين وذلك لأن حكمهم فيها نابعاً من الإمتداد القبلي ،كما أشار بأن شمر توارثت السلطة في المنطقة منذ زمن الطائيين ، فقد ذكر أحد فروع طيء وهو قيس بن شمر ، الذي منه تتفرعت القبيلة ، أما الرأي الآخر ، فأغلب رواياتها حديثة ومناقضةً لأراء من سبقهم ،وقد كان استنادهم على ماذكره الأمير عبيد بن علي آل رشيد مجاوباً شيخ الظفير عندما قال :

---

[1] القريطي ، مرجع سابق ، ص١٦٩.

[2] ابن بليهد ، مرجع سابق ، ج١ ، ص ٦٤ ؛ القريطي ، نفسه ، ص ١٧٠ .

[3] مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٣٠ .

[4] الروضان ، عبد عون ، موسوعة عشائر العراق ، ج٢ ، ط١ ، الأهلية ، عمان ٢٠٠٦ .

[5] الأستاذ و المؤرخ / عبدالرحمن المرشدي ، تسجيل صوتي من شريط (الأباء والأجداد) .

إن سلت عنَّا يالصويطي قحاطين عواصمٍ واللّي حذانا لفايق[1]

فقد إتخذ اصحاب الرأي هذا البيت قاعدةً انطلقوا منها (حسب مافهموه) بأن عبده من قبيلة قحطان (المعروفة) التي تمتد من قحطان الجد الأعلى الذي تفرعت منه العديد من القبائل ، ولاننكر ذلك فيما ذكره عبيد آل رشيد ؛ لأن قبيلة طيء في الأصل تعود إلى قحطان [2]، وكما هو معروف بأن القبائل العربية تتفرع من قحطان وعدنان . ومن خلال ماذكرناه فقبيلة شمر تعود في نسبها إلى جد وهو قيس بن شمر الطائي .

تنقسم قبيلة شمر إلى ثلاثة بطون : عبدة – الأسلم – سنجارة (زوبع) ، أما العزاوي فيقسم قبيلة شمر إلى مجموعات ، وذلك بعد هجرتها من موطنها الأصلي ، وذلك ليس للتفرقة القبيلة ، وانما لتحديد مواطنهم وهم :

١- شمر الجبل[3]. ٢ – شمر طوقة [4]. ٣- شمر الجربا [5] ٤- الصـــائح [6]

فكل قسم لا يقتصر على فرع واحد من فروع شمر ، وإنما من جميع فروع شمر ، فتلك التسميات منها ما هو نسبة لموقع جغرافي أو حدث تاريخي أو إلى عائلة تولت الزعامة حتى أصبح من معها من جميع فروع شمر سمي باسمها [7].

---

(1) الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الأول ، ص ٥٠٨ .

(2) القويعي ، مرجع سابق ، ص ٧٩ ؛ الهمزاني ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

(3) شمر الجبل : نسبة لجبلي أجل وسلمى وهؤلاء كانوا تحت إمارة آل رشيد ، ويطلق عليهم لوريمر " شمر الجنوبيون " بحكم موقعهم بالنسبة لشمر الشمال في العراق (لوتر ، شتاين ، رحلة إلى شيخ قبيلة شمر مشعان الفيصل الجرباء ١٩٦٢م ، ترجمة : قسم الدار العربية للموسوعات ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠١١، ص١٣ ؛ العزاوي ، مصدر سابق ، ج١، ص ١٧١ ؛ لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج١٢ ، ص٢٢٦٢) .

(4) شمر طوقه : وهم أول من هاجروا من شمر إلى العراق ويذكر العزاوي أن نزولهم إلى العراق في عهد المماليك ، وكان نزولهم في الجانب الشرقي من دجلة أي بين نهر ديالي ومدينة الكوت (مصدر سابق ،ج١، ص١٧٢) .

(5) شمر الجربا : يقصد بهم شمر الشمال بحكم موقعهم في شمال العراق وهم زعماء من سنجاره . تحت لواءهم أعداد من فروع شمر أطلق عليهم شمر الجرباء (لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج١٢ ، ص٢٢٦٢ ؛ العزاوي ، نفسه ، ج١ ، ص١٣٢-١٣٣ ؛ لوتر ، مصدر سابق ، ص ١٤) .

(6) شمر الصائح : مجموعة من فروع شمر سميت بذلك لاستجابة عدد من شمر لنداء الصديد إثر خلاف مع الجربا . فأُطلق على من أصبح مع الصديد (الصائح) (الروضان ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٥٦ ؛ العزاوي ، نفسه ، ج١ ، ص١٧١-١٧٢) .

(7) زكريا ، أحمد وصفي ، عشائر الشام ، ج١-٢ ، دار الفكر ، د.م ص٦١٧ ؛ العزاوي ، نفسه ، ج١ ، ص١٧٢ . وللتفاصيل عن بطون وأفخاذ قبيلة شمر أنظر : العزاوي ، عباس ، أوراق منشورة من تاريخ نجد ورقة ٢٨٩ . وأنظر : لوريمر ، مصدر سابق ،القسم الجغرافي ، ج١٢، ص٢٢٦٥-٢٢٦٧ . وأنظر : حمزة ، مرجع سابق ، ص١٦١-١٦٦ .

ينقسم السكان في نجد إلى حاضرة وبادية ، ولا تختلف منطقة جبل شمر في التركيب الاجتماعي عن مناطق نجد الأخرى[١] ، فمساكن الحضر من شمر في بيوت الطين[٢]، ومعظمها من طابق واحد[٣] ، وأما حياتهم الاقتصادية فتعتمد بصفة رئيسية على التجارة والزراعة[٤] ، أما مساكن بادية شمر في بيوت الشعر ، وينتقلون من موطن لآخر[٥] ، وتعتمد حياتهم الاقتصادية على الثورة الحيوانية فإن نزل المطر ونبت الكلأ نمت الحيوانات ، وهذا سبب تنقلهم من موطن لآخر بحثاً عن المرعى الجيد لحيواناتهم[٦] .

وعلى الرغم من اختلاف حياة الحضر ونشاطهم الاقتصادي عن حياة البادية إلا أن هناك عدة روابط فيما بينهم غير رابط النسب والقرابة ، فالكل بحاجة للآخر فأهل الحضر يخرجون بإبلهم وأغنامهم في فصل الربيع ويعيشون خلال ذلك الفصل في خيام أو بيوت من الشعر[٧] ، ويقوم تجار القوافل من الحضر بإرسال جمالهم الضعيفة إلى الصحراء ؛ لتستعيد قوتها تحت رعاية البدو ويستأجرون الإبل القويّة من البدو لتحل محلها ، ويمتلك أعداد من بادية شمر مزارع نخيل وبساتين في جبل أجأ وسلمى ويقومون بزراعتها في كل سنة أو يوصون بزراعتها سكان الحضر ثم يأتون في نهاية فصل الصيف لجني الثمار ، ومن الروابط الأخرى فيما بينهم ذهاب البدو إلى السوق في عاصمة الإمارة لتأمين ما يحتاجون من مأكل وملبس ، وهذا ما يقوي الترابط مابين الحاضرة والبادية [٨] .

وكما ذكرنا بأن قبيلة شمر لها مكانة في الجزيرة العربية والعراق والشام ، فالسبب هو تكاتفهم وتماسكهم ، والأحداث التاريخية التي تثبت ذلك كثيرة منها : تحالف الحاضرة من أهالي جبل شمر مع بادية الجبل أمام قوة سعدون العواجي وأبنائه ، وقبل وصول هذه القوة إلى حائل انقسم الرأي بين شمر إلى قسمين : منهم من يرى المواجهة ، والأخر يرى النزوح إلى العراق وطلب النجدة من شمر القاطنين

---

(١) العثيمين ، مرجع سابق ، ص٢٢-٢٧ .

(٢) للتعرف على طريقة بناء بيوت الطين ، أنظر : بالجريف ، وليام جيفورد ، وسط الجزيرة العربية وشرقها ١٨٦٢-١٨٦٣م ترجمة :صبري محمد حسن ، المجلد الأول ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠١، ص ١٧٤. وانظر : فهد العريفي ، هذه بلادنا حائل ، ص١٠٤ .

(٣) عبيد ، مرجع سابق ، ص٢٠ .

(٤) العثيمين ، مرجع سابق ، ص٢٤ .

(٥) عبيد ، مرجع سابق ، ص٢٠-٢١ .

(٦) العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٢٤-٢٥ .

(٧) حسين حسني ، مصدر سابق ، ص٣٦.

(٨) فالين ،مصدر سابق ، ص١٣٩ ؛ لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٢ ، ص ٢٢٤٥

في العراق ، وأصحاب هذا الرأي مسلط التمياط وابن طواله ، أما مفتاح الغيثي فقد رفض الانسحاب وأعلن التصدي لهذه القوة بأتباعه من الدغيرات ، وبعد إعلانه قرر مسلط التمياط وابن طواله البقاء معه وعدم تركه ، ولم تبدأ المعركة إلاّ وقد خرج عبدالله بن رشيد ومعه أخيه عبيد من حضر شمر لمساندة البادية . فهذا دليل على التماسك وإذا نظرنا إلى هذه الحادثة فإن جميع قادة المعركة ليسوا من فخذ واحد ، وإنما من جميع أفخاذ شمر (الأسلم ، عبده ، سنجاره)[1] .

لقد تداول الحكم في الجبلين عدد من أسر شمر فقد كانت لهذه الأسر مكانة بين أفراد القبيلة ومع من يجاورهم من القبائل ومع القبائل الأخرى في الجزيرة العربية والعراق والشام ، ولكل أسرة من هذه الأسر رجالها المعروفين بالكرم والشجاعة والدهاء السياسي فمن أشهر الأسر التي حكمت وأصبحت لها مشيخة :

- **آل قشعم :**

وهم من الجعفر من عبده ينتمون إلى ضيغم بن منيف ، وفترة مشيختهم ما قبل إمارة آل علي[2] ، وذكر السويداء : " حين أظهر آل علي سلطة ونفوذاً غربت شمس آل قشعم من حائل وهاجر منها سعد المعروف (راعِ الذلول) إلى جنوب العراق ليلحق بمن سبقه من القشعم مع ثامر الذي هاجر إلى جنوبي العراق سنة ٧٩٥هـ /١٣٩٣م " [3].

- **ابن بقار :**

وهم من الأسلم وزعيمهم سعد (بقّار)[4] بن طريف بن قدير بن وهب بن عيسى[5]الطائي عيسى[5]الطائي ومشيخة ابن بقار سابقةً لإمارة الجربا ، وأول شيوخ آل بقار الشيخ سعد ، وابنه رمّان و الشيخ مسعود وإبنه فدغم ، ومن أشهر رجال هذه الأسرة الشيخ عجيان بن بقار (خيال الصفراء) وهو قائد قبيلة شمر في معركة عصفر٨٣٥هـ /١٤٣٢م ضد قبيلة عنزة بقيادة الطيار ، والتي انتصر فيها قبيلة شمر ومن رجال الأسرة الشيخ فريح بن ليلي بن عليان ابن بقار وكانت مشيخته بين

([1]) ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص٨١ .

([2]) الصويان ، سعد العبدالله ، أيام العرب الأواخر (أساطير ومرويات شفهية في التاريخ والأدب من شمال الجزيرة العربية) ،ط١ ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ١٤٣١ ، ص ٧٣١.

([3]) مرجع سابق ...منطقة حائل ، ص٣١٠ .

([4]) بقّار: سمي بذلك أنه إذا ضرب الدرع بسيفه جعله نصفين ، وبَقِرُه بمعنى كسره ، وفي الوصف يقال : بقّار و كسّار (الصويان الصويان ، مرجع سابق ، ص٦٣٦) .

([5]) عيسي له أربعة من الأبناء وهم : وهب ، منيع ، جذيل ، زيد ، ولكل واحد منهم فخذ كبير من الأسلم في وقتنا الحاضر (الصويان ، نفسه ، ص ٦٢٦)

عامي١١٤٤- ١١٦٤هـ / ١٧٣٢-١٧٥١م مؤسس قصر العشراوات ، ومنهم الشيخ غياض بن ليلي بن عليان ابن بقار ، وكانت مشيخته مابين عامي١١٦٤-١١٦٨هـ / ١٧٥١- ١٧٥٤م ، ومن أعماله بناء قصر غياض الشهير في قفار ، ومنهم الشيخ رشيد بن سعد ابن بقار و ابنه رحمه الملقب " كريم سبلا " ، وقد كانت نهاية مشيخة ابن بقار عندما بدأت إمارة آل علي بعد مقتل رحمه بن رشيد [١].

- **الجربا :**

وهم آل محمد ، والجرباء نسبةً لأم سالم بن محمد ، ومحمد رأس عمود نسبهم وأقدم من عرف من أجدادهم [٢] ، تزامنت مشيختهم مع آل بقار و إمارة آل علي في بدايتها ، فكانت بداية إماراتهم ما قبل القرن الثاني عشر الهجري ، وذلك تحديد ابن عيسى لوفاة مسلط الجربا في حوادث عام ١١٠٤هـ/١٦٩٣م [٣] ،ومن أشهر رجال الجربا في الجبل مطلق الحميدي ، وابنه مسلط [٤] ، ويُذكر أن زعامة الجربا على بادية وحاضرة جبل شمر ، ويستدل أصحاب هذا الرأي على ما ذكره الشاعر دندن الفهيم من قصيدة يمتدح فيها مطلق الجربا :

هو حماه من العليم إلى العظيم — لحد سلمى والجبـــل واللي وراه

ومن شفا تيما إلى وادي القصيم — كلها بالسيف أخو جوزاء حماه[٥]

وإذا نظرنا إلى ما ذكره الشاعر فإنه بالغ بالحدود حتى أنه همّش إمارة آل علي فلم يذكر حدودها فكلاهما متزامنتان (أي الفترة التي عاش فيها مطلق الجربا في زمن إمارة آل علي) ، فأين حدود إمارة آل علي ، فقصائد المدح قد يحصل فيها نوع من المبالغة أحياناً، ونرى أن زعامة الجربا على البادية وزعامة آل علي على الحاضرة .

---

(١) معلومات أمدني بها الشيخ جوفان بن زيدان الجنيدي ، حائل ، بتاريخ ١٥ / ٢ / ١٤٣٤هـ ؛ الصويان ، مرجع سابق ، ص ٦٣٧.

(٢) العزاوي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٣٣ ؛ النحاس ، زهير علي ، بادية الجزيرة (العراقية)موطناً للبداوة العربية (النجدية) قبيلة شمر الجربا (نموذجاً) ١٧١٩-١٩١٤م ، الوطن العربي النواة والامتدادات عبر التاريخ (ندوة المجمع العلمي العراقي) مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١، لبنان ، ٢٠٠٣ ، ص٢٠٧.

(٣) ابن عيسى ، مصدر سابق ، ص٦١ .

(٤) النحاس ، مرجع سابق ، ص٢١٧-٢٧٢ ؛ السويداء ، مرجع سابق ...منطقة حائل ، ص٣٣٠ .

(٥) هوبير ، شارل ، مخطوطة هوبير ، ورقة ٦٨ ؛ الناصري ، أحمد ، الحلة البيضاء في تاريخ آل جربا ، ط١، دار الرافدين ، بيروت ، ١٤٣٠ ،ص ٥٢.

- **آل علي :**

وهم من الجعفر من عبده[1] ،بدأت إمارة آل علي ما قبل القرن الثالث عشر الهجري ، ولا تعطينا المصادر التاريخية تحديداً زمنياً لقيام الإمارة ، وما يتضح لنا دخول إمارة آل علي تحت طاعة الدولة السعودية الأولى في مطلع القرن الثالث عشر الهجري(١٢٠١ هـ / ١٧٨٦م) في عهد الأمير محمد بن عبد المحسن[2] ، وما قبل إمارته إعتلى عرش الإمارة حوالي سبعة حكام[3] ، ومن أشهرهم كما ذكرت المصادر محمد بن عيسى الذي اشتهر بكرمه ؛ ولذلك لقب " السمن العرابي "[4] ، ومن أشهر رجالهم أيضاً الأمير محمد بن عبد المحسن الذي أشتهر بالحكمة وبعد النظر وبالشجاعة والدليل على ذلك بعدما قتله رجال إبراهيم باشا أُرسل رأسه إلى تركيا لأنه من الزعماء البارزين في الدولة السعودية الأولى [5] .

- **آل رشيد :**

ينتمون إلى الفخذ الذي ينتسب إليه آل علي وهو الجعفر أحد بطون عبده[6]، فأسرة آل رشيد بدأت إمارتهم في منطقة جبل شمر عام (١٢٥٠هـ– ١٨٣٥م)،فقد أصبح لهم أثر في النواحي السياسية وجميع النواحي الحضارية ويهمنا دراسة هذه الأسرة ، لإنها مرتبطة زمنياً مع فترة الدراسة منذ قيام الإمارة حتى نهايتها عام (١٣٤٠هـ / ١٩٢١م) ، هناك اختلاف بين إمارة آل رشيد وآل علي من حيث اتساع حدود الإمارة والعلاقات مع القبائل والدول المجاورة وكذلك في العلاقات مع الدول الكبرى مثل بريطانيا و الدولة العثمانية وعلاقتهم مع آل سعود[7].

ولأمراء آل رشيد أثر في جميع النواحي الحضارية ، ومن بينها بروز عدد من هؤلاء الأمراء بشعره ووصفهم للأحداث التاريخية التي دونتها قصائدهم ، فمؤسس الإمارة عبدالله ، وساعده الأيمن عبيد أصبح لشعرهما أثر في تلك الفترة وفي وقتنا الحاضر حتى أصبحت مصدراً من مصادر تاريخ إمارة

---

(١) موزل ، مصدر سابق ، ص١٢ ؛ آل علي ، مرجع سابق ، ص ١٢٦.

(٢) آل علي ، نفسه ، ص ١٥٢ ؛ ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص٣٣ .

(٣) ساير الشمري ، نفسه ، ص٣٣ .

(٤) لقب بذلك ، بعدما أتاه ضيوف فذبح لهم ما تيسر له من الغنم ، ومن كرمه رأى في نفسه أن ما ذبحه قليل . فأمر بصب ما لديه من السمن الطيب على الطعام ، من أجل أن يساعد في سد حاجتهم من الأكل (العثيمين ، نشأة ، ص٣٩).

(٥) آل علي ، مرجع سابق ، ص ١٥٣؛ فهد العريفي ، مرجع سابق ، ص٦٧ .

(٦) الرشيد ، مصدر سابق ، ص ٦٠ ؛ موزل ، مصدر سابق ، ص١٢-١٣ .

(٧) لإطلاع على الحالة السياسية فترة إمارة آل رشيد أنظر : ص ٢٩– ٤٥ من هذه الدراسة .

آل رشيد[١] ، ومن أمراء آل رشيد ضاري بن فهيد وله اثر علمي في تاريخ نجد فقد أملا ما لديه من معلومات عن تاريخ نجد في الفترة التي عاصرها على وديع البستاني (١٣٣١هـ / ١٩١٣م)، فيعتبر مصدراً من مصادر التاريخ في نجد ، وبالأخص عن إمارة آل رشيد [٢] .

ومن أشهر الأسر في فترة إمارة آل رشيد (أسرة آل سبهان) ، وينتمون إلى الجعفر من عبده ويتصل نسبهم مع آل رشيد في جدهم خليل[٣] ، وذكرت دلال الحربي " وكان لأسرة آل سبهان دورٌ بارز في إمارة آل رشيد فظهر منهم أمراء وقادة جيوش وكان لأبناء هذه الأسرة بصفة عامة حظوة ومكانة عالية لدى أمراء آل رشيد "[٤] ، ومن أول من اعتلى المناصب زامل السبهان[٥]، فقد اعتلى مكانة عالية في زمن مؤسس الإمارة ثم في زمن طلال [٦]، فمن الأسباب التي أعطته المكانة العلاقات الأسرية التي ربطت بينه وبين آل رشيد ، فقد تزوج بنت عيسى بن عبيد الله آل علي بعد طلاقها من عبيد آل رشيد ، فأصبح أبناء زامل إخوة لبعض أولاد عبيد من جهة الأم هذا فضلاً عن الأسباب الأخرى ، والتي منها شجاعته وسياسته التي أعطته المكانة بين أفراد آل رشيد[٧]

ومن رجال الأسرة سبهان بن سلامة الذي أصبح مستشاراً للأمير محمد العبدالله آل رشيد وتعيينه في هذا المنصب دليل قاطع على أنه قام بدور كبير في وصول محمد بن رشيد إلى الحكم ،وما يثبت أنه له دور في الإمارة وفي اتساع نفوذها وفاته في إحدى المعارك في القصيم عام ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م في زمن عبدالعزيز المتعب آل رشيد[٨] ، ومنهم أيضاً سالم بن علي السبهان الذي تم تعيينه أميراً على الرياض بعد استيلاء محمد العبدالله على إمارتها عام ١٣٠٥هـ/ ١٧٨٧م[٩] ١٧٨٧م[٩] ويدل تعيينه على هذا المنصب الحساس قوة شخصيته وثقة الأمير محمد به وبأسرته .

---

(١) العثيمين ، مرجع سابق ، ص١٨ .

(٢) الرشيد ، مصدر سابق ، ص١٦-٢٧

(٣) الجاسر ،مرجع سابق ، القسم الأول ، ص٣٦٢

(٤) فاطمة السبهان (حياتها ، دورها في إمارة آل رشيد) ، الدرعية ، س١ ، العددان السادس والسابع ، رجب ١٤٢٠هـ / نوفمبر ١٩٩٩م ، ص١٨٤ .

(٥)هو زامل بن سبهان (الأول) له من الأخوة (علي . سلامة . سالم) ومن الأبناء : (عبد العزيز) (مخطط بياني لأبناء وأحفاد آل سبهان ، تنفيذ : وليد بن سبهان بن عبد العزيز السبهان ، أمدني به الأخ / سعود العبد العزيز السعود المتعب الحمود السبهان).

(٦) Baran , THE RASHIDI ,P60 ؛ العثيمين ،مرجع سابق ، ص٧٩ .

(٧) دلال الحربي ، مرجع سابق ، ص١٨٦ .

(٨) الحربي ، نفسه ، ص١٨٧-١٨٩ .

(٩) ابن عيسى ، مصدر سابق ، ص١٤٠ ؛ الرشيد ، مصدر سابق ، ص٥١ .

ذكرنا كيفية تولى أمراء آل رشيد مقاليد الحكم ومن بينهم سعود العبدالعزيز المتعب بأن نصبه على عرش الحكم خواله من السبهان وهما : حمود وزامل ،ويصفهما موزل قائلاً : " وكان يقف على رأي جماعة الأمير الفتى سعود بن عبد العزيز خالاه الحكيمان حمود وزامل من عائلة السبهان[1]" فكان دورهما بعد توليه الحكم بأن أصبح حمود وصيّاً على الحكم حتى وفاته وتولى الوصاية من بعده زامل[2] .

ومن النساء اللاتي اشتهرن من هذه الأسرة الأميرة فاطمة آل سبهان ، فقد كان لها دور بارز في الجانب السياسي والعلمي والاجتماعي والاقتصادي ، وهي جدة الأمير سعود بن عبد العزيز المتعب[3] ، وتذكر دلال الحربي " في عام (١٣٣٢هـ/١٩١٤م) انتهت الوصاية على سعود رسمياً وآلت مقاليد الحكم إليه ومن هذا التاريخ برزت فاطمة السبهان محركاً رئيسياً لشؤون الإمارة وبخاصة الجانب المالي فيها[4] " ، وعندما حاصر الملك عبدالعزيز حائل وأراد إنهاء الخلاف بينه وبين آل رشيد بشرط : أن تكون شؤون الإمارة خارجياً إليه ، رفضت فاطمة الصلح ، مما دفع بالملك عبد العزيز اللجوء إلى الحل العسكري ، وبعدما تضرر أهالي حائل بسبب الحصار رأى إبراهيم بن سالم السبهان بأن يحقن الدماء ، ويحفظ الحقوق والأملاك لأهالي حائل ، فقد بادر بالتسليم بعد اتفاق بينه وبين الملك عبد العزيز . بشرط أن يحفظ ويضمن لسكان حائل حقوقهم ، وبالفعل أوفى الملك عبد العزيز بعهده بموجب الاتفاق والعهد الذي كان بينهم [5] .

فأسرة آل سبهان لها دور كبير كما ذكرنا في إمارة آل رشيد ، مما دفع بالعثمانيين إلى تخصيص مبلغ مالي سنوي لهم ،كما فعلوا مع أُسرة عبدالله بن رشيد وأخيه عبيد[6].

كان لقبيلة شمر الطائية أثر في الشِيم العربية التي أقرها الإسلام ، ومن تلك الشِيم الكرم التي إتصفت بها جميع فروع شمر، فقد تطرق إليها جميع الرحالة العرب والأوربيون الذين زاروا ديار شمر، ولو أردنا التطرق إلى مناقبهم لطال المقام ، لكن نستدل بماذكره خليل الرّواف (أحد رجال العقيلات)

---

(١) مصدر سابق ، ص٣٧ .

(٢) دلال الحربي ، مرجع سابق ، ص ١٩٠ .

(٣) بيل ، جيرترووود ، رسائل جيرترووود بيل ١٨٩٩- ١٩١٤م ترجمة : رزق الله بطرس ، ط١ ، دار الوراق ، لندن ٢٠٠٨ ، ص ٣٣٦ ؛ الثويني ، مذكرة خاصة عن عائلة الثويني ، ص١١٤ ؛ دلال لحربي ، نفسه ، ص١٩٢ .

(٤) نفسه ، ص١٩١ .

(٥) نفسه ، ص١٩١ .

(٦) حسني ، مصدر سابق ، ص٥٧ .

قائلاً : " ومما يذكر عن جلالة الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بعد ضم حائل أنه لما دخل إلى المطبخ[1] لم تأخذه غبطة السرور والغرور ، وإنما ملأت الدموع عينيه بالشكل الذي أثار حيرة وزرائه ، وأعتقد أن حزن عبدالعزيز كان تقديراً من قائد عربي مغوار لمكانة وكرم ورجولة خصومه الذين هزمهم في ساحات المعارك ، هذه الشيم العربية القديمة التي بقيت نابضة بالحياة داخل نفس عبدالعزيز [2] "

وذكر براون Baran الذي سجل اطروحة الدكتوراة عن إمارة آل رشيد عن كرم الأمراء قائلاً : "اشتهر حكام حائل في الجزيرة العربية كلها بإكرام الضيف إلى درجة أن بعض المراقبين يعتقدون أنها تستهلك الجزء الأكبر من ميزانية الإمارة " [3].

وما يلاحظه الباحث في المنطقة التي استوطنت فيها قبيلة شمر أن سفح جبلي أجأ وسلمى موقع ملائم لإستقرار السكان والتأقلم السريع في بيئته، ففي الناحية الاقتصادية هناك العديد من الآبار والعيون والبساتين ، وأيضاً إستراتيجية موقع المنطقة بأنه مركز مهم للطرق التجارية وقوافل الحجاج ، ومن الناحية السياسية بأنها محصنة تحصيناً طبيعياً ، ومما يلاحظ أن الإمارة في شمر لم تنحصر على أسرة واحدة من القبيلة طوال الفترة التي حكموا فيها الجبلين ، وإنما على فترات كل فترة لها أسرة حاكمة أو أسرتين متزامنتين كالجربا التي كانت زعامتها على البادية وآل علي على الحاضرة حتى دخول الملك عبدالعزيز –رحمه الله – .

---

(1) المطبخ الذي أثار إعجاب الملك عبدالعزيز ، وأدهش وزرائه ، وصفه الرّواف أثناء إقامته في حائل (١٣٣٦هـ /١٩١٨م) في عهد الأمير سعودالعبدالعزيز آل رشيد قائلاً : " زرت قصر برزان مقر الحكم بصحبة الرجل الطيب محمد العلي المهتم بشؤون ضياقتنا ، وكنت على موعد معه ليُريني المطبخ الكبير في هذا القصر و (القدر جولان) الذي هو مضرب الأمثال في سعته ، لقد كان قدراً كبيراً ، قائماً على أربعة قواعد من البناء يبلغ طوله ثلاثة أمتار ، وبدائرة قطرها متر ونصف المتر ، يستوعب ثلاثة من الإبل ترفع إليه بسلاسل من حديد ، وتُنزل منه الإبل بواسطة هذه السلاسل ، وله حنفيات ـ أي بزابيز حسب قول اهل نجد ـ ضخمة يتسرب منها المرق ، وإذا أريد غسله ينزل فيه رجل فيقوم بغسله ، وقد راقبت إنزال الإبل الثلاثة فيه ، وكان المطبخ واسعاً جداً يلعب فيه الخيال ، ملقى في أحد أركانه مايقرب من مائة وخمسين رأساً من الغنم خلاف الإبل الثلاث ، وكلها جاهزة للطبخ ، فكان منظراً رائعاً يلفت الأنظار " (الرّواف ، خليل إبراهيم ، صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث (مذكراتي خلال قرن من الأحداث)، ط١ ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ، جدة ١٤١٥، ص ٦٨) .

(2) الرّواف ، نفسه ، ص٦٨ .

(3) Baran , THE RASHIDI ,P67

ثالثاً – قبيلة تميم :

تُنسب أسرة تميم إلى رجل اسمه تميم وهو جد لهذه الأسرة[١] ، فقدأجمعت أغلب المصادر المتعلقة بالأنساب أن تميم له ثلاثة أبناء ، فأصبح لكل اسم من هؤلاء الأبناء بطن من بطون تميم وهم: الحارث بن تميم ، عمرو بن تميم ، زيد مناة بن تميم[٢] ، ويصنّف فؤاد حمزة قبائل تميم الواقعة في نجد إلى ثلاثة بطون : حنظلة بن مالك ، زيد مناة بن تميم ، عمرو بن تميم [٣] .

يرتبط اتساع وامتداد موطن القبيلة بحسب عدد أفرادها وفروعها ، فقبيلة تميم من أكثر القبائل عدداً ، ولزيادة فروعهم وأعدادهم أصبح لهم انتشار واسع في وسط الجزيرة العربية وغيرها من البلدان المجاورة [٤] ، ومواطن استقرارهم في شرقي الجزيرة العربية وفي نجد[٥] ، وتتميز قبيلة تميم عن غيرها بأنهم بدأوا بالتحضر في وقت مبكر بالنسبة للقبائل الأخرى[٦] ، وأغلب أفرادها يزاولون مهنة الزراعة والتجارة[٧] .

يسكن أغلب بني تميم في منطقة نجد فهم ينتشرون في وسط نجد في القصيم وسدير[٨]وفي جنوبها في حوطة بني تميم والدلم و الخرج[٩] ، وفي شمال نجد استقروا في جبل شمر ومساكنهم في قفار[١٠] وعدد من قرى جبل رمان[١١] ، وإذا قارنا إنتشارهم في هضبة نجد بالنسبة للقبائل الأخرى نجِد أنهَّم من أكثر سكان نجد عدداً وذلك ، لإنتشارهم في عاليتها و وسطها وشمالها ، وما يهمنا من هذه المواطن التي استقروا بها شمال نجد(جبل شمر) .

---

(١) البسام ، محمد بن حمد ، عشائر العرب ، تحقيق : رمزية محمد الأطرقجي ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ص١٧ .

(٢) الجدع ، أحمد ، تاريخ تميم وأنسابها ، دار الضياء ، عمان . ١٤١٩ ، ص١٦ ؛ التميمي ، محمد تيسير ، وثائق تاريخية عشائر بني تميم ، المركز القومي للنشر ، الأردن ، ١٤٢٨هـ ، ص٤٠.

(٣) حمزة ، مرجع سابق ، ص١٣٢ .

(٤) الخالدي ، سعود الزيتون ، معجم قبائل الخليج في مذكرات لوريمر (دليل الخليج) ، ط١ ، دار الثقافة ، الدوحة ، ١٤٢٣ ، ص٤٥ .

(٥) الجدع ، مرجع سابق ، ص١٤ .

(٦) الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الأول، ص٧٣ .

(٧) فالين ، مصدر سابق ، ص١٧٥-١٧٦ .

(٨) ابن عيسى ، مصدر سابق ، ص٦٢ ؛ الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الأول ، ص٧٢

(٩) الخالدي ، مرجع سابق ، ص٤٥.

(١٠)ابن بشر ،مصدر سابق ، ص١٥٩ ؛ الفاخري ، مصدر سابق ، ص٩٢ ؛ الهمزاني ، مرجع سابق ، ص٩٥.

(١١) فهد العريفي ، مرجع سابق ، ص٧٨ ؛ الهمزاني ، نفسه ، ص١٥٦.

أمّا بالنسبة لبداية إستقرارهم في الجبلين،فالمصادر التاريخية لا تعُطينا تحديداً زمنياً ، وذلك لندرة المعلومات عن تاريخ المنطقة خاصة ما قبل القرن الثاني عشر الهجري ، ونُرجح أن استقرارهم كان ما قبل القرن العاشر الهجري ؛ لإجماع المؤرخين في نجد ، فقد ذكروا في حوادث ١٠٥٧هـ قيام أمير مكه بقتل ماضي بن محمد بن ثاري بن محمد بن مانع بن راجح بن مزروع الحميدي التميمي في روضة سدير [١] ، وقد ذكر الفاخري عن ماضي في حوادث ١٠٥٧هـ قائلاً :" أقبل جدهم مزروع من قفار هو ومفيد التميمي جد آل مفيد واشترى هذا الموضوع في وادي سدير " [٢] ، وهذا يدل على أن استقرارهم في قفار ما قبل القرن العاشر الهجري ، ولا يفهم أن استقرار مرزوع وآل مفيد في روضة سدير أن جميع أفراد القبيلة هجروا منطقة جبل شمر، وذلك لما ذكره الجاسر عن آل مفيد بحيث أنه ذكر منازلهم في السبعان ، وقصر العشروات فمنهم العبدالعزيز و العثمان والعفنان و البراهيم و الفيصل و السليمان و الشايع والغرابا والسلاطين والحنيش و الجار الله [٣] .

يختلف أفراد قبيلة تميم عن قبيلة شمر بأن أغلبهم بل جميعهم حضر ، ولم يُسمع بأن أعداداً من هذه القبيلة في نجد وتحديداً في الجبلين من يسكن في بيوت الشعر طوال حياته ، أو أنهم يعتمدون في حياتهم على التنقل والترحال طلباً للماء والمرعى[٤] ، وذكر موزل عن مساكنهم قائلاً : " يعيش السكان في بيوت بسيطة صغيرة مبنية غالباً من الطين وبحيث أن بيوت كل أسرة محاطة بسور كامل ينحدر الجزء الرئيسي من سكان جميع المستوطنات الواقعة على السلسلتين الجبليتين أجا وسلمى من بني تميم[٥] " .

وبحكم الاستقرار الحضري للقبيلة اشتهر أغلبهم بالزراعة كشهرتهم بالتجارة ، فهم يجيدونها ويدل على ذلك أنهم عندما قدموا إلى جبل شمر أصبح بينهم وبين قبيلة شمر مايعرف بنظام (المغارسة) أي المناصفة في المحاصيل الزراعية ، فقبيلة شمر منها الأرض التي تملكها وقبيلة تميم يقومون بزراعتها واحيائها ، تطور الأمر بعد ذلك فيما بينهم عن طريق شراء الأراضي التابعة لشمر أو العطايا، وتعود

---

(١) ابن ربيعة ، محمد ،تاريخ ابن ربيعة ، تحقيق : عبدالله يوسف الشبل ، الأمانة العامة مرور مائة عام على تاسيس المملكة الدارة الدارة ، الرياض ، ١٤١٩هـ ، ص٥٨ ؛ ابن عيسى ، مصدر سابق ، ص٤٧ ؛ الفاخري ، مصدر سابق ، ص٩١-٩٢ ؛ الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الأول ، ص٧٧-٧٨ .

(٢) نفسه ، ص٩٢ .

(٣) الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الثاني ، ص٨٥٥ .

(٤) فالين ، مصدر سابق ، ص١٧٦؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص٢٧.

(٥) مصدر سابق ، ص١١ .

تلك الطريقة إلى حسن أخلاق بني تميم في التعامل معهم والإحترام المتبادل بين القبيلتين ، فقد نتج عن ذلك انتشار عدد من القرى التابعة لبني تميم في منطقة رمان ، وكانت بداية انتشارهم من قرية قفار [١] ، فجميع تلك القرى التي أقام بها بنو تميم تشتهر بالزراعة ومن أشهر المحصولات الزراعية الشعير والحنطة والتمور[٢] ، وذكر السويداء عن وادي الحفن قائلاً :" بل أن محصوله من الحبوب يمول مدينة حائل والسلطة القائمة فيها آنذاك مما حدا بالسلطات يومئذ أن تعفي سكان هذا الوادي من الاشتراك في الغزو إلا عند الضرورة القصوى ،ذلك ؛ لكي يؤمنوا الطعام للسلطة والمواطنين" [٣] . وبعد أن تطرقنا إلى نشاطهم الاقتصادي في المنطقة ، فمن الطبيعي أن يكون لهذه القبيلة أثر واضح لا يستهان به ، وذكر فهد العريفي قائلاً : " عاشوا مع غيرهم من أبناء منطقة الجبلين معززين مكرمين " [٤] وهذا التقدير والاحترام الذي اكتسبوه من قبيلة شمر دليل بأن لهم أثر إيجابي في جميع النواحي الحضارية والسياسية في فترة إمارة آل رشيد وما قبلها أيضاً ، فهناك العديد من رجال بني تميم يصعب حصرهم في هذا المبحث كان لهم أثر سياسي في فترة إمارة آل رشيد ، ومنهم قادة لجيش ابن رشيد ، ومن هؤلاء حسين بن جراد ، فقد حدثت في عهد عبدالعزيز المتعب آل رشيد وقعة تسمى بوقعة ابن جراد، وذلك نسبة لقائدها ، وهذا دليل لإخلاصهم ووفائهم وقد قتل في هذه الوقعة في (ذي الحجة /١٣٢١هـ في أواخر عام ١٩٠٤م)[٥] ، وذكر الزركلي ذلك قائلاً :" وأرسل الأمير الأمير عبد العزيز المتعب في أوائل (ذي الحجة عام ١٣٢١هـ/في أواخر ١٩٠٤م) قبل عودته من القصيم إلى حائل سرية من نحو ٣٠٠ مقاتل بقيادة حسين بن جراد من رجالات شمر[٦] ، والصحيح والصحيح أن ابن جراد من قبيلة تميم وقد يكون غلب عليه الظن أن جميع من يكون قائداً لجيش ابن رشيد أنه من قبيلة شمر .

وإذا تطرقنا إلى أثرهم في الحياة الأدبية والعلمية في المنطقة ، فمن هذه القبيلة العديد من الأدباء والعلماء ، فمن شعراء بني تميم زيدان بن سلامة الخوير ، ولشعره أثر في المنطقة وأشعاره تدل على

---

(١) الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الأول ، ص٧٨ ؛ الصويان ، مرجع سابق ، ص٤٤٩ .

(٢) السويداء ، عبدالرحمن زيد ، هذه بلادنا منطقة رمان في حائل ، ط١ ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب الرياض . ١٤١٤هـ ، ص٨٠ ؛ الهمزاني ، مرجع سابق ، ص ١٥٦ .

(٣) نفسه ، ص٨٠ .

(٤) مرجع سابق ، ص٧٨ .

(٥) الزركلي، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٤٥ .

(٦) نفسه ، ص١٤٥ .

شخصيته فهو من الكرماء في المنطقة [1] ، ولا يغيب عنا دور المرأة فمن الشاعرات من هذه القبيلة من تطرقت في احدى قصائدها إلى أحداث تاريخية في قفار ، ويذكر فهدالعريفي هذه الحادثة ومصدرها قصيدتها ، وهي بأن الماء في قفار لا يكفي للجميع ، فهو يشح على الشرقيين إذا قام الغربيون بإخراج الماء واتفقوا بتحديد وقت يقوم به الغربيون بالري ساعات محددة باليوم ، وبعد ذلك يبدأ الشرقيون بالري وأتفقوا على ذلك ، إلا أن هناك بعض الشباب من بني خالد نقضوا العهد في أحد الأيام ، وهذه الشاعرة من بني تميم تسوق السواني في مزرعة أهلها فلاحظت أن الدلاء تخرج فارغة مايدل على أنهم يسوقون السواني في نفس الوقت فقالت هذه الأبيات :

الماء غدوا به عن عمامي خوالي [2] مثل العساكر بالضبط لجته فوق [3]

ومن النساء من كان لها دور وأثر في الناحية العلمية فاطمة بنت سلامه الشعيب التميمي في منطقة رمان ، فهي من معلمات الكتاتيب في حائل اللاّتي كان لهن دور كبير في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم القراءة والكتابة [4] .

استوطنت قبيلة تميم في بداية قدومهم إلى الجبلين في بلدة قفار ، ولتزايد أعدادهم بدأ نشاطهم السكاني يتسع فقد ذكر الجاسر عن ذلك قائلاً : " فمن بلدة قفار انتشرت تلك الأسر في سفوح جبلي سلمى ورمان وفي وادي السبعان وقصير غضور وفي الحفن والروضة والمستجدة والسليمي وسميراء" [5] . ومن خلال ذلك أصبح لقبيلة تميم أثر في جبل شمر ، فقد قاموا ببناء المنازل والقصور وحفر الآبار وإقامة المزارع ، وسنذكر عدداً من القرى التي تم إهدائها أو شرائها من قبيلة شمر على يد رجال من بني تميم وأشهر القرى :

أولاً – قصر العشروات[6] : أسسه الشيخ فريح بن ليلي بن عليان ابن بقار ، وكانت مشيخته بين بين

([1]) السويداء ، عبدالرحمن زيد ، أهل المناخ في منطقة حائل ، ط٢ ، دار السويداء ، الرياض ، ١٤٢٧هـ ، ص١٥٢ . للإطلاع على قصيدة زيدان الخوير. أنظر : السويداء ، عبد الرحمن زيد ، نجد في الأمس القريب ، ط٢ ، دار السويداء ، الرياض ، ١٤٢٣هـ ، ص٣٢٦.

([2]) أي أنها من بني تميم وأخوالها من بني خالد وجميعهم من سكان بلدة قفار .

([3]) فهد العريفي ، مرجع سابق ، ص٣٠-٣١.

([4]) دلال الحربي ، مرجع سابق ، ص١٨٢-١٨٣.

([5]) مرجع سابق ، القسم الأول ، ص ٧٨ .

([6])قصر العشروات : يقع في شرقي جبل أجا على طريق حائل المدينة المنورة ويبعد من حائل حوالي ٣٠كم (فهد العريفي ، مرجع سابق ، ص٣٦) .

عامي١١٤٤ـ ١١٦٤هـ / ١٧٣٢ـ١٧٥١م [١] ، وسكن بنو تميم القصر في القرن الثالث عشر الهجري بحدود عام ١٢٢٠هـ ، وكانت إمارته للقبال من تميم[٢] ، ومنهم الحمود وهم : القبال ، والراشد و المفيد و الأشقر من بني عمرو من تميم ، وبدايتهم في قفار ثم في قصر العشروات [٣].

ثانياً . الروضة : تأسست في حدود ١١٩٥هـ / ١٧٨٠م ومؤسسها الشيخ حمود بن سلمان التميمي بعد أن إشترى موضع الروضة من عيسى بن دليهان التريباني الشمري[٤] ، فقد كانت بداية قدومه هو هو وصديقه زيد بن ابراهيم الخالدي الملقب(السويداء) من بلدة قفار [٥] .

ثالثاً . الوسيطاء : تأسست في عام١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م وهي كالروضة شراء من ابن عيسى بن دليهان ، والذي قام بتأسيسها ناصر بن موسى اللحيدان في أعلاها ومسعد بن عبدالله الشهيل في أسفلها[٦]، وقد بنى ناصر اللحيدان قصره بجانب بستانه ونال فيه الشهرة بالكرم والشهامة [٧] .

رابعاً – الغزالة [٨]: أسسها الشيخ حليان راضي فريح الحميضي التميمي في النصف الثاني من القرن القرن الثاني عشر الهجري في حدود(١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م) [٩] .

خامساً – المستجدة : وهي البلدة الثانية في منطقة رمان من حيث الأقدمية بعد الغزالة أسسها هدلان بن حمدان التميمي بعدما إنتقل من قفار ، وذلك في حدود(١١٦٠هـ- ١٧٤٧م) [١٠] وذكر الجاسر: " أن أول من أسس المستجدة شعيب بن حمدان العمري التميمي قدم من قفار"[١١] والصواب أن أول من أسسها هو هدلان بن حمدان ؛ لأن المستجدة بلغت أوج قوتها ونشاطها في

---

(١) معلومات أمدني بها الشيخ جوفان بن زيدان الجنيدي ، حائل ، بتاريخ ١٤٣٤/٢/١٥هـ .

(٢)السويداء ، مرجع سابق ... رمان ، ص٦٢.

(٣) الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الأول ، ص١٨٣ .

(٤) السويداء ، مرجع سابق ... رمان ، ص٦٢ ؛ الهمزاني ، مرجع سابق ، ص٩٥.

(٥)السويداء ، مرجع سابق ... أهل المناخ ، ص٣٧٨ .

(٦) السويداء ، نفسه ، ص٣٧٨ .

(٧) السويداء ، مرجع سابق ... رمان ، ص٧٩ .

(٨) الغزالة : تقع جنوب حائل وغرب رمان ويمر بها طريق حائل المدينة المنورة تبعد عن حائل حوالي ٩٠كم (فهد العريفي ، مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٩) السويداء ، مرجع سابق ... رمان ، ص٩٥ .

(١٠) السويداء ، نفسه ، ص١٠٣.

(١١) مرجع سابق ، القسم الأول ، ص٣٠١ .

منتصف القرن الثالث عشر الهجري عندما كان شعيب بن حمدان له كلمة فيها ، وشعيب عاش في الفترة التي ذكرنا والمستجدة تأسست في منتصف القرن الثاني عشر الهجري [١] .

سادساً – السليمي [٢]: تأسست البلدة مطلع القرن الثالث عشر الهجري على يد عيسى بن عبدالعزيز بن سليم التميمي ومع مرور الزمن وتزايد عدد سكانها ، وأصبحت البلدة تحتاج إلى المزيد من المواد الغذائية ، فقام أحد رجالها فهد بن شايع الهريش بإقامة مشروع اقتصادي في البلدة في زمن سعود العبدالعزيز المتعب آل رشيد في حدود عام ١٣٣٧هـ بمساعدة جماعته ؛ لإقامة سد في جبل (قنا) للتحكم في مياه السيول التي تتدفق وقت الأمطار، واستقبالها داخل صهوة الجبل ، ثم قسَّم وادي صهوة الجبل وتلاعه التي يسقي بها السيل على أقاربه وجماعته وغرسوا فيه النخيل ،ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبحت صهوة الجبل غابات من نخيل البعل المثمر [٣]، مما أضاف مورداً جيداً لأهل البلدة يأكلون ويضيفون ويبيعون منه [٤] .

سابعاً . قصير غضور:أسسها مجموعة من الحجيلان[٥]، وذلك في أوائل القرن الرابع عشر الهجري[٦] وذكر السويداء:" كانت في البداية قصر مصغر (قصير) سكانه من الحجيلان من الحمران من بني تميم وهم : العبيد والحمد والفيصل ، وكان في البداية بئر واحد ثم حفروا بئراً ثانية وكان سكان هذه القرية يزرعون ويسقون نخيلهم على هذين البئرين. [٧]

ومن خلال ما ذكرناه يتضح لنا أن جميع هذه القرى كان امتلاكها ، إما عن طريق العطايا او الشراء من الأسلم ومن الدغيرات أحد فروع عبده ، وتقع القرى التابعة لهم في الجنوب والجنوب الشرقي من حائل، وأقصى بعد لها قرية السليمي التي تبعد عنها ما يقارب ١٦٠كم ، وأغلب هذه القرى بدأ تأسيسها قبل إمارة آل رشيد (١٢٥٠هـ – ١٨٣٥م) إلا أن نشاطها ازدهر فترة الامارة وكانت هذه القرى تُمول السلطة والسكان في جبل شمر من جميع محصولاتها الزراعية ، وبعد الاطلاع

---

(١) السويداء ، مرجع سابق ... رمان ، ص١٠٥ .

(٢) السليمي : تقع جنوب حائل وإلى الجنوب من جبل رمان وتبعد عن حائل ١٦٠كم وسبب تسميتها نسبة إلى عائلة عيسى مؤسس البلدة فكانت تسمى في البداية بقصر السليمي نسبة للقصر الذي بناه فيها ومع مرور الوقت حذفت كلمة قصر وعرفت القرية بالسليمي مجُردة (فهد العريفي ، مرجع سابق ، ص٣٢ ؛ السويداء ، مرجع سابق ... أهل المناخ ، ص٢١٧).

(٣) هو ما يغرس في البداية ، ويعتمد أصحابه في سقايته على سيول الأمطار المتدفقة إليه .

(٤) السويداء ، مرجع سابق ... رمان ، ص ٢١٧-٢١٨ .

(٥) آل جحيلان ، من الحمران من بني عمرو بن تميم (الجاسر ، مرجع سابق ، القسم الأول ، ص١٤١) .

(٦) السويداء ، مرجع سابق ... رمان ، ص١٠٠ .

(٧) مرجع سابق ... أهل المناخ ، ص ٣٤٩.

على أسماء العوائل من بني تميم الساكنين في جبل شمر يتضح لنا أن أغلبهم من بطن عمرو بن تميم[1].

[1] قام الباحث بتتبع أسماء العوائل من كتاب أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، حمد الجاسر ، في كلا القسمين من هذا الكتاب .

المبحث الثاني ـ عوامل الهجرة إلى جنوبي العراق :

لم تكن هجرة القبائل في جزيرة العرب في فترة محددة من فترات التاريخ ،وإنما هي ممتدة من العصور القديمة قبل الإسلام حتى وقت قريب ، ومازال الإنسان يهاجر من منطقة لأخرى بحسب الظروف التي أدت إلى هجرته من موطنه الأصلي ، فالهجرات التاريخية في جزيرة العرب بدايتها —كما ذكرت المصادر القديمة — من اليمن بعد سد مأرب فمنها بدأ انتشارهم في الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها ، وذكر العثيمين أسباب الهجرات بشكل عام : " ومن المعروف أن أهم أسباب هجرات القبائل من مواطنها تعود في أغلب الأحيان إلى حدوث قحط شديد في موطن القبيلة ينتج عنه انهيار اقتصادي لها أو وقوع ضغط عسكري عليها من إحدى القبائل المجاورة لها أو إحدى الإمارات المسيطرة على منطقتها أو القريبة منها" [1]، فمنطقة جبل شمر كما قدمت إليها جماعات وقبائل مهاجرة من مواطنها الأصلية وأصبح لها أثر في المنطقة ، إلا أنه مع مرور الزمن تغيرت ظروف الحياة لبعض هذه القبائل فأغلبها هاجر إلى العراق أو ما يعرف بالحدرة [2] ، وتختلف هذه الظروف أو العوامل التي واجهتها القبائل سواء كانت هذه العوامل سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية ومع اختلاف العوامل التي أدت إلى الهجرة أيضاً تختلف الهجرات فمنها هجرات جماعية وفردية[3]،فالعوامل التي أدت إلى هجرة قبائل جبل شمر إلى جنوبي العراق عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية .

أولاً ـ العامل الاجتماعي :

يُعد العامل الاجتماعي من أسباب الهجرة وذلك من خلال الهجرات التاريخية من جبل شمر إلى جنوبي العراق . فالمهاجرون لم تنقطع صلتهم بموطنهم الأصلي فالسكان في جبل شمر عندما يواجهون أزمة سياسية أو اقتصادية أو غيرها من الأزمات يفضلون الهجرة إلى أقاربهم في العراق . يضاف إلى ذلك تأثر المجتمع ببعضه فقد كانت الفكرة السائدة عن العراق إيجابية منها : أن العراق ملائم للاستقرار ؛ لوجود نهري دجلة والفرات . فتلك الأفكار أتت من خلال ماسمعوا به عن الهجرات التاريخية و كرم الأخلاق و حسن الجوار في المجتمع العراقي .

---

[1] مرجع سابق ، ص٢٩-٣٠ .

[2] حدره : تستعمل الكلمة للدلالة لمن سار من أهل نجد متجهاً إلى شرق الجزيرة العربية " انحدر " أ و حدر ، وذلك لانحدار الأرض جهة الخليج فهي منحدرة بالنسبة إلى نجد كالإحساء والكويت والعراق . ويقابلها لمن سار نحو الغرب (سند) بمعنى صعد لارتفاع الأرض جهة جبال الحجاز (ابن ربيعة ، مصدر سابق ، تحقيق : عبدالله الشبل ، الهامش ص٨٩).

[3] المياح ، علي محمد ، القبائل العربية في العراق قبل الإسلام ، (الوطن العربي النواة والإمتدادات عبر التاريخ) ندوة المجمع العلمي العراقي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، لبنان ٢٠٠٣ ، ص ٦١-٦٢.

ذكر جون فريدريك ويليامسون: " قدم المؤرخون خلال القرن الأخير تفسيرات كثيرة عن سبب حدوث هذه الهجرات البدوية المختلفة رأى بعض العلماء أن تضخم السكان في بعض العهود في جزيرة العرب هو السبب وراء الهجرة [١]". فهذا التفسير ليس قريباً من الواقع لأنه لم تكن هناك مشكلة في تضخم أعداد السكان في جزيرة العرب تستدعي للهجرة منها ، ونقيس على ذلك من خلال وقتنا الحاضر .

ومن الأسباب التي تعتبر عاملاً اجتماعياً (بجانب العامل السياسي)، هي تلك الهجرات التاريخية في نجد إلى جنوبي العراق حتى أُطلِق على مدينة الزبير " نجد الصغيرة "[٢] ، ومنطقة جبل شمر هي جزء من بلدان النجدية ، والمشكلات التي يواجهها سكان نجد تشملهم أيضاً ، فتلك الهجرات التاريخية فكرة المجتمع في نجد ، وهي إذا حلت بهم سنوات الجوع والقحط هاجروا إلى العراق، وذلك لموقعها الجغرافي القريب من نجد وفيها دجلة والفرات والمراعي الخصبة التي تشجع في الهجرة إليها ، فالكثير من أهالي نجد المهاجرين إلى العراق يفضل الآستقرار في جنوب العراق على الرجوع إلى نجد ، فتبقى صِلته بموطنه الأصلي قوية ومستمرة لا تنقطع ، لذا ذكر العزاوي :" وإذا كان هؤلاء انقطعوا من نجد فإنهم لا يزالون يعدون أنسابهم ، فالبدو إذا أمحلت ديارهم أكرموهم وأقربوهم إخوانهم في العراق ووسعوا لهم المجال فكانوا على الرحب والسعة"[٣] .

وأما ما يتعلق بجبل شمر تحديداً ، فهناك العديد من الهجرات التاريخية قبل الإسلام وفي صدر الإسلام إلى العراق ،كهجرة بني أسد و طيء ، ومابعدها من الهجرات المتعاقبة كهجرة زبيد (احدى فروع طيء) بزعامة بهيج [٤]، فتلك الهجرات إلى جنوبي العراق ، واستقرارهم فيها وما يسمعه سكان الجبل عن وصف الحياة فيها من الآرزاق والنعيم ، التي كانت عن طريق استمرار صلة القرابة والرحم فيما بينهم ، قد شجعت في استمرار الهجرة إليها وعدم انقطاعها ، أما مايتعلق بهجرة جماعات من قبيلة شمر المتعاقبة ، فمن أقدمها هجرة آل قشعم ، وذكر السويداء : " هاجر منها سعد المعروف (راع الذلول) إلى جنوب العراق ليلحق بمن سبقه من آل قشعم مع ثامر الذي هاجر إلى جنوب العراق سنة (٧٩٥هـ / ١٣٩٣م)" [٥] .

---

[١] مرجع سابق ، ص٤٢ .

[٢] الجار الله ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

[٣] أوراق من تاريخ نجد ، ورقة ٦ .

[٤] المباح ، مرجع سابق ، ص ٧٨.

[٥] مرجع سابق .... منطقة حائل ، ص٣١٠ .

أتت هجرات أخرى ما بعد آل قشعم كما ذكر العزاوي : " والملحوظ ان شمر جاءت وقائعها التاريخية في أوائل القرن الثاني عشر فإن غانم بن حسان منهم ورد ذكره في حوادث سنة (١١١٨هـ / ١٧٠٧م) وحوادث الأسلم جاءت سنة (١١٥٢هـ / ١٧٤٠م) وزوبع عرفت وقائعها سنة ١١٦٩هـ / ١٧٥٦م ورئيسهم كان بكر الحمام ، والغرير كانوا معروفين في القرن الحادي عشر وكل هؤلاء سبقوا شمر الجربا[١] ، فتلك الهجرات التاريخية المتعاقبة إلى جنوبي العراق تدل على تشجيع أقاربهم بالقدوم إليهم عندما تتغير الظروف عليهم في منطقة جبل شمر .

ثانياً . العامل الاقتصادي :

يعتبر العامل الاقتصادي هو المحرك الرئيسي لهجرة السكان في جبل شمر إلى جنوبي العراق[٢] وكما ذكرنا فإن فكرة مجتمع أهالي الجبل هي الهجرة إلى جنوبي العراق، فأساس هذه الفكرة كان نابعاً من سوء الأحوال الاقتصادية فيها ؛ وذلك لأن المصدر الأساسي (في تلك الفترة) هو الماء ، فإذا قلت الأمطار أو انقطعت في إحدى السنوات غارت الآبار وأجدبت الأرض وتأثرت الحيوانات التي تمثل المصدر الأساسي لمعيشة السكان[٣] ،لذا يقوم السكان بالسعي وراء رزقهم ويأتي اختيارهم لجنوبي العراق ، لقرب موقعها من نجد وخصوبة أرضها ووجود نهري دجلة والفرات في أراضيها[٤] ، وذكر فالين : " وفي السنين الجيدة يكاد المحصول يسد حاجة المقيمين في البلدة وما جاورها وحاجة بدو الجوار وإذا قحط الموسم جلبوا مؤنهم من العراق من مشهد علي وكربلاء والأنبار"[٥] ، فهذه الرحلات الرحلات إلى جنوبي العراق أثناء سنوات القحط سبباً في رغبة العديد من أصحاب القوافل التجارية في الهجرة والاستقرار بها ، وذكر ابن عيسى في حوادث(١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م) :" اشتد الغلا والقحط في نجد وأكلت الميتات وجيف الحمير ومات كثير من الناس جوعاً في هذه السنة وفي التي قبلها كما ذكرنا وجلا كثير من أهل نجد للحساء والزبير والبصرة والكويت"[٦] ، فإذا حلّت سنوات القحط والجوع يتأثر السكان فتصيبهم الأمراض، فقد أصيب سكان جبل شمر بالطاعون في نفس

---

[١] مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٢٩-٢٣٠ .

[٢] الجار الله ، مرجع سابق ، ص١٠٧.

[٣] الفاخري ، مصدر سابق ، ص١٢٢-١٢٣ ؛ فاسيلييف ، تاريخ العربية السعودية ، ترجمة : خيري الضامن و جلال الماشطة ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٥ ؛ السويداء ، عبد الرحمن بن زيد ، الحروب والمجاعات والأمراض وأثرها عاى التركيبة السكانية في نجد ، دار السويداء ، الرياض ، ١٤٣١هـ ، ص ٢٦٩ .

[٤] الرشيد ، مصدر سابق ، ص٦٤ ؛ الوردي ، مرجع سابق ، ص ١٣٨ ؛ المياح ، مرجع سابق ، ص ٧٩.

[٥] مصدر سابق ، ص١٣٧ .

[٦] مصدر سابق ، ص١٣٢ .

السنوات التي ذكرها ابن عيسى (١٢٨٨- ١٢٨٩هـ) وكان عامًّا على أهالي نجد[١] ، وتتأثر الأسواق بزيادة الأسعار ، فإذا تأثر السكان في إحدى السنوات خرجوا إلى جنوبي العراق[٢] ،وقدصوّرحميدان الشويعر[٣] حال بلاده نجد عندما قدم إليها من الزبير قائلاً :

ظهرت من الحزم اللي به سيد السادات من العشرة[٤]

حطيت سنـــام باليمنى وطيت الرقعي[٥] مع ظهره

ولقيت الجوع أبو موسى بـــاني له بيت بالـجرة[٦]

فكما ذكرنا عن سوء الأحوال الاقتصادية في نجد بشكل عام وجبل شمر بوجه خاص ، وما تأثر به السكان من تلك الأوضاع والتي منها: الوفيات و الأمراض و زيادة الأسعار ، لذا هاجرت أعداد منهم إلى جنوبي العراق ، وهذا بفضل قرب موقعها،وما تمتاز به من مياه الأنهار ،وخصوبة التربة [٧] الملائمة لحياة البادية ومراعيهم [٨]، ويذكرفالين:" إن ما بين النهرين(العراق) له موقع جغرافي يميزه عن عن الأراضي الزراعية المحيطة ببلاد العرب ويجعل التبادل التجاري والاتصال بينه وبين سكان الجبلين (أجأ وسلمى) أمراً طبيعياً فالبدو مضطرون لرعي قطعانهم الكثيرة في الدهناء ولا غنى لهم عن إنتجاعها ويسيرون شمالاً في مراعيها الخصبة متنقلين من مكان إلى آخر حتى يصلوا تدريجياً إلى ما بين النهرين البلاد الكثيرة الكلأ والتي تستهويهم فيضربون خيامهم ولا يعودون يفكرون بالعودة إلى أراضيهم الفقيرة في نجد [٩]" ، ومن خلال ما ذكر فأرض العراق وخصوبتها وأنهارها كانت عاملاً

---

[١] ابن عيسى ، مصدر سابق ، ص١٣٢ ؛ البسام ، مصدر سابق ، ص ٣٥٣ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق .... مقامات ، ج٢ ، ص٦٧ .

[٢] ابن عيسى ، نفسه ، ص١٣٣.

[٣] حميدان الشويعر : من قبيلة السيايره من قبيلة بني خالد من أهل قرية القصب إحدى قرى الوشم في نجد توفي في منتصف القرن الثاني عشر الهجري (الحمدان ، محمد بن عبدالله ، ديوان حميدان ابن الشويعر، ط٢ ، دار قيس ، الرياض ١٤١٧هـ ، ص٨) .

[٤] يقصد الزبير بن العوام . رضي الله عنه . .

[٥] سنام جبل يتركه المسافر من الزبير إلى نجد على يمينه ، والرقعي الموضع المعروف على حدود المملكة مع الكويت .

[٦] الحمدان ، نفسه ، ص٨٦ .

[٧] الجار الله ، مرجع سابق ، ص١٠٥؛ الروضان ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٢٧ .

[٨] وليامسون ، مرجع سابق ، ص٤٣ .

[٩] مصدر سابق ، ص١٥٢ .

مهماً لجذب السكان وما يتوفر فيها من الأطعمة ورخص ثمنها ، وما يقال من أشعار عن النعيم في جنوبي العراق :

تعبر الهور وتسكن بالخميسية[1] ديرة العز والمرزق حواليها[2]

وتُعد القوافل التجارية عاملاً اقتصاديا في تشجيع الهجرة إلى جنوب العراق والاستقرار بها فقد كان السكان يتعاملون مع مناطق وأقطار متعددة ، لكن علاقتهم التجارية مع جنوبي العراق كان مستمراً إذا قارنته مع الأقطار الأخرى[3] ، فتلك القوافل المتجهة من جبل شمر إلى جنوبي العراق ليست على فترات زمنية متباعدة او كما تذكر أن بلنت إنها قافلة سنوية على الأقل [4] ، وإنما هي قوافل كبيرة مستمرة أربع مرات في السنة ، أضف إلى ذلك الجماعات الصغيرة التي تسافر كل يوم تقريباً ، ويؤكد موزل بأن هذه القوافل التجارية لا تقل عن أربع مرات في السنة ، فهو قريب مما ذكره فالين[5] ، وإذا نظرنا إلى حجم تلك القوافل وعدد رجالها من سكان جبل شمر وما شاهدوه في جنوبي العراق من حياة النعيم يأثر في نفوسهم ، فمنهم من تعجبه الحياة هناك ويفضل الاستقرار ومزاولة التجارة ، لذا فإن القوافل لها أثر في الهجرة إلى جنوبي العراق ،فالعامل الاقتصادي هو المحرك الرئيسي للهجرات التاريخية وهذا ما ينطبق على هجرة أعداد من قبائل جبل شمر إلى جنوبي العراق والتي منها المشاكل الاقتصادية في المنطقة ، والتي منها حدوث سنوات القحط بسبب قلة الأمطار وما يراه ويسمع عنه سكان جبل شمر من الخيرات في جنوبي العراق ، وكذلك رحلات القوافل التجارية بشكل مستمر جميعها أدت إلى هجرة أعداد من السكان إلى جنوبي العراق .

ثالثاً . العامل السياسي :

للأحداث السياسية دور في هجرة القبائل من موطنها الأصلي ،وذكر العثيمين أن أهم أسباب هجرات القبائل من موطنها تعود في بعض الأحيان إلى وقوع ضغط عسكري عليها من

---

[1] الخميسية : من إحدى المدن الواقعة جنوبي العراق أسسها عبد الله خميس عام (١٢٧٤هـ / ١٨٥٨م) ومن الأسر التي سكنت بها من شمر نغيمش الشمري وإخوانه عوده وغالب ، والشيخ ضاري بن برغش الطواله أقام فيها فترة ليست قصيرة في ضيافة أمير الخميسية (الخميس ، حمد بن عبد الله ، إمارة في بلاد الرافدين الخميسية منذ عام ١٨٥٠ إلى ١٩٤٢م ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ، ٢٠٠٤م ، ص٣٨ . ص٤٩ ص٥٩) .

[2] أي الرزق (الخميس ، نفسه ، ص٤٥) .

[3] العثيمين ، مرجع سابق ، ص١٩٨ .

[4] آن بلنت ، مصدر سابق ، ص٢٠٨ .

[5] مصدر سابق ، ص٢٢.

إحدى القبائل المجاورة لها أو إحدى الإمارات المسيطرة على منطقتها أو القريبة منها [١] ، وهذا هو الحال ينطبق على هجرة أعداد من قبيلة شمر فبعد ظهور الدولة السعودية الأولى واتساعها دخلت المنطقة تحت طاعة الدولة السعودية وأمراؤها آل علي عام (١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م) [٢] ، ودخول آل علي حكام حاضرة الجبل لا يعني دخول جميع أفراد شمر تحت طاعة الدولة السعودية فحكام البادية آل جربا لم يعلنوا التبعية للحكم السعودي ويدل على ذلك انضمامهم مع قوات شريف مكة في هجومه على الأراضي السعودية عام (١٢٠٥هـ /١٧٩١م)[٣] ، فكانت ردة فعل الإمام عبدالعزيز ابن سعود تأديب القبائل المشتركة مع شريف مكة ضده وبالفعل هجم على قبيلتي شمر ومطير عام ١٢٠٥هـ وفي هذه المعركة قتل أشهر رجال شمر مسلط بن مطلق الجربا[٤] ، فقد نتج عن هذه المعركة خسارة قبيلة شمر لأحد أبطالها المشهورين ، ومن هذه الحادثة هاجرت أعداد من شمر بقيادة والد مسلط من نجد إلى العراق [٥] .

ويحدد ويليامسون مواطنهم عندما قدموا إلى العراق أنها كانت في المناطق الجنوبية [٦] ، وبعدها انتقلوا إلى منطقة الجزيرة شمالاً [٧]، ورحيل مطلق الجربا يعبر عن حزنه الشديد لمقتل إبنه في تلك المعركة ، ولمكانته هاجر معه أعداد من قبيلة شمر ، فالسبب وراء هذه الهجرة الضغط العسكري ومعارضة آل جربا ومن كان تحت قيادتهم في الدخول تحت طاعة الدولة السعودية الأولى ، وذكر ويليامسون :" إن موت مسلط بن مطلق الجربا في هذه المعركة دفع أباه الحزين مطلق بن محمد الجربا إلى الهجرة مع فرع عشيرته الشمرية إلى الأنحاء الأكثر أماناً في جنوبي العراق"[٨] .

---

[١] مرجع سابق ، ص٢٩-٣٠ .

[٢] آل علي ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ ؛ ساير الشمري ، مرجع سابق ، ص٣٤ .

[٣] البسام ، مصدر سابق ، ص ٢٣٤ ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص٤٦ ؛ النحاس ، مرجع سابق ، ص ٢٧١.

[٤] الفاخري ، مصدر سابق ، ص١٥٣ ؛ ابن عيسى ، مصدر سابق ، ص٩٥ ؛ العزاوي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص١٣٩ ؛ السويداء ، مرجع سابق ... الحروب والمجاعات ، ص ١٣٩ .

[٥] الريشاوي ، متعب بن خلف ، إمارة الخزاعل في العراق نشأتها وتطورها وعلاقتها المحلية والإقليمية ١٠٥٠هـ / ١٢٨١هـ ، ط١ ، الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف ، ١٤٣٠هـ ، ص ١٦٦ ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص٤٨ ؛ النحاس ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

[٦] مرجع سابق ، ص٦٨ .

[٧] العثيمين ، مرجع سابق ، ص٤٨ .

[٨] مرجع سابق ، ص٤٦.

ويتضح لنا من خلال ما ذكره عدم الاستقرار السياسي للجربا في منطقة جبل شمر خاصة بعد مقتل مسلط وهو من أبطالهم المشهورين ،كذلك يتضح سبب اختيارهم لجنوبي العراق أنها منطقة أكثر أمناً واستقراراً ؛ لأنها تحت سيطرة الحكومة العثمانية والتي من اهتماماتها حفظ الأمن والاستقرار في الولايات التابعة لها، أضف إلى ذلك شجعهم في تحديد جنوبي العراق العامل الاجتماعي حيث كانت الهجرات السابقة من جبل شمر إلى المناطق الواقعة في جنوبي العراق ، أضف إلى ذلك عدم رضاهم بالتبعية للدولة السعودية الأولى .

إذا كانت العلاقات السياسية جيدة بين دولة وأخرى أوحكومة قوية وإمارة أعطت ولاءها لتلك الحكومة فتشجع هذه العلاقة في بناء علاقات حضارية ما بينهم كما هو الحال في العلاقة الوثيقة وتقارب المصالح ما بين الحكومة العثمانية وإمارة آل رشيد[1] ، فهذه العلاقة السياسية شجعت أعداد من سكان جبل شمر في الهجرة إلى جنوبي العراق ، فالمناطق الواقعة في جنوبي العراق تابعة لولاية البصرة التابعة للحكومة العثمانية [2]كذلك الأوضاع السياسية في نجد وما شهدت من صراعات على السلطة ما بين عبدالعزيز آل سعود وحكام آل رشيد نتج عن تلك الصراعات هجرة أعداد من قبيلة شمر إلى الزبير واستقروا بها[3] .

ولقد تأثرت منطقة جبل شمر بعد هجرة أعداد منهم إلى جنوبي العراق كما ذكر العثيمين: "بأن نسبة البادية إلى الحاضرة في منطقة جبل شمر لم تكن مستقرة بل تأثرت تأثراً كبيراً بالظروف المحيطة بها فقبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري كانت بادية تلك المنطقة أكثر من حاضرتها"[4] .

أمّا بالنسبة لتحديد الهجرة إلى جنوبي العراق فيظهر ذلك في :

١- قوة نفوذ الدولة العثمانية وسيطرتها على تلك المناطق فهذه القوة أحيت الأمن والاستقرار نسبياً حيث قللت من نسبة الصراعات القبلية .

٢- حياة النعيم والرخاء في جنوبي العراق ووفرة اقتصادها .

---

[1] إبراهيم ، عبد العزيز عبد الغني ، نجديون وراء الحدود (العقيلات) ، ط١ ، دار الساقي ، ١٩٩١م ، ص٢١٨ .

[2] آل خميس ، مرجع سابق ، ص٤٣ .

[3] الجار الله، مرجع سابق ، ص١١١.

[4] مرجع سابق ، ص١٨١.

٣- تقارب العادات والتقاليد فهي قريبة من عادات وتقاليد أهل نجد وذلك نتيجة الهجرات التاريخية القديمة إلى تلك المناطق [١] ، أما المواطن التي استوطنوا بها شمر فهي متفرقة في أرجاء جنوبي العراق فلم يستقروا في مكان واحد .

ومن خلال ما ذكرناه يتضح لنا أن هجرات القبائل والجماعات الصغيرة مستمرة على مر العصور حتى وقتنا الحاضر بحسب الظروف التي أدت إلى الهجرة من مواطنهم الأصلية ، ويدل على ذلك أن منطقة جبل شمر على الرغم من أنها ملائمة للسكن ، وقد قدمت إليها هجرات تاريخية إلا أن عدداً من تلك الجماعات التي قدمت إليها منذ أقدم العصور وأصبح لها أثر في جميع نواحي الحياة قد هاجرت منها .

ويتضح أيضاً أن من أهم العوامل في هجرة أعداد من قبائل جبل شمر العامل الاقتصادي ويدل على ذلك الأسباب التي جعلت قبائل جبل شمر يُفضلون جنوبي العراق عن غيرها من البلدان الأخرى هو وجود نهري دجلة والفرات في أراضيها وخصوبة تربتها الملائمة لحياة البادية ومراعيهم أضف إلى ذلك قرب موقعها ، وتقارب العادات والتقاليد ما بين جبل شمر وبعض المدن الواقعة في جنوبي العراق كالزبير والخميسية وغيرها ، وذلك نتيجة للهجرات التاريخية من نجد إلى تلك المدن .

---

[١] آل خميس ، مرجع سابق ، ص٤٣.

المبحث الثالث – أثر قبائل جبل شمر في جنوبي العراق في الجانب الإقتصادي والعلمي :

أولاً ـ الجانب الاقتصادي :

تعددت العوامل التي أدت إلى هجرة قبائل جبل شمر إلى جنوب العراق وكذلك أسباب اختيارهم لتلك المناطق ، فمهما كانت العوامل سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية فمع مرور الزمن أصبح لها أثر في الناحية السياسية والنواحي الحضارية الأخرى فهي لا تختلف في أثرها عن القبائل الأخرى ، وما يهمنا الأثر الاقتصادي والعلمي . فتلك القبائل التي هاجرت من جبل شمر واستوطنت في جنوب العراق كانت في بداياتها تميل إلى حياة الغزو والتنقل من موطن لآخر كالقبائل المجاورة لها مما أرهق العثمانيين في إدارة الولايات التابعة لها[١] ،لذا اتخذت الدولة العثمانية سياسة دمج دمج القبائل ، وذلك عن طريق عملية توطين القبائل في الأرياف ودمجهم مع المجتمع بدلاً من حياة البادية وإسكانهم في البيوت وإعطائهم الأراضي لزراعتها كما هو الحال مع قبائل المنتفق التي أصبحت لها قرى ومدن كالناصرية وسوق الشيوخ[٢] .

أصبح لهذه السياسة أثر في استقرار القبائل وتمدنها حتى مالت القبائل إلى الاستقرار والزراعة أكثر مما تميل إليه سابقاً (حياة الغزو) فقد تعودت عشيرة زوبع [٣] إحدى فروع قبيلة شمر على حياة الأرياف والمزارع وذلك مما رأوه من راحة وطمأنينة أكثر من حياة الغزو والترحال من موطن لأخر [٤]، ومن أشهر عشائر شمر من قاموا بإحياء المزارع ولهم إنتاج زراعي الزقاريط[٥]، وهؤلاء يملكون أراضي زراعية على جداول الراشدية ويشتغلون بالزراعة ومساكنهم بالقرب من كربلاء[٦] ،وفي

---

[١] العزاوي ، مصدر سابق ، ج١، ص٢٠٤ .

[٢] للإطلاع على سياسة الحكومة العثمانية مع قبائل جنوبي العراق . أنظر: ص ٤٩-٥٢ من هذه الدراسة .

[٣] زوبع جد بهذا الإسم وهو ابن محمد الحريث وهو جد سنجاره من طي ومساكنهم ما بين الفرات وقناة الرضوانية وقناة المحمودية وجدول أبو غريب والضفة اليابسة من الفرات جنوب رأس الرضوانية (العزاوي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص١٨٨ ؛ تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر السياسية ، ص٣٠٠)

[٤] اوبنهايم ، ماكس و فرنركاسكل ، آرش برونيش ، البدو ، ترجمة محمود كيبو ، ط٢ ، دار الوراق ، لندن ، ٢٠٠٧م ، ص٣٤٦ ؛ العزاوي ، نفسه ، ج٢ ، ص ٢٠٤ -٢٠٥ .

[٥] الزقاريط : أحدى فروع عبده ومن الرجال الذين تولوا الرئاسة عراك بن سيف بن طلال بن مهنا بالقرب من كربلاء (العزاوي، نفسه ، ج٢، ص١٢٢ ؛ القويعي ، مرجع سابق ، ص ٩٠) .

[٦] تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة ، ص ١٩٨-١٩٩ ؛ اوبنهايم و فرنركاسكل ، مصدر سابق، ج٣ ، ص٣٥٢ ؛النحاس ، مرجع سابق ، ص٢٧٠ .

،وفي لواء الديوانية عشائر الأكرع[١] وأغلب مزروعاتها شتوية[٢] كالطماطم والبصل والثوم وفي أوقات الشتاء تصدر المنتجات إلى جميع أنحاء العراق[٣] ، وفي الديوانية من شمر عشيرة آل شبل ، ومزارعهم في أراضي الهور جنوب المشخاب واهتمامهم في الزراعة والإنتاج الحيواني مما يزودون الأسواق القريبة منهم بالمنتجات [٤]، ويذكر لوريمر: " وشمر طوقه مزارعون ، ويستخدم كاظم باشا صهر سلطان تركيا الحالي جزءاً كبيراً منهم في زراعة أراضيه بالقرب من المدائن ومحصولاتهم هي القمح والشعير والذرة والسمسم "[٥].

فيتضح لنا مما ذكره لوريمر ما يلي :

١- اهتمام شمر طوقه بالزراعة وتميزهم بها منذ القدم حتى أصبح لهم اسم في المناطق الواقعة جنوبي العراق ، ويدل على استخدام الأمراء العثمانيين لإعداد من رجالهم بزراعة أراضيهم هو تميزهم بالزراعة ، ومن عادة الأمراء دائماً يحرصون على اختيار المتميزين لإدارة شئونهم.

٢- تصدير المحصولات التي يقومون بزراعتها إلى (استانبول) عاصمة الدولة العثمانية وإمداد الأسواق القريبة من أراضيهم .

٣- أهمية المحاصيل التي يزرعونها في السوق وذلك لمعرفتهم بحاجة السوق وما يرد إليهم من مكاسب مالية .

وفي لواء الحلة عشيرة طفيل ويذكر النجفي عنهم " ولا تهتم هذه العشيرة بغير الزراعة "[٦] فمن الطبيعي أن هذا الاهتمام ينتج عنه التجارة وإمداد الأسواق بمنتجاتهم الزراعية ، وفي لواء الحلة

---

[١] يكتب أغلب العراقيين حرف القاف كاف بسبب نطقهم له مثل : مطلق يكتب في المصادر العراقية مطلك وغيرها من الكلمات الأخرى . سموا بذلك لموضع قرب الرحبه جنوب النجف وتسمى القرعة (الكرعة) جاء إليها من جبل شمر قسم من العشيرة وحلوا بها وإذا بإبلهم تموت فيها فنزحوا عنها وسموا القرعة (الفاضل ، الحاج صلال ، مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح من رجال الثورة العراقية ، تعليق : كامل سلمان الجبوري ، ط١، العاني ، بغداد ١٩٨٦، ص١٥) .

[٢] اوبنهايم و فرنركاسكل ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص٤٤٤ ؛ النجفي ، السيد حسين علي ، كربلاء ، الحلة ، الديوانية ، قبل ٧٥ عاماً ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ٢٠٠٨ ، ص١٠١

[٣] الجار الله ، مرجع سابق ، ص١٥٨

[٤] النجفي ، مرجع سابق ، ص٩٩

[٥] الخالدي ، مرجع سابق ... مذكرات لوريمر ، ص٢١١.

[٦] النجفي ، مرجع سابق ، ص٩٥ .

عشيرة (كريط) فهي تهتم بالزراعة خاصة المزروعات الشتوية [١] ، وذكر الجار الله عن القبائل في صحراء الزبير: " يعود الوجود القبلي في هذه المنطقة من العراق إلى عهود تاريخية طويلة نمت خلالها هجرات بدوية متعاقبة من داخل شبه الجزيرة العربية . ولقد سكنت الزبير عدد من القبائل العربية أهمها المنتفق وشمر والظفير وعنزه[٢] " ، فالهدف من قدوم القبائل إلى الزبير واستقرارها هو تحسين وضعهم الاقتصادي وعندما تطرق إلى الأهمية الاقتصادية لصحراء الزبير قال:" لقد وظف النجديون في الزبير خبراتهم الزراعية التي كانوا يزاولونها في نجد" [٣] ، وهؤلاء النجديون من الطبيعي أن يكون من بينهم أعداد من رجال شمر المزارعين فإذا نظرنا إلى عملهم في الزراعة وإمدادهم للأسواق نجد أن أثرهم الزراعي لا يقتصر على مدينة واحدة فقط ، وإنما تتعد في المناطق الواقعة جنوبي العراق بحسب المواطن التي يسكنون بها .

وأما أثرهم الاقتصادي في بيع السلع وشرائها فهناك عدد من الأسر من شمر تسكن في الخميسية أحدى المدن التجارية الواقعة جنوبي العراق فإذا نظرنا إلى الحياة الاقتصادية فيها وبداية ظهورها يتضح لنا السبب وراء قدوم تلك الأسر واستقراهم فيها ، فهي مدينة تجارية لأهل المنطقة والمناطق المجاورة لها والبعيدة أيضا . فإذا أصيبت نجد بكارثة ، أوشُح بالمواد الغذائية أقبلت القوافل على سوق الخميسية للتزود بما يحتاجه السكان ، ومن الأسر[٤] المستقرة في الخميسية وتزاول التجارة التجارة أسرة نغيمش الشمري وإخوانه عوده وغالب ، والشيخ ضاري بن برغش الطواله سكن فيها فترة ليست بالقصيرة في ضيافة أمير الخميسية وأعمالهم في الخميسية هي مزاولة التجارة في البيع والشراء ومنهم معرفين ومرشدين للقوافل التجارية القادمة من جبل شمر [٥] ، وذكر آل خميس :" كانت قبائل بادية العراق ونجد والشام مثل قبائل المنتفق والجبور والظفير وشمر وعنزه وعدوان وعتيبه ومطير وغيرها من القبائل العربية تتجه إلى الخميسية لشراء ما يلزمها من سلع ، وبيع ما ينتجونه من الزبد والأقط والوبر وبيوت الشعر وغير ذلك من منتجات أهل البادية ولقد كان لكل قبيلة من هذه

---

[١] النجفي ، مرجع سابق ، ص٩٥-٩٦.

[٢] مرجع سابق ، ص١٥١-١٥٢ .

[٣] نفسه ، ص١٥٩ .

[٤] من العوائل النجدية التي سكنت الخميسية ، الحميضي ، الضبيعي ، المزيرعي ، السرهيد ، الظلماوي ، القفاري ، القريشي ، التويجري ، النافع ، البسام ، الشمالي ، العثيم ، الصقعبي ، العميريني ، وغيرهم من العوائل الأخرى (آل خميس ، مرجع سابق ، ص٤٨-٥٩)

[٥] آل خميس ، نفسه ، ص٤٩-٥٩-٦١ .

القبائل وقت معلوم من أوقات السنة تشتري وتبيع فيه وكان يسمى هذا الوقت الموسم ، أما المكان الذي كانت تتم فيه عمليات البيع والشراء فقد كان يسمى (سوق الصفاء)[1] فمن القبائل التي ذكرها شمر بشكل عام سواء كانت في بادية العراق أو في نجد فأثرهم الإقتصادي واضح وذلك بمشاركتهم مع القبائل الأخرى في أحياء سوق الصفاة ، وذلك ببيع منتجاتهم وشراء ما يحتاجونه ويضاف إلى ذلك ما يدفعونه من رسوم عند دخولهم باب السوق لمندوب أمير الخميسية [2] وهذا مما يزيد من الدخل الإقتصادي لإمارة الخميسية [3] .

وفي الحلة عائلة الكواز[4] لقبوا بهذا الأسم لتجارة والد هذه الأسرة ودائماً لا يلقب إلا من يشتهر بحرفة من الحرف أو بتجارة معينة من الحرفيين والتجار والمنافسين له في السوق فقد كانت حرفته بيع الكيزان [5] والأواني الخزفية فسلك أبناؤه من بعده على هذه المهنة لذا استمر لقبهم بالكواز.

---

[1] مرجع سابق ، ص ٦١ .

[2] مؤسسها الأمير عبدالله بن صالح محمد آل خميس أسسها عام ١٨٥٨م والأمير في تلك الفترة حمد بن عبدالله (آل خميس، نفسه ، ص٤٦).

[3] آل خميس ، نفسه ، ص٦١ .

[4] الكواز : والد هذه الأسرة هو مهدي بن الحاج حمزة ، ولهذه العائلة أثر علمي وثقافي لا يستهان به فمنهم الأدباء والعلماء يرجع نسبهم إلى قبيلة شمر ، وأنساب الأسرة آل العذاري من شمر ، وسنذكر تفصيل عنهم في الأثر العلمي (الحلي ، تاريخ الحلة ، يوسف كركوش ، القسم الثاني ، الحياة الفكرية ، ط١، الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٥هـ ، ص٣١٢) .

[5] الكيزان : جمع مفرده كوز وهو الإناء الذي يشرب به .

ثانياً : الجانب العلمي :

ذكرنا أن سياسة الدولة العثمانية في استقرار وتوطين القبائل العراقية لها آثار إيجابية فعندما استقرت أعداد من قبيلة شمر في المدن والأرياف كان لهم أثرٌ في النواحي الحضارية والتي منها الأثر العلمي فقد نبع منهم العديد من العلماء في جنوبي العراق ، ومن العلماء من كان لهم أثر أبناء الشيخ خلف بن عسكر الحائري المتوفي (١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) فهو من إحدى الأسر العلميّة التي تفرعت من عشيرة زوبع فجميع أبنائه وصلوا إلى مكانة والدهم الذي قام بمهمة تدريس الطلاب [١] فمن أبنائه الشيخ حسين الذي تولى الإمامة مكان والده والوظائف الشرعية حتى توفي عام (١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) أما مذهبهم فهو شيعي [٢] .

ومن الأسر التي لها أثر ومكانة علمية في كربلاء (السلالمة) من الأسلم إحدى فروع قبيلة شمر ومساكنهم في محلة آل فايز في كربلاء ، فمنهم الشاعر علي بن ناصر بن حسن بن صالح بن فليح المولود في كربلاء ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٥م فمن آثاره له ديوان مخطوط في خزانة الشيخ محمد علي اليعقوبي في النجف [٣] ، ولحسن خطه أصبح وراقاً في كربلاء نسخ الكثير من الكتب فهذا العمل حقق دوراً كبيراً في ازدهار الحركة العلمية في المنطقة ، ومن قصائده قصيدة يرثي بها الحسين بن علي رضي الله عنه قائلاً :

وكم من أبي من سراة محمد ... أسيراً سرى من فوق عجف عارياً
وسط كريم للنبي أحاله ... على وجهه في كربلاء وهو ثاويا
قضى بعد ما أعطى المهند حقه ... وعنه لقد عاد المثقف راضيا [٤]

---

[١] ترك خلف الحائري أثراً علمياً في كربلاء فقد ألف العديد من الكتب منها : (شرح الشرائع) فقد وضعه في عدة مجلدات (الخلاصة) وهو تلخيص لفتاوى أستاذه علي الطبطائي صاحب الرياض في الطهارة (الصلاة) وهو شرح موجز وله (ملخص الرياض) و (مقدمات الحدائق) في مجلد انتهى من كتابته سنة ١٢١٤هـ (الطعمة ، سليمان هادي ، تراث كربلاء ، منشورات الأعلى ، بيروت ، ١٤٠٣هـ ، ص ٢٦٨-٢٦٩) .

[٢] الطعمة ، نفسه ، ص ١٤١-١٤٢ .

[٣] محمد علي ابن الشيخ يعقوب من أشهر الشعراء والأدباء العراقيين ولد في النجف عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٦م ألف العديد من الكتب منها (ديوان الذخائر) و (عنوان المصائب في مقتل الإمام علي بن أبي طالب) توفي يوم الأحد ١٣٨٥/٦/٢١هـ . ١٩٦٥/١٠/١٧م (شبر ، جواد ، أدب اللّطف أو شعراء الحسين من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري ،ج١٠ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ص ١٩٤-١٩٧) .

[٤] الطعمة ، مرجع سابق ، ص ١٩١.

وفي كربلاء آل بريطم ، وذكر الطعمه : " آل بريطم أسرة عربية تنتسب إلى شمر استوطنت كربلاء في القرن الثاني عشر الهجري " ، فقد نبغ منها الشاعر يوسف أحمد آل بريطم توفي سنة (١٢٨٨هـ/١٨٧١م) [١] ، ومن قصائده قصيدة امتدح بها كتاب (شواهد الغيب) لأحمد الرشتي[٢] ومطلعها :

شـــواهد غيـــب طـــرزت بفصـــاحة ... فنمقهـــا قســـت الفصـــاحة مفـــرد

شـــؤوناتها فاقـــت عـــلاء علـــى العلـــى ... كمـا قـد عـلا فـوق الفلـزات عسـجد [٣]

فمدحه للكتاب وإقراضه يدل على اهتمامه بالعلم والعلماء وقصيدته من القصائد التي شجعت الحركة العلمية في كربلاء .

ظهر في الحلة أدباء وطلبة علم من قبيلة شمر أحيوا الحركية العلمية بأدبهم ولهم صلة قوية بعلماء وأدباء زمانهم في جميع أنحاء العراق فقد اشتهرت أسرة (آل العذاري) [٤] بعدد من علمائها وقد ذكر الحلي " أن أصلهم من الدغيرات إحدى قبائل شمر " [٥]. فمن أشهر أدباء هذه الأسرة والأعلام في العراق :

١- **الشيخ علي العذاري** [٦]: فمن آثاره العلمية تأليف كتاب في علم النقطة والحروف والرمل وعندما توفي رثاه أشهر الأدباء العراقيين حيد الحلي [٧]، ومطلعها :

---

[١] لم يحدد صاحب الكتاب إلى أي فروع شمر ينتسب آل بريطم ، حيث وضح سابقاً عن أسرة العسكر ونسبها إلى (زوبع) وكذلك أسرة السلالة من الأسلم (مرجع سابق ، ص ١٩٩) .

[٢] هو أحمد بن كاظم بن قاسم الحسيني الرشتي ، ويرى الشيعة أن الزعامة الدينية بهذا البيت لأنهم من السادة الحُسينية . حسب اعتقادهم . توفي في كربلاء عام ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م فأصبح مكانه ابنه قاسم (شبر ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص ٢٥٠)

[٣] الطعمه ، مرجع سابق ، ص ١٩٩- ٢٠٠ .

[٤] سموا بذلك نسبة إلى العذار وهو اسم يطلق على السواد وعلى جميع القرى الواقعة على ضفتي نهر الحلة في الجهة الجنوبية والشمالية من الحلة ، ويمتد من أعالي أطلال بابل إلى أسفل قضاء الهاشمة . لذا لقبت هذه الأسرة بالعذاري لوقوع منازلهم في قرية السعادة إحدى قرى العذارى وبعدها انتقل أحفادهم إلى الحلة وما جاورها (الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ١٥٣- ١٥٤) .

[٥] نفسه ، ص ١٥٤ .

[٦] هو علي بن حسين بن عبد الله الكاظم علي التربياني من الدغيرات من قبيلة شمر (الحلي ، نفسه ، ص ١٥٤).

[٧] حيدر الحلي : هو حيدر بن سليمان بن داود بن سليمان بن داود بن حيدر الشرع ، يرجع نسبه إلى زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ولد في الحلة في ١٢٤٦هـ/١٨٣١م توفي في الحلة ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م ودفن في النجف (التميمي ، جعفر صادق ، معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث ولهم ديوان مطبوع ، ط١ ، المعرفة ، ١٤١٢هـ ، ص ١٣٠)

درى لا درى دهـــر ذممنـــا طباعـــه	**لأي حمـــى يـــا راعـــه الله راعـــه**
ســل الحلــة الفيحــاء عــن عقــد نحرهــا	**أتعلـــم منهـــا الـــدهر أيـــن أضـــاعه**
أحاملـــه الـــنعش دونـــك فأحتمـــل	**بـــه النســـك أن النســـك كـــان متاعـــه [1]**

ودائماً لا يكتب الشعر ولا يرثى إلا رجل له أثر في حياته خاصة وأن الشاعر حيدر الحلي له مكانة عالية بين الأدباء العراقيين فهو لا يرثي إلا من يستحق وهذا يدل على مكانة الشيخ علي العذاري.

٢- **عبد الله العذاري** : وهو ابن الشيخ علي درس على يد والده ، وعلى يد مهدي القزويني[٢] . فقد كان إماماً في الجامع المنسوب إليهم في الحلة فالإمام دائماً ما يكون ناصحاً مرشداً ومؤثراً في المجتمع يدل على الخير وينهى عن المنكر . أما الناحية العلمية فله تعليقات على كتاب الموجز لابن سينا ، وله مراسلات بينه وبين أخيه الشيخ عباس تتضمن نثراً وشعراً . فهذه المراسلات لا تخلو من النصائح والمواعظ ولا تكون خاصة فيما بينهم ، وإنما يطلع عليها ويسمعها من يريد الفائدة فبهذا يكون له أثر في المجتمع الذي يعيش فيه . ومن شعره رثاءه لشيخه مهدي القزويني قائلاً :

لقـــد طـــرق النـــاعي بقاصـــمة الظهـــر	**أيـــدري لمـــن ينعـــاه أم هـــو لا يـــدري**
لقـــد طاشـــت الأحـــلام مـــن نكبـــة القضـــا	**وطـــار بأحشـــاها جنـــاح مـــن الـــذعر**
وتراهـــا حيـــارى لـــم تـــرى اليـــوم ملجـــأ	**ســـوى أنهـــا تطـــوي الضـــلوع علـــى حجـــرِ**

وتدل هذه القصيدة على علو مكانة العلماء لديه وعلى اهتمامه بالعلم حتى توفي في ١٣٠٧/٢/٣هـ . ١٨٨٩/٩/٢٩م ودفن بالنجف [٣] .

٣- **محسن العذاري** : وهو الابن الثاني للشيخ علي العذاري . كانت له صلات علمية مع علماء عصره وأشعاره تدل على ذلك فعندما توفي الميرزا محمد حسن الشيرازي سنة (١٣١٢هـ/١٨٩٤م) رثاه قائلاً :

---

[١] الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ١٥٤-١٥٥ .

[٢] هو أبو جعفر معز الدين محمد بن الحسن المعروف بالسيد مهدي القزويني يعتبرونه الشيعة أشهر مراجع الإمامية وزعمائها في عصره ولد عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م في النجف وتنقل ما بين الحلة والنجف حتى توفي عام ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م ولمكانته الدينية لدى الشيعة رثاه العديد من الشعراء ، كالشاعر حيدر الحلي والشاعر محمد سعيد الحبوبي وصالح الكواز وغيرهم من الشعراء (شبر ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص٢٧٤-٢٧٦) .

[٣] الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ١٥٥ .

أناعيـــه تنعـــى النـــدى والمعاليـــا أم الـدين والإسـلام قـد جئـت ناعيـا [1]

وله في الرثاء رثاءه للعلامة مهدي القزويني قائلاً :

أبـا صـالح لـو كنـت تفـدى مـن الـردى بأرواحهـا طـراً فـدتك بنـو الـدهرِ

فمـن بعـدك الفيحـاء أمسـت بعولـة كثاكلـة قـدما بهـا الـدهر فـي عشـرِ

فهذه القصيدة كقافية أخيه عبد الله عندما رثاء القزويني ، ومن قصائده في المدح قصيدته التي يمتدح فيها العلامة نعمان الألوسي [2] قائلاً :

أبـو ثابـت ذاك مـن قـد غـدا لعـين العلـي عـين إنسـانها

فمـا فـي الفتـاوى لـه مشـبه ومـن ذا يكـون كنعمانهـا [3]

فأغلب قصائده يمتدح ويرثي بها العلماء من كان لهم أثر علمي بارز في العراق ، ولا يقتصر في رثاءه على علماء الشيعة ، فقد رثى العلامة السني نعمان الألوسي ، ويدل ذلك على حسن العلاقة مع السنة أحياناً ، ومن خلال قصائده يتضح لنا تشجيعه للحركة العلمية ورفع مكانة العلماء ، وأن مديحه ورثاءه لا تقتصر على العلماء في جنوبي العراق ، وإنما امتد إلى علماء بغداد . ومن أعماله قيامه بجمع أشعار أسرته وما كتبوه من نثر فقد استغرق عمله سنتين وبعد وفاته في ١٣١٤/٦/١٧هـ/١٨٩٦/١١/٢٣م) انتقل ما جمعه إلى الشيخ تقي العذاري ثم فقدت منه[4] .

٤- **عباس العذاري** : وهو أبو الحسن الابن الثالث للشيخ علي ، درس على يد والده اللغة العربية وعلى يد ابن عمته الشيخ صالح الكواز ، أما العلوم الدينية فقد سافر إلى النجف وتتلمذ على علمائها ، ولحسن خطه طلب منه المؤلفون ومن كان له اهتمام بالكتب وجمعها بنسخ ما يريدون من الكتب . فمن الكتب التي قام بنسخها (الصوارم الماضية) لمهدي القزويني و(نجاة العباد) للشيخ

---

[1] الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ١٥٥-١٥٦ .

[2] هو نعمان ، عبد الله بن محمود الألوسي البغدادي (١٢٥٢هـ/ ١٣١٧هـ . ١٨٣٦/ ١٨٩٩م) . (الرديعان ، مرجع سابق ، ص ٢٧٧) .

[3] الحلي ، مصدرسابق ، القسم الثاني ، ص ١٥٥-١٥٦ .

[4] الحلي ، نفسه ، ص ١٥٥-١٥٦ .

محمد حسن (صاحب الجواهر) [1] ، وفي قسم المخطوطات العربية في مكتبة " نيويورك " العامة مخطوط النصف الثاني من ديون الشريف الرضي [2] بخط يده في بغداد (١٣١٣هـ/١٨٩٥م) [3] فأثره العلمي لا يقتصر على نسخ الكتب ، وإنما كان أدبياً ومن قصائده التي له بها صلة مع العلماء قصيدته مهنئاً بها محمد القزويني [4] بمناسبة رجوعه من الحج قائلاً :

وافى كبدر قد جلا بضيائه ... غسق الدجا قد لاح في ظلماته

إلى أن قال :

فبنسكه عرفوا مناسك حجهم ... والهدي قد عرفوه من أهدائه

فيه زها نجف العراق وأصبحت ... تختال من فرح ربى فيحاتهِ

وفي الرثاء أيضاً رثاءه لجعفر القزويني قائلاً :

يا راحلاً والعلم خزناً له ... أجرى مع الدمع الحشا أدمعا [5]

---

[1] هو محمد بن حسن ابن الشيخ باقر بن عبد الرحيم النجفي ولد حدود عام ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م بالنجف أصبح معروفاً بصاحب الجواهر وذلك لتأليفه كتاب (جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام) وله أيضاً مؤلفات أخرى منها هداية الناسكين من الحجاج والمعتمرين . ويفتخر طلاب العلم من الشيعة بأنهم من تلاميذ صاحب الجواهر فهم يروها شرف علمي ومكانة عالية ، توفي في النجف عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م ، (آل محبوبه ، جعفر باقر ، ماضي النجف وحاضرها ، ط٢ ، دار الأضواء ، لبنان ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٠٨ .

[2] هو أبو الحسن بن محمد الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر الملقب (ذو الحسبين) ولد ببغداد عام ٣٥٩هـ بدأ ينظم الشعر وهو لم يبلغ العاشرة من العمر . اتصف بعلو الهمة والنفس من خلال قصائده وبجانب الشعر فقد حقق لنفسه مكانته العلمية حيث ألف العديد من الكتب منها : (حقائق التأويل في متشابه التنزيل) توفي في بغداد عام ٤٠٦هـ (شبر ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ٢١٦) .

[3] ذكر الحلي أن عباس العذاري بعد رجوعه من النجف إلى الحلة خرج إلى بغداد وسكن فيها فترة من الزمن وفي تلك الفترة قام بنسخ العديد من الكتب في بغداد (مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ١٥٧) .

[4] هو محمد بن مهدي القزويني ولد في الحلة عام ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م سافر إلى النجف مع أخويه جعفر وصالح بهدف الدراسة وفيها جمع العديد من العلوم كالفقه والتفسير والأدب والتاريخ عاد إلى الحلة وأصبح مدرساً ومرجعاً في الأحكام الشرعية لدى الشيعة حتى توفي فيها في ١٣٣٥/١/٥هـ - ١٩١٦/١١/١م (شبر ، مرجع سابق ، ج٨ ، ص ٢٩٠-٢٩١)

[5] الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ١٥٦-١٥٩ .

ولمكانة عباس العذاري وأثره العلمي أنه لما توفي في (١٣١٨/٨/١٠هـ . ١٩٠٠/١٢/٣٠م) رثاه العديد من العلماء والأدباء [١] .

٥- **محمد بن عبد الله العذاري** : سلك طريق والده وجده علي العذاري في طلب العلم حيث درس الفقه وأصوله وعلم الطب اليوناني في النجف على جماعة من أشهر علماء عصرهم ، وقبل خروجه إلى النجف تلقى علوم النحو والصرف والأدب في الحلة . ومن قصائده التي يرددها أهالي الحلة رثاؤه لمحمد أغا آل شبيب البغدادي أحد زعماء الحلة المتوفي عام (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) ومنها :

قدر على الدنيا أرتمى فأخافها ... دمعاً وأذهل في الردى أشرافها

وأصابها بمحمد فتصدعت ... منها القلوب ولازمت أرجافها [٢]

وبعد عام من رثائه للبغدادي توفي في جمادى الأولى عام (١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م) ، ونقل إلى النجف ، ورثاه جماعة من الأدباء منهم الشيخ علي عوض والشيخ قاسم الملا وابنه الشيخ علي [٣]

٦- **حسن العذاري** : حفيد الشيخ علي استخدم شعره في توثيق العلاقات مع العلماء والأدباء في جميع أنحاء العراق ومن قصائده يمتدح فيها ناصر الموسوي البصري قائلاً :

وجئنا البصرة الفيحاء فيها ... عقب السير أدركنا المراما

بطلعة ناصر الدين الذي قد ... جلا عن منهج الرشد الظلاما [٤]

ولم يقتصر شعره على العلماء في جنوبي العراق بل امتد إلى الأدباء والعلماء في بغداد . وله مكاتبات مع العلامة محمود شكري الألوسي [٥] يستنجده في إحدى القضايا التي واجهته من والي بغداد فوصف ما يشكو منه في أبيات قائلاً :

---

[١] الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ١٥٦-١٥٩ .

[٢] الحلي ، نفسه ، ص ١٥٩-١٦٠ .

[٣] الحلي ، نفسه ، ص ١٥٩-١٦٠ .

[٤] الحلي ، نفسه ، ص ١٦١ .

[٥] هو محمود شكري عبد الله الألوسي ، ولد في ١٢٧٣/٩/١٩هـ في بغداد جانب الرصافة في بيت علم سماه والده بأبي المعالي ، وبدأ في صغره بحفظ كتاب الله وإتقانه وتجويده ، ومن أبرز شيوخه أبيه عبد الله الألوسي ، وعمه نعمان الألوسي والشيخ إسماعيل بن مصطفى . بدأ التأليف وهو في سن العشرين ، شارك كبار العلماء في التدريس . فقد درس في جامع عادلة خاتون عُين مدرساً في جامع الحيدر خانة . قام بزيارة إلى نجد في عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م ألف كتاباً عن تاريخ نجد توفي رحمه الله في شهر شوال ١٣٤٢هـ (الدروبي ، إبراهيم ، البغداديون أخبارهم ومجالسهم ، الرابطة ، بغداد ١٩٥٨م ، ص ٣٣-٣٤) .

سـدت بـوجهي مـا وجـدت ... بقرعهـا لضـيق وسـعاً
إلا الفتـى الشـكري مـن ... رضـع العلـى ضـرعاً فضـرعا
يـا مـن زكـا أصـلاً وطـاب ... بفضـله المعـروف قرعـاً
إنـي ادخرتـك للخطـوب ... إذا عـرت حصـناً ودرعـاً
فاسـتبقني لـك داعيـاً ... وأحسـن إليّ اليـوم صُـنعا [1]

فأسرة آل العذاري صنعت لها أثر علمي وثقافي في الحلة وفي العراق بشكل عام ، وذلك عن طريق صلاتهم العلمية مع العلماء العراقيين ، وهذا دليل على اهتمامهم بالعلم وإذا ألقينا النظر إلى الأسباب التي جعلت من رجال هذه الأسرة علماء وأدباء يشار إليهم بالبنان فهي :

١- البيئة التي عاشت بها هذه الأسرة فهناك فرق بين حياة البادية التي يغلب عليها طابع الغزو والتنقل والترحال من موطن لآخر وبين حياة الحاضر التي عاشوا فيها . فمدينة الحلة التي سكونها تعتبر من أشهر الألوية العراقية في جميع النواحي الحضارية فهي مزدهرة بالعلم ، وتجمّع العلماء مما ساعد باختلاطهم مع العلماء والأدباء .

٢- العامل الوراثي فكما هو معروف أن الشعر موهبة ، فقد يكون سببها الوراثة في نفس الوقت يضاف إلى ذلك أن الشيخ علي آل العذاري له دور في تشجيع أبناءه وأحفاده لطلب العلم حتى أصبحوا من مشاهير الأدباء والعلماء في العراق .

ومن الأسر التي لها أثر علمي في الحلة الكواز من إحدى قبائل شمر التي هاجرت إلى جنوبي العراق واستوطنوا بالحلة ومع مرور الأيام ومخالطتهم للمجتمع الذي عاشوا فيه أصبح لهم أثر في جميع النواحي الحضارية والتي منها الناحية الاقتصادية كما ذكرنا والناحية العلمية فقد برز منهم علماء وأدباء لهم صلة وصداقة مع العلماء العراقيين ومن أبرزهم :

١- **صالح الكواز الحلي** [2]: درس النحو والصرف والعلوم الشرعية على يد أعداد من رجال العلم ومنهم : خاله الشيخ علي العذاري ، وحسن الفلوجي ، ومهدي السيد داوود

---

[1] الحلي ، مصدر سابق ، اقسم الثاني ، ص ١٦١ .

[2] صالح بن الحاج مهدي بن الحاج حمزة ولد عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م يرجع نسبه إلى قبيلة الخضيرات إحدى عشائر قبيلة شمر كان يعمل مع أبيه في بيع الكيزان والأواني الخزفية لذلك اشتهر بالكواز (التميمي ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ ؛ شبر ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص٢١٤).

ومهدي القزويني [1] حتى أصبح يعد من أفضل رجال الحلة في عصره علماً وأدباً [2] ، ولبروزه تحدث المؤلفون العراقيون عن شخصيته فذكروا أن الكواز الكبير يأنف من هذا التكسب بالشعر كل الأنفة ويرتفع عنه كل الترفع فلا يمدح إلا تقديراً للعلم وتكريماً لأهل الفضل والأدب وتوثيقاً للصداقة [3] وبما أن الكواز من الأعلام العراقيين في الأدب أصبحت له علاقات مع الشعراء وكتب فيهم الشعر فمن هؤلاء الشاعر المعروف بالأخرس البغدادي[4] فقد تعرض له قائلاً :

وشاعر ملأ الأوراق قافيه ... ويحسب الشعر في تسويد أوراق

إلى أن قال :

لقال لي وبديع القول يشهد لي ... بمذود ببليغ النظم نطاق

أخرست أخرس بغداد وناطقها ... وما تركت لباقي الشعر من باقي

وبعد فترة من هذه القصيدة حضر الأخرس إلى الحلة عند أحد زعماء الشمرت [5]، وكان صالح الكواز حاضراً فقال الأخرس أروني كوازكم الذي يقول :

أخرست أخرس بغداد وناطقها ... وما تركت لباقي الشعر من باقي [6]

فقيل له هذا هو جليسك فلما رأى شكله لم يهتم به وتركه وشأنه وقال : ليس هذا فقال له إنه الكواز فلا يغرك مظهره ، فالتفت الأخرس إليه معاتبه على ذلك البيت ، فأسمعه الكواز أبيات يرتجل بها قائلاً :

---

[1] التميمي ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ ؛ شبر ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص ٢١٥ .

[2] الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ١٦٧

[3] التميمي ، مرجع سابق ، ص ١٨١ .

[4] هو عبد الغفار بن عبد الواحد بن وهب ولد في الموصل عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م لقب بالأخرس بسبب حبسة كانت في لسانه . سافر إلى بغداد وتعلم فنون الأدب على يد الشيخ أبو الثناء محمود الألوسي وأصبح معروفاً في المنتديات الأدبية بسبب شعره الذي يتميز بالمعاني البديعة الرائعة وجمال الوصف والخيال له ديوان (الطراز الأنفس في شعر الأخرس) توفي في البصرة عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م (الجبوري ، مرجع سابق ، ص ١٧) .

[5] الشمرت : من سكان النجف ، وفي سنة ١٢٨٥هـ قتل السيد رضا الرفيعي والد السيد جواد سادت . فأمرت الحكومة العثمانية بنفي جماعة ورؤساء الشمرت من النجف إلى الحلة لتوطيد الأمن في النجف (الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ١٦٨) .

[6] الحلي ، نفسه ، ص ١٦٨ .

فلـــو أن لبســـي قـــدر نفســـي لأصـــبحت تحـــاك ثيـــابي مـــن جنـــاح الملائـــكِ[1]

ومن أثره الشعري له ديوان مطبوع باسمه (ديوان صالح الكواز الحلي) حققه محمد علي اليعقوبي طبع في النجف عام (١٣٨٤هـ/ ١٩١٤م) [2] ، وللكواز اهتمام في مجالسة العلماء والأدباء ومن إحدى المجالس العلمية التي كان يرتادها مجلس عائلة الرشتي في كربلاء ويجتمع فيه أدباء من بغداد والحلة والنجف [3] ، ويدل على مكانته بين العلماء أنه عندما توفي في شهر شوال (١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م) جلس للعزاء مهدي القزويني ثلاثة أيام ورثاه صديقه حيدر الحلي فالعلاقة التي أقامها مع العلماء والأدباء وحضوره مجالسهم وأشعاره وديوانه جميع تلك الأعمال العلمية التي قام بها حققت له ولأسرته أثراً علمياً [4].

٢- **حمادي الكواز** : وهو أخو صالح الكواز فقد كان أديباً إلا أنه لم يكن في منزلة أخيه العلميّة وإنما كان يتصف بسرعة البديهة ، وقوة الذاكرة ومجالسة الأدباء والعلماء ، فما يتصف به ساعده بأن يكون من الأدباء في الحلة وفي العراق بشكل عام ، ويعتبر حمادي ممن ساهم في ازدهار الحركة الأدبية في الحلة فقد كانت في الحلة أندية ومجالس أدبية تقام فيها المسابقات الشعرية ، ورواية شعر القدماء ونقده . فأصبحت تلك المجالس كالمدارس ، ومنها ديوانه الذي يرتاده الأدباء وكبار رجال الحلة ممن يقدرون الأدب وسماع الشعر[5] ، ومن الأدباء التي تربطه صداقة بهم المؤرخ يوسف كركوش الحلي . حيث ذكر الحلي قائلاً: " تذاكرت يوماً أنا والكواز فيما كان يرتجله الشعراء الأقدمون من الأراجيز والقصائد فقال لي لا تعجب وأكتب ما أملي عليك إذا شئت [6]" استمر حمادي في فتح مجلسه للأدباء والعلماء الحرص على تلك الأندية العلمية ، وتوثيق العلاقات مع أولئك العلماء والأدباء حتى توفي سنة (١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م) [7] .

---

[1] في الشطر الثاني (تحاك ثيابي من جناح الملائكة) لا يجوز الوصف ؛ لأن فيه غلو فالشاعر تعدى على الملائكة بوصفه (الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص١٦٨) .

[2] التميمي ، مرجع سابق ، ص ١٨٠ ؛ شبر ، مرجع سابق ، ج٨ ، ص ٢١٩ .

[3] الطعمة ، مرجع سابق ، ص ٣١٠ .

[4] الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ١٧٠ .

[5] شبر ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص ١٦٥-١٦٦ .

[6] مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ١٦٢-١٦٤ .

[7] الحلي ، نفسه ، ص١٦٦ ؛ شبر ، مرجع سابق ، ج٧ ، ص ١٦٧ .

٣- **عبد الحسين [١] صالح الكواز** : حرص والده على تعليمه ؛ لكي يسلك طريقه في طلب العلم فقد درس قواعد اللغة العربية على يد محمد القزويني ، وعمره لا يتجاوز السادسة عشرة ومن المواقف التي تدل على موهبته الشعرية أنه امتدح أستاذه القزويني في أبيات فظنها من قصائد والده وأنه نسبها إليه فنظم القزويني بيتين على حسب مقدرته الشعرية ليختبره بها قائلاً :

لقد قيل أن عبد الحسين ... ينظم القريض غدا فائقاً

فقلت النظام مع الامتحان ... يرى كاذباً فيه أو صادقاً

فرد عليه عبد الحسين مرتجلاً :

لقد قيل أن عبد الحسين ... بنهج أبيه غدا لاحقاً

وها هو قاربه أنه ... ينظم القريض غدا فائقاً

فأثره الشعري واضح في أبياته التي ذكرها على رغم صغر عمره إلا أنه لم يدم طويلاً فقد توفي عام (١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) ولم يصل عمره الثلاثين [٢] .

وممن كان لهم أثر علمي وثقافي من رجال شمر الذين عاشوا في جنوبي العراق الحاج صلاح الفاضل الموح فقد كتب مذكرات تاريخية [٣] لها أهميتها فهي مصدر مهم من مصادر تاريخ عفك إحدى القرى التابعة لمحافظة القادسية والمناطق المجاورة لها ؛ لأنه من رجال الثورة الذين حدثت لهم مواقف ضد الحكومة البريطانية أيام ثورة العشرين لذا فقد دوّن تلك الأحداث التي شهدها . فقد بدأ بكتابة مذكراته عن معنى الأقرع والمواطن التي استقروا بها وعن بداية قدومهم من جبل شمر إلى عفك وكذلك عن فروع قبيلة شمر سواءً في جبل شمر أو في العراق . تطرق في مذاكرته إلى نبذة يسيرة عن

---

[١] هذه التسمية لا تجوز شرعاً لأن الحسين ليس من أسماء الله ، ويراد به الحسين بن علي بن أبي طالب ، فالشيعة يعبدون الله ، فالتسمية يرونها من باب التعظيم والتقديس إلا أنها من مداخل الشرك بالله : فهي كالمسميات الأخرى التي يراد بها التعظيم مثل : عبد النبي وعبد الرسول وغير ذلك من الأسماء التي يراد بها التعظيم .

[٢] الحلي ، مصدرسابق ، القسم الثاني ، ص ١٧١-١٧٢ .

[٣] الحاج صلاح بن فاضل بن شخير بن غانم بن سليمان بن خليفة الشمري . كلمة : (صلال تعني العطشان) و(الموح) لقب عرف به ؛ لكرمه وسخائه ولد عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م . وصلت المذكرات التاريخية إلى المحقق كامل سلمان الجبوري عندما التقى بأبنائه وبينما دار الحديث فيما بينهم عن دور عشائرهم أيام ثورة العشرين أعطاه عبد الهادي دفتر يحتوي على مذكرات والده الحاج صلال والتي قد كان أملاها الحاج في أواخر أيامه على السيد يحي أحد أعضاء الهيئة التعليمية في مدرسة الفاضلية الابتدائية . (الحاج ، مصدر سابق ، ص٥-٨)

طلاب العلم من شمر وسفرهم لطلب العلم . وكتب أيضاً عنواناً كاملاً عن الحرب العالمية الأولى فوصف الأحداث التي سمعها وشاهدها ، وعن دور الثوار العراقيين ضد بريطانيا ، وهجرة أعداد من السياسيين العراقيين إلى الحجاز وسبب هجرتهم ردة فعل من ثورة العشرين بقصف منطقتهم بالطائرات حيث هاجر أخوه مهدي الفاضل بعد اختلافه مع السلطة فقد ذكر مقابلته مع الملك عبد العزيز آل سعود [1] .

كانت طريقته في رواية الأحداث التاريخية التي سبقت ولادته هي تدوين ما سمعه من آبائه وممن عاصرهم من المشائخ . فقد اختص برواية أسماء الزعماء في عفك بالترتيب والأحداث التي لها أهمية تاريخية . وتأتي أهمية مذكراته بأنها حفظت أحداث مفقودة من تاريخ العراق السياسي الحديث التي لم يتطرق إليها بعض المؤرخين وأحداث لم يفصلها الآخرون ، فهذه المذكرات لها أثر علمي وثقافي لا يستهان به فهي مصدر مهم من مصادر تاريخ العراق الحديث ، وما يختص بقبيلة شمر القاطنين في عفك إحدى القرى التابعة لمحافظة القادسية [2] .

ومن خلال ما ذكرناه يتضح أن القبائل التي تعتمد في حياتها على التنقل والترحال من موطن لآخر لم يكن لها أثر حضاري واضح خصوصاً في الناحية الاقتصادية والعلمية إذا قارنته مع القبائل المتحضرة ، ويثبت ذلك أن قبيلة شمر عندما استقرت في حياة القرى والمدن أصبح لها أثر اقتصادي وعلمي عما كانوا عليه فترة التنقل والترحال ، وذلك بحكم موقعهم القريب من الأسواق والمزارع التي تزود تلك الأسواق بالمنتجات ، ووجود المدارس القريبة منهم . فتلك المدارس تزيد مكانتها العلمية إذا كانت في مدينة تفتخر بكثرة علمائها وطلبة العلم كمدينة الحلة والنجف والزبير والبصرة وغيرها من المدن الواقعة في جنوبي العراق . ومن خلال قصائد المدح التي كتبها محسن العذاري ، والذي كان مذهبه شيعي في العلامة السُني نعمان الألوسي ، وكذلك ما كتبه حسن العذاري يطلب من العلامة محمود شكري الألوسي الوقوف معه أمام والي بغداد . فتلك الأشعار تدل على العلاقات الحسنة فيما بينهم على الرغم من الاختلاف المذهبي ، ويدل ذلك على أن العلاقات ما بين السُنة والشيعة لم تكن جميعها سيئة ، وإنما تكون مبنية على الود والاحترام أحياناً .

---

[1] الحاج ، مصدر سابق ، ص ١٥-٣٠-٤٦ .

[2] الحاج ، نفسه ، ص٦ .

الفصل الثاني

قبائل جنوبي العراق وهجراتهم إلى جبل شمر

المبحث الأول : القبائل العربية في جنوبي العراق

- قبيلة شمر
- قبائل المنتفق
- قبائل زبيد
- المشاهدة

المبحث الثاني : عوامل الهجرة إلى جبل شمر وعلاقتهم مع السكان والسلطة المحلية .

- العامل السياسي
- العامل الاقتصادي
- العامل الاجتماعي

المبحث الثالث : أثر قبائل جنوبي العراق في جبل شمر في الجانب الاقتصادي والعلمي .

- الجانب الاقتصادي
- الجانب العلمي

المبحث الأول : القبائل العربية في جنوبي العراق .

خرجت العديد من الجماعات منذ أقدم العصور من شبه الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب لعدة أسباب من أهمها الجفاف التي كانت تعاني منه الجزيرة خاصة نجد ، ويشكل العراق الجزء الرئيسي من هذا الهلال ، وعندما فتح المسلمون العراق توافدت القبائل إلى المناطق الواقعة في جنوبي العراق حتى شكلت عنصراً رئيسياً في التركيبة السكانية في تلك المناطق خلال تلك الفترة والعصور الإسلامية التالية لها ،حيث كانت القبائل هي المسيطرة سياسياً خاصة في مراحل ضعف السلطة المركزية.

ينقسم العراق في عهد الدولة العثمانية إلى ثلاث ولايات هي : بغداد ، الموصل ، البصرة. كانت المناطق الواقعة في جنوبي العراق أغلبها تابعة لولاية البصرة ، وأجزاء من جنوب ولاية بغداد[1] ومن القبائل الواقعة في جنوبي العراق مايلي :

أولاً – قبيلة شمر :

لقد ذكرنا في الفصل السابق نسب شمر واستقرارهم في جبل شمر والأسر التي تعاقبت على الإمارة والمشيخه في المنطقة ، وسبب تسمية المنطقة بجبل شمر بدلاً من جبل طيء،والعوامل التي أدت إلى هجرة جماعات من قبيلة شمر من مواطنها الأصلية إلى جنوبي العراق.

ومن أقدم هجرات قبيلة شمر إلى جنوبي العراق هجرة آل قشعم وهم من (عبده) ،فقد كان نزوحها في أواخر القرن الثامن الهجري (القرن الرابع عشر الميلادي)[2] ، وما أن وصلت إلى العراق حتى اصبحت لها سيادة كالقبائل الأخرى الواقعة في جنوبي العراق ، فقد كانت سيطرتها في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين) ، حيث امتدت على منطقة واسعة من نواحي الحلة شمالاً إلى السماوة جنوباً وامتدت في عهد أميرها ناصر بن مهنا إلى البصرة حتى اطلق عليه (شيخ العراقيين) ، وكانت قاعدة الإمارة كربلاء وأحياناً النجف[3]، وذكر البسام صاحب عشائر العرب عن آل قشعم قائلاً : " ذو السنان الأغشم والعطر لمن سم حماة الظعون

---

[1] لوريمر ، مصدرسابق ، القسم الجغرافي ، ج٣ ، ص١٥٣٦-١٥٤٣ ؛ الشلاه ، مرجع سابق ، ص ٤٢-٤٣ .

[2] السويداء ، مرجع سابق ... منطقة حائل ، ص ٣١ ؛ الريشاوي ، مرجع سابق ، ص١٦٠.

[3] اوبنهايم و فرنر كاسكل ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٥٨٤ ؛ النحاس ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩ ؛ الريشاوي ، نفسه ، ص ١٦٢.

ومال الظنون الحائزون الفضل عن أقرانهم والشاقة البيضاء في غرة زمانهم وسكانهم ألفان وفرسانهم خمسائة ولم يتعاطوا الرمي بالبنادق"[1] ، فالبسام لم يذكر ذلك إلا وقد كان لهم أثر سياسي واجتماعي بارز كالقبائل العراقية الأخرى .

ومن الهجرات التي أعقبت هجرة آل قشعم هجرة الأسلم التي كانت بقيادة ابن حسان فقد كانت هجرتهم في حدود عام ١٠١٣هـ/١٦٠٤م ولما استقرت تلك الهجرة أصبح بينها وبين الحكومة العثمانية التي ترغب في اخضاع العشائر وتوظيفها عدة معارك حيث قاموا بتهديد الجيش العثماني في المناطق الواقعة جنوبي العراق ، وذلك لرفض ابن حسان دفع الجزية أو ما تعرف (بالخاوة) إلى الدولة العثمانية التي كانت تفرضها على تلك القبائل القادمة إلى العراق[2].

استمرت الهجرات المتعاقبة من شمر إلى جنوبي العراق نتيجة للإحداث التي يواجهونها سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية ، ومن تلك الهجرات المتعاقبة هجرة آل جرباء والتي كانت بقيادة مطلق الجرباء عام ١٢٠٥هـ/١٧٩١م[3] والتي كانت هجرتهم في البداية إلى جنوبي العراق ، ولم يلبثوا طويلاً حتى هاجروا إلى شمال العراق (الجزيرة)[4].

استطاعت الحكومة العثمانية توطين العشائر العراقية نسبياً ، حيث قامت بعدة طرق لترغيب تلك القبائل في الاستيطان بدلاً من حياة التنقل والترحال ، وذلك لبسط نفوذها وتحقيق المعنى الحقيقي لمفهوم الدولة ، فعندما تتمرد عليها تلك القبائل التابعة لولاياتها لا تصبح لها هيبة ومكانه وبالفعل فقد استوطنت العديد من القبائل في المدن والأرياف القريبة منها . وقبيلة شمر كغيرها من القبائل العراقية التي مرت بها سياسية توطين القبائل ومن المدن التي استقرت بها شمر (لواء الديوانية)في قضاء عفك[5] ، وشيخهم الحاج مخيف بن محمد بن صخير بن غانم سلمان وهم من عبده[6]، ومن

---

[1] مصدر سابق ، ص ٨٨

[2] الظاهري ، ابن عقيل ، آل جرباء في التاريخ والأدب ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٨٣م ، ص٢٠-٢٣.

[3] العزاوي ، مصدر سابق ،ج ١ ، ص ١٣٩ ؛ النحاس ، مرجع سابق ، ص ٢٧١ ؛ الناصري ، مرجع سابق ، ص٤٥

[4] اوبنهايم و فرنزكاسكل ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٢٤ ؛ الريشاوي ، مرجع سابق ، ص ١٦٦-١٧١ ؛ النحاس ، نفسه ، ص٢٧٣. ؛ الناصري ، نفسه ، ص٥٣.

[5] عفك : تقع على شط الدغارة إحدى فروع نهر الحلة وتقع شرق الديوانية بحدود ٣٥كم اتخذت مركزاً للقضاء الذي سمي باسمها لأهميتها القبلية واتساع اراضيها الزراعية (الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٥٨) .

[6] تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية ، ص١٤-١٦ ؛ اوبنهايم و فرنزكاسكل ، مصدر سابق ، ج ٣، ص٤٤٤-٤٤٥.

الأسلم في اللواء (آل شبل) التي اشتهرت بالرعي أكثر من الزراعة ، فقد أسكنهم زعيم الخزاعل مع عشيرته على حدود المنتفق[١] .

ومن الأسر في اللواء (الأكرع)[٢] أطلقت عليهم التسمية نسبة للمكان الذي استقروا فيه عندما قدوموا من جبل شمر ، وبعد استقرارهم في أرض الكرعة ماتت ابلهم لقلة المرعى وارتحلوا إلى موطن قريب بين قضاء الديوانية والدغارة[٣] في أرض تسمى (الكرندلية) ، ومن رؤسائهم شعلان العطيه وسعدون الرسن[٤] ، الذي كانت بينه وبين الحكومة البريطانية عدداً من المعارك آخر تلك المعارك ذهب ضحيتها الكثير من جنود الانجليز ، فقد كانت ردة فعل الحكومة بأن جهزت رجالاً لمطاردته لذلك خرج من العراق إلى جبل شمر في فترة حكم آل رشيد وعند وصوله إلى موطنه الأصلي أكرموه وأعزوه في السنتين التي قضاهما ثم عاد بعد ذلك إلى العراق متنكراً مع إحدى القوافل التجارية فلما وصل مع القوافل إلى السماوة عرفه أحد أفراد الحكومة العثمانية فأمسكوا به فأخذ إلى بغداد مخفوراً[٥] .

وفي (لواء الكوت)[٦] تقطن أعداداً كبيره من شمر طوقه[٧] ، وينقسمون من حيث نشاطهم إلى إلى قسمين الأول : وهم أصحاب زراعة ويستقرون في الأرياف.الثاني : الرعي ويعتمدون في حياتهم على التنقل بإبلهم وأغناهم بين النهرين دجلة والفرات[٨] ، ويقسم العزاوي شمر طوقه إلى (الصلته) وهؤلاء نخوتهم (سليطي) و (الغرير) و (الصدعان) ، وجميع تلك الفروع لهم رئيس عليهم وتحته عدد من الشيوخ التي يتفرع منها القسم الواحد ، أما في لواء الكوت فالرئاسة للشيخ حميد الصفوق بن محمد بن بردي[٩] ، ومن خلال ما ذكرناه عن شمر طوقه يتضح بأنهم ليسوا من فرع واحد من قبيلة شمر

---

[١] النجفي ، مرجع سابق ، ص ٩٩.

[٢] اوبنهايم و فرنر كاسكل ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٤٤٤ ؛ النحاس ، مرجع سابق ، ص ٢٦٧ ؛ الجميل ، مرجع سابق ص٢٦٧ ؛ النجفي ، نفسه ، ص ١١.

[٣] الدغارة : احدى النواحي التابعة لقضاء عفك التابع للواء الديوانية (الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٥٨).

[٤] اوبنهايم ، وفرنركاسكل ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٤٤٥ (الجميل ، مرجع سابق ، ص ٢٦٧-٢٦٨).

[٥] الموح ، مصدر سابق ، ص ١٥-٤٤.

[٦] الكوت : يقع في القسم الجنوبي من العراق وفي شرقية ويحده من الشمال لواء يالي وبغداد ومن الشرق إيران ومن الجنوب لواء العمارة والمنتفق ومن الغرب لواء الحلة والديوانية (الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٩٦) .

[٧] العزاوي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٣٣ ؛ النحاس ، مرجع سابق ، ص ٢٦٩ .

[٨] اوبنهايم و فرنر كاسكل ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٥١٨ ؛ الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٩٦.

[٩] اوبنهايم و فرنر كاسكل ، نفسه ، ص ٥١٨- ٥٢١ ؛ العزاوي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٣٢-٢٤٨.

شمر وإنما من جميع فروع شمر : عبده والأسلم وسنجارة (زوبع) ، وأن استقرارهم لم يكن في لواء الكوت فقط ، وإنما هم منتشرين في أنحاء العراق وخصوصاً في جنوبي العراق وشرقه .

وفي (لواء الحلة) يسكن عدد من أسر شمر وهم (الجراونه) و(الجدي)[1]، ومن الأسر التي اشتهرت بتعدد علمائها وأدبائها هم:(الكواز)[2]و(العذاري)[3]، فقد كان لهم أثر بارز في ازدهار الحركة الحركة العلمية في الحلة والنجف على وجه الخصوص وفي العراق بشكل عام[4].

وفي كربلاء استوطنت أعداد من أسر شمر فمن ابرزها (الزقاريط) ، وهم من عبده ومسكانهم ومزارعهم على جدول الراشدية القريبة من كربلاء[5] ، وقسم منهم يميلون إلى البداوة فهم يتنقلون في الأراضي التابعة لمدينة كربلاء[6] ، ويحدد ديلك قايا أعدادهم ١٤٢٥ نسمة ، وعدد خيامهم ٣٩٥[7] ٣٩٥[7] ورئيسهم عراك بن سيف بن طلال بن مهناء بن مغامس وأشهر فروعهم النصرالله وآل فاضل فاضل وآل رميزان وآل فارس والمغرة والحجلة [8].

أما مذهبهم فما بينهم تنوع مذهبي فمنهم من السنة على مذهب أبي حنيفة ، ومنهم شيعي على المذهب الجعفري[9] ، ويدل ذلك على أنه ليس جميع فروع شمر الواقعة في جنوبي العراق تعتنق المذهب الشيعي كما يظن البعض ، ويثبت ذلك أن اعداداً من الزقاريط التي مساكنهم في كربلا لم يعتنقوا المذهب بل تمسكوا بمذهب أهل السنة والجماعة .

ذكر البسام عنهم قائلاً :" ومنهم الزقاريط بالقرب من سيدنا الحسين وهؤلاء أظرف الفرسان مجادلة وأمنعهم محاولة وأكرم الحواضر والبوادي وأنطق لساناً في اجتماع النادي وأقدم في عزائمهم

---

[1] الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٣٩.

[2] الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص ٣١٢.

[3] الحلي ، نفسه ، ص ١٥٣-١٥٤.

[4] للإطلاع على دورهم العلمي انظر : ص ٨٩- ٩٧ من هذه الدراسة .

[5] تقرير سري لدائرة الإستخبارات البريطانية ، ص ١٩٨ – ١٩٩ ؛ اوبنهايم و فرنزكاسكل ، مصدر سابق ،ج٣ ، ص ٣٥٢ ؛ الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٢٣.

[6] الجميل ،مرجع سابق ، ص ٢٧٤.

[7] قايا ، مرجع سابق ، ص ٨٥

[8] اوبنهايم و فرنز كاسكل ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٣٥٣ ؛ العزاوي ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٢٢-٢٢٦ ؛ القويعي ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

[9] قايا ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

وأصدم لمقاومهم"[1] ، فما ذكره البسام يدل على أن لهم أثراً سياسياً كالقبائل الأخرى الواقعة بالقرب من كربلاء .

ومن الأسر في كربلاء (آل مسعود) من الأسلم ورئيسهم بنيّه المذعور[2] ، ومساكنهم ما بين سد الهندية وكربلاء على قناة الحسينية[3] ،أما مذهبهم فشيعيٌّ على المذهب الجعفري وعددهم ٦٧٢٥ ٦٧٢٥ نسمة وعدد خيامهم ٤٢٧ ودورهم ٨٧٠ ويميل أغلبهم إلى التحضر[4].

وفي كربلاء عدد من الجعفر إحدى فروع عبده،حيث كانت لهم مواقف وطنية مشهودة في مقاومتهم لطغيان الأنجليز في الثورة العراقية الكبرى ، ومن أشهر رجال هذه الأسرة مال الله بن عبدالعزيز بن محمد آل عواد أحد رجال حادثة المناخور عام ١٢٤١هـ/١٨٢٥م[5] وعبدالكريم بن عبدالرزاق من الرجال السياسيين في ثورة العشرين التي كانت ضد الإنجليز ، ونتيجةً لمقاومته للاحتلال البريطاني اعتقل مع المواطنين الأحرار[6].

ومن خلال ما ذكرناه عن قبيلة شمر التي استوطنت في جنوبي العراق أن هجراتها متعاقبة على فترات من الزمان،وأن العامل الإجتماعي بجانب العوامل الأخرى – له دور في قدوم تلك الجماعات إلى جنوبي العراق بالقرب من أبناء عمومتهم،وأن تلك الجماعات التي خرجت من جبل شمر لم تلبث طويلاً في استقرارها في العراق حتى اصبحت لها سلطة وسيادة وقيادة ، فقد قاومت القبائل المستقرة في جنوبي العراق حتى أصبح لها شأن ،وتضرب لها الحكومة العثمانية والبريطانية الحسبان، ويفهم من ذلك أنها ما زالت باقية فيها روح السيادة عندما خرجت من جبل شمر ، ولو كانت غريبة على الأوطان ، ومن خلال ماذكرناه عن أعداد من أسر قبيلة شمر القاطنة في جنوبي العراق ليست جميعها تعتنق المذهب الشيعي ، ويدل على ذلك أن أعداد من الزقاريط على الرغم من استقرارهم بالقرب من العتبات المقدسة (كربلاء) ما زالوا على مذهب أهل السنة والجماعة (المذهب الحنفي) ، وأن المواطن التي استقرت بها قبيلة لم تكن في مدينة واحده ، وإنما كان إنتشارهم في عدد من المدن الواقعة في جنوبي العراق .

---

[1] مصدر سابق ، ص ٨٨

[2] العزاوي ، مصدر سابق ،ج١ ، ص ٢١٠.

[3] اوبنهايم و فرنزكاسكل ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص٣٤٦ ؛ النجفي ، مرجع سابق ، ص ٩١-٩٢.

[4] قايا ، مرجع سابق ، ص ٨٤-٨٥

[5] الطعمة ، مرجع سابق ، ص ١٩٢.

[6] الطعمة ، نفسه ، ص ١٩٢-١٩٣.

ثانياً – قبيلة المنتفق:

كلمة المنتفق في الأصل (متفق) والتي تعني الاتفاق أو الاتحاد الذي تم بين ثلاث قبائل رئيسية هي : بنو مالك والأجود وبني سعيد ، حيث اتفقوا على التعاون فيما بينهم ، وقد سميت المنطقة التي تسكنها العشائر (المنتفق)[١] ، وسبب تغير الكلمة من متفق إلى منتفق يعود إلى اللهجة العامية التي تُنطق بها[٢] ، وتنطق المنتفق أحياناً بالكاف (المنتفك) والجيم (المنتفج)[٣].

ذكرنا أن تحالف المنتفق مكون من اتحاد عشائر هم: بنو مالك والأجود وبنو سعيد ، وهي التي نشأ منها الاتحاد ؛ لذا اطلق عليهم الاسم ، إلا أن هناك من يذكر أن المنتفق ينتسبون إلى عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعه وأن قبيلة بني سعيد تنحدر من المنتفق وبنو مالك أبناء عمومتهم[٤]، إلا أن هذا الرأي ضعيف كما ذكر الريشاوي ؛ لأن بني سعيد كانت آخر من انضم إلى الاتفاق من القبائل المحلية بل ان بعضها رفض الإنضمام ، وأن بني مالك والأجود هم أول من اتفق وأن التسمية تحولت من متفق إلى منتفق[٥]، ونميل إلى أن المنتفق اتحاد عشائري ؛ لأن قوة المنتفق وهيمنتها وشهرتها تشكلت في جنوب العراق في القرن السادس عشر الميلادي[٦].

وقد كانت تلك الهيمنة بسبب دخول أعداد من العشائر تحت لواء المنتفق الذي امتد من الكوت شمالاً إلى البصرة جنوباً على ضفتي الفرات من التقائه بدجلة إلى السماوة حيث حدود اتحاد الخزاعل[٧] ، ويقدر السعدون مساحة نفوذهم اكثر من ١٠٠٠٠٠ كم٢[٨] .

أما مشيخة قبيلة المنتفق فهي منعقدة في أسرة (آل شبيب) الذي أصبح الاعتراف بمشيختهم القاسم المشترك بين قبائل المنتفق ، والشبيب هي أسرة علوية تعود في نسبها إلى الرسول ﷺ[٩]، فقد

---

[١] اوبنهايم و فرنزكاسكل ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص٦١٢-٦١٦ ؛ الشمري ، علي بن ناصر ، شيوخ وعشائر المنتفق ، ط١ ، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠١٠ ، ص١٤ ؛ الريشاوي ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ ؛ السعدون ، مرجع سابق ، ص٢٤.

[٢] أداموف ، مصدر سابق ، ص ١٧٨.

[٣] السعدون، مرجع سابق ، ص ٢٤.

[٤] الريشاوي ، مرجع سابق ، ص ١٢٢ ؛ السعدون ، نفسه، ص ٢٤.

[٥] الريشاوي ، نفسه ، ص١٢٢.

[٦] علي الشمري ، مرجع سابق ، ص٤٤.

[٧] اوبنهايم و فرنزكاسكل ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٥٩٤ ؛ الريشاوي ، مرجع سابق ، ص ١٢١ – ١٢٢.

[٨] السعدون ، مرجع سابق ، ص ٢٦.

[٩] علي الشمري ، مرجع سابق ، ص ٤٤ ؛ السعدون ، نفسه ، ص ٢٤

نزحت من الحجاز إلى العراق ، والتي أُختلف في بداية قدومها إلا أن أول ما ذكر من ذلك الاختلاف أن قدومهم في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)[١].

أما نسب أسرة آل شبيب فهو يعود إلى شبيب (الأول) بن الشريف حسن٩٦٧/٩٩٤هـ ١٥٦٠/١٥٨٦م ،تغير الاسم بعد ذلك إلى آل سعدون في منتصف القرن الثاني عشر الهجري وذلك نسبة إلى سعدون بن محمد بن الشريف مانع (سعدون الكبير)[٢] وآل سعدون هي إحدى فروع أسرة آل شبيب[٣] تعاقبت على زعامة قبيلة المنتفق هذه الاسرة بالوراثة وأصبح كل زعيم منهم يلقب بشيخ مشائخ المنتفق[٤].

وصف البسام المنتفق قائلاً : "في المهمات نجدتهم ذو الأنفس الأبية والشيم العربية الكماة المشهورين والحماة المذكورين، باعهم في المجد طويل وطباعهم إلى طلب الحمدِ تميل، هباتهم متواصلة وأكفهم لنيل ما راحته من المحامد واصلة..."[٥].

أما مذهبهم فهم كالقبائل الواقعة في جنوب العراق فهناك تنوع مذهبي ما بين المنتفق حيث دخلت أعداد منهم في المذهب الشيعي ، والآخر تمسك على ما هو عليه على منهج أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام مالك ، أما عن زعماء المنتفق (آل سعدون) ، فقد ذكر السعدون عنهم قائلاً : "وفي حين اعتنقت اغلبية القبائل (فروع المنتفق) المذهب الشيعي نتيجة لأسباب متعددة حتى بلغت نسبة اتباع المذهب ثمانية وتسعون بالمائة من سكان ولاية البصرة، ظل آل سعدون سنين على مذهب الإمام مالك"[٦]، ويتضح من خلال ما ذكره السعدون أن قبائل المنتفق كالقبائل الأخرى في جنوب العراق التي تاثرت بموجة التشيع نتيجة لعدة عوامل كانت سبباً في التوزع المذهبي فيما بينهم[٧].

أما المواطن التي تستقر بها القبيلة في لواء (سنجق) المنتفق التابع لولاية البصرة[٨] ، ومن خلال الاسم

---

[١] السعدون ، مرجع سابق ، ص ٢٤-٢٥.

[٢] فائق بك ، مصدر سابق ، ص ١٢-١٣ ؛ علي الشمري ، مرجع سابق ، ص٥٦.

[٣] الريشاوي ، مرجع سابق ، ص ١٢٣.

[٤] العبيد ، مصدر سابق ، ورقة ٤١ ؛ السعدون ، مرجع سابق ، ص ٢٥.

[٥] مصدر سابق ، ص ٨٣.

[٦] مرجع سابق ، ص ٣٢.

[٧] للإطلاع على العوامل التي أدت إلى تشيع أعداد من قبائل جنوبي العراق . انظر : ص ٢٥٤- ٢٥٥من الدراسة .

[٨] نيبور ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ ؛ اوبنهايم و فرنزكاسكل ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٥٩٤ ؛ السعدون ، مرجع سابق ، ص ٢٤ ؛ علي الشمري ، مرجع سابق ، ص ١٥

تتضح مواطنهم وأكثرية تواجدهم ، فلواء المنتفق ظهر إلى الوجود عندما ادركت الدولة العثمانية خطورة نفوذ آل سعدون في تلك المنطقة وضعف نفوذها الإداري ، لذا قررت في عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م تحويل المشيخه إلى متصرفية (محافظة) وتأسيس مدينة الناصرية[١] بعد أن تم الإتفاق مع ناصر باشا السعدون (الأشقر) الذي أصبح متصرفاً للواء المنتفق[٢].

يضم لواء المنتفق ثلاثة أقضية : سوق الشيوخ والشطرة[٣] والرفاعي[٤] ، وتلك الأقضية تتبعها عدد من النواحي يتبع مركز اللواء ثلاث نواحي هي : ناحية البو صالح وناحية آور وناحية السديناوية[٥]،وبهذا فقد أصبح لواء المنتفق يشمل المنطقة الممتدة على ضفاف نهر الفرات من مدينة السماوة إلى القرنة ، ويشمل الضفة اليمنى لنهر دجلة من منطقة العزير إلى القرنة ، يضاف إلى ذلك المنطقة الصحراوية في جزئها الغربي المحاذي لمنطقة الدراجة إلى ضفة شط العرب اليمنى صوب البصرة[٦]، أما حدود اللواء فمن الشمال الخط الفاصل بين لواء الكوت ولواء الديوانية[٧] ، ومن الجنوب الجنوب البادية الجنوبية ومن الشرق لواء البصرة ولواء العمارة ومن الغرب لواء الديوانية،وهذه المساحة من اللواء تتواجد فيها عشائر الأجود وبني سعيد وبني مالك [٨].

أما في البصرة فقد استولت أسرة آل سعدون على البصرة فعندما دخل العثمانيون العراق عام ٩٤١هـ/١٥٣٤م أعلن راشد بن مغامس خضوعه الطوعي لهم وكافؤوه على ذلك باقراره على حكمه

---

[١] الناصرية : تقع على ضفة الفرات اليسرى شمال البصرة بحدود ٢١٤كم. اتخذت الناصرية مركزاً لمتصرفية لواء المنتفق ، وعين ناصر باشا على اللواء ، أما أخيه منصور يرى أن تأسيس المدينة يؤدي إلى إضعاف المشيخه السعدونية والقضاء عليها (الحسني، مرجع سابق ، ص١٦٤-١٦٦) .

[٢] اوبنهايم و فرنزكاسكل ، مصدر سابق ، ج ٣، ص ٦٠٤ ؛ حتاته ، يوسف كمال بك ، مدحت باشا حياته ، مذكراته ، محاكمته ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ٢٠٠٢، ص ٢٣٨ ؛ علي الشمري ، مرجع سابق ،ص ١٤.

[٣] الشطرة : أسست جماعة من اهل الغراف قرية كبيرة في أراضي خوفاجة أطلقوا عليها الشاهينية وهو أسم مدينة للأمير عمران بن بن شاهين، اندثرت القرية في حدود عام ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م نتيجة لجفاف النهر الذي كانت تعتمد عليه، فانتقلوا الى جدول الخليلية الذي كان يغذيه نهر الغراف وأسسوا عليه قرية سميت الشطرة (الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٧٠) .

[٤] الرفاعي : سمي القضاء بقلعة سكر عندما كان مركزه في قصبة (قلعة سكر) ثم اتخذت قصبة الكرادة مركزاً له فسمي القضاء بالكرادة ، وسمي بعد ذلك قضاء الرفاعي (الحسني ، نفسه ، ص١٧٠-١٧١) .

[٥] الحسني ، نفسه ، ص١٦٤.

[٦] علي الشمري ، مرجع سابق ، ص١٥.

[٧] الحسني ، مرجع سابق ، ص١٦٣.

[٨] علي الشمري ، مرجع سابق ، ص ١٥.

إلا أن العثمانين لم يلبثوا أن عزلوه بعدما اتضحت نواياه وكان ذلك في عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م[١]، ومن تلك الحادثة بدأ النزاع ما بين الحكومة العثمانية وقبيلة المنتفق فقد حدثت ما بينهم العديد من المعارك منها في عام ١١١٧هـ/١٧٠٥م في عهد الشيخ مغامس بن مانع الذي أعاد حكم البصرة للسعدون بعد الحاق الهزيمة بالوالي خليل باشا[٢].

ومنذ دخول العثمانين الى العراق كانت العلاقة بين المنتفق والحكومة العثمانية بين مد وجزر اعتمدت هذه العلاقة على الظروف السياسية والعسكرية للسلطات العثمانية ، استخدمت الحكومة عدة أساليب منها التفرقة الداخلية فيما بينهم فتارة تقرب البعض من الشيوخ وتدعمهم وتبعد الآخرين ، فقد نتج عن تلك السياسة خلق العديد من المشكلات لإضعافهم وإخضاع العشائر تحت حكمهم في الولايات التابعة[٣] ، وعندما دخلت القوات البريطانية ١٣٣٢هـ/١٩١٤م إلى العراق فمن فمن أوائل القبائل التي وقفت مع الحكومة العثمانية المنتفق التي اشتهر منها العديد من الرجال ، ومن أبرزهم عجمي بن سعدون بن منصور بن راشد١٣٢٩/ ١٣٣٦هـ – ١٩١١/١٩١٨م[٤].

ثالثاً – قبيلة زبيد :

تعتبر قبيلة زبيد من قبائل العراق المعروفة بكثرتها وهيبتها ما بين القبائل والسلطات الحاكمة المتعاقبة على مر الزمان ولا يقف انتشارها في العراق بل امتد الى بلاد الشام ومصر ونجد[٥]، أما نسب القبيلة يعود إلى زبيد وهي من قبائل اليمن إحدى بطون مذحج من القبائل القحطانية ، ومن بني زبيد التي تنسب هذه القبيلة إليه عمرو بن معد كرب بن عبدالله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد احد فرسان أوائل الفتح الاسلامي فقد شهد معركة القادسية (العراق) ضد الفرس عام ١٥هـ/ ٦٣٦م[٦].

---

[١] اوبنهايم و فرنزكاسكل ، مصدر سابق ، ج ٣، ص ٥٩٦ ؛ السعدون ، مرجع سابق ، ص ٢٦.

[٢] الريشاوي ، مرجع سابق ، ص ١٢٤

[٣] الريشاوي ، نفسه ، ص ١٢٤

[٤] السعدون ، مرجع سابق ، ص ٣١٤ ؛ علي الشمري ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

[٥] العزاوي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٤٢ ؛ الريشاوي ، مرجع سابق ، ص١٤١.

[٦] اوبنهايم و فرنزكاسكل ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٧٩ ؛ العزاوي ، نفسه ، ج٢ ، ص ٤٣.

تنقسم زبيد إلى فرعين كبيرين هما :

١-زبيد الأكبر وهؤلاء ينحدرون من قنبة بن مصعب بن سعد(العشيرة) ، وتتفرع من زبيد (الأكبر) عشائر السعيد والبوسلطان والجحيش ، وهم أبناء قنبة بن ربيعه بن سلمه بن مازن بن ربيعه بن منبه بن مصعب بن سعد العشيرة[١].

٢-زبيد (الأصغر) اتحادان قبليان هما: الدليم والبو محمد ، وتتفرع من الدليم عشيرة (العبيد – الجبور – الجنابات)[٢]، أما الرئاسة فيهم فهي في بيت العبدالله ويتفرعون إلى : (البوخضر- الشفلح – الحطاب) ومن أشهر رجالهم شفلح بن شلال بن نجم بن عبدالله[٣] ، فقد كانت له العديد من الإحداث السياسية فمنها أنه استغل منصبه كملتزم للضرائب في مناطق الفرات مقابل محافظته على الطرق وحمايتها وبدأ بالتعرض للقوافل التجارية العابرة في أراضيه فارضاً عليها الأتاوات (الجزئية) مما أضطر الولاة العثمانين لإرسال حملات عسكرية عليهم لإيقاف التمادي على تلك القوافل فقد جرت عدة حملات تأديبية في عام ١١٠٦هـ/١٦٩٨م حتى تمكن الوالي مصطفى باشا (١١١٠-١١١٢هـ/١٦٩٩-١٧٠٣م[٤]) من السيطرة عليهم ، وما بعد الشيخ شفلح بن شلال تولى الزعامة أولاده وهم هندي وحطاب ووادي (بك) وحمد وفحل[٥].

تنتشر قبيلة زبيد في انحاء العراق جنوباً وشمالاً وذلك لكثرة فروعها أما أكثر تواجد لهم في المناطق الواقعة بالقرب من بغداد كالفلوجة والرمادي وأغلب هؤلاء من الدليم[٦] ، وما يهمنا المواطن التي استقروا بها جنوبي العراق،ففي الحلة والخميسية يستقر (البوسلطان) والرئاسة في بيت الجريان ومنهم الشيخ عداي الجريان ومن فروع البوسلطان والبو محمد والبو حمد والجربوع[٧] ، وفي الحلة

---

[١] سمي بذلك لأنه وصل عدد أولاده وأحفاده مائة رجل يركبون وينزلون معه وكان يخشى على كثرتهم من الحسد فإذا سئل عنهم قال هؤلاء عشيرتي وقاية لهم من العين (العزاوي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٤٣)

[٢] اوبنهايم و فرنركاسكل ، مصدر سابق ، ج٣، ص ٤٢٧ ؛ الريشاوي ، مرجع سابق ، ص ١٤١-١٤٢.

[٣] العزاوي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٤٦-٤٧.

[٤] الريشاوي ، مرجع سابق ، ص ١٤٣-١٤٤.

[٥] اوبنهايم ، وفرنركاسكل ، مصدر سابق ، ج٣ ٤١٣ ؛ العزاوي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٤٦-٤٧.

[٦] تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية ، ص٥١-٥٣ ؛ اوبنهايم ، نفسه ،ج١،ص ٢٨٦.

[٧] اوبنهايم ، نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٢٥ ؛ العزاوي ، مصدرالسابق ، ج٢، ص٤٩-٥١ .

(الحجيش) والرئاسة في بيت النصر ونخوتهم (جاحش) ومن فروعهم الفرج والبوكليب والبونعيم والبو صالح[1] ، وفي لواء الديوانية (السعيد) ويستقرون ما بين عشائر عفك والأكرع في أراضي الدغارة وأغلبهم يعتمدون على الزراعة ومحاصيلهم الأرز المزروعات الشتوية ، وبيت الرئاسة فيهم فمنهم الشيخ مظهر الصكب بن طعمه بن راشد ، وبو جمعة ، والشجير ، والنوافع ، وبنو سعد، والبوحبه والمغربين[2] ، فما ذكرناه عن مواطن زبيد الأكبر الثلاث المستقرين في جنوبي العراق .

أما زبيد الأصغر فهم (الدليم) وهؤلاء كما ذكرنا مواطنهم بالقرب من بغداد الرمادي والفلوجة أما أحد فروع الدليم وهم الجبور فمنهم من يستقر في جنوبي العراق في الضفة اليمنى من شط الحلة فقد كانت مواطنهم في جنوب الحلة وشمال الديوانية ، وهؤلاء أغلبهم مزارعون بحكم مواقعهم القريبة من النهر ، ومن رؤسائهم الشيخ مراد الخليل ، وقسم آخر من الجبور يستوطن في أراضي الفوار الخصبة جنوب عفك وشرقي الديوانية ورئيسهم الشيخ كمون بن دانة[3] ، أما الفرع من زبيد الأصغر وهم (البومحمد) فهولاء مواطنهم في لواء العمارة[4] [5].

أما أوضاعهم السياسية مع الحكومة العثمانية فقد لقيت زبيد دعماً من الولاة العثمانيين استغلوها للظهور كقوة متزعمة في منطقة الفرات جنوب غربي بغداد للوقوف بوجه القبائل وإضعاف القبائل المهددة للحكومة ، وبالفعل فقد استطاعت زبيد السيطرة على معظم تلك المناطق ،وفرضت سيطرتها على مناطق الحلة وشمال الديوانية وجنوبي غربي بغداد فلم تستمر العلاقة حتى قام الشيخ شفلح باستغلال منصبه بفرض ضرائب على القوافل التجارية والتعدي عليها ، وذلك في أوائل القرن الثاني عشر الهجري (أواخر القرن السابع عشر الميلادي) حيث قامت الحكومة بتأديب القبيلة ومن تلك الفترة أخذت جانب الموالاة للحكومة[6].

---

[1] العزاوي ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٥٤-٥٦ .

[2] العزاوي ، نفسه ،ج٢، ص ٦٢-٦٤ .

[3] تقرير سري لدائرة الإستخبارات البريطانية ، ص ١٠٢-١٠٥ ؛ اوبنهايم و فرنزكاسكل ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٨٣ ؛ الوردي ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

[4] لواء العمارة : تقع أراضي لواء العمارة على ضفاف الأنهر الثلاثة : دجلة والكحلاء والمشرح ، وتشتهر أرضها بخصوبة التربة وتمتد حدود اللواء من جنوبي لواء الكوت حتى حدود لواء البصرة ، وعندما اصبحت البصرة ولاية مستقلة عن بغداد في عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م أصبحت العمارة من الألوية التابعة للبصرة ، يتكون لواء العمارة من ثلاث أقضية وهي : العمارة وقلعة صالح وقضاء علي الغربي (الحسني ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ ؛ السعدون ، مرجع سابق ، ص ٢٢-٢٣)

[5] الوردي ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ ؛ الريشاوي ، مرجع سابق ، ص ١٤٢.

[6] الريشاوي ، نفسه ، ص ١٤٣-١٤٤.

تعرضت زبيد إلى انقسامات وصراعات داخلية ما بين عشائرها أدت إلى قتل شيخ عموم زبيد رشيد بك بن وادي بن شفلح وابنه على يد عشيرة آل بوسلطان[1].

ومن خلال ما ذكرناه فقبيلة زبيد تعتبر من أقدم القبائل العربية التي دخلت إلى العراق فقدومها ارتبط بأوائل الفتح الإسلامي فمن أبرز رجالهم الذي ينتسبون اليه قد شارك في معركة القادسية الشهيرة. وأن قبائل زبيد ليست مستوطنة في جهة من جهات العراق كقبيلة المنتفق التي مواطنها في جنوبي العراق، وإنما كان إنتشارهم واسع في جميع أنحاء العراق في تكريت والموصل شمالاً وفي الحلة وكربلاء والديوانية والعمارة جنوباً وفي الوسط في بغداد والرمادي والفلوجة .

رابعاً – المشاهدة :

هو الاسم الذي عُرف به الذين قدموا من النجف إلى جبل شمر بقصد التجارة [2] ، وهؤلاء المشاهدة يختلفون عن عشيرة المشاهدة التي تعتبر من السادة الحسينية والتي سميت بهذا الاسم نسبة إلى (مشهد الحجر) الواقع شمال غربي (عانه) إحدى المدن العراقية في جنوبي العراق والتي أطلقت التسمية على جدهم الأكبر مسلم بن أبي بكر وذريته ، ومنه انحدرت هذه العشيرة وتكاثرت وانتشرت في مناطق متعددة من العراق [3]،وأما القادمين إلى جبل شمر فهؤلاء عدد من الأسر هي : الحبوبي ، المرزة ، المعلا ، السنابلة ، العبود [4]، وتعود التسمية أنهم قدموا من النجف والتي من أسمائها المشهد؛لأن فيها قبر الخليفة علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ومشهده . [5]

كان قدومهم إلى المنطقة في عهد الأمير طلال العبد الله ، فعندما تولى الحكم عام ١٢٦٣هـ /١٨٧٢م عمل بجهد لتنمية الإمارة اقتصادياً وتجارياً خاصة في ظل الاستقرار السياسي بعد حكم والده المؤسس لذا تفرغ للنواحي الحضارية على رأسها الاقتصاد فقد أمر ببناء بعض الإدارات كإدارة شؤون القوافل والجمارك الداخلية وتوسعة الأسواق المركزية والطرق الرئيسية وأحياء سكنية جديدة في الجهة الغربية والجنوب الغربي من الإمارة [6] كما أمر بناء ثمانين مخزناً مقابل قصر برزان ، وهيأ مختلف

---

[1] الريشاوي ،مرجع سابق ، ص ١٤٤ .

[2] فاسيلييف ،مرجع سابق ، ص ٢١٣ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P57 ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١ ، ص٢٧ .

[3] الحسني ، مرجع سابق ، ص١٥٣ .

[4] الثويني ، مصدر سابق ، ص١١٤ ؛ أحمد العريفي ، مقامات ... مرجع سابق ، ج١ ، ص٢٧.

[5] الحسني ، مرجع سابق ، ص١٥٣ .

[6] فاسيلييف ، مرجع سابق ، ص ٢٣١ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P57 ؛ الثويني ، مصدر سابق ، ص١١٥

الوسائل لتقوية التعامل التجاري بين حائل وغيرها من البلدان خاصة مع جنوبي العراق ، وعندما اكتملت جميع الوسائل التي أمر بها لازدهار الناحية الاقتصادية أرسل الأمير طلال دعوات إلى تجار الشيعة العرب من مدينة النجف (مشهد علي) الذين يزورون حائل بشكل مستمر للتجارة والمعروفين باحترافهم التجاري وأصحاب الحرف القادرين على تنشيط الاقتصاد في المنطقة تنميته حيث عرض عليهم الإقامة ، وبالفعل قدمت جماعة من النجف للاشتغال بالتجارة وأقاموا فترة طويلة في حائل ومكان إقامتهم غرب حي برزان عرف بهم (سوق المشاهدة) ، وبعد دخول الملك عبد العزيز حائل عام١٣٤٠هـ / ١٩٢١م عاد المشاهدة إلى ديارهم ومنهم من هاجر إلى المدينة المنورة [1] .

ومن خلال ما ذكرناه أن أغلب تلك القبائل نزحت من الجزيرة العربية فاغلبها من نجد والحجاز ، وتلك القبائل التي هاجرت إلى العراق ما قبل القرن الثامن الهجري لم يكن هناك تاريخ واضح يحدد فترة نزوحهم من الجزيرة العربية وبداية استقرارهم في جنوب العراق ، أما الهجرات التي أتت بعد الهجرات السابقة فقد كانت أوضح تحديداً كهجرة قبائل شمر ، والتي منها هجرة آل قشعم والأسلم وآل جرباء ، ويعود ذلك إلى وجود العديد من المصادر التاريخية التي ذكرت بداية هجرتهم ودونت مواقعهم وتطرقت إلى علاقتهم مع قبائل جنوب العراق وعلاقتهم مع السلطة المركزية .

---

[1] الثويني ، مصدر سابق ، ص١١٧ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١ ، ص٢٧-٢٨.

المبحث الثاني : عوامل الهجرة إلى جبل شمر وعلاقتهم مع السكان والسلطة المحلية .

لموقع جبل شمر القريب من المناطق الواقعة جنوبي العراق أثر في هجرة جماعات من سكان المنطقة إلى جنوبي العراق[1] ، وكذلك في وجود الهجرة العكسية إلى منطقة جبل شمر (فترة إمارة آل رشيد) فالموقع الجغرافي ساعد في وجود الصلات ما بين المنطقتين ، بجانب العوامل الأخرى في هجرة جماعات من جنوبي العراق إلى جبل شمر ومن أبرز تلك العوامل :

أولاً – العامل السياسي :

المدن الواقعة في جنوبي العراق من الولايات التابعة للحكومة العثمانية ، وإمارة آل رشيد مركز إمارتها (جبل شمر) ، فالعلاقات السياسية ما بين المنطقتين جيدة ، ويدل على العلاقات الطيبة فيما بينهم ما ذكره فالين أن الأمير عبد الله بن رشيد يملك مجموعة ثمينة من الخيول تقارب مئتي حصان موزعة في مختلف أنحاء إمارته وأنه اعتاد بدافع الصداقة أن يُهدي اثنين مما تنتج أفراسه الأصيلة إلى والي بغداد [2] ، فالهدف من هذه الهدايا توثيق العلاقات في بينهما ، وكذلك حرصاً على مصالحهم والتي منها هجرة أعداد من جبل شمر إلى جنوبي العراق في سنوات القحط ، وكذلك الحرص على قدوم جماعات من سكان جنوبي العراق إلى جبل شمر ، وذلك لكي تستفيد لاستفادة الإمارة من قدومهم خاصة في المجال الاقتصادي .

زادت العلاقات ما بين العثمانيين وإمارة آل رشيد في عهد الأمير محمد العبد الله الذي حاز على النياشين الرفيعة فقد عدّته الحكومة العثمانية من أبرز المخلصين لها حيث خصصوا له مساعدات مالية ، فالمصالح فيما بينهما مشتركة وذلك ؛ لأن طريق الحجاج القادم من النجف تحت سيطرة العثمانيين ومرور قوافل الحجاج بإمارة آل رشيد يزيد من الدخل الاقتصادي للإمارة[3]، فالعلاقات السياسية مابين المنطقتين ساعدت في هجرة أعداد من سكان جنوبي العراق إلى جبل شمر.

---

[1] فالين ، مصدر سابق ، ص ١٥٣.

[2] فالين ، نفسه ، ص ١٥٤.

[3] Baran , THE RASHIDI ,P58 ؛ الحماد ، حمد ، حكم محمد العبد الله بن رشيد لنجد (١٢٨٩-١٣١٥هـ) ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، غير منشورة ، ص١٤١.

أدى استقرار الأمن في منطقة جبل شمر إلى جذب السكان إليها مما شجع في ازدهار الحضارة في الإمارة ، ويدل على ذلك زيادة أعداد السكان في حائل حيث أشار فالين إلى نسبة عدد السكان في المنطقة في أواخر حكم مؤسس الإمارة عام١٢٦١هـ / ١٨٤٥م بأنه حدود مائتين منزل ومائتين عائلة في المدينة فقط [١] ، أما الرحالة غورماني الذي زار حائل عام١٢٨٠هـ / ١٨٦٤م في عهد الأمير طلال العبد الله ، فقدر عدد السكان في حدود خمس وسبعين ألف نسمة [٢] . وقدر موزل سكان حائل في عهد الأمير محمد العبد الله ١٢٨٩/١٣١٥هـ - ١٨٧٢/١٨٩٧م في حدود أربعة آلاف بيت [٣] ، وإذا نظرنا إلى هذه الأعداد أنها متفاوتة وقد يكون العدد الذي ذكره غورماني يقصد به عدد سكان مدينة حائل والقرى التابعة لها أي التي سكانها من قبيلتي شمر وتميم والقبائل الأخرى من سكان البادية .أما العدد إذا كان يقصد به سكان المدينة فقط فهذا مبالغ فيه ، وما يجب ذكره أن أعداد السكان زادت عما كانت عليه في فترة إمارة عبد الله آل رشيد ؛ وسبب زيادة أعدادهم هو استقرار الأمن الذي كان له دور في تشجيع القادمين إليها .

لحكام إمارة آل رشيد أثر بارز في إستقطاب التجار إلى المنطقة واستقرارهم وتأمين الحماية لهم خاصة في عهد الأمير طلال العبد الله الذي عمل على ازدهار الحياة الاقتصادية حيث أصدر أمراً ببناء ثمانين مخزناً مقابل قصر برزان وهيأ العديد من الوسائل لتقوية التعامل التجاري بين حائل وغيرها[٤] ، وذكر العريفي : " فسارع جماعة من أبناء النجف (المشهد) والمدن العراقية الأخرى للتوافد على حائل للاشتغال بالتجارة وأقاموا لعهود طويلة في حائل في موضع يقع غرب حي برزان عرف بهم (سوق المشاهدة) " [٥] .

ومن خلال ماذكرناه يتضح أن العامل السياسي له دور في هجرة جماعات من المناطق الواقعة في جنوبي العراق إلى جبل شمر وذلك من خلال العلاقات ما بين الحكومة العثمانية وإمارة رشيد واستتباب الأمن في جبل شمر ، واهتمام حكام آل رشيد بالنهضة الإقتصادية خاصةً في عهد الأمير طلال العبدالله الذي قام بجلب التجار والحرفيين إلى جبل شمر .

---

[١] فالين ، مصدر سابق ، ص ١٧٤.

[٢] Garlo Guramani,Northen Najed, London, Introduction,1938,P89.

[٣] Alois Musil, Northern Najed, NewYork,1928,P253.

[٤] Baran , THE RASHIDI ,P57 ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢١١.

[٥] نفسه ، ص٢١١.

ثانياً – العامل الاقتصادي :

نتج عن سياسة الأمير طلال العبد الله في إنشاء الدكاكين والمخازن وجلب الحرفيين والتجار من البلدان المجاورة وخاصة من النجف والمدن العراقية الأخرى [١] إلى إزدهار الحياة الاقتصادية في المنطقة ، فقد أصبح القدوم إليها فرصة ويجب أن تستغل ؛ لقلة أعداد الحرفيين في حائل وأصحاب التجارة لذا قدم إليها العديد من التجار والحرفيين ، وذكر داوتي عن القادمين إليها بهدف التجارة:"أخبروني أيضاً أن يهودياً مع مجيئه أول مرّه هنا ، أسكنوه في تلك الغرفة كان ذلك اليهودي واحداً من يهود بغداد وهو الآن مسلم ثري متزوج ويعيش في حائل وأحواله تتحسن بصورة مستمرة بفضل بركة صهره لبنان هذا الرجل له بيتاً طيباً في البلدة كما أن له محلاً في السوق ، يبيع فيه الأقمشة والتمور والبن للبدو الرُحل " . [٢]

فمنطقة جبل شمر موضع خصب لاستغلال فرصة التجارة ؛ لأنها في بداية ازدهارها لذا قدم إليها العديد من التجار وذلك لتحسين وضعهم الاقتصادي ، وذكر داوتي عن جماعة المشاهدة القادمين إلى حائل قائلاً : " كان من بين الجالسين في المساء الذين كانوا يزورون حمود في قهوة عبيد شخص كانوا ينعتونه بالرجل النبيل ، ولكنه لم يكن سوى تاجر أجنبي ثري اسمه السيد محمود كبير المشاهدة أو إن شئت فقل تجار مشهد ، والمشاهدة عبارة عن خمس وثلاثين أسرة مقيمة في حائل وكل تجارة السوق (كلها سلع وبضاعة من بلاد الرافدين) في أيدي هؤلاء المشاهدة تقريباً "[٣] ، ويتضح من خلال ما ذكره داوتي الهدف من قدومهم وهو تحسين وضعهم الاقتصادي ، وازدهار المنطقة اقتصادياً وهو هدف من أهداف إمارة آل رشيد .

نتج عن تلك السياسة بأن نشأت علاقات تجارية مع جنوبي العراق تقوم في جلب البضائع إلى حائل مما أدى إلى قيام أهل البادية بشراء ما يحتاجونه من السلع من الأسواق في حائل بدلاً من العراق مما شجع التجار والحرفيين في زيادة إنتاجهم [٤] .

ومن العوامل التي تعد عوامل جذب للتجار والحرفيين إلى جبل شمر سياسة الأمير محمد العبد الله التجارية التي اعتمدها ، والتي تقوم على الحرية التجارية فكانت الضرائب قليلة ، وترك للحرفيين

---

[١] Baran , THE RASHIDI ,P57 ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢١١.

[٢] مصدر سابق ، ج٢ ، المجلد الثاني ، ص٤٤٤.

[٣] نفسه ، ص٤٥٥.

[٤] Musil, Northern Najed ,P239

حرية التصرف ، فضلاً عن اهتمامه بتوفير الأمن والاستقرار [١] .

كان لاستقرار قوافل الحج في جبل شمر القادمة من النجف دور في زيادة الدخل الاقتصادي للإمارة وكذلك السكان الذين يستفيدون من مرور تلك القوافل فمنهم من كانوا يستأجرون أدلاء وحراس وكذلك شراء الإبل واستئجارها من سكان المنطقة بدلاً من الإبل المتعبة أو المصابة بمرض من الأمراض ، ويشترون ما يحتاجونه من أطعمة ومعدات للسفر كالأواني والدلاء والقرب والحبال[٢].

فمرور القوافل التي تنعش الأسواق وتزيد من دخلها وحركتها تشجع سكان جنوبي العراق بالقدوم إلى المنطقة خاصة القادمين من النجف ، وما يرونه عند استقرارهم فرص استثمارية في جبل شمر . وذكر السويداء عن قدوم القوافل قائلاً :" صار لهذه الحركة الموسمية فائدة كبيرة لمن ينقلون تلك الآلاف من الحجاج سنوياً من مدينة كربلاء (المشهد) بالعراق إلى حائل فالمدينة المنورة ثم مكة المكرمة وإعادتهم إلى كربلاء بعد أداء الحج وكانت أجرة نقل الحاج الواحد خلال هذه الرحلة تتراوح ما بين ٦-١٠ جنيهات ذهب عثمانية بالإضافة إلى جنيه ونصف ضريبة للإمارة " [٣]

ومما شجع على الهجرة إلى جبل شمر العمل الذي قام به الأمير محمد العبد الله قبل توليه الإمارة فقد كان أميراً للحج يقوم بمهمة تأمين الطرق لهم حيث يصحبهم حتى يصل الحجاج إلى جنوبي العراق[٤] ، فمن خلال العمل الذي قام به وهو مخالطة أولئك الحجاج وزيارته للمناطق في جنوبي العراق من الطبيعي أن يعرض عليهم العمل في أسواق حائل بمختلف المهن ؛ لكي تستفيد الإمارة اقتصادياً أضف إلى ذلك أن الأمير محمد العبد الله من الحكام الذين نهضوا بالحياة الحضارية في حائل ، ومن خلال الازدهار الاقتصادي في المنطقة وقدوم الحجاج إليها شكل عاملاً مهماً في الهجرة إلى حائل ، فالهدف الظاهر من قدوم المشاهدة كان اقتصادياً .أما الخفي فقد يكون من أهداف علماء النجف للتقرب من أهل الجبل بحكم أن بعضاً من قبيلة شمر المستوطنين بالقرب من العتبات المقدسة يعتقد بالمذهب الشيعي، فيتحقق لهؤلاء العلماء نشر مذهبهم أو التقرب من أهل المنطقة ، إلاّ أن هذا الهدف لم يتحقق وذلك لتمسك سكان وأمراء جبل شمر بالعقيدة السلفية ، وأخذ العلوم الشرعية من علماء الجبل .

---

[١] Baran , THE RASHIDI ,P58 ؛ عبيد ، مرجع سابق ، ص٩٨.

[٢] العثيمين ، مرجع سابق ، ص٢٠٣-٢٠٤.

[٣] مرجع سابق .... منطقة حائل ، ص٥٤٦. للاطلاع على دخل اقتصاد الإمارة من القوافل التجارية . أنظر :حسني ، مصدر سابق ، ص ٥٧ ؛ الحماد ، مرجع سابق ، ص١٤٠

[٤] داوتي ، مصدر سابق ، ج١ ، المجلد الثاني ، ص٤٣٤.

ثالثاً – العامل الاجتماعي :

كان لكرم أهالي حائل وطيب نفوسهم أثر في نفوس الكثير ممن سمع وتعامل معهم ، فالعادات والتقاليد التي أوصى بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – من احترام الضيف وتقديره وإكرام الجار ومساعدته موجودة في نفوس الأهالي ، فهذه العادات التي من شيم العرب ساعدت في قدوم العديد من العوائل والأسر إلى المنطقة فقد كان حديث أهالي العراق عن حبهم لأهالي حائل نابعاً من حسن تعاملهم الذي ترك الأثر الطيب في نفوس الكثير من حجاج العراق فقد أثنوا على طيب وسماحة ووفاء أهلها فحسن التعامل من قبل سكان حائل أصبح بيئة جاذبة لأهالي العراق وغيرها من البلدان الأخرى حتى الآن [١] .

ولم يقتصر الأمر على الحجاج في طيب التعامل ، وإنما امتد حسن تعاملهم إلى الرحالة الأوربيين عندما قدموا إلى المنطقة وعاشوا بين الأهالي ، وهذا يدل على أن حسن تعاملهم من العادات التي يتصفون بها ؛ لأنها لم تكن محصورة في التعامل على العرب فقط ، فقد أشار هوبير إلى تسامح الأهالي والأمراء فعندما قابل الأمير محمد العبد الله ١٢٨٩/١٣١٥هـ-١٨٧٢/١٨٩٧م نهض وقدم له التحية وسأله بكثير من الاهتمام والاحترام عن رحلته هل كانت موفقة وهل لقي مشقة أو تعب وهذه الأسئلة دائماً يرتاح لها الضيف ويأنس ، أما تعامل الأهالي له أثناء إقامته فقد عامله الأهالي بكثير من الود والاحترام ، فقد ذكر أنه دخل تسعة عشر منزلاً خلال ثلاثة ايام اثناء تجوله في عقدة ، حيث قدمت له القهوة وطبق كبير من الشمام المقطع وأنه إذا رآه أحدٌ سائراً يأخذه على مطيته ويقوده إلى بيته [٢] .

ومن الأسر التي قدمت إلى حائل (المشاهدة) عندما عرض عليهم الأمير طلال القدوم إليها والاستقرار بها . فمن الطبيعي قبل قدومهم واستقرارهم رأى أعداد منهم عندما يأتون إليها لأداء فريضة الحج حسن تعامل الأهالي ومن لم يأت فقد سأل عن أخلاق السكان فهذا من الأسباب التي شجعت على قدومهم واستقرارهم ، ويدل على ذلك أنه بعد استقرارهم أصبح لهم أثراً في المنطقة وعلاقات جيدة مع السكان فمنهم من كان له أثراً في الشعر وهو محمد سعيد الحبوبي [٣]

---

[١] العتيق ، سليمان بن عبد العزيز ، حائل قبل مئة عام (سيرة مدنية في سيرة رجل) ، ط٢ ، دار الأندلس ، حائل ، ١٤٢٩هـ، ص١٣٧.

[٢] Charles Huber,Journal dunvoyage en Arabie (1883-1884) Paris,1888,P45-46.

[٣] هو محمد بن سعيد محمود بن قاسم بن كاظم بن حسين بن حمزة بن مصطفى (جد آل حبوبي) بن جمال الدين بن رضاء الدين بن سيف الدين بن رميثه بن رضا الدين بن محمد بن علي ابن عطيفه بن رضاء الدين بن علاء الدين بن مرتضى بن محمد

فقد كتب قصيدة انتشرت بين الأدباء من سكان حائل والتي يتشوق بها إلى مرابع صباه في نجد ويقصد بها حائل التي عاش فيها مع والده قائلاً :

أين تلك القباب من أرض نجدٍ أترى البين حل تلك القبـــابا

يا نازلي الرمل من نجدٍ أحبكم وإن هجرتم ففيما هجركم فيما [1]

ومنهم أيضاً الفنان في الرسم والكتابة عبود المشهدي [2] الذي قام برسم لوحات رائعة في بعض مجالس حائل باستخدام الجبص ومن تلك المجالس مجلس إبراهيم المشاري والدقلي في لبدة ومجلس السيف في سرحة وغيرها [3]، وهذه الفنون التي قاموا بها تدل على قبول أهالي حائل بالتعامل معهم بكل ودٍ واحترام ، فأهالي حائل يميزون يفرقون بين التعامل التجاري والثقافي ، وبين التأثر بعقيدة الشيعة ، ويعرفون خطر التشيع على سلامة المعتقد الصحيح (أهل السنة والجماعة) .

-بن حميضة ، وحميضة هو شريف مكة الملقب عز الدين ،ويكنى بأبي محمد فهو الذي هـــرب إلى العراق عام ٧١٨هـ/١٣١٨م ووصلها في سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م ، فالحبوبي من أسرة عريقة فهو من أب علوي هاشمي . ولد في النجف عام١٤/٦/١٢٦٦هـ ٢٠/شباط /١٨٤٩م . هاجر إلى جبل شمر عام ١٢٨٠هـ/١٨٦٤م وعمره خمسة عشرة سنة ، ليعمل مع أبيه وعمه أقام فيها ثلاث سنوات ثم عاد إلى النجف ١٢٨٣هـ/١٨٦٧م لدراسة العلوم العربية والشريعة ، زامل في دراسته العلمية السيد جمال الدين الأفغاني أربع سنين في مدينة النجف ، فقد كان يتردد ما بين مقر عمل والده في حائل وما بين مسقط رأسه في النجف . كتب العديد من القصائد عندما كان في حائل ، انصرف عن الشعر عندما كان في الأربعين من عمره ، وأقبل على العلوم الشرعية التي تعلمها منذ صغره أعلن الجهاد ضد الإنجليز في٨/١/١٣٣٣هـ- ٢٦/١١/١٩١٤م . وقاد عدداً من المجاهدين في معركة الشعبية عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م طبع ديوانه أول مرة في بيروت عام١٩١٤م وطبع للمرة الرابعة في بغداد عام١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م (التميمي ، مرجع سابق ، ص٣٣٥ ؛ السوداني ، غانم عودة ، أساليب الطلب في شعر الحبوبي ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٤٢٥هـ ، غير منشورة ، ص١٤-١٦ ؛ الحكواتي ، ماجد ، قصائد من الشعر العربي في العراق ، جائزة عبد العزيز البابطين ، الرياض ، ٢٠٠٤ ، ص٩ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١ ، ص٧٩.

[1] العريفي ، نفسه ، ص٧٩-٨٠.

[2] عبود المشهدي : اسمه عبد العزيز كما جاء في نقوش مجلس عبد الكريم بن موسى بن سيف المؤرخة عام ١٢٩٠هـ /١٨٧٣م وهو ابن يوسف بن محمد بن جواد بن حسين بن شكر بن محمود البزرجي ولد في النجف عام ١٢٧٦هـ /١٨٥٩م توفي١٣٦٩هـ ١٩٥٠م (العريفي ، نفسه ، ص٨٠) .

[3] العريفي ، نفسه ، ص٧٩-٨٠.

المبحث الثالث : أثر قبائل جنوبي العراق في جبل شمر في الجانب الإقتصادي والعلمي .

أ- الجانب الإقتصادي :

من الجماعات التي قدمت من جنوبي العراق إلى جبل شمر وكان لها العديد من الآثار الحضارية (فترة إمارة آل رشيد) هم المشاهدة موطنهم الأصلي (النجف) مذهبهم رافضي ، وعلى الرغم من الاختلاف المذهبي بين أهالي جبل شمر المتبعين لمذهب أهل السنة والجماعة ، ومذهب المشاهدة الشيعي ، إلا أن الأهالي كانوا متسامحين مع هؤلاء المشاهدة ؛ لأنهم يرون أنهم ضيوف عندهم ويجب احترامهم أضف إلى ذلك أنهم محتاجون لهؤلاء لما يملكونه من الحرف اليدوية وتأمين البضائع لهم من موطنهم الأصلي ، فقد كان الهدف من قدوم المشاهدة التجارة وذلك ؛ لأن منطقة جبل شمر تتواجد فيها فرص تجارية جيدة فهي في بداياتها فكان لقدومهم أثر في ازدهار الحركة التجارية في جبل شمر [١] ، فعندما وصلت هذه الأسر استقروا بالقرب من الأسواق فقد كانت مساكنهم بالجهة الغربية من قصر برزان ما بين سوق الصناع والسوق الجديدة فمساكنهم منعزلة عن مساكن الأهالي في سوق سُمي باسمهم سوق (المشاهدة) ويضم هذا الحي مسجداً وأكثر من ثلاثين بيت متجاورة كسائر بيوت الأهالي المبنية من الطين وسقوفها من الأثل وسعف النخيل [٢] .

وذكر موزل الذي زار حائل في عام ١٣٣٣هـ/١٩١٥م عن أعدادهم أنهم حوالي ثمانين عائلة ، وقد تكون هذه الأعداد لم تأت جميعها جملة واحدة وإنما زادت أعداد العوائل مع مرور الزمن بعدما تحققت النتائج الجيدة التي كانت وراء سبب قدومهم [٣]، وتبين أن أعداد المشاهدة في تزايد مع مرور الزمن بما ذكره داوتي الذي زار حائل في عهد محمد العبد الله الرشيد حيث ذكر أن أعداد المشاهدة خمس وثلاثين أسرة . [٤]

استغل هؤلاء المشاهدة الدكاكين والمخازن التي بناها الأمير طلال العبد الله فقد استأجروا العديد منها ، ومنها ما اشتروه بعدما ضمنوا أن تجارتهم في المنطقة قد حققت مكاسب جيده[٥]،فتلك الدكاكين تحتاج إلى العديد من المنتجات التي لا توجد في المنطقة لذا قاموا بجلب

---

[١] العتيق ، مرجع سابق ، ص ١٣٦ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق .... مقامات ، ج٢ ، ص٢١١.

[٢] العتيق ، نفسه ، ص١٣٦ ؛ الثويني ، مصدر سابق ، ص ١١٥.

[٣] موزل ، مصدر سابق ، ص٤٨.

[٤] داوتي ، مصدر سابق ، ج١ ، المجلد الثاني ، ص٤٥٥.

[٥] أحمد العريفي ، مرجع سابق .... مقامات ، ج٢ ، ص٢٢١.

البضائع من موطنهم الأصلي (النجف) ومن المدن الأخرى في جنوبي العراق ، وذلك للاستفادة وتأمين السلع للسكان المحليين والبدو القريبين من مركز الإمارة ؛ لسد حوائجهم ومتطلباتهم من أطعمة وملابس وغيرها ، فقد جلبوا العديد من السلع بأنواعها ومنها : التمور ، والتمن ، والقمح ، الشعير ، القهوة ، الهيل ، والسكر ، والشاي ، والحديد ، والنحاس والأسلحة وذخائرها [١] ، وهذه الطريقة التجارية التي قاموا بها كباقي تجار منطقة جبل شمر أدّت إلى ازدهار الأسواق وانتعاشها وزيادة دخل الإمارة اقتصادياً ، وذلك لما تأخذه من تلك القوافل من ضرائب تعود إلى خزينة الإمارة، وذكر موزل عن دور الأمير طلال العبد الله في ازدهار الحياة الاقتصادية عندما قام بجلب التجار قائلاً:"وجلب الحرفيين والتجار من العراق وسورية وتسيير رحلات تجارية منتظمة إلى العراق وبذلك تم جذب الشمريين المقيمين في الخيام لإجراء عمليات بيعهم وشرائهم في حائل وبقية القرى بدلاً من القيام برحلات طويلة إلى العراق مليئة بالأخطار " [٢] ، أغلب هؤلاء التجار الذين قدموا إلى المنطقة هم المشاهدة فقد تعاملوا مع أقاربهم التجار في النجف ليستفيدوا من تلك الصفقات التجارية لجلب البضائع وتزويد دكاكينهم ، مما أدى إلى قدوم سكان البادية للتزود من الأسواق في المنطقة بدلاً من الذهاب إلى جنوبي العراق ، وقد ذكر لوريمر أن أصحاب الدكاكين في جبل شمر من سكان النجف قاموا باستيراد بضائعهم من أقمشة وبهارات ومعادن والبضائع الأوروبية من البصرة والنجف[٣] ، فقد أدت تلك العملية بإنتعاش الأسواق ، مما أدى بسكان البادية بالقدوم إلى الأسواق بدلاً من السفر إلى العراق .

ذكرنا أن الأمير طلال العبد الله قام بدعوة التجار لازدهار الحركة الاقتصادية في المنطقة وبجانب هؤلاء التجار المشاهدة قدم إلى جبل شمر أعداد من الحرفيين الذين استأجروا العديد من الدكاكين في (سوق الصناع) القريب من مساكنهم[٤]،وسبب قدوم العديد من الحرفيين أصحاب المهن هو نظرة أغلب فئات المجتمع في تلك الفترة إلى بعض المهن بأنها أعمال تقلل من المكانة الإجتماعية ، ومن بين تلك المهن ما ذكره لوريمر قائلاً : " ويعتبرون الإتجار باللحوم عملاً مُهيناً "[٥] وهناك العديد من المهن في جبل شمر منها ما يوافق نظرة المجتمع ، ومنها ما يرون أنه يقلل من المكانة

---

[١] موزل ، مصدر سابق ، ص٢٢ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق .... مقامات ، ج٢ ، ص٢١١.

[٢] نفسه ، ص١٨.

[٣] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص٧٧١.

[٤] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢٠٨.

[٥] مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص٧٧١.

الإجتماعية وهذا من الخطأ ؛ لأن العمل الذي ليس فيه مخالفة للشرع لا عيب فيه بل إن الأنبياء قاموا بأعمال حرفية .

وأغلب المهن في أسواق جبل شمر: هي البناء ،والصياغة ، والحدادة ، والنجارة ، والخرازة ، والجزارة ، وغيرها ، ومكان عمل معظم هؤلاء المشتغلين بتلك المهن (سوق الصناع) [١] ، ومن المشاهدة الذين كان عملهم بالحرف اليدوية عبّود المشهدي الذي كان فناناً في الرسم والكتابة فقد قام برسم العديد من اللوحات الجميلة في بعض مجالس حائل باستخدام الجبص ومن المجالس التي قام بتزيينها مجلس إبراهيم المشاري ومجلس الدقلي في لبدة ومجلس السيف في سرحة فالحرفة التي يقوم بها يأخذ مقابلها مبلغ مادي مما يزيد من دخله الاقتصادي فيشتري بجزء من هذا المبلغ أدوات الرسم من إحدى السكان مما يزيد من وجود سلع جديدة تطلب من قبل السكان لشرائها لتحسين مجالسهم بالرسومات والكتابات [٢] .

ومن المهن الأخرى التي كان يقوم بها المشاهدة الحدادة وصناعة رؤوس السهام والأدوات النحاسية ونعال الخيول وبناء البيوت [٣] ، أما أوقات عمل هؤلاء التجار وأصحاب الحرف اليدوية من المشاهدة لا يختلف تماماً عن عمل التجار من أهالي جبل شمر ، فوقت عملهم على فترتين صباحية من أول النهار إلى ما قبل الظهر ، ومسائية من بعد العصر إلى قبل مغيب الشمس[٤] .

وأما عن دخل تجار المشاهدة الاقتصادي فهم أكثر دخلاً اقتصادياً من تجار حائل الأصليين وذكر داوتي : " أخبرني حمود [٥] في مرة أخرى أنه لا يعرف أحداً من التجار في حائل يزيد دخله على ألف ريال والسيد محمود وحده هو واثنين أو ثلاثة آخرين من تجار الجملة على حد قول حمود ، الذين يربو دخل الواحد منهم على ألف ريال " [٦] ، ومن أشهر تجار المشاهدة السيد محمود بن شاوي وهو كبير المشاهدة [٧] ،وأبناء حسن مرزة ومنصور بن مرزة ، وعبد بن عبيد بن مرزة ، وعباس بن كاظم وحسين بن السيد عبد العزيز الحبوبي والسيد سعيد الحبوبي[٨] .

---

[١] القويعي ، مرجع سابق ، ص١١٧ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢٠٨.

[٢] العريفي ، نفسه ، ص٨٠.

[٣] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص٧٧١.

[٤] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢١٤.

[٥] يقصد به حمود بن عبيد بن علي آل رشيد ، الساعد الأيمن للأمير محمد العبد الله آل رشيد .

[٦] مصدر سابق ، ج١ ، المجلد الثاني ، ص٤٥٧.

[٧] داوتي ، نفسه ، ص٤٥٥ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢٢١.

[٨] العريفي ، نفسه ، ص٢٢١-٢٢٢.

ومن الأعمال التجارية التي قام بها المشاهدة هي التجارة في العقار فقد سكن الرحالة يوليوس أويتنج أحد بيوت المشاهدة عندما سافر صاحب المنزل إلى موطنه الأصلي (النجف) فترة من الزمن فقبل سفره إلى النجف أوكل أحد أقاربه من المشاهدة بتأجير منزله على الأمير بمبلغ ست مجيديات (تساوي ٢٠ ماركاً) في السنة [١] [٢] ، فما قام به تأجير المنزل يزيد من دخله الاقتصادي ويشجع على تجارة العقار ليستفيد التجار من تلك الطريقة التجارية .

ومن أثرهم التجاري في العقار هو تسامحهم ومساعدة التجار في حائل فعندما اتسع نشاط التاجر عبد العزيز العريفي اشترى دكاناً في (المسحب) ثم اقتضت مصلحته أن يبدله بدكان كبير تجار المشاهدة محمود بن شاوي الذي وافق على ذلك ؛ لكي يستفيد عبد العزيز الذي زادت تجارته ونشاطها . فقد كتب الشيخ حسن بن محمد الحجي وثيقة بينهما في ١٣١٨/١/٦هـ . [٣]

ثالثاً – الجانب العلمي :

لقد ظهر في العراق العديد من العلماء والأدباء والشعراء والمفكرون لما يحملونه من شتى العلوم والفنون ، فقد أصبح لهم أثر في ازدهار الحركة العلمية في العراق، فعندما ضمت الدولة العثمانية العراق حملت على عاتقها نشر التعليم في الولايات التابعة لها ، أضف إلى ذلك وقوع أهم مزارات الشيعة في جنوبي العراق (النجف) ، ففيها ملتقى العلماء وطلبة العلم، مما نتج عن ذلك تبادل العلوم والفنون فيما بينهم ، فجميع ما ذكر عوامل أدت إلى ازدهار العراق بالعلوم والمعرفة عن البلاد النجدية فعندما قدم المشاهدة إلى جبل شمر نقلوا معهم أنواعاً جديدة من المعرفة التي استفادت منها السلطة والسكان .

ومن المشاهدة الذين نقلوا المعرفة وأدخلوا أفكاراً جديدة إلى فن العمارة في بيوت الأهالي عبود المشهدي ، فقد انفرد بطريقة جديدة في تزيين المجالس التي نالت استحسان الأهالي ، ويدل على ذلك طلب السكان من المشهدي تزيين منازلهم ،وهذه الزخرفة التي قام بها أعطت نوعاً جديداً لفن العمارة في حائل ؛ لأنها تشمل على العديد من الأشكال الهندسية وإلى جانب الزخرفة فن الخط

---

[١] أويتنج ، مصدر سابق ، ص٩٩-١٠٠.

[٢] ذكر يوليوس والذي يشتهر بإجادة الرسم والكتابة على المنزل الذي استأجره (الخميس ١٨٨٣/١١/٨م) لا زالت جدران غرفة الاستقبال تبدو بالنسبة لي في حاجة إلى مزيد من التزيين ، وقد قمت بنقش كلمة (يا علي) على إحدى دعامات جدران الممر المؤدي إلى الفناء مستخدماً الألوان الخضراء الذهبية . وكنت أقصد من ذلك تكريم صاحب الدار الذي كان شيعياً وكان سيشعر بالرضا كلما وقع بصره على النقش " (نفسه ، ص١١٤)

[٣] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢٢١

وعادة ما يكتب اسم صاحب المجلس وسنة العمل ، فما كتبه توثيقاً لمن سكن من العوائل وتحديداً لمنازلهم والسنة التي أدخل بها هذا الفن الجميل، ومعرفة السكان لنوع من أنواع الخطوط التي تفنن بها بخطه الرائع [1] ، وما يدل على أن لعمله أثر في حياته وإدخاله فن من فنون العمارة كتابة حسن باقر مقال بعنوان (السيرة الفنية للحاج عبود شكر) ، وهذا دليل بأن له أثراً علمياً فلا يُكتب مقال من فراغ . [2]

نقل المشاهدة العديد من المعلومات والمعارف التي اطلعوا عليها وسمعوا بها عن أخبار الدول العالمية في المجال السياسي ومنها في المجال الحضاري عندما كانوا في العراق ، ومن تلك الدول فرنسا والنمسا وبروسيا وإلى جانبها بعضاً من الدول الأوروبية الأخرى ، فلم تقتصر المعلومات التي نقلوها إلى السكان الذين يلتقون بهم ويعملون معهم ، وإنما امتد ذلك إلى الحكام فقد سأل الأمير حمود العبيد داوتي عن سياسة الدولة العثمانية ، وهل ستستمر الإمبراطورية العثمانية أطول من ذلك ؟ فما ذكره داوتي من المعلومات التي ذكرها حمود العبيد و اطلاع الأمير على أخبار الدول ليس من مصدر المشاهدة فقط وذلك ؛ لأن حمود العبيد واسع الاطلاع والمعرفة لقراءته العديد من الكتب وجلساته العلمية مع كبار العلماء والمثقفين ، ولا يمنع أن تكون هناك معلومات اكتسبها عن الدول الأوروبية عن طريق المشاهدة الذين كانوا عارفين بتلك الأخبار، لكن لا تكون تلك المعارف والعلوم محصورة عن طريق المشاهدة فحسب، وإنما من عدة مصادر من بينها الرحالة والصحف والكتب [3] ، فما ذكره المشاهدة عن تلك الدول أعطى الأهالي زيادة في المعرفة وسعة اطلاع عما كانت عليه المعرفة لديهم في السابق ، ومن الطبيعي عندما يذكر المشاهدة معلومات ليست مفهومه لدى البعض من السكان يحاول المستمع أن يسأل ؛ لأجل أن يفهم ما يسمع عنه ، من خلال تلك الطريقة تنتشر المعلومات بين الأهالي وعندما تسمع هذه الأخبار منها ما هو سياسي ومنها الحضاري ينقلون ما سمعوا به إلى الآخرين ، ومن خلال تلك الطريقة تنتشر المعلومات بين الأهالي فالمشاهدة يعتبرون مصدراً من المصادر الإعلامية وذلك ؛ لإهتمامهم بالأحداث السياسية والحضارية .

ومن الأثر العلمي للمشاهدة عندما تقابل شبان من المشاهدة وسالم الطارق (من أشهر رجال القوافل التجارية في حائل) وأصدقائه خارج حائل في نزهة وصيد ، فقد دعا سالم وأصدقائه المشاهدة لتناول الغداء ، فقدم شبان المشاهدة وبدت بينهم الأحاديث التي يتخللها العديد من

---

[1] زيارة ميدانية لعدد من المنازل التي قام عبود المشهدي بتزينها باستخدام الجص ورسم النقوش عليها .

[2] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١ ، ص٨٠.

[3] داوتي ، مصدر سابق ، ج١ ، المجلد الثاني ، ص٤٥٥-٤٥٦.

المعلومات والمعرفة فقد وصف المشاهدة بغداد عندما أتى الحديث عنها ونخيلها وأصنافها ، وكذلك الأنهار القريبة منها والخيرات والأنعام التي تفيض منها ، وهذا ما يزيد من المعرفة وتبادل المعلومات . فالكل منهم يأتي بما لديه من معلومات مما يزيد من سعة اطلاع السامع ومعرفته ، ولم تنتهِ الزيارات فيما بينهم بل قام المشاهدة برد الدعوة لسالم الطارق وأصدقائه فعندما أتوا إليهم رأوا العديد من الطرق الجديدة التي تعلموها من المشاهدة ، ومن تلك الطرق التي زادت من معرفتهم إعداد الشاي على الطريقة العراقية (السمّور) وبذلك يكون الشاي يميل لونه إلى السواد (الشاي العراقي) [1] .

هذه الفترة التي أقاموا بها خارج حائل من الطبيعي أن يتخللها جوانب كثيرة من المعرفة وذلك عن عدة طرق منها سؤال الشباب الحائليين للمشاهدة وحبهم للمعرفة (ومن عاداتهم معرفة التفاصيل والأخبار الجديدة) ، فقد تكون من تلك الأسئلة عن الأوضاع السياسية في العراق والعالمية ومن الأوضاع الحضارية بشتى أنواعها في جنوبي العراق وتحديداً في النجف ، أضف إلى ذلك أنهم يتنافسون في إمتاع مجلسهم بالأحاديث والقصص الجميلة سواءً القصص السابقة التي فيها العديد من العبر والتسلية أو القصص التي حدثت في عصرهم أو التي شاهدوها وعاشوا تجاربها فجميعها تزيد من المعرفة وسعة الاطلاع .

وقد اشتهر عدد من أسر المشاهدة بالشعر الفصيح إلى جانب التجارة فمن هؤلاء الشعراء الحاج محمد صالح عجينة الهمداني [2] النجفي ، فقد كان والده الحاج صالح ممن قدم من النجف إلى حائل بقصد التجارة فقد كانت تجارته لا تقتصر ما بين جبل شمر والعراق ،وإنما امتدت إلى الحجاز كأُسر المشاهدة الأخرى (آل حبوبي و آل شكر و آل زيني وغيرهم) اختار والده في آخر حياته الاستقرار في المدينة المنورة فتوفي بها ، وبعد وفاة والده هاجر الهمداني من النجف إلى جبل شمر واستقر بها وقدكان قدومه في فترة إمارة محمد العبد الله ١٢٨٩/ ١٣١٥هـ -١٨٧٢/١٨٩٧م فقد تعلم الهمداني من الشاعر محمد سعيد الحبوبي الذي كان مستقراً في حائل العديد من الخواطر الأدبية وملكاته

---

[1] العتيق ، مرجع سابق ، ص١٣٦-١٣٨.

[2] لقب الشاعر نفسه بالهمداني (بسكون الميم) نسبة إلى القبيلة اليمانية المعروفة لأنه كان دائماً يتمثل بالأبيات المنسوبة إلى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في قبيلة همدان .

فوارس في همدان غير لئام دعوت فلباني من القوم عصبة

وكان الشاعر يقول : أنا همداني بالولاء والسبب لا بالأصل والنسب فتغلب هذا اللقب عليه (شبر ، مرجع سابق ،ج١٠ ، ص٢٠٩) .

الشعرية حيث زادت مكانته وبرزت مواهبه الأدبية لدى الأمير محمد العبد الله وعبد العزيز المتعب ١٣١٥/ ١٣٢٤هـ - ١٨٩٧/ ١٩٠٦م عندما امتدحهما بعددٍ من القصائد .

وأصبح يرد على القصائد التي تقلل من مكانة أمراء آل رشيد من قبل المعارضين لحكمهم ومن القصائد التي يمدح فيها أمير نجد ويذكر بعض مغازيه قائلاً :

سر على اسم الله فالسعد تجلى ... لك من قبل ونجم النحس ولّى

لك جند الله والحزب الذي ... بلظى هيجائه الأعداءِ تصلى

فالق من شئت ولا تخش العدى ... قد كسا الله بك الأعداء دلا

وبنو وائل لما إن عصوا ... وتمادوا في سبيل الغي فعلا

يوم هاجت للشقا أقرانها ... فسقاها حتفها علا ونهلا

إلى أن قال :

وإذا يعرب يوما فاخرت ... كنت أحماها جوراً وأجلا

حكم السيف بهامات العدى ... إن غير السيف لا يحكم عدلا[1]

لم يذكر الشاعر تحديداً لأي الأميرين الذي كتب بهما القصيدة وإنما نرجح أن المقصود بالمدح هو الأمير محمد العبد الله وذلك لسببين :

الأول : أن الشاعر أتى في زمن محمد العبد الله لذا أراد الشاعر أن يبرز مواهبه ويثبت مكانته عند الأمير من البداية.

الثاني : وهو الذي يرجح الأول أن الشاعر ذكر في الديوان يمدح فيها أمير نجد والمعروف أن محمد العبد الله هو من حكم نجد بأكملها من جنوبها حتى شمالها ، أما الأمير عبد العزيز المتعب فقد انكمشت الإمارة في عهده وتقلصت حينما بدأ الملك عبد العزيز توحيده للبلاد .

وللهمداني قصائد أخرى في الأمير محمد العبد الله منها :

أيا ملك الملوك ومن بيوم ... النوى قد كان أرحمهم اضطرابا

وحين غزا العتاة بأرض نجد ... هوت لوجوهها ولوت رقابا

حررت على العصاة جيوش عزٍ ... تدك الأرض بالزحف اضطرابا

---

[1] شبر ، مرجع سابق ، ج١٠ ، ص٣١٠.

وفـــرج عنـــا كـــل هـــم وغمـــة وأبـــدلنا عـــن عســـرنا بهـــم يســـرا

بهـــم قامـــت الـــدنيا ولـــولا رضـــاهم لمـــا خلـــق الـــرحمن بـــراً ولا بحـــرا [1]

استخدم الشاعر في كلماته التي ذكرها أسلوب القوة وهو ضعيف الشخصية ويدل على ذلك في قوله (فرج عنا كل هم وغمه) والسبب وراء ذلك أن حكام آل سعود قامت دولتهم على الدعوة الإصلاحية والتي كانت على منهج أهل السنة والجماعة (العقيدة السليمة) والتي من مبادئها محاربة الشرك والبدع والمذاهب المخالفة والتي من بينها (الشيعة) وذلك ؛ لإظهار الحق وإزهاق الباطل فالهمداني شيعي وأراد الوصول بالتقليل من مكانة آل سعود عن طريق إمارة آل رشيد ، وهذا هو السبب الحقيقي وراء مدح أمراء آل رشيد ، وهناك أسباب أخرى لمدحهم منها استقرار الشاعر في قاعدة إمارة آل رشيد ، وقربه من الإمارة ، واستفادة المشاهدة اقتصادياً من المنطقة ، أما الظاهر لدى الأمراء أنهم يرون هذه الأبيات رداً على من أراد من الشعراء بالتقليل من مكانتهم فقط بعيداً عن مذهب الشاعر ونواياه الخفيّة .

أما أثر تلك القصائد التي ذكرها الهمداني فهي كغيرها من القصائد التي إمتدح بها كبار الشعراء في الجزيرة العربية أمراء آل رشيد كالشاعر راكان بن حثلين ، وابن سبيل ، والقاضي ، جعفر الحلي وغيرهم من الشعراء . فقد رفعت مكانة أمراء آل رشيد عما كانت عليه ، فقد دونت القصائد مدى عزتهم ومكانتهم ما بين القبائل العربية في نجد والجزيرة العربية ، وأنها أكدت الانتصارات التي حققها الأمير محمد العبد الله وعبد العزيز المتعب فهي بمكانة الإعلام في وقتنا الحاضر . أضف إلى ذلك الكلمات التي ذكرها تضيف إلى المتذوقين للشعر الفصيح من أهالي حائل زيادة في المعرفة من خلال المصطلحات والعبارات ، وأن تلك القصائد أسهمت في تشجيع العديد من الشعراء في كتابة الشعر سواءً بالفصيح أم بالشعر العامي في مدح الأمير محمد العبد الله وعبد العزيز المتعب .

ومن أدباء المشاهدة وشعرائهم محمد سعيد الحبوبي الذي اشتهر بجمال شعره والذي يحتوي على الألفاظ الجزلة السهلة ، وجمال تركيب الألفاظ ، وحسن الأسلوب ومعانيه التي تشمل على الوصف والتصوير ، فعندما كان في حائل أصبح قريباً من حكام آل رشيد يجلس في مجالسهم يمتعهم بشعره ووصفه الجميل البليغ ، ويدل على قربه من الحكام أن الشاعر الهمداني تعلم منه في حائل

---

[1] شبر ، مرجع سابق ، ج ١٠، ص٣١٠-٣١١.

وقربه الحبوبي إلى مجالسة أُمراء آل رشيد[1] ، ويدل على أهمية شعره فقد سجلت دراسة ماجستير في اللغة العربية تخص جزءاً من شعره بعنوان (أساليب الطلب في شعر الحبوبي) .[2]

له العديد من القصائد ذكر بها نجد ويقصد بها حائل وذلك ؛ لأن استقراره في حائل وهي إحدى بلدان نجد ، وعندما ذهب إلى العراق توجد الشاعر إلى المكان الجميل والذكريات التي عاشها في حائل ، ومن أشعاره التي يتغزل بها في نجد ومعشوقته مطلعها :

رويـــــــداً ســـــــائق النـــــــوق فمـــــــا ودعـــــــت معشـــــــوقي

ومنها :

بنجـــــــدي الحمـــــــى غـــــــنجٌ رشـــــــيق القـــــــد ممشـــــــوقِ

تجلـــــــت ريـــــــم رامتهـــــــا بلحـــــــظ منـــــــه مســـــــروقِ

إشـــــــارتي لـــــــه أبـــــــداً ومفهـــــــومي ومنطـــــــوقي

فليـــــــت العـــــــيس لا رحلـــــــت ولا قامـــــــت علـــــــى ســـــــوقِ [3]

ومن شعره يتضح أن له موطن غزل في حائل ويثبت ذلك عندما ذكر في قصيدته موضحاً موطنها وموطنه الأصلي قائلاً :

بـــــلادك نجـــــد والمحـــــب عراقـــــي فغيـــــر التمنـــــي لا يكـــــون تلاقـــــي

ولـــــو أن طرفـــــاً زار طرفـــــي ســـــاهراً لكنـــــت رجـــــوت القـــــرب بعـــــد افتـــــراقِ

أرى الـــــدهر يـــــأبى فـــــي تـــــآلف شـــــملنا كـــــأني أعاديـــــه فـــــرام شـــــقاقي [4]

ومن خلال شعره يتبين سهولة ألفاظه ، وعدم التكلف باختيار معانيها فهي واضحة ، ولهذه الأبيات وأبيات أخرى ذكرها لها أثر علمي ما بين الأهالي في حائل ، وذلك من خلال الكلمات الجديدة أو الأفكار التي تطرق لها بقصائده فقد كان الحبوبي قريباً من حكام آل رشيد ومجلسهم يأتيه كبار رجال السلطة والتجار الذين يسمعون منه العديد من القصائد مما تزيد من المعرفة ، أضف إلى ذلك أن المجالس الأدبية تطرح بها العديد من الأسئلة عن المعاني والقصص التي كتب منها قصيدته فهذه تزيد في العلم والمعرفة ، أما مدحه لأمراء آل رشيد فشاعر بمكانته وقدرته الشعرية من الطبيعي

---

[1] شبر ، مرجع سابق ، ج١٠، ص٣١٠.

[2] السوداني ، مرجع سابق ، ص٤-١٦ .

[3] الحبوبي ، ديوان السيد محمد سعيد حبوبي النجفي ، تصحيح وتذليل : عبد العزيز الجواهري ، المطبعة الأهلية ، بيروت ، ١٣٣١هـ ، ص٣٠٩ .

[4] الحبوبي ، نفسه ، ص٣٠٢.

أن يكتب العديد من القصائد عن الأمراء ومما يلاحظ من خلال تصفح ديوانه أننا لم نجد قصيدة واضحة يخص بها أمراء آل رشيد ، لكن جاء مدحه لهم عُرض قصائد ذات معاني متعددة .

الفصل الثالث

التبادل الاقتصادي مابين جبل شمر وجنوبي العراق

المبحث الأول : أ– العوامل التي أدت إلى التبادل الإقتصادي بين جبل شمر وجنوبي العراق

- الموقع الجغرافي
- العامل الإقتصادي
- العامل السياسي

ب–الدخل الإقتصادي في جبل شمر وجنوبي العراق

- الدخل الإقتصادي في جبل شمر (الزراعة – الرعي والثروة الحيوانية – الحرف والصناعات – التجارة)
- الدخل الإقتصادي في جنوبي العراق (الزراعة والثروة الحيوانية – الصناعة – التجارة)

ج–العملات والموازين والمقاييس المتداولة بين المنطقتين .

المبحث الثاني : طرق القوافل التجارية بين جبل شمر وجنوبي العراق .

المبحث الثالث : دور العقيلات في تقوية الصلات الإقتصادية بين جبل شمر وجنوبي العراق .

- النشاط التصديري
- النشاط الإستيرادي
- تأمين السيولة النقدية

المبحث الرابع : أشهر الأسواق في جنوبي العراق وجبل شمر والتبادل التجاري فيما بينهما .

- الأسواق في جنوبي العراق
- الأسواق في جبل شمر
- التبادل التجاري فيما بينهما

المبحث الخامس : أثر التبادل الإقتصادي بين جبل شمر وجنوبي العراق .

- الأثر الإقتصادي
- الأثر السياسي
- الأثر الإجتماعي
- الأثر الحضاري

المبحث الأول :

(أ) العوامل التي أدت إلى التبادل الاقتصادي بين جبل شمر وجنوبي العراق :

ساهمت مجموعة من العوامل إلى ارتباط منطقة جبل شمر بعلاقات تجارية مع جنوبي العراق أكثر من علاقتها التجارية مع الأقطار الأخرى[١] .

ومن هذه العوامل ما يلي :

أولاً – الموقع الجغرافي : تمتاز منطقة جبل شمر بموقع متوسط نسبياً بين الشمال والجنوب والوسط ، وما بين البحر الأحمر ، والخليج العربي،حيث جعل هذا العامل منها معبراً للقوافل التجارية ومحطةً لاستراحة القوافل التجارية وقوافل الحجاج القادمة من العراق[٢] ، ولأهمية موقعها الإقتصادي ماذكره موزل قائلاً : "كما أن موقعها مهم جداً للحركة التجارية لأن طرق التجارة والحج من الخليج العربي والعراق وإلى مكه والمدينه تسير بمحاذاة الحدود الجنوبية لصحراء النفود الرملية وبالتالي قرب هذه المستوطنات"[٣] ، ويقصد موزل بالمستوطنات القرى القريبة من حائل عاصمة إمارة آل رشيد

وإذا نظرنا إلى قرب المسافة مابين جبل شمر وجنوبي العراق بالنسبة للأقطار الأخرى[٤] ، وقصر المسافة التي يقطعها الحجاج العراقيون عن غيرها من الطرق الأخرى ، وصفاء جو منطقة جبل شمر وطيب هوائها[٥] جميعها عوامل ساعدت في الصلات الاقتصادية بين المنطقتين[٦] ، ويقدر فالين المسافة ما بين المنطقتين أنها عشرة أيام[٧] ، فالقرب الجغرافي كان سبباً في الصلات الإقتصادية فيما بينهما .

---

[١] حسني ، مصدر سابق ، ص ٣٥ ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص ١٩٨.

[٢] المسلم ، ابراهيم ، العقيلات ، ط٣ الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ١٤٧٢هـ ، ص ٤٣ ؛ السويداء ، عبدالرحمن زيد ، عقيلات الجبل ، ط٢ ، دار الأندلس ، حائل ١٤٢٧هـ ، ص٣٨ .

[٣] مصدر سابق ، ص١٢ .

[٤] Baran , THE RASHIDI ,P58 ؛ الصانع و العلي ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٦٤ .

[٥] العثيمين ، مرجع سابق ، ص٢٠٢ .

[٦] الصانع و العلي ، مرجع سابق ، ص٦٥ .

[٧] مصدر سابق ، ص١٣٤ .

ثانياً – العامل الاقتصادي :

لم تملك إمارة آل رشيد موانئ بحرية سواءً على البحر الأحمر أو الخليج العربي مماجلعها تعتمد على المناطق الواقعة في جنوبي العراق في عملية التبادل التجاري ، لذا كانت القوافل التجارية تغادر جبل شمر متجهة إلى الأسواق الواقعة في جنوب العراق بشكل مستمر وذلك لازدهار تلك المناطق إقتصادياً[١] .

فقد كان لأمراء آل رشيد دور كبير في تشجيع تلك القوافل التجارية فالأمير عبدالله وأخوه عبيد كانا قبل قيام الإمارة يرافقان القوافل التجارية ويدافعان عنها[٢] ، وذكر العتيق عن دور الأمير محمد العبدالله في تشجيع رجال القوافل التجارية قائلاً : " وعندما طبت الحدرة وقدم سالم عائداً من سفرته السابقة كان ذلك مقدم خير وأنفراج أزمة استبشر به أهل حائل عامه وعلى رأسهم الأمير محمد الذي استدعى في حينها عبدالكريم الطارق وأخاه سالماً ، وأثنى عليهما خيراً وشد على أيديهما مشجعاً ومباركاً ومتمنياً لهم التوفيق والسداد ، وأبلغ سالماً بأنه سوف يكلفه بعد أن يستريح من عناء السفر ويأنس بأهله ويبيع بضائعه سوف يكلفه بحدرة جديدة يجلب بها حاجة المضيف من الأطعمة العراقية " [٣] .

ومن الأسباب التي أدت إلى خروج تلك القوافل إلى جنوبي العراق حدوث القحط وقرب العراق لمنطقه جبل شمر[٤] ، واحتياج الأسواق في جبل شمر إلى المنتجات العراقية سواءً كانت زراعيه أو صناعية ، وازدهار الحياة الاقتصادية في العراق[٥] . ويقول القريني " ويذكر الوالي عبدالرحمن في تقريره عن أهميّة التجارة بالنسبة للأهالي حيث يشير إلى أنه في السنوات التي زادت فيها المحاصيل الزراعية وعَمت فيها البركة تم تصدير القمح والذرة والشعير إلى البلاد الأجنبية من خليج البصرة

---

[١] حسني ، مصدر سابق ، ص٣٥ ؛ الشمري ، عياد بن خلف بن نهير، الايضاح في سيرة طير الفلاح ندى بن خلف ، ورقة ٧٥ ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص٢٠٢ .

[٢] موزل ، مصدر سابق ، ص١٣ ؛ المسلم ، مرجع سابق ،ص٦٢.

[٣] مرجع سابق ، ص٩٤-٩٥.

[٤] الدخيل ، سليمان ، نجد ، لغة العرب ، س١ ، ع٢ ، رجب ١٣٢٩هـ / تموز ١٩١١م ، ص٦٥ ؛ فالين ، مصدر سابق ، ص١٣٧ ؛ لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج١٢ ، ص٢٢٤٦ ؛ لوتر، مصدر سابق ، ص٧ ؛ السويداء ، مرجع سابق ... المجاعات والحروب في نجد ، ص٢٦٩-٢٧٠ .

[٥] آن بلنت ، مصدر سابق ، ص ٢٠٨ ؛ غنيمة ، يوسف رزق الله ، تجارة العراق قديماً و حديثاً ، ط١ ، مطبعة العراق ، بغداد ١٩٢٢م ، ص ١٣٨ .

بالسفن [١] " وهذه الثروة الزراعية في جنوبي العراق أصبحت مطمعاً لأصحاب القوافل التجارية لجلب تلك المنتجات وبيعها في أسواق جبل شمر .

تحمل هذه القوافل ما تريد بيعه في جنوبي العراق من ثروة حيوانية (إبل - خيول - أغنام) وبعض الإنتاج الحيواني (سمن - صوف - أقط) وتقوم بعد بيعه بشراء المواد الغذائيه الرخيصة الثمن والمتوفرة في أسواق جنوبي العراق فتعود إلى جبل شمر محمّله بالحبوب والسكر والشاي وأنواع الأرز والأقمشه[٢] وينتج عن هذه العمليه — التبادل التجاري — من بيع وشراء عائدات مالية كبيره تشجع التجار على العودة إلى جنوبي العراق لتأمين الأسواق في جبل شمر فهي ذات أثر إيجابي على ازدهار إقتصاد منطقة جبل شمر[٣] .

لا تقتصر العوامل التي أدت إلى الصلات الإقتصادية بين المنطقتين على القوافل التجاريه وإنما أيضاً على قوافل الحجاج[٤] القادمه من النجف وكربلاء تحديداً ، ومن المناطق الواقعه في العراق بشكل عام[٥] ، ويذكر حسين حسني قوافل الحجاج وتأمين أمراء آل رشيد السلامة للحجاج قائلاً : " وأمراء الحج يتعهدون بتوصيل الحجاج إلى مكة المكرمة وإعادتهم إلى النجف والسماوة سالمين[٦] " ولأهمية الحج كان أمراء آل رشيد يختارون لمنصب - إمارة الحج- من يرون فيه الكفاءة والمقدرة في تصريف شؤون الحجاج فقد تولى محمد العبدالله إمارة الحاج في زمن بندر الطلال بطلب منه[٧]، فهذه القوافل تجلب معها المنتجات العراقيه وتزود الأسواق ما تحتاجه مما يزيد من ازدهار الإقتصاد في جبل شمر وذلك لأن تلك القوافل تضم أعداداً من التجار[٨] .

---

(١) القريني ، محمد بن موسى ، إصلاح العراق في ضوء تقرير الوالي عبدالرحمن باشا (١٢٩٦-١٢٩٨هـ / ١٨٧٨-١٨٨٠م) ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ١٤٢٨هـ ص٤٣-٤٤ .

(٢) اليحيى ، أحمد بن محمد ، السكان والأقتصاد والعمل قبل قرن في جزيرة العرب ، ، ط١ ، الرياض١٤١٨هـ .ص١٢٦ .

(٣) البازي ، حامد ، البصرة في الفترة المظلمه ، منشورات دار البصري ، بغداد ١٩٦٩ ، ص١٠٣ .

(٤) قوافل الحجاج : بدات قوافل الحجاج العراقيين وحجاج فارس التي تأتي عن طريق الحج الكوفي بالمرور في حائل . في عهد الأمير طلال بن عبدالله آل رشيد (١٢٦٣ - ١٢٨٣) عندما إنتزع قيادتها من آل مهنا أمراء بريدة عام(١٢٧٥هـ - ١٨٥٩م) إستمرت تابعة لإمارة حائل حتى سقوطها عام (١٣٤٠هـ - ١٩٢١م) . (بالجريف ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ٢٣٥- ٢٣٦).

(٥) بالجريف ، نفسه ، ج١ ، ص ٢٣٥ ؛ آن بلنت ، مصدر سابق ، ص٢٥٢ ؛ حسني ، مصدر سابق ، ص ٥٧ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P58

(٦) نفسه ، ص٥٥ .

(٧) داوتي ، مصدر سابق ، ج١ ، المجلد الثاني ، ص ٣٣٤ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق .... مقامات ، ج٢ ،ص١٠٠ .

(٨) Baran , THE RASHIDI ,P57 ؛ اليحي ، مرجع سابق ، ص١٥٩ .

ثالثاً – العامل السياسي :

ذكرنا أن العلاقة السياسية ما بين إمارة آل رشيد والدولة العثمانية التي تحكم المناطق الواقعة في جنوبي العراق جيدة ، وهي علاقة مبنية على المصالح السياسية فيما بينهم شجعت من عملية التبادل الإقتصادي بين المنطقتين[١] ، وكذلك حرص حكام إمارة آل رشيد في إحياء وإزدهار عاصمة الإمارة إقتصادياً له دورٌ بارز في عملية التبادل الإقتصادي فقد قام الأمير طلال العبدالله آل رشيد بجلب التجار والحرفيين من المشهد في العراق (المشاهده) ولذا ازدهرت التجارة في جبل شمر فهؤلا التجار العراقيين حرصوا على أن يزودوا بضاعتهم من الأسواق في جنوبي العراق وكذلك التجار من أهالي الجبل حرصوا في تحريك قوافلهم إلى الأسواق في جنوبي العراق[٢] وذكر موزل عن دور الأمير محمد العبدالله في أحياء عملية التبادل الإقتصادي قائلاً " استغل محمد مركزه بمنتهى البراعة فقد أقنع عن طريق الهدايا والتهديد جميع القوافل بالمرور مع قوافلهم قرب مقر إقامته في حائل[٣] " ، فهذه الأعمال التي قام بها السياسيون من أمراء حائل أسهمت في عملية التبادل الإقتصادي بين المنطقتين.

فقد أصبح للإستقرار السياسي وحفظ الأمن في جنوبي العراق تحت حكم الدولة العثمانية ، وكذلك الإستقرار السياسي وإستتباب الامن في بدايات إمارة آل رشيد دور في عملية التبادل الإقتصادي بل كان من أثرها حماية القوافل التجارية من تعديات قطاع الطرق والحفاظ على أرواح المسافرين وممتلكاتهم مما زاد من التبادل الإقتصادي بين المنطقتين[٤] .

---

[١] الأرشيف العثماني اسطنبول ، متفرقات يلدز .YPRK.SRN رقم ٢٨-٣ تاريخ ١٣٠٩/٧/١٢هـ ؛ Bid well , Robin , THE AFFAIRS OF KUAIT 1896-1905 ,VOL1, PART II , printed ,in Greaat Britain by Stephen Austin and sons Limited Hertford , 3.7. 1901, P15.

[٢] موزل ، مصدر سابق ، ص٧٠ ؛ فاسيلييف ، مرجع سابق ، ص ٢٣١؛ Baran , THE RASHIDI ,P5 ؛ السويداء ، مرجع سابق ... منطقة حائل ، ص٥٩٣-٥٩٤ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١ ، ص٢٧ .

[٣] مصدر سابق ، ص٢٧ .

[٤] هوبر ، مصدر سابق ، ص ٤٦ Baran , THE RASHIDI ,P68 ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص١٩٩ ؛ الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج١، ص٦٢ .

ب – الدخل الإقتصادي في جبل شمر وجنوبي العراق :

أولاً – الدخل الإقتصادي في جبل شمر : يعتمد الإقتصاد في فترة إمارة آل رشيد على عدة عناصر : الزراعه والتجارة والثروة الحيوانية والصناعة وغنائم الحرب وجمع الزكاة ، وتتفاوت هذه العناصر من حيث اسهامها في اقتصاد الإمارة بحسب الظروف التي تواجهها وأهمها[١] :

أ – الزراعة :

على الرغم من وقوع منطقة جبل شمر في المناطق الصحراوية إلا أنها تمتاز بمناخ معتدل نسبياً في فصل الصيف وذلك ؛ لارتفاعها ولموقعها الشمالي لذا تسقط عليها الأمطار في فصل الخريف والشتاء مما يساعد على قيام السكان بالنشاط الزراعي[٢] ، فأصبحت تتوفر فيها أهم مقومات الزراعة حيث وفرة مياه الأبار والينابيع ومياه الأمطار[٣] إذا سقطت الأمطار عليها في وقت مبكر فالنشاط الزراعي مرتبط بهطول الأمطار[٤] ، وتعد مياه الأبار من الموارد المهمه لأهالي المنطقة فهم يبذلون جهداً من أجل استخراجها عن طريق حفر الأبار باستخدام أداوت بسيطه وكذلك التكلفه الماليه لاستئجار الحيوانات لإستخراج الماء من عمق (١٠ – ١٦) متر ومصاريف غذائها[٥] ، وأما الينابيع فإنتشارها في السهول والتلال خاصةً في السهل الواسع المنبسط مابين السلسلتين أجا وسلمى[٦] .

تمتاز تربة الجبل بالخصوبه[٧] ، مما ساعد السكان على زراعة كثير من أنواع الفاكهة والخضروات[٨] ، فقد كانت المحصولات الزراعية السائدة في حائل إلى وقتنا الحاضر هي: التمور والقمح والشعير والذرة والدخن والخضروات وغيرها [٩] .

---

[١] هوير ، مصدر سابق ، ص٤٦ ؛ حسني ، مصدر سابق ، ص ٢٩ ؛ الهمزاني ، مرجع سابق ، ص١٣٩ ؛ السويداء ، مرجع سابق ... نجد في الأمس ، ص٣٣-١٨٥-١٨٤ ؛ أحمد العريفي، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ،ص٢٠٧ .

[٢] جودة ، حسين ، شبه الجزيرة العربيه (دراسة في الجغرافيا الإقليمية) ، دار المعرفه الجامعيه ، دون مكان النشر ، ١٩٨٤ ، ص٤٧.

[٣] العثيمين ، مرجع سابق ، ص١٩٢ ؛ الهمزاني ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

[٤] القويعي ، مرجع سابق ، ص ١١٧؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢، ص٢٠٨ .

[٥] حسني ، مصدر سابق ، ص ٢٨ ؛ اليحيى ، مرجع سابق ، ص١٥١ .

[٦] الزعارير ، محمد عبدالله ، إمارة آل رشيد في حائل ، ط١ ، دار بيسان ، ١٩٩٧م ، ص٢٧ .

[٧] الزعارير ، نفسه ، ص٢٧ .

[٨] حسني ، مصدر سابق ،ص ٢٨ ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص١٩٣ ؛ القويعي ، مرجع سابق ، ص ١١٧.

[٩] هوير ، مصدر سابق ، ص ٣٦ ؛ حسني ، نفسه ، ص ٢٩ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢٠٨ .

وتعاني الزراعة من مشكلات في جبل شمر وأهمها قلة الأمطار أو انقطاعها مما يسبب في شح المياه وغور الأبار ، وضعف الدواب التي تستخدم في إستخراج الماء من الأبار ، وتسلط الجراد على أكل مانبت من الزرع[١] .

ب – الرعي والثروة الحيوانيه :

تعتبر الثروة الحيوانية مصدرا هاماً من مصادر الدخل الاقتصادي لدى سكان جبل شمر فقد اعتمدت البادية على الرعي كمصدر للمعيشه[٢]، وتعتمد حياة الرعي على هطول الأمطار ونبات الكلأ ووفرتها بالدرجة الأولى[٣] ، وتشكل الإبل أهم ثروة لدى الباديه والحاضرة فقد ذكر داوتي وصفاً مبالغ فيه عن وفرة الإبل في جبل شمر، وذلك عندما قدر ما يملكه الأمير عبدالله بن رشيد من الإبل مايقارب أربعين ألفاً[٤] ، ويستفيد الأهالي من الأبل بتأجيرها على قوافل الحجاج القادمة من النجف وكربلاء ، ويقوم السكان ايضاً ببيع الإبل بشكل مستمر في اسواق مكة والمدينه في مواسم الحج [٥]، فقد وفرت الإبل دخلاً هاماً للسكان عن طريق تأجيرها وبيعها لأصحاب القوافل التجارية لنقل بضائعهم أو لقوافل الحجاج أو للعمل الزراعي لإستخراج المياه من الأبار[٦] .

كما تكثر الأغنام في المنطقة وذكرت أن بلنت :" وفي الثالثة والنصف صادفنا راعياً يسوق أربعين رأساً من الضأن إلى سوق حائل ، وهوشيخ (كبيرالسن) شمري من آل الراهس رأينا خيامه اليوم بعيده في الشمال الشرقي وهو ينوي بيع قطيعه على الحجاج الفرس الذين يتوقع وصولهم اليوم[٧]" .

أما الخيول فهي من أفضل الأنواع وأجودها وأجملها في جبل شمر فقد تولّع والي مصر عباس باشا بخيول شمر[٨] ، وذكر فالين " وفي رأيي أن هذه الخيول تستحق أن توصف بأنها أجمل الخيول العربية الأصلية وأسرعها ، وهي هنا أكثر منها في أية منطقة أخرى زرتها من بلاد العرب[٩] " ،وتباع

---

[١] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ،ج٢، ص٢٠٨ .

[٢] حسني ، مصدر سابق ، ص ٥٧ ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص١٨٨ .

[٣] الزعارير ، مرجع سابق ، ص٣٠ .

[٤] داوتي ، مصدر سابق ، ج٢ ، المجلد الثاني ، ص٦٤٤ .

[٥] حسني ، مصدر سابق ، ص٥٥ .

[٦] العثيمين ، مرجع سابق ، ص١٨٩ .

[٧] مصدر سابق ، ص٦٤٤ .

[٨] وصفت أن بلنت في رحلتها الخيول في نجد وشهرة خيل ابن رشيد فقد وضعت قسماً خاصاً عن خيول ابن رشيد وجودتها للإطلاع . أنظر : أن بلنت ، نفسه ، ص٢٦٩ – ٢٨٨ .

[٩] مصدر سابق ، ص١٥٤ .

هذه الخيول في أسواق العراق[١] ، ومكه والمدينة المنورة [٢] ، أما تربية الأغنام فقد حظيت باهتمام السكان سواءً في الغذاء أو الإنتاج والتصدير فقد إستفادوا من (اللحم – واللبن – والسمن – والصوف[٣]) .

ج – الحرف والصناعات :

تعد الحرف والصناعات من أهم الأعمال التي تساعد في سد حاجة المجتمع وإكتفائه ذاتياً بكثيرٍ من الأدوات التي يحتاجها في تسيير حياته اليومية ، فكما كانت مهنه الرعي والزراعة تؤدي إلى تأمين الغذاء من الطعام واللحوم التي يستهلكها السكان كذلك نرى مهنة الصناعة والتي تتمثل في النجارة والحدادة والصباغة والدباغة والخرازة والحياكة والبناء فجميعها لها أهميّة في خدمة المجتمع فهي تزيد من دخل الحرفيين ، وتساعد في إقامة دكاكين تُنعش الأسواق في جبل شمر[٤] ، وفي المنطقة سوق يضم معظم المشتغلين بتلك المهن يسمى (سوق الصناع[٥]) ، أما مهنة الحدادة فكانت بسيطة كغيرها من المهن الأخرى ، والتي تعتمد على الحرف اليدويّة فهي تعمل على صهر الحديد المطاوع والرصاص والنحاس لصنع أواني الطبخ النحاسيّة من قدور وصحون ودلال[٦] .

كما إشتهرت المنطقة بصناعة نوع من الدلال اسمها(القريشيات) وهي غاية في الرشاقه والجمال ودقة الصنعه[٧] ، أما السيوف فقد اشتهرت بها أسرة الباني فقد امتدح السيوف التي أتقنهات الباني عدد من الشعراء فقال أحدهم :

بأيماننا فوق جرد الخيل من شغل غنام بن باني[٨]

---

[١] العتيق ، مرجع سابق ، ص٩٥ .

[٢] فالين ، مصدر سابق ، ص١٥٥ .

[٣] العثيمين ، مرجع سابق ، ص١٩١ ؛ القويعي ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .

[٤] هوبر ، مصدر سابق ، ص٣٩ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P57 ؛ السويداء ، مرجع سابق ... منطقة حائل ، ص٥٩٢ .

[٥] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢٠٨ .

[٦] القويعي ، مرجع سابق ، ص١١٧ ؛ اليحيى ، مرجع سابق ، ص١٢٣ .

[٧] السويداء ، مرجع سابق ... منطقة حائل ، ص٦١٢ .

[٨] السويداء ، نفسه ، ص٦١٢ .

فجميع هذه الحرف التي يقوم بها السكان ساعدت في الدخل الاقتصادي ، وذلك عن طريق إنتعاش تلك الأسواق وفتح الدكاكين .

د – التجارة :

كان لانتعاش النشاط الزراعي وتربية الحيوانات ، وبعض الصناعات أثر في ظهور حركة تجارية نشطه في منطقة جبل شمر[١] ، وتنقسم التجارة في تلك الفترة إلى قسمين :تجارة محلية وخارجيه[٢]،فالتجارة المحليه ركيزه من ركائز اقتصاد الإمارة[٣] ، وهي قيام تجار أهالي حائل بعملية البيع والشراء مع المدن القريبة منها ومع أبناء الباديه في الجبلين[٤] ، وتقوم هذه التجارة على تبادل السلع وتوفيرها داخل الأسواق في حائل سواءً ماكان فيها من الإنتاج المحلي أو من السلع المستوردة[٥] ، وذكر العريفي "وقوام هذا النوع من التجارة المحصولات الزراعية المحلية في منطقة الجبلين كالقمح والشعير والذرة والتمور والحيوانات ومنتجاتها كالسمن والاقط والصوف والجلود ومنتجات الصناعة المحلية التقليدية[٦]" فهذا النوع من التجارة مابين الباديه والحاضرة في الجبلين يعرف بالتجارة المحلية[٧]، فقد زودت المدن والقرى أهالي البادية بالمواد الغذائية والملابس[٨] .

أما النوع الآخر من التجارة في جبل شمر وهو ما يُعرف بالتجارة الخارجية : وهي الأشتغال بالتجارة مع بعض الأقطار المحيطه بالجزيرة العربية كالعراق وسوريا وفلسطين والأردن ومصر،بحيث يقوم تجار حائل بتصدير بعض المنتجات المحلية ، واستيراد منتجات غذائية كالأرز والقهوة والهيل ومايحتاج من سلع إستهلاكيه أقمشة وألبسه وعطور وأواني وبعض المستوردات المتعلقة بالحروب من أسلحة وذخائر.[٩]

---

[١] حسني ، مصدر سابق ، ص ٥٧ ؛ اليحيى ، مرجع سابق ، ص١٥٦ .

[٢] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢١٠ .

[٣] السويداء ، مرجع سابق ... منطقة حائل ، ٦١٣ .

[٤] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ص٢١٠ .

[٥] السويداء ، مرجع سابق .... منطقة حائل ، ص٦١٣ .

[٦] مرجع سابق ... مقامات ، ص٢١٠ .

[٧] العثيمين ، مرجع سابق ،ص١٩٧ ؛ الزعارير ، مرجع سابق ، ص٣٠ .

[٨] العثيمين ، نفسه ، ص١٩٧ .

[٩] داوتي ، مصدر سابق ، ج١ ، المجلد الثاني ، ص ٤٥١ ؛ هوبير ، مصدر سابق ، ص٣٩.

وقد بلغ حجم هذه التجارة مبلغاً جيداً حيث وصل حجم بعض القوافل إلى ٣٠٠٠ بعير تحمل السلع إلى منطقة جبل شمر وتصدر إلى الأقطار الأخرى ومن أهم المنتجات للأسواق في الأقطار المحيطة بالجزيرة مع القافلة الواحدة ٦٠٠٠ بعير تصل إلى أسواق الزبير والبصرة والنجف وبغداد والحلة وحلب ودمشق والقدس والقاهرة ، وأثرت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣هـ -١٩١٤م) على تجارة الإبل تأثيراً إيجابياً فقد جُلب إلى دمشق مابين ٣٠٠-٤٠٠ رعية خلال سنة واحدة تتراوح أعدادها مابين ٢٤٠٠٠ – ٣٢٠٠٠ من الإبل ؛ وذلك لاحتياج الحلفاء للإبل لنقل معدات الحرب كما بلغت تجارة الخيول مبلغاً جيداً في تلك الفترة [١].

وتأتي أهمية منطقة جبل شمر تجارياً ؛ لكونها ملتقى ومركزاً مهماً للقوافل التجارية القادمة من العراق والشام والمدينة المنورة وكذلك موقعها على الطريق الحجاج القادمين من العراق حيث يستريح فيها الحجاج أثناء عودتهم من مكه لمدة إسبوع ، لذا تنشط الحركة التجارية وزيادة مورداً مالياً بسبب الرسوم المفروضة مقابل مرور تلك القوافل والحفاظ على أمنها[٢] .

يصعب تقدير عدد معين ودقيق لدخل الإمارة اقتصادياً وإنما يعتمد حصر إيرادات الإمارة على التقديرات والتخمينات فالوارادت بشكل عام تتكون من:

١- الأعشار[٣] وهي التي تؤخذ على الثمار تساوي مايقارب ٤١,٠٠٠ ليرة عثمانية .

٢- ضريبة الحجاج تؤخذ على كل حاج ١,٥ ليرة عثمانية وبلغت حوالي ١٥,٠٠٠ ليرة عثمانية .

٣- زكاة الغنم والإبل وهي الزكاة الشرعية وبلغت حوالي ٢٠,٠٠٠ ليرة عثمانية .

٤- زكاة عروض التجارة وقد بلغت حوالي ٥,٠٠٠ ليرة عثمانية .

٥- ضريبة الغزو وقد بلغت حوالي ١٠,٠٠٠ ليرة عثمانية .

٦- رسوم إحتسابيه بلغت حوالي ١,٠٠٠ ليرة عثمانية .

بحيث يصل مجموع الواردات إلى ١٠١,٠٠٠ ليرة عثمانية[٤]

---

[١] المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ ؛ السويداء ، مرجع سابق ... منطقة حائل ، ص٦١٦ .

[٢] الأرشيف العثماني اسطنبول ، متفرقات يلدز .Y.PRK.ASK رقم ٨٤- ١٦٩ تاريخ ٨/ ١/١٣١٧هـ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P58

[٣] الأعشار : وهي التي تؤخذ على الزرع البعل والنخل البعل الذي يسقى على المطر بدون مئونة . (السويداء ، مرجع سابق .... منطقة حائل ، ص٥٥٣) .

[٤] حسني ، مصدر سابق ، ص ٥٧ .

ب – الدخل الإقتصادي في جنوبي العراق :

أولاً – الزراعة والثروة الحيوانية :

يقوم أغلب سكان جنوبي العراق بممارسة حرفة الزراعة وحرفة الرعي[١] ، وعلى الرغم من تنوع المحصولات الزراعية وكثرتها، إلا أن الزراعة في جنوبي العراق تواجه مشكلة ، وهي قلة المساحات المشغله فتتراوح نسبة الأراضي الزراعية مابين (٢-٧%) من مجموع الأراضي الصالحة للزراعة ، ويعود السبب إلى إعتماد المزارعين على هطول الأمطار وإستخدام الأساليب الزراعية القديمة [٢] ، أما المحاصيل الزراعية فأهمها : التمور والشعير والأرز والفواكة الحمضية ، وتتركز صادراتها الزراعية في الدرجة الأولى على التمور والحبوب بأنواعها[٣] ، أما الثروة الحيوانية فتشمل : الخيول والأغنام والأبقار والجواميس .

جدول يوضح أعداد الثروة الحيوانية [٤]

النوع	السنة	العدد
جاموس	١٩١٤	١٠٠٠
أبقار	١٩٢٥	٢١٠,٠٠٠
أغنام	١٩١١	نصف مليون
خيول	١٩١٠	٦٠,٠٠٠

ثانياً– الصناعة :

لم تشهد المناطق الواقعه في جنوبي العراق أي تقدم صناعي خلال العهد العثماني وقد استمر هذا الوضع حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، ونهاية الثلاثيات من القرن العشرين الميلادي[٥] ، فقد كانت الصناعة في جنوبي العراق تعتمد على الحرف اليدويّة وتُزاول في الدكاكين والبيوت ومن أشهر أنواع الصناعة : الحدادة والنجارة وصناعة الأحذية وصناعة المنسوجات من القطن والصوف

---

[١] لوريمر ، مصدر سابق ، ج٩ ، القسم الجغرافي ، ص١٧٢٢ .

[٢] نادم ، شكري محمود ، المفصل في تاريخ العراق (مجموعة باحثين) ، الأحداث الحربية الأولية ، ط١ ، بيت الحكمة ، بغداد ٢٠٠٢م ، ص٧٣ .

[٣] الحلبي ، فتح الله الصايغ ، رحلة فتح الله الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية ، تحقيق : يوسف شحلد ، ط٢ ، دار طلاس ، دمشق ١٩٩٤ ، ص ٢٧٩ ؛ غنيمة ، مصدر سابق ، ص ١٣٩ ؛ الأرحيم ، فيصل ، تطور العراق تحت الحكم الإتحاديين (١٩٠٨-١٩١٤م) مطابع الجمهور ، الموصل ، ١٩٧٥م ، ص١٧٣.

[٤] الأرحيم ، نفسه ، ص١٧٣.

[٥] الأرحيم ، نفسه ، ص١٧٣ .

والوبر[١] ، وماكان ينتج في البصرة فهي أقمشة رديئة لاتستحق الذكر [٢] ، ولا يوجد فيها إلا عدد قليل من النساجين الذين ينسجون القماش القطني والصوفي[٣] لكن ماتنتجه قد يكفي لسد الحاجة المحلية احياناً .

ومن أهم الصناعات في جنوبي العراق : صناعة الفخار والزجاج وصناعة الجلود ، وتمتاز تلك الصناعات بأنها قديمة ويدوية ،كما أنها مرتفعة الثمن مقارنةً مع أثمان السلع المشابهة المستوردة من الخارج ، فقد أثرت السلع المستوردة إلى قلة إنتاجها وذلك ؛ لإستخدام المستهلكين للسلع المستوردة من الخارج[٤] .

جرت محاولات لتطوير هذه الصناعات حيث أدخل في عام (١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م) معمل للحدادة ومكائن حديثه للغزل والنسيج وطحن الحبوب[٥] ، كما أُدخل إلى البصرة معملين في عام (١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م) الأول : لصناعة الثلج . والثاني : لطحن الحبوب ، ويعمل على قوة البخار فهو أول معمل بخاري أسس في البصرة[٦] .

ثالثاً – التجارة :

هناك عدة عوامل ساعدت على إزدهار الحركة التجارية في جنوبي العراق فمن أهمها :

١- شق قناة السويس (١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩م) مما أدى إلى انفتاح المناطق الواقعة في جنوبي العراق إقتصادياً .

٢- التنافس الثلاثي (بريطانيا – روسيا - المانيا) من أجل إستغلال الثروات الطبيعية ، وذلك عن طريق الشركات التجارية الكبرى المستثمرة في جنوبي العراق .

٣- التطور الصناعي في أوربا حيث أصبحت المنتجات الأوربيه تغزو الأسواق في جنوبي العراق فتتم عملية التبادل التجاري بسلع زراعية وحيوانية[٧] .

---

[١] الحمداني ، طارق نافع ، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، ط١ ، الدار العربيه للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص١٦٦ .

[٢] المنطقة الوحيدة في العراق التي تصدر القماش هي الموصل حيث قامت بتصدير القماش الناعم الملمس إلى أوربا ويعرف بأسم (موزلين) (الأرحيم ، مرجع سابق ، ص ١٧٣) .

[٣] أفندي ، خور رشيد ، ولاية البصرة ، ترجمة : نوري السامرائي ، مركز دراسات الخليج ، ١٩٨١م ، ص٦ .

[٤] الحمداني ، مرجع سابق ، ص١٧٠ .

[٥] غنيمة ، مصدر سابق ، ص ١٣٩ ؛ الأرحيم ، مرجع سابق، ص١٧٠ .

[٦] الحمداني ، مرجع سابق ، ص١٤٨ .

[٧] غنيمة ، مصدر سابق ، ص ١٥٨ ؛ الأرحيم ، مرجع سابق ، ص١٧٥ .

جدول يوضح واردات البصرة من السلع[1]

الدولة	الواردات
إيران	لوز ، جوز ، زبيب ، فستق ، بندق ، كمون ، عسل
الهند	كحل ،عصفر ، تفاح ، جوز هند ، موز ، كركم ، فلفل أسود ، شاي ، زعفران
الصين	حرير ، سكر ، فضه ، أواني خزفيه ، قطن ، شاي
إمارات الخليج	حلوى ، سمك ، لؤلؤ
سوريا	صابون ، بذور الخيار ، بطيخ ، نحاس ، زئبق ، قصدير
أوروبا	أقمشة ، نحاس ، زجاج ، عطور
اليمن	توابل ، قهوة ، أسماك ، أسلحة (خناجر وسيوف)

فجميع تلك السلع القادمة إلى البصرة يستفيد منها أصحاب القوافل التجارية في جبل شمر بحيث يقومون بشراء ما تحتاجه الأسواق في حائل ، ومن خلال ذلك تنشط الحركة التجارية في جنوبي العراق وفي جبل شمر فالواردات من السلع إلى البصرة تقوم البصرة بتصديرها بإستمرار .

فقد كانت البصرة مركزاً تجارياً مهماً وذلك ، لموقعها بالقرب من شط العرب ، فتصل إليها المنتجات والسلع المختلفة من الهند والخليج العربي بواسطة السفن ،وتقوم بتصدير هذه المنتجات إلى جميع أنحاء العراق وخارجها[2] ، ومن أشهر المنتجات في جنوبي العراق التمور والخيول والجلود والقمح والشعير والتمن والصوف جميعها تصدر إلى الخارج[3] .

أصبح للإنتاج الزراعي والصناعي والثروة الحيوانية أثر بالغ في انتعاش الاقتصاد في جنوبي العراق والذي زاد من الدخل الأقتصادي ، يضاف إلى تلك الموارد الضرائب المخصصة للبلديات من قبل الحكومة والضرائب التي تفرض وتجمع كل سنة والغرامات البلدية التي تفرضها على الدكاكين والرسوم المتفرقة مثل رسوم بيع الحيوانات وغيرها [4] .

---

[1] غنيمة ، مصدر سابق ، ص ١٦١ ؛ البازي ، مرجع سابق ، ص٩٧ .

[2] خورشيد ، مصدر سابق ، ص٦ .

[3] الحمداني ، مرجع سابق ، ص١٥٤ .

[4] بركات ، رجب ،بلدية البصرة (١٨٦٩-١٩٨١م) ، منشورات مركز دراسات الخليج ، جامعة البصرة ، ١٩٨٤م ، ص٧٩-٨٠ .

ج- العملات المكاييل والموازين والمقاييس المتداولة بين المنطقتين :

أولاً – العملات النقدية في جبل شمر وجنوبي العراق :

منطقة جبل شمر كباقي المناطق في نجد والجزيرة العربية ، وكذلك المناطق العربية المجاورة لها فلا يمكن فصلها عن تلك المناطق وذلك ؛ لأن النشاط التجاري الذي تقوم به من استيراد وتصدير سواءً في الجزيرة العربية وخارجها في العراق والشام ومصر يعتمد اعتماداً كبيراً على العملة النقدية ؛ لتسهيل عملية البيع والشراء فقد كانت الأسواق التجارية تتعدد فيها العملات في كلا المنطقتين ويمكن تقسيم العملات إلى :

أ – النقود العثمانية الرسمية :

يرجع سبب تعامل منطقة جبل شمر وجنوبي العراق للعملات العثمانية.

١- أن الدولة العثمانية دولة عظمى تضم العديد من الولايات ومن بين تلك الولايات المناطق الواقعة في جنوبي العراق كولاية البصرة .

٢- حسن العلاقات مابين الدولة العثمانية وإمارة آل رشيد المبنية على المصالح المشتركة والتي فيها إعطاء الدولة العثمانية مبلغاً مالياً لأمراء آل رشيد تسمى (الصرة)[١] .

تذكر أن بلنت " والعملة التركية هي وسيلة التبادل المعترف بها في كل مكان[٢] " ، ويرجع سبب ماذكرته أن العملة العثمانية هي السائدة وأنها ذات قيمة ، لأنها عملة ذهبية[٣].

ومن أهم العملات العثمانية المتداولة في المنطقتين في تلك الفترة مايلي :

١- **الليرة العثمانية الذهبية** : وهي تساوي (١٠٠) قرش ذهبي و (١٨) شلن إنجليزي و(١٤) روبية هندية، فهي علمة متداولة في كلا المنطقتين [٤].

---

(١) Baran , THE RASHIDI ,P59 ؛ السويداء ، مرجع سابق ... منطقة حائل ، ص٥٥٠ .

(٢) آن بلنت ، مصدر سابق ، ص٢١٧ .

(٣) أبوعليه ، عبدالفتاح حسن ، النقود والموازين والمقاييس في سنجق الحسا في العهد العثماني (١٨٧١م-١٩١٣م) ، الحياة الإقتصاديه للولايات العربيه ومصادرها ووثائقها في العهد العثماني ، تونس ، ١٩٨٦ ، ص٤١٧ .

(٤) سركيس ، يعقوب ، مباحث عراقيه ، القسم الثاني شركة التجارة والطباعة ، بغداد ، ١٣٧٤م ، ص١٧٤ ؛ آينهولت، رحلة اينهولت الهولندي إلى العراق سنة ١٨٦٦-١٨٦٧م ، ترجمة : مير بصري ، تحقيق : طارق نافع الحمداني ، ط١ ، دار الوراق ، بيروت ، ٢٠١٢م ، ص٩٩ ؛ موزل ، مصدر سابق ... الفرات الأوسط ، ص ٥١ ؛ حسني ، مصدر سابق ، ص ٥٧ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢١٣.

٢- **قرش عثماني ذهبي**[١] : يساوي (١٠٠,٠٠) من الليرة العثمانية ويساوي (١٨,٠٠) شلن إنجليزي و (١٤,٠) روبية هندية[٢] ، ويستعمل في جنوبي العراق[٣].

٣- **المجيدي (فضي**[٤]) : يساوي (٢٣) قرش[٥] ، ويستخدم في جبل شمر وجنوبي العراق[٦] .

٤- **البارة العثمانية**[٧] : تساوي (١,٠) من القرش العثماني[٨] .

ب – النقود غير العثمانية (الأجنبية) :

استُخدمت نقود غير عثمانية في الأسواق التي كانت تابعة للدولة العثمانية وهذه النقود بالنسبة للعثمانيين غير رسمية ؛ لكنها نقود رسمية من جهة الدولة التي أصدرتها ، وكانت هذه النقود إمّا من النمسا أو إنجلترا أو فرنسا أو الهند كما أنها إحتلت مكانه رسمية من حيث اعتراف الحكومة العثمانية بها ومعادلتها بنقودها ، وقبولها له في معاملاتها الرسمية والسماح للسكان باستخدامها والتعامل بها فقد أتت هذه النقود من الشركات التجارية الأجنبية وكذلك عن طريق الرحالة الأوربيين[٩] ، ومن أهم

---

[١] قرش عثماني (ذهبي) : لم يكن القرش متداولاً بشكل واسع في الأسواق لأنه وحدة نقد صغيره من جهة ولأن هناك وحدات نقد أخرى كانت شائعة الإستعمال والتداول في الأسواق وإقتصر إستعماله على المعاملات الرسمية العثمانيه (أبوعليّه ، مرجع سابق ، ج١-٢ ، ص ٤١٩-٤١٨) .

[٢] علي ، غانم محمد ، النظام المالي العثماني في العراق ١٢٥٥-١٣٣٣هـ/ ١٨٣٩-١٩١٤م ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، ١٤٠٩هـ، غيرمنشورة ، ص١٦٥ ؛ أبوعليه ، نفسه ، ص٤١٨ .

[٣] البازي ، مرجع سابق ، ص١٠٠ .

[٤] المجيدي : نسبة إلى السلطان عبدالمجيد ١٨٣٩ – ١٨٦١م وينقسم المجيدي إلى فئات : نصف مجيدي وربع وثمن مجيدي ، والمجيدي له أنواع : فالمجيدي الكبير قيمته ٨٠ قرش والصغير يساوي ٨قروش ، وفئة النصف مجيدي قيمته ٤٠ قرش والربع يساوي ٢٠ قرش (سركيس ، يعقوب ،الأب الكرملي وكتابة النقود العربية وعلم النميات ، مجلة المجمع العلمي ، ج١ ، السنة الأولى أيلول ١٩٥٠م / ذو القعدة ١٣٦٩هـ ، مطبعة التفيض ، بغداد ، ص٢٦٧ ؛ أبوعليه ، مرجع سابق، ص٤١٩) .

[٥] آينهولت ، مصدر سابق ، ص ٩٩ ؛ سركيس ، نفسه ، ص١٧٤ .

[٦] وثيقة مبايعة بخط الشيخ عوض الحجي مابين غانم البازري و علي بن صالح في عام ١٢٨٩هـ .مكتبة الدكتور / خليف بن صغير الحسيني الشمري بحائل ؛ أن بلنت ، مصدر سابق ، ص١٣٨ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P60 ؛ موزل ، مصدر سابق ... الفرات الأوسط ، ص٥١.

[٧] البارة : هي عملة نقد فضية بدأ إستخدامها في العراق منذ منتصف القرن السادس عشر الميلادي . وهي من وحدات الليرة والقرش ، يقل التعامل فيها وإستعمالها لكنها ضروريه في المعاملات النقديه الرسميه لأنها تشكل وحدة نقد أصغر من القرش(أبوعليه ، مرجع سابق ، ص٤١٩ ؛ علي ، مرجع سابق ، ص١٦٥.

[٨] أبوعليه ، نفسه ، ص٤١٩ .

[٩] أبوعليه ، نفسه ، ص٤١٩- ٤٢٠ .

النقود الأجنبية المتبادلة في المنطقتين :

١- ريال ماريا تريزا[١] :

مسكوك من الفضة ويساوي (٣) قروش عثمانية ، ويساوي شلن إنجليزي ويعادل (١٠,٤) بنس و (١,٤) روبيه[٢] ، ويستعمل الريال في جبل شمر وجنوبي العراق[٣] .

٢- الروبيه الهنديه :

مسكوكة من الفضة ، وكل ليرة عثماني تساوي (١٤)روبيه ، وتساوي مابين (٥,٥ - ٧) غرش عثماني[٤] .

وما يلاحظ على العُملات المتداولة في جبل شمر وجنوبي العراق أنها متعددة ومتفاوته من حيث مصادرها ، وأقيامها ، وقلة استخدام العملات إذا قارنتها بكثرتها وتعددها في عملية البيع والشراء خاصةً إذا كانت تجارة محلية ، لأنهم يعتمدون على المقايضه أو الدين أحياناً.

٢- الموازين :

تعددت أصناف الموازين المستعملة في جبل شمر وجنوبي العراق في معاملات البيع والشراء . فمنها ما هو خاص لصنف واحد من البضائع أو موازين أخرى لوزن أكثر من صنف من السلع والبضائع ومن أهم الموازين المستعملة في المنطقتين :

١- **الوزنه** : تستعمل لوزن التمور بالجملة [٥] والهيل والبن والحبوب[٦] ، وتساوي (٣) رطل

---

[١] ريال ماريا تريزا : عرف بإسم الريال الفرانسي لأنه كان يحمل صورة فرانسوا جوزيف زوج ماريا تريزا إمبراطور النمسا ، وقد سُك دولار ماريا منذ عام١١٩٤هـ / ١٧٨٠م وكان من تلك الفترة يعد من العملات المهمة المستخدمه في كثير من مناطق العالم وخاصةً أوروبا . (السويداء ، مرجع سابق ... منطقة حائل ، ص٥٧٦ ؛ أبوعليه ، مرجع سابق ، ج١-٢ ، ص٤٢٠) .

[٢] أبوعليه ، نفسه ، ص٤٢٠ .

[٣] وثيقة مبايعة بخط الشيخ سليمان بن ابراهيم العتيق بين سعدبن عبد الرحمن العتيق وحمود العبدالمحسن وأخيه فالح في عام ١٣٠٩هـ . مكتبة الدكتور / خليف بن صغير الحسيني الشمري .بحائل ؛ سركيس ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٢٧٢ ؛ آينهولت ، مصدر سابق ، ص ٩٧.

[٤] أبوعليه ، مرجع سابق، ص٤٢٢-٤٢٣ .

[٥] حسني ، مصدر سابق ، ص٥٦ ؛ البسام ، مصدر سابق ، ص٤١٣ ؛ أبوعليه ، مرجع سابق ، ج١-٢ ، ص٤٢٦ .

[٦] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ح٢ ، ص٢١٤ .

إنجليزي[١]، فتصل إلى وزن (٥٢) ريالاً فرانساوياً موزونه معا [٢] ، وذكر أبوعليه عن الوزنه في نجد : " وهي تعد وحدة الوزن الأساسية هناك إذا أن البيع والشراء غالباً ما كان يتم بالوزنه[٣]" وتستعمل في جبل شمر وفي نجد بشكل عام [٤].

٢-**الصاع**[٥] : يستعمل في جبل شمر ونجد بشكل عام ، وهو لوزن الحنطة والشعير[٦] ، ويساوي (٣) كيلو جرام تقريباً[٧] .

٣-**المُد** : ويستخدم في جبل شمر وهو لوزن جميع أنواع الحبوب[٨] ، ويساوي المد الواحد (ثلث) الصاع وأحياناً يساوي (ربع) الصاع[٩] .

---

[١] رطل إنجليزي : وحدة وزن أقل من نصف كيلو جرام (ابن لعبون ، حمد بن محمد ، مقدمة ابن لعبون وتاريخ الدولة السعودية الحنيفة ، تحقيق : عبدالعزيز بن عبدالله بن لعبون ، الكويت ، ١٤١٩هـ ص٧٤٤).

[٢] أبوعليه ، مرجع سابق ، ج١-٢ ، ص٤٢٦ ؛ اليحيى ، مرجع سابق ، ص١٢٩.

[٣] نفسه ، ص٥٦ .

[٤] حسني ، مصدر سابق ، ص٤٢٦ .

[٥] وفي لغة أهل حائل (ذرف الصاع) : ملئ الصاع وزيادة ويستخدم للكيل الشرعي ، و(مسح الصاع) : ملئ الصاع ، ويستخدم للكيل التجاري في الغالب (الصويغ ، مخطوط الصويغ ١٣٠٨ هـ ، ورقة ٩٦ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ...مقامات ، ج٢ ، ص٢١٤)

[٦] حسني ، مصدر سابق ، ص ٥٦ ؛ البسام ، مصدر سابق ، ص ٤١٣ ؛ العريفي ، نفسه ، ص٢١٤ .

[٧] ابن لعبون ، مصدر سابق ، ص٧٥٨ .

[٨] العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ص٢١٤ .

[٩] أبوعليه ، مرجع سابق ، ص٤٢٦ .

٤- **القنطار البصري** : ويستخدم في جنوبي العراق وفي جبل شمر ويستخدم لوزن القهوة[١] ويساوي ١٠٤ رطل حلبي ، ويتكون من عشرين مناً ، ويساوي ٣٣وزنه [٢].

٥- **كارة** : وتستخدم في البصرة لوزن التمور وتساوي الكارة ألف حقة تركية والحقة تساوي ثلاثة باوندات[٣] .

ومايلاحظ على الموازين أنها كالعملات متعددة ، وغير ثابتة فهي تختلف من منطقة لأخرى ، وتصنع المكاييل من مادة الخشب لخفة وزنه وسهولة حمله .

٣- المقاييس :

شاع استخدام (الذراع والباع) كوحدتين لقياس الطول في جبل شمر وجنوبي العراق[٤] ، ويساوي الذراع نصف متر أي مابين (١٨,٧٥) إلى (١٩,٧٥) إنش [٥].

---

[١] بالبي ، ترانكويللو ، رحلة بالبي إلى العراق ، ترجمه : بطرس حداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٢م ، ص٩٧ . ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ،ص٢١٤ .

[٢] أبوعليه ، مرجع سابق ، ج١-٢ ، ص٤٢٧ ؛ بالبي ، نفسه ، ص٩٧ .

[٣] خورشيد ، مصدر سابق ، ص٢٠ .

[٤] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ص٢١٤ ؛ بالبي ، مصدر سابق ، ص٩٨ .

[٥] أبوعليه ، مرجع سابق، ج١-٢ ، ص٤٣٠ .

المبحث الثاني : طرق القوافل التجارية بين جبل شمر وجنوبي العراق

قبل أن نتطرق إلى الطرق التي تسلكها القوافل التجارية مابين المنطقتين نوضح المسافة التي بينهما فتبعد المناطق الواقعه في جنوبي العراق ما بين (٤٠٠-٥٠٠) ميل [١] ، وأما المدة الزمنية التي تقطعها القوافل فهي كما ذكرها سليمان فيضي عندما خرج من الزبير قاصداً حائل قائلاً " وبعد مرور أربعة عشر يوماً قضيناها في سير حثيث لاحت لنا مشارف حائل[٢] " ، وإذا قدرنا المسافة الزمنية من حيث حجم القوافل واختيار أفضل الطرق أمناً فهي بين عشرة أيام إلى اسبوعين .

هناك عدة طرق تسلكها القوافل التجارية وقوافل الحجاج بين المنطقتين ، ومن أقدم هذه الطرق " درب زبيدة " فهو لا يمر في مدينة حائل تحديداً وإنما في القرى الواقعة شرقها وهو يربط ما بين العراق ومكة[٣] ، وأول هذه المنازل بعد الخروج من الكوفه القادسيه حتى يصل إلى الأجفر ثم يمر بفيد وسميراء ويتجه جنوباً إلى المدينة المنورة [٤]. أما العوامل التي أدت إلى إزدهار درب زبيده فهي :

١- إزدهار مدينة البصرة اقتصادياً حيث أصبحت من أهم المراكز التجارية وعن طريقها تصل تجارة الهند ومنها تنتقل إلى الحجاز عن طريق القوافل التجارية .

٢- إنتقال مقر الخلافة الإسلامية في العراق ، فقد سلك هذا الطريق الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة الأمر الذي أدّى إلى إهتمام الولاة والخلفاء به وذلك ؛ لقيامهم بإصلاحات عديدة على الطريق والحفاظ على أمنه[٥] .

يذكر لوريمر طرق أخرى لقوافل التجار والحجاج قائلاً : " وهناك طريقان فرعيان من وادي الفرات إلى حائل الأول ويدعى درب الغزال ويقع إلى الغرب من درب زبيده ، والثاني درب ،

---

[١] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص٧٦٩ .

[٢] فيضي ، مصدر سابق ، ص٤١

[٣] الحمداني ، طارق نافع ، بادية السماوة قبائلها وحواضرها بين القرن الرابع عشر والسادس عشر ، (الوطن العربي النواة والامتدادات عبر التاريخ) ، ندوة المجمع العلمي العراقي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، لبنان ٢٠٠٣م ، ص ٢٤١ ؛ بني يونس ، مأمون عبدالله أصلان ، قافلة الحاج الشامي في شرقي الأردن في العهد العثماني ١٥١٦ – ١٩١٨ م ، ط١ ، دار الكندي ، عمان ٢٠٠٠م ، ص٣٧ .

[٤] الحمداني ، نفسه ، ص ٢٤١ ؛ إبراهيم ، إسماعيل حقي ، أسواق العرب التجاريه في شبه الجزيرة العربيه ، ط١ ، دار الفكر عمان ٢٠٠٢م ،ص٤٥ .

[٥] العتيبي ، سعيد بن دبيس ، طريق الحج البصري دراسة تاريخيه للطريق وأثاريه لمنازله من ضريه إلى أوطاس ، ط١ ، وكالة الأثار والمتاحف ، الرياض ١٤٢٦هـ ، ص٦٩ .

السماوةويقع إلى شرقه "[1] ، فالطرق الثلاث التي يسلكها الحجاج ليس بينها وبين القوافل التجارية فرق فهي لا تقتصر على طرق الحجاج ، وإنما يسلكها الحجاج ، والتجار ، وكذلك الرحالة الغربيون عند قدومهم إلى جبل شمر وذهابهم إلى جنوبي العراق[2]، ويرجع السبب في إختيار هذه الطرق قصرها مقارنةً بالطرق الأخرى[3] ، وكذلك مرورها بموارد المياه[4].

قلّ استخدام الحجاج ورجال القوافل التجارية لدرب زبيده ،ويعود اهمال الطريق إلى ضعف الخلافة العباسية وتردي أوضاعها الإقتصادية ، مما أدّى إلى عجزها عن حماية الحجاج من تعديات قطاع الطرق ، وبعدما سقطت بغداد (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) أصبح سلطان مصر نافذ الأمر في الحرمين مما زاد من إهتمام الحجاج بسلك الطرق المصرية والشامية[5] .

اقتربت طرق القوافل القديمة حتى أصبحت تستريح في حائل مركز إمارة آل رشيد بعد ما كانت تقيم في فيد وسميراء[6] ، ويعود ذلك لعدة عوامل أهمها :

١- قيام سلطة قوية في حائل المتمثله في إمارة آل رشيد فهي قادرة على حفظ أمن الطرق التي يسلكها الحجاج والقوافل التجارية .

٢- أنّ الطريق الذي يمر بمركز الإمارة لا يختلف في المسافة عن درب زبيدة الذي يمر بقرية فيد[7].

وذكر مأمون بني يونس عن بداية تغيير طرق القوافل من فيد إلى إمارة آل رشيد قائلاً :"وفي بداية القرن الرابع عشر الهجري حدث تغيير في جزء من درب الحاج العراقي (درب زبيده) حيث تحول الطريق إلى حائل وذلك لأخذ المكوس من الحجاج في عهد إمارة آل رشيد[8] " .

فما ذكره صحيح بالنسبة لتغير جزء من طرق الحجاج السالكين "درب زبيده" إلى حائل، أما ما ذكره عن البداية فالصواب في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ومن العوامل التي أدّت إلى مرور

---

[1] مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٩، ص١٦٦٠ .

[2] نولده ، مصدر سابق ، ص١١١ .

[3] العثيمين ، مرجع سابق ، ص٢٠٢ .

[4] فيضي ، مصدر سابق ، ص٤٠.

[5] العتيبي ، مرجع سابق ، ص٧٠ .

[6] العثيمين ، مرجع سابق ، ص٢٠٣ .

[7] Baran , THE RASHIDI ,P58 ؛ العثيمين ، نفسه ، ص٢٠٢ .

[8] مرجع سابق ، ص٣٨ .

القوافل بحائل هو تأسيس إمارة آل رشيد في عام (١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م) ،وذكر العثيمين: "أن أهم قافلة تمر بهذه المنطقة في عهد الأمير عبدالله بن رشيد هي قافلة حجاج مابين النهرين وبلاد فارس ، والتي تبدأ من المشهد أو الكوفة القديمة ثم تسير حتى تصل إلى حائل فتستريح فيها[١] ".

وأما الأسباب التي تجعلنا نركز على طرق قوافل الحجاج :

١- أن الطرق التي تسلكها القوافل التجارية هي نفس الطرق التي يسلكها الحجاج .

٢- مصاحبة القوافل التجارية لقوافل الحجاج عندما تأتي من جنوبي العراق وعند عودة القوافل من مكة ، وإقامتها في جبل شمر تصاحبها القوافل التجارية إلى جنوبي العراق ؛ وذلك لأنها تكون قوية في عيون قطاع الطرق .

أما بالنسبة للطرق التي تسلكها القوافل التجارية والقرى وموارد الماء التي يمروا بها ، فهي تختلف بحسب الفصل الذي تسير فيه القافله ففي فصل الصيف تحتاج القوافل للماء الكثير لذلك يتتبعون الموارد حتى لو طالت عليهم المسافة وفي حالة تباعد المسافات بين تلك الموارد يسيرون بما يسمى "محال[٢]" ، ويستمرون في مواصلة سيرهم للتتبع تلك الموارد ، أما ففي فصل الشتاء فتكون المسافة أقصر من فصل الصيف وأول الخريف أي انهم يسيرون بدون التقيد في المرور على الموارد وذلك ؛ لاستغناء الإبل والخيول عن الماء فترة أطول فيستغنون عن موارد المياه (الآبار) بمياه الأمطار التي تتوفر في الغدران والخباري[٣] التي تبقى بعد نزول الأمطار فتختلف الرحلتين بالنسبة لأصحاب تلك القوافل فإذا كانت البضاعة المجلوبة من الإبل والخيول يفضل أصحابها فصل الشتاء والذي تسقط فيه الأمطار أمّا إذا كانت البضاعة المجلوبه من أنواع الحبوب والأقمشة فإن أصحاب القوافل يخشون تأثرها من الأمطار فيفضلون الموسم الذي لا تسقط فيه الأمطار[٤] .

---

[١] مرجع سابق ، ص٢٠٣ .

[٢] محال : وهو السير آخر النهار ويستمرون في المسير طوال الليل وأول النهار بدون توقف أي أنهم يسيرون حوالي (١٨)ساعة متواصلة ويسيرون بهذه الطريقه لمدة يومين إلى خمسة أيام لكي يقطعوا المسافات البعيدة للوصول إلى المورد الثاني (السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص١٣٩) .

[٣] الغدران : مفردها غدير ، وأصله من غادرت الشيء إذا تركته ، وهي مياه راكده قليلة العمق تتجمع من السيول في مستنقع فربما تبقى حتى أيام الصيف .

[٤] السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص١٣٩ – ١٤٣ .

وصف لوريمر في مذكراته الموارد والقرى و وضع لها عنواناً " الطريق من النجف إلى مكه عن طريق حائل " ووضح اسم كل محطه و حدد المسافه بالساعة ما بين كل محطه وأخرى ومن تلك الموارد والقرى ما يلي :

النجف – عين السيد[1] وتسمى (العيون[2]) – حمام – الشبيكه – واقصة – أم عصافير – زُباله – شيحيات – عشار – خضرا – شعاره – قطيان الخاصرة – رمانتين – حائل[3] .

وحدد السويداء الموارد التي تمر بها القوافل ووضح الموارد التي يمرون بها في فصل الصيف والموارد في فصل الشتاء إلاَّ أنه يختلف عما ذكره لوريمر فقد قام بتجديد الموارد الأكثر شهرة مابين المنطقتين ولم يقتصر على طريق واحد فإنما حدد عدة طرق من حائل إلى النجف ، فالموارد التي ذكرها في فصل الصيف مايلي :

الطريق الأول :

حائل التيّم – الحيانية – لوقه – الشبكه – العُيُون – النجف .

الطريق الثاني :

حائل – التيم – الأطواء – الحيانية – الصِّليب – الحزل – الليفية – الشبكة – النجف .

الطريق الثالث :

حائل – الشعيبات – الخاصرة – خضراء – لينه – السلمان – النجف [4].

---

[1] مصدر سابق ، دليل ، القسم الجغرافي ، ج٩ ،١٦٥٠ .

[2] السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص١٤٦ .

[3] لوريمر ، مصدر سابق ، ج ٩، ص١٦٥٩ – ١٦٥٣ .

[4] مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص١٤١ – ١٤٦ .

أما الطرق التي يسلكونها شتاءً فتختلف عن الصيف بسلك طرق أقصر - كما ذكرنا- وهي كمايلي :

حائل – الأطواء – الحيانية – الليفيه – الشبكه – النجف [١] .

أما الطريق من حائل إلى البصرة والمناطق القريبة منها فهي كما يلي :

حائل – الصدير – زرود – الزبيرة – البشوك – حفر الباطن – الجهراء – الزبير – البصرة[٢] .

تصل أعداد القوافل التجارية التي تتجه من جبل شمر إلى جنوبي العراق والعكس مايقارب ثلاثمائة بعير[٣] ، أما موزل فقد ذكر بأنها أكثر من ١٠,٠٠٠ جمل[٤] ، فتواجه تلك القوافل معاناة ومشقة السفر والتي منها العطش وعند وصولهم الأبار يتطلب منهم عمل شاق لاستخراج الماء الكافي لهم، وكذلك خطر قطاع الطرق[٥]، وذكر العريفي " وجرى الحديث بيني وبين الوالد – رحمه الله- عمّا يلقاه أصحاب القوافل من أهل حائل في طريقهم إلى خارج منطقة حائل من أخطار وماينالهم من مشقه حتى روى لي أن والده كان في طريقه إلى العراق ، وكان معه رِفاق ، ولكن جماعة من الحنشل من غير قبيلة الرِفاق هجموا على القافلة فتصدى هو ورجاله لهم فلم يستطيعوا أن ينالوهم بأذى[٦] " لذلك يرافق كل قافله قائد يعينه أمير حائل ومعه عددمن الرجال المسلحين ؛ لضمان سلامة القافلة وعند مرور القوافل في منطقة احدى القبائل يرافقها أحد زعماء هذه القبيلة ؛لحمايتها من الهجمات التي يشنها أفراد القبيله نفسها ، و قبل وصول تلك القوافل إلى الأسواق في جنوبي العراق يقوم قائد القافله قبل دخول السوق بعدّ الإبل ويقبض من كل بدوي ربع مجيدي ، ومن كل تاجر نصف مجيدي للأمير ومبلغاً غير محدد له شخصياً ، وبما أن القافلة الواحدة قد تصل إلى ١٠,٠٠٠ جمل

---

[١] السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص١٤١ – ١٤٦ .

[٢] السويداء ، نفسه ، ص١٤٧ .

[٣] المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ ؛ العتيق ، مرجع سابق ، ص٤٠ ،

(٤) مصدر سابق ، ص٢٣.

[٥] نولده ، مصدر سابق ، ص١١٣ ؛ حسني ، مصدر سابق ، ص ٢٧.

[٦] مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢٣٩ .

فإن قائد القافلة يجمع مبلغاً كبيراً من المال ، وإذا قاد القافله بشكل جيّد وحماها من الهجمات ، فأنه يكسب سمعة طيبة خاصة لدى السكان المستقرين ؛ لأنهم يرون فيه أنه الداعم الأول لرخائهم وحياتهم الرغيدة[١] .

تتأثر القوافل وهي في طريقها بالأوضاع السياسية في جبل شمر فإذا إختل الأمن الداخلي في الإمارة كمقتل أمير وعدم رضاء السكان عن الأمير المتولي للسلطة ؛ لقلة هيبته وعدم مقدرته على حفظ الأمن الداخلي وأمن تلك القوافل التجارية التي تزود أسواقهم ، ففي هذه الحالة يطمع قطاع الطرق في تلك القوافل [٢] ، وفي عام ١٣١٥هـ/١٨٩٧م تعرضت قافلة تجارية تابعة لإمارة آل رشيد للسرقة من أحد قطاع الطرق في جنوبي العراق [٣] .

ومن خلال ماذكرناه يتضح أن مدة سير القوافل التجارية تستغرق مابين عشرة أيام إلى إسبوعين وتزود المدة إذا كان المسير في فصل الصيف و أول الخريف لحرص اصحاب القوافل على تتبع موار المياه (الآبار) ،وأن طرق القوافل التجارية أو الحجاج يرتبط ازدهارها وضعفها بقوة الإمارة سياسياً التي تكون قادرة على حفظ تلك الطرق التي يسلكونها والعكس ، وطرق القوافل التجارية لاتختلف تماماً عن الطرق التي يسلكها الحجاج القادمون من العراق ، وذلك لأن مركز إمارة آل رشيد (حائل) محطةً يستريح بها الحجاج ، ويتضح ايضاً أن تلك القوافل لم تسلم من قطاع الطرق على الرغم من قوة إمارة آل رشيد وعلاقاتها الجيدة بالحكومة العثمانية التي تحكم جنوبي العراق .

---

[١] موزل ، مصدر سابق ، ص٢٣-٢٢ .

[٢] العتيق ، مرجع سابق ، ص٣٨ .

[٣] الأرشيف العثماني اسطنبول ، متفرقات يلدز .Y.PRK.UM رقم ١٢٢-٤١ تاريخ ١٣١٥/١٢/٢٥هـ. .

المبحث الثالث : دور العقيلات في تقوية الصلات الإقتصادية بين جبل شمر وجنوبي العراق

لايقتصر مسمى العقيلات[١] على التجار في جبل شمر ، وإنما هو شامل على التجار في الجزيرة العربية وأغلبهم من تجار القصيم ، وإنما في هذا المبحث نخص به العقيلات من تجار حائل ودورهم في تقوية الصلات الإقتصادية بين المنطقتين ، و ذكر موزل قائلاً : " يرسل السكان المستقرون في مملكة ابن رشيد كل عام ما لا يقل عن أربع قوافل تجارية كبيرة إلى العراق[٢] " ، وهؤلاء هم التجار من سكان حائل ويطلق عليهم العقيلات كباقي التجار في جزيرة العرب الذين قاموا بإرسال قوافلهم إلى الأقطار المجاورة لجزيرة العرب لبيع منتجاتهم هناك وجلب السلع والبضائع التي لم تكن موجوده في أسواقهم من تلك الأقطار ، ودور العقيلات في حائل لا يقتصر على المناطق الواقعه في جنوبي العراق فحسب ، وإنما كان دورهم أوسع من ذلك فقوافلهم تصل إلى بغداد ومصر ودمشق وفلسطين وعمان والسودان[٣] .

ينقسم العقيلات إلى عدة فئات من حيث حجم التجارة التي يتعاملون بها وعدد وقوافلهم :

الفئة الأولى: وهذه الفئه تصل قوافلهم ما بين (٣٠٠ - ٤٠٠) رعية[٤] من الإبل ،والخيل مابين ١٠٠-٢٠٠ رأس ،وتحتاج مثل هذه القوافل إلى الآف من الرجال الذين يصحبونها ، فهي تحتاج إلى حراس مسلحين ورعيان للإبل ومساعدين وأدلاء ومُعرِّفين ورجال يقومون بإعداد الطعام ونصب الخيام وتحميل الأحمال وتنزيلها وغير ذلك من المهام الأخرى ومسيرة تلك القوافل تستغرق في مسيرها مدة طويلة تصل إلى ستة أشهر أي أن مثل هذه القوافل تتحرك مرتين في السنة [٥] .

---

[١] العقيلات : واحدهم عقيلي وهم فئة من القبائل العربية المتحضرة في أغلبهم ويعملون إينما وُجدوا وفي أي نشاط من أنشطة الحياة المختلفه ، جاءت شهرتهم ؛ لأنهم يعملون بالتجارة ونقل البضائع والمسافرين والحجاج ، أما تسميتهم فقد تعددت الأراء فالبعض ربط التسميه : بقبيلة (عقيل) أولاد هوازن بنو خفاجه ، ويرجع نسبهم إلى مضر التي إنطلق منها فئة بإتجاه العراق والشام ومصر ، والبعض الأخر : يعود في تسميتهم إلى العراق في العهد العثماني عندما كان أفراد هذه الفئه يرتدون "الغترةوالعقال" أثناء عملهم في الجيش العثماني على خلاف العثمانيين الذين يرتدون الطربوش ، أما الرأي الثالث : يرى أن التسميه مشتقة من عقلهم للإبل . وأرجح تلك الأراء الأول نسبةً لقبيلة عقيل ، فهو الأقرب للصواب لأنها الأساس من خلال عملهم في التجارة الخارجية منذ القدم ، وأطلقت التسمية بعد ذلك على من أتى بعدهم ، وأصبح يمارس العمل الذي يقومون به (التجارة الخارجية) (المسلم ، مرجع سابق ، ص ٥١ ؛ السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص١٣-١٤) .

[٢] مصدر سابق ، ص٢٢.

[٣] المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ ؛ السويداء ،مرجع سابق ... منطقة حائل ، ص٦١٦.

[٤] الرعيه من الإبل تتكون من ٨٠ إلى ٩٠ بعير (معلومات امدني بها الشيخ نايف العبدالله الحسيني الشمري ، في مزرعته بقرية ضبيعة ويُعد الشيخ نايف العبدالله من أشهر ملاك الإبل في منطقة جبل شمر ، يوم الخميس ١١/١١/ ١٤٣٣هـ) .

[٥] السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص ٢٢-٢٣ .

الفئه المتوسطة : وهي التي يكون حجمها مابين (١٠٠-٣٠٠) رعية من الإبل والخيل ،وحاجتها للرجال أقل من الفئة الأولى ، وحركتها أسرع بحيث أن أعدادها وترتيباتها لا يستغرق سوى وقت قصير ومثل هذه القافله تتحرك ثلاث إلى أربع مرات في السنه ، فهذه القوافل تمتاز بسرعة الحركة .

الفئه الصغيرة :وهي أقل من (١٠٠) رعية وتستخدم غالباً في الظروف الطارئة كإرتفاع أسعار سلعة معينه أو إرتفاع أسعار الإبل والخيل . فإن رجال العقيلات يسارعون ؛ لاغتنام تلك الفرص ،أو تكون هذه الفئه من القوافل ماتحمل من البضائع ما خف حمله وغلا ثمنه ،وتتحرك هذه الفئه في السنة بين (٥-٦) مرات في السنة [١].

وتكون هذه القافلة المتجهة إلى جنوبي العراق للتاجر نفسه ، ويتولى مع مساعديه تجهيزها ،أو تكون القافلة لاثنين أو ثلاثة من التجار ، ويتولى قيادتها أحدهم ، وغالباً ماتكون مثل هذه القافله وسابقتها ممن يتاجرون بسلع رئيسيه وعلى مستوى كبير، ومثل هؤلاء التجار يجهزون السلع ويبيعونها بالجمله والتجزئه ، أو تكون القافله لعدد من التجار لكل واحد منهم مجموعة من الإبل يتاجر فيها مايريده من البضائع ، ويكثر في مثل هذه القافله التجار الصغار[٢].

ومن أشهر رجال العقيلات الذين كان لهم دور في تقوية الصلات الاقتصادية بين جبل شمر وجنوبي العراق الأمير عبدالله بن علي آل رشيد ، فقد تزعم رئاسة القوافل التجارية المتجهة إلى العراق قبل أن يتزعم إمارة جبل شمر ، وذلك في عام ١٢٤١هـ /١٨٢٦م [٣] ، ومن رجال العقيلات في الجبل عبدالعزيز بن زيد ، فقد عمل في تجارة الإبل والخيول في العراق والشام ومصر ، ونظراً لمعرفته وسعة إطلاعه بالأحداث الخارجية وعلاقاته السياسية (التي كانت عن طريق التجارة) اختاره الأمير محمد بن عبدالله آل رشيد سفيراً في سوريا في عام ١٣٠٨هـ/١٨٩١م[٤] ، ومن رجال العقيلات عبدالعزيز العريفي[٥] وأبناؤه عبدالله وعبدالرحمن وإبرهيم وسليمان وعلي ، فقد كانت قوافل عبدالعزيز العريفي

---

[١] السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص٢٢-٢٣ .

[٢] السويداء ، نفسه ، ص٣٥-٣٦ .

[٣] المسلم ، مرجع سابق ، ص ٦٢.

[٤] المسلم ، نفسه ، ص ١٠٣ .

[٥] عبدالعزيز العريفي : نشأ في أسرة يشتغل أفرادها في التجاره ،وأرادت له والدته (عليا بنت عبدالله الخزام) بعد وفاة والده سنة ١٢٨٨هـ . بأن يسير على طريقة والده وجدّه في الإشتغال بالتجارة فأمدته بما يحتاج من المال ، وأستأجر في أول أمره في أواخر القرن الثالث عشر الهجري دكان في المشحّب يبيع فيه مختلف السلع كالقماش والقهوة والسمن والرز ، فاكتسب نجاحاً في تجارته لحسن معاملته (أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ،ج٢ ، ص٢١٩) .

تتجه في بداية كل موسم إلى الأقطار المجاورة للجزيرة العربية ، ومنها المناطق الواقعه في جنوبي العراق ، وأبناؤه الخمسة يقومون بمرافقة تلك القوافل وتصريف شؤونها بعدما تقدم بوالدهم العمر ، وينضم إليهم أبناؤه في كثير من الأحيان ، ومن خلال إستمراره بالتجارة ، وإرسال تلك القوافل إلى الأقطار المجاورة أصبحت له روابط تجارية مع مشاهير التجار ، ففي الزبير كان يتعامل في تجارته مع (راشد بن محمد الملحم) و (عبدالعزيز بن سلطان الفليج) وفي النجف مع (ناجي محمد معلى)، وهناك أسماء أخرى تعامل معها في سوريا ، والكويت ، والمدينة المنورة ، وما يهمّنا من تلك الأقطار المناطق الواقعة في جنوبي العراق ، فقد كان لعبدالعزيز العريفي دكاناً في (المسْحَب) ويزود دكانه والدكاكين الأخرى في حائل بماتجلبه تلك القوافل التجارية التي يرسلها إلى جنوبي العراق[1] .

ومن تجار العقيلات عبدالكريم الطارق وأخوه سالم ، وكانت تجارتهم في زمن الأمير محمد العبدالله آل رشيد١٢٨٩- ١٣١٥هـ [2] ، وذكر العتيق عن دورهم " عندما طبت الحدرة وقدم سالم عائداً من سفرته السابقة كان ذلك مقدم خير وانفراج أزمة إستبشر به أهل حائل عامه ، وعلى رأسهم الأمير محمد الذي استدعى في حينها عبدالكريم الطارق ، واخاه سالماً وأثنى عليهما خيراً وشد على أيديهما ، مشجعاً ومباركاً ومتمنياً لهما التوفيق والسداد[3] " ، ويدل إستبشار أهالي حائل بقدوم القوافل التجارية انتعاش الأسواق ، وتزويدهم بالمنتجات العراقية التي إعتادوا عليها ، كالتمن وغيره من المواد الغذائية ومن ملابس وأقمشة ، وكذلك إرسال مايريده كل شخص مع تجار العقيلات من أغراض خاصة به ، فالعقيلات لهم الدور الكبير في احياء الاقتصاد في جبل شمر ؛ وذلك لأنهم أصحاب تلك القوافل التجارية التي يسيّرونها بين جبل شمر وجنوبي العراق .

ومن تجار العقيلات أسرة الرّواف من مدينة بريده ، فقد اشتهروا بالتجارة ،وسبب ذكرهم في دور عقيلات جبل شمر وهم من أهالي بريده ماقاموا به من تقوية الاقتصاد في جبل شمر ، وذلك لشرائهم الإبل من بدو شمر ، وبيعها خارج جزيرة العرب في العراق وسوريا والأردن وفلسطين[4] ، وذكر خليل الرّواف أحد رجال العقيلات في مذكراته قائلاً :" وغادرت مدينة بريدة برفقة العم محمد متوجهين إلى مضارب قبيلة شمر لشراء الإبل من العربان فوجدنا رجلاً من رجال الأمير سعود بن رشيد أخبر العم

---

[1] أحمد العريفي ، مرجع سابق ....مقامات ، ج٢ ، ص٢٢١ - ٢٣١ – ٢٤١ .

[2] العتيق ، مرجع سابق ، ص٩٤ .

[3] نفسه ، ص٩٤ .

[4] الرواف ، مصدر سابق ، ص٦٤ ؛ المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

محمد أن والدي مازال في مدينة حائل وبصحبته شقيقي ياسين[١] " ، ويتضح لنا أنه لم يقتصر دور العقيلات على تجار جبل شمر فقط ، وإنما إمتد إلى أهالي بريده كأسرة الرّواف التي إشتهرت بالتجارة فقيامهم بشراء الإبل من بدو شمر زاد من اقتصاد الطرفين ، فتباع تلك الإبل في أسواق العراق والشام ومصر .

للعقيلات دور هام في النشاط الإقتصادي ، وعرفوا بتجار القوافل ، ومن أبرز الأنشطة الاقتصادية التي كان لهم فيها دور بارز في تقوية الصلات الإقتصادية بين المنطقتين مايلي :

أولاً – الصادرات :

قام العقيلات بتصدير السلع الرائجة في أسواق جبل شمر إلى المناطق الواقعه في جنوبي العراق ،ومن أهم هذه السلع :الثروة الحيوانية ، وأغلبها الإبل[٢] والخيول[٣] ، وهذه السلع لها أهمية في المواصلات والنقل لتحميل البضائع التجارية ويستخدمها الجيش العثماني ؛ لأن الإبل النجدية وإبل شمال الجزيرة العربية تمتاز بقوتها وضخامتها [٤] ، وكذلك الخيول في منطقة جبل شمر يفضلها العراقيون فيشترونها شيوخ القبائل و ولاة العثمانيين وذلك لأصالتها [٥] ، ومن السلع الأخرى منتجات الحيوانات كالصوف والسمن والإقط[٦]، ومنتجات أخرى تستعمل للأدويه مثل بعض الأعشاب الموجودة في وديان جبل شمر [٧] .

وذكر العريفي: " ومن النساء في حائل من تبعث إلى الأسواق الخارجية من أصحاب القوافل بمنتجات من عملها فتباع ويشترى لها بثمنها ماتحتاجه من ألبسة وعطور وغيرها[٨] ".

وقد أصبح لمهنة التصدير التي كان يمارسها رجال العقيلات أثر كبير في زيادة الدخل لمنطقة جبل شمر كما أنها أنعشت وزادت من الحركة التجارية ، وأمدّت الأسواق في جنوبي العراق بما تحتاجه من

---

[١] مصدر سابق ، ص٦٤.

[٢] حسني ، مصدر سابق ، ص ٥٧ ؛ موزل ، مصدر سابق ، ص٢٢ ؛ الرواف ، نفسه ، ص٦٤ ؛ المسلم ، مرجع سابق ، ص ١٠٣.

[٣] حسني ، نفسه ، ص ٥٧ ؛ العتيق ، مرجع سابق ، ص٩٣ .

[٤] السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص٥٧ .

[٥] Baran , THE RASHIDI ,P59 ؛ العتيق ، مرجع سابق ، ص٩٦ .

[٦] موزل ، مصدر سابق ، ص٢٢ .

[٧] السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص٦٢ .

[٨] مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢٣٥ .

البضائع والسلع ، فعملية التصدير لها أثر ايجابي في ربط المنطقة بعلاقات اقتصادية مع البلدان المجاورة المناطق وقد زادت بشكلٍ خاص في تقوية الصلات الإقتصاديَّة بين جبل شمر وجنوبي العراق .

ثانياً – الواردات :

كما قام العقيلات بتصدير السلع من جبل شمر إلى جنوبي العراق وقيامهم ببيع تلك المنتجات يقومون بشراء السلع في المناطق الواقعه في جنوبي العراق فلا يرجع التجار بإبلهم إلى جبل شمر وهي خاليه وإنما يقومون بعملية الإستيراد وذلك ؛ لتزويد الأسواق بما تحتاجه من تلك المناطق ، وذكر البازي عن عملية الشراء التي كان يقوم بها العقيلات عند دخولهم البصره قائلاً : " كان دخولهم على صورة التناوب والتفاوت من حيث العدد والشراء والأحمال ، وقد إشتروا من البصرة في الدفعة الأولى (٥٠٠) خمسمائة حمل جمل من الأرز غير المهبش والطحين والتمر والشعير وفي الدفعة الثانية إشتروا حمولة (٤٢٠) أربعمائة وعشرين جملاً من الذرة وعلف الحيوان و التمر ، وقد إستمرت عملية الشراء نحو شهر حيث إرتفعت الأسعار في البصرة وأصبح كيس الطحين الذي وزنه (٢٤) وقيه من مجيدي وربع و (٢٥٠) فلساً إلى مجيدي ونصف و(٣٠٠) فلس [١]" ، فهذه الأعداد وزيادة الأسعار زادت من الدخل الإقتصادي في المناطق الواقعه في جنوبي العراق ، وكما ذكرنا بأن البصرة أصبحت ميناءً تجارياً ترسوا على شواطئها السفن التجاريه المحلمة بالبضائع والقادمة من الهند وإيران وأوربا فقدأصبحت مقصداً للعقيلات لتزويد الأسواق في جبل شمر من تلك البضائع ، فمن تلك البضائع المستوردة : التوابل و البهارات بأنواعها ، وأنواع العطورات ، والملابس ، والأقمشة النسائية القطنية الكتانية والحريرية ، وكذلك العباءات السعدونيه المخططة ، والعقل ، والشيلات الصوفية ،والتمر (الصقعي) ، والأرز العراقي(التمن)[٢].

وبعدما تصل هذه البضائع المستوردة التي جلبها العقيلات إلى جبل شمر توضع خطة لتوزيعها قسم منها في المخازن الخاصه بأصحاب القوافل ، وقسم إلى الدكاكين مباشره ، وقسم منها في بيوت أصحاب القوافل ومنها مايوزع صدقات لذوي الحاجة وعلى الأقرباء وجيران أولئك التجار وبعد ذلك يقومون بعملية البيع والشراء[٣].

---

[١] مرجع سابق ، ص١٠٤ .

[٢] هوير ، مصدر سابق ، ص ٣٩ ؛ حسني ، مصدر سابق ، ص ٣٥ ؛ غنيمة ، مصدر سابق ، ص١٦١ ؛ السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص٦٣-٦٤ .

[٣] العتيق ، مرجع سابق ، ص٦٩ .

كان لنشاط الاستيراد الذي قام به العقيلات أثر واضح في إنتعاش الأسواق التي تفتقر لبعض المنتجات والتي توجد في جنوبي العراق ، ويدل على ذلك إستبشار أهالي حائل بقدوم تلك القوافل والمكانة العالية التي يحظى بها أصحاب تلك القوافل بين الأهالي ، والتي تزيد من عملية الإنتاج المحلي في كلا المنطقتين ، فما قاموا به من تصدير واستيراد قوّى وزاد في وجود الصلات الاقتصادية فيما بينهم ، فيُعتبرون حبل الوصل مابين المنطقتين من الناحية الإقتصادية ، ويدل على ذلك ماوصفه العتيق في أسواق حائل قائلاً : "سرى إنتعاش في سوق حائل عند قدوم الحدرة، أثلج الصدور وأراح القلوب وجرت تلك البضائع بين يدي الناس جريان الدم الذي تستعيد به الأجساد عافيتها أو كسريان الحياة في أغصان الشجر عند حلول الربيع"[1].

ثالثاً – تأمين السيولة النقدية :

لم يقتصر نشاط العقيلات على عملية الاستيراد والتصدير بل تعدى ذلك إلى إدخال العملات الذهبية والفضية والنحاسية المضروبة في البلدان العربية المجاورة والتركية والأوروبية والهندية والفارسية لخدمة السوق المحلي الذي يعتمد على العملات التي تأتي تلك الأقطار ، فقد جلب العقيلات هذه العملات وبدأت الأسواق المحلية في جبل شمر تبيع وتشتري بها .

فمن خلال عمليات البيع والشراء التي قام بها العقيلات في جنوبي العراق وغيرها من البلدان تعددت العملات بأيديهم وقدموا بها إلى جبل شمر ، فأصبح يتعامل بها التجار والسكان ، ومن أشهر تلك العملات المتداولة : الليرة العثمانية ، والمجيدي ، والريال الفرنساوي [2].

ولما كانت هذه العملات الفضية والذهبية ذات ثقل ومطمع في نفوس قطاع الطرق ، قام العقيلات بعملية التحويل فعملوا مايشبه المصارف في وقتنا الحاضر في المراكز الرئيسية داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وذلك في عملية التحويل في كل من حائل والزبير والبصرة وبغداد وغيرها ، بحيث يضع التاجر مامعه من نقود في أي نقطه من هذه المراكز ، ويأخذ عليها حواله إلى آخر يتعامل معه رفيقه هذا ، ثم يسافر بهذه الحوالة ويستلم نقوده الذهبية أو الفضية من المكان المتجه إليه ، وبذلك أحدث العقيلات إنتعاشاً للحركة المصرفية [3] .

ومن خلال ماذكرناه يتضح أن مسمى العقيلات لايقتصر على إحدى المدن في الجزيرة العربية،وإنما هو شامل على من يعمل بالتجارة الخارجية ، وحراسة قوافل الحجاج ، والقوافل التجارية ، أما

---

[1] مرجع سابق ، ص٧٠ .

[2] السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص٧١ .

[3] السويداء ، نفسه ، ص٧٣ .

عقيلات جبل شمر ارتبطت تجارتهم بالمدن العراقية أكثر من الأقطار الأخرى ، مثل : سوريا وفلسطين والأردن ومصر . ودور العقيلات في تقوية الصلات الإقتصادية بين جبل شمر وجنوبي العراق،لايقتصر على عقيلات الجبل فحسب ، بل امتد إلى عقيلات بريدة التي منها أسرة الرّواف عندما قامت بشراء إبل من بادية جبل شمر وبيعها في الأقطار الأخرى ، والتي من بينها جنوبي العراق . ويتضح لنا ايضاً أن عقيلات الجبل لايقتصر نشاطهم على عملية الإستيراد ، وإنما امتد إلى نشاط التصدير وتأمين السيولة النقدية ، والتي كان لها أثراً في تقليل عملية البيع بالمقايضة أو الدين ، فقد أصبحت التعاملات في الأسواق عن طريق العملات العثمانية (الرسمية) ، والعملات الأجنبية المتداولة في جنوبي العراق ، وعندما يذهب العقيلات إلى جنوبي العراق عادةً ماترسل معهم النقود من السكان لشراء مايحتاجونه ، ونظراً لأمانتهم وحرصهم على أموالهم وأموال السكان وحرصهم على تأمين المنتجات في أسواق جبل شمر ، وخوفهم من قطاع الطرق سلكوا طريقة جديدة في عملية البيع والشراء ، وهي عملية التحويل ، والتي تكون عن طريق كبار التجار في المدن العراقية وجبل شمر .

المبحث الرابع : أشهر الأسواق في جنوبي العراق وجبل شمر والتبادل التجاري بينهما

أ- أشهر الأسواق في جنوبي العراق :

اشتهرت المناطق الواقعة في جنوبي العراق بأسواقها الممتلئة بالعديد من أنواع السلع والبضائع فكل مدينة من تلك المناطق تفتخر بكثرة القادمين إلى أسواقها سواءً من أصحاب القوافل التجارية أو أهل البادية وأهل الريف المجاورين لتلك الأسواق .

هناك عدة عوامل ساهمت في ازدهار الأسواق في جنوبي العراق والتي من بينها قدوم أهل البادية لبيع منتجاتهم وللتزود من منتجات أهل الأرياف، فأهل الأرياف يجدون مكاناً مناسباً لتصريف منتجاتهم الزراعية والحيوانية ، وكذلك أهل البادية يجدون مكاناً مناسباً لشراء كل ما يحتاجون إليه ، وبيع ما لديهم من منتجات حيوانية وصناعية بسيطة مما يزيد من عدد الأسواق وانتعاشها عند قدوم أهل الأرياف والبادية حيث نتج عن ذلك افتتاح العديد من الدكاكين لبيع تلك المنتجات .[1]

ونظراً لأهمية الأسواق فقد روعي أثناء بنائها ما يلي :

١. أنها تبنى في المداخل الرئيسية للمدن وذلك ، لأنها مراكز لتجمع أهل البادية والأرياف وأصحاب القوافل التجارية للتزود بما تنتجه المدن أو ما يصل إليها من البضائع والسلع. [2]

٢. روعي عند بناء الدكاكين أن تكون على شكل صفوف متقابلة ومنها ما هو مبني من الطين والآخر من الطابوق[3] ، فقد فرضت طبيعة المناخ نوعاً معيناً من الأسواق فغالباً ما تكون مسقوفة للوقاية من الأمطار وأشعة الشمس والرياح ، ولأهمية السوق يتفننون في بنائه ومظهره ، فالأسواق في البصرة والمدن الأخرى أغلبها مسقوفة على شكل قبب.[4]

أما الخانات فهي مهمة ، لأنها تزود تلك الأسواق بالسلع والبضائع وتزود أصحاب القوافل التجارية بما يحتاجونه من البضائع حتى أن فيها أماكن مخصصة لسكن التجار والمسافرين ومرابط للخيول ومناخ لإبلهم ، وهناك ثلاثة أنواع من الخانات لخدمة الأغراض التجارية وهي :

١.الخانات الواقعة في مركز المدينة ضمن الأسواق ، وتختص هذه الخانات بأنها تزود التجارة الداخلية والخارجية ومأوى للتجار الغرباء ومخازن لبضائعهم وسلعهم .

---

[1] اوبنهايم و فرنر كاسكل ، مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٣٥٢ ؛ آل خميس ، مرجع سابق ، ص٣٢-٣٣ .

[2] الحمداني ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ .

[3] آل خميس ، مرجع سابق ، ص٨٦

[4] الحمداني ، مرجع سابق ، ص١٥٥ .

٢.الخانات الموجودة في أطراف المدينة ، ولا يختلف اختصاصها عن الخانات التي داخل المدينة .

٣.الخانات المقامة على طرق القوافل التجارية ، فقد زاد اهتمام التجار فيها في العهد العثماني ،وذلك لفقدان الأمن في الطرق التي تقع بين المدن الواقعة في جنوبي العراق وبغداد ، ولإستمرار حركة التجارة والحج فكانت تلك الخانات المكان الأمين للقوافل التجارية والحجاج ، ويتركز هذا النوع من الخانات بشكل خاص على طريق النجف ، لأنه طريق تجاري وطريق الحجاج ، وتتألف هذه الخانات من بناء واسع وله مدخل واحد بالعادة ، فيها ساحة غير مسقوفة ويحيط بها بناء يتألف من طابقين الأول: مرابط للحيوانات أو أماكن لحفظ سلع التجار ، والثاني : لسكن التجار والحجاج[١]، وهذه الخانات أشبه ماتكون بالفنادق والإستراحات والمطاعم .

تتعدد الأسواق الواقعة في كل مدينة من المدن الواقعة في جنوبي العراق وذلك ، لقدوم التجار إلى تلك المدن للاستثمار وحياة النعيم التي تعيشه تلك المناطق ولقدوم السفن التجارية من الشرق والغرب إلى ميناء البصرة وما تحمله تلك السفن من بضائع تزود بها أسواق العراق ، ومن أشهر الأسواق الواقعة في جنوبي العراق مايلي :

١. أسواق البصرة :

لموقع البصرة عامل إيجابي أدى إلى عملية التبادل التجاري مع الدول الأوربية والهند وإيران ،وغيرها من الدول الأجنبية ، والبلدان العربية ، وقد نتج عن هذا التبادل زيادة أعداد البضائع والسلع والتي توزع من الميناء إلى المخازن الكبيرة والخانات فيقوم التجار بعد ذلك بتوزيعها إلى الأسواق في جنوبي العراق فتنوع هذه السلع الضخمة المستوردة من جميع الأقطار ووصولها إلى الأسواق ، أدى إلى افتتاح العديد من الدكاكين والأسواق لتصريف تلك البضائع .[٢]

وفي أثناء الاحتلال الانجليزي زاد النشاط التجاري في البصرة عما كانت قبل الاحتلال ، وذلك لقدوم أعداد هائلة من الجنود ، لتثبيت حركات الاحتلال مما أدى إلى ازدياد الطلب على البضائع بمختلف أنواعها ، لذا قام العديد من التجار بفتح دكاكين وأسواق لمضاعفة أرباحهم .[٣]

---

[١] الحمداني ، مرجع سابق ، ص ١٦٣ . ١٦٥ .

[٢] غنيمة ، مصدر سابق ، ص ١٦١ ؛ الحمداني ، نفسه ، ص١٥٥.

[٣] غنيمة ، نفسه ، ص ١٢٣ ؛ التميمي ، حميد أحمد حمدان ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤. ١٩٢١م ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، الإرشاد، بغداد ١٩٧٩ ، ص ٥٠٠ .

هناك عدد من الأسواق في البصرة من أشهرها :

١- سوق كاظم أغا : فقد أعطاه مظهره الحضاري أكثر أهمية ، فدكاكينه منظمة ومسقوفة كأنها قباب الأضرحة ، وفي وسط السوق جامع كبير يلتقي فيه طلاب العلم لأهمية الجامع ومكانة خطيبه مفتي البصرة (علي الحمداني) ، وفي آخر السوق مقهى يجتمع فيه كبار التجار.[١]

٢-سوق السيمر: ويقع بالقرب من سوق كاظم أغا ويقع خلف بناية البلدية[٢].

فهذه الأسواق يجتمع فيها العديد من التجار من جميع الأقطار فأصبحت لهم علاقة مع تجار العراق . فكل تاجر يرسل ما لديه من البضائع والسلع إلى المنطقة التي قدم منها ، مما أدى إلى تقوية العلاقات التجارية بين البصرة وبين تلك الأقطار والتي من بينها منطقة جبل شمر [٣] ،ويصف خورشيد أسواق البصرة قائلاً :"ومن المباني المبنية بالطابوق والتي يمكن أن يشار إليها هي السوق الذي يمتد باستقامة واحدة لمسافة ٦٠٠ خطوة وسقفه على شكل قبب وتقوم بجانب السوق بناية الجامع المبني من الطابوق أيضاً الذي بناه متسلم البصرة عزيز بك أحد مماليك الوالي داوود باشا وهناك مدرسة من الطابوق في داخل الجامع ..... كما أن هناك سوقاً آخر بالقرب من السوق السابق يضم أصنافاً مختلفة من أصحاب الحرف اليدوية والبقالين وباعة الأسماك والصاغة والحدادين وآخرين غيرهم وفيه معمل للصناعات الزجاجية "[٤].

فالأسواق في البصرة قريبة من بعضها ، فكأنها سوق واحدة ، وهي متكاملة وشاملة لجميع أنواع البضائع المستوردة ، وكذلك البضائع ذات الإنتاج المحلي سواءً كانت أعمالاً حرفية أو إنتاجاً حيوانياً و زراعياً ، فهي كالأسواق الأخرى في البلدان الإسلامية التي تزينها الجوامع عندما تكون في وسطها .

٢- أسواق الخميسية : ومن أشهر الأسواق فيها (سوق الصفاة) ويتكون السوق من الدكاكين المصفوفة المتقابلة على بعضها وهذه الدكاكين مبنية من الطين والطابوق ، وأغلب أصحاب هذه

---

[١] البازي ، مرجع سابق ، ص١٢٥ .

[٢] بلدية البصرة : تأسست في العهد العثماني سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م . وفي ١٢٩٤/٩/٢٧هـ صدر قانون بلدية الأيالات العثماني كتشكيل خدمي ، وبموجبه أصبحت البلدية جهازاً له ضوابطه هيكلاً وتنظيماً . وبعد سقوط مدينة البصرة بيد القوات البريطانية في (١٣٣٣/١/٢هـ / ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤م) ألغت سلطات الإحتلال المؤسسة البلدية وأدمجت مسئولياتها بدائرة الحاكم العسكري (بركات ، مرجع سابق ، ص ٦٥) .

[٣] البازي ، مرجع سابق ، ص١٢٥ .

[٤] مصدر سابق ، ص٥ .

الدكاكين من أهالي نجد (النجادة) وللسوق عدة أبواب أهمها باب الدروازة [١] ، وأمامه مساحة تسمى باسم الباب[٢]، فنشاط الأسواق في الخميسية لا تقتصر على خدمة السكان ، وإنما تخدم القبائل القاطنة بالقرب من الخميسية،وكذلك القوافل التجارية القادمة من نجد ، وذكر آل خميس عن نشاط أسواق الخميسية وأهميتها قائلاً : "ونتيجة لهذه الحركة التجارية الهائلة أصبحت الخميسية بعد فترة وجيزة سوقاً تجارياً كبيراً لجميع أهل المنطقة والمناطق الأخرى ، فإذا ما أصيبت نجد بكارثة أو غلاء أو شح في التموين أقبل أهلها بقوافلهم على سوق الخميسية للتزود بما يحتاجونه لسد عوزهم"[٣] فقد كانت لها أهمية لدى القبائل المجاورة ولأهالي نجد ، وذلك لتوفر السلع والبضائع في أسواقها ، وتصدر تلك السلع المتوافرة إلى المدن الأخرى في جنوبي العراق ، فقد عملت أسواقها بعملية الاستيراد والتصدير ويرجع ذلك إلى تعدد الخانات والأسواق فيها .

٣. أسواق الزبير :

إشتهرت الزبير بتجارتها وأسواقها . فقد كانت مقصداً لأهالي نجد ، وذلك لأنها منطقة استراتيجية تقع على طرق القوافل التجارية ، ولقربها من ميناء البصرة [٤] ، وأشهر الأسواق فيها (سوق الصفاة)[٥] و(سوق المزروع)[٦] ، وأغلب الأسواق في الزبير مبنية من الجص ، لوجود الحجر الصالح للبناء ، فهي كغيرها من الأسواق في تصميمها فهي متلاصقة ومتقابلة مع بعضها ، وفي أسواق الزبير يقوم عدد من التجار بطريقة من طرق البيع أطلق عليهم (المربحانية) [٧] ، فهؤلاء يعملون في بيع وشراء السمن والصوف والأغنام واللبن من أهالي البادية ، فيلتقون بالبدو القادمين إلى الزبير في خارج المدينة ويشترون منهم المنتجات التي جلبوها إلى الأسواق . أما ذلك البدوي فعندما يصل للمدينة يلتقي بصاحبه فيقبض الثمن ثم يشتري ما يريده من حوائج : كالتمر والرز والطحين

---

[١] الدروازة : كلمة فارسية الأصل تعني بوابة (آل خميس ، مرجع سابق ، ص ٦١) .

[٢] آل خميس ، نفسه ، ص ٦١ . ٨٣ . ٨٦ .

[٣] آل خميس ، نفسه ، ص ٦١ .

[٤] الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٦٣ . ٦٤ .

[٥] الجار الله ، مرجع سابق ، ص١٢٧ .

[٦] الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٩٢ .

[٧] المربحانية : تجار يتلقون الركبان (أصحاب القوافل التجارية وأهل البادية) قبل دخولهم السوق فيشترون منهم بسعر أقل من السوق ، وهذه من البيوع التي نهى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم . عن ابن عباس رضي الله عنه قال : عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : (لاتلقّوا الركبان) حديث صحيح . أخرجه البخاري ومسلم وأبو داوود والنسائي و احمد . (الألباني ، محمد ناصر الدين ، غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، المكتب الاسلامي ، ط٣ ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ص ١٩٨) .

والملابس [١] ، فقدوم سكان البادية زاد من دخل أسواق الزبير اقتصادياً ، ويزودون هذه الأسواق بما لديهم من منتجات حيوانية وزراعية ، فقدومهم أتى بنوع جديد من أنواع البيع والشراء في أسواق الزبير.

٤. أسواق النجف :

تستورد أسواق النجف بضائعها من الميناء النهري في الكوفة التي تغذي أسواقها، وتنتعش الأسواق فيها عند قدوم الحجاج الإيرانيين إلى النجف ، وعندما تأتي القوافل التجارية القادمة من جبل شمر ، فتزداد عملية البيع والشراء فقدوم الحجاج والقوافل التجارية عوامل ساعدت في إزدهار الأسواق في النجف [٢] ، ويصف لوريمر أسواق النجف قائلاً : " والسوق الرئيسية في النجف تجري من الضريح إلى البوابة الشرقية الضخمة وتقع فيها مباني الحكومة التركية المسماة سراي والثكنات المتهدمة لفرق عثمان في الجزء الشمالي الشرقي للمدينة وبها حوالي عشرين نزلاً للمسافرين في أحياء مختلفة منها خمسة أو ستة خانات جيدة البناء بالطوب على الطراز الحديث وتقع خارج المدينة في الناحية الشمالية الشرقية"[٣] .

لم تكن الأسواق في جنوبي العراق منفصله عن بعضها بل كان هناك تبادل تجاري ما بين أسواقها. ومن الأمثلة على ذلك الأسواق في الخميسية فهي تعتمد في تجارتها على بيع وتصدير ما تنتجه من محاصيل زراعيه ، وما تجلبه من بضائع ذات أهمية إلى أسواقها من أسواق الزبير والبصرة وسوق الشيوخ والناصرية ، أما السلع المتداولة ما بين تلك الأسواق هي : الشعير ، الذرة ، القمح ، الأرز ، التبغ ، الأقمشة ، السلاح ، والخيول العربية الأصيلة .[٤]

ب- أسواق جبل شمر :

لم تعطينا المصادر التاريخية معلومات ذات أهمية عن الأسواق في جبل شمر ما قبل إمارة آل رشيد (١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م) وذلك لقلة أعداد الرحالة الذين قدموا إلى المنطقة ، ولندرة ما أوردوه من معلومات عن الأسواق إذا ما قورنت أعدادهم مع أعداد الرحالة الذين قدموا فترة إمارة آل رشيد والمعلومات التي تطرقوا إليها عن الأسواق في تلك الفترة ، ولندرة الوثائق المتعلقة بالأسواق والبيع والشراء ،يضاف إلى ذلك لم يكن الإهتمام بالنواحي الاقتصادية من قبل الأُمراء في الفترة التي

---

[١] الجار الله ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ .

[٢] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج ٩ ، ص ١٧٢٥ .

[٣] نفسه ، ص١٧٢٤ .

[٤] غنيمة ، مصدر سابق ، ص ١٣٨-١٣٩ ؛ آل خميس، مرجع سابق ، ص ٦٠.

سبقت الإمارة ، كإهتمام الأمراء في عهد إمارة آل رشيد ، والتي من بينها جلب الحرفيين والتجار من الأقطار المجاورة ، لإزدهار الأسواق والحياة الاقتصادية في المنطقة.

هناك عدة عوامل ساهمت في إزدهار الأسواق في جبل شمر ومنها :

١- انتزاع قيادة قوافل الحجاج من أهل القصيم على يد الأمير طلال بن عبدالله آل رشيد بعد التنسيق مع الباب العالي في الآستانة عام (١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م) والذي انتزعها من مهنا بن صالح أبا الخيل ، ومن تلك الفترة أصبحت المنطقة تتولى إمارة الحج حتى نهاية الإمارة عام (١٣٤٠هـ /١٩٢١م) [١]، فقوافل الحجاج عندما تأتي إلى جبل شمر تحمل معها البضائع التي تزود الدكاكين بالعديد من المنتجات ، وكذلك أهالي البادية يجلبون ما لديهم من منتجات الثروة الحيوانية إلى الأسواق لبيعها على الحجاج ، مما أدى إلى ازدهار الأسواق عن طريق البيع والشراء زيادة الدخل الاقتصادي .

٢- لموقع منطقة جبل شمر أهمية بأنه كان ملتقى لطرق القوافل التجارية ، فيأتيها تجار الشام والعراق والمدينة المنورة [٢] ، وذكر موزل : "استغل محمد مركزه بمنتهى البراعة ، فقد أقنع عن طريق الهدايا والتهديد جميع قادة القوافل بمرور قوافلهم قرب مقر إقامتة حائل "[٣] ، فالموقع الجغرافي للمنطقة له دور كبير ، فقد ساعد الأمراء بإستغلال الفرصة في إقناع العثمانيين ، واصحاب القوافل بالمرور بالمنطقة فما جلبته القوافل التجارية من سلع وبضائع ساعد في ازدهار الأسواق، وإنشاء الدكاكين ، لتقوم عملية البيع والشراء لتلك البضائع المجلوبة مع القوافل التجارية .

٣- دور الحكام في تقوية الاقتصاد في جبل شمر ، وذلك عندما قام طلال العبدالله آل رشيد باستقطاب الحرفيين والتجار من العراق وسوريا الذين قاموا بإنشاء الدكاكين ، مما أدى إلى جذب البدو من شمر وقرى المنطقة للبيع والشراء في أسواقها بدلاً من القيام برحلات تستغرق وقت طويلاً إلى العراق[٤] ، ودورهم أيضاً في تأجير الدكاكين على التجار وذكر داوتي: "يصل عدد الدكاكين إلى ما

---

[١] بالجريف ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٣٥- ٢٣٦ ؛ Baran, THERASHIDI,P58 ؛ المسلم ، مرجع سابق، ص ٤٣ ؛ السويداء ، مرجع سابق ... منطقة حائل ، ص٤٥٧-٤٥٨.

[٢] الزعارير ، مرجع سابق ، ص٣١ .

[٣] مصدر سابق ، ص٢٧.

[٤] موزل ، نفسه ، ص١٨؛ Baran , THE RASHIDI ,P57 ؛ فاسيلييف ، مرجع سابق ، ص٢٣١

يقرب من مائة وثلاثين دكاناً ،كلها مملوكة تستأجر من الأمير "[1] ، وكذلك عندما أمر طلال العبدالله ببناء ثمانين مخزناً مقابل قصر برزان فدور الحكام واضح في تنمية الاقتصاد في المنطقة ، مما أدى إلى قيام التجار باستئجار وامتلاك الدكاكين .[2]

فهذه العوامل المتمثلة بموقع المنطقة الاستراتيجي على طرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج ، ودور الأمراء في تنمية اقتصاد الإمارة جميعاً ساهمت بإزدهار الأسواق ونشاطها ، ومن أشهرالأسواق في جبل شمر:

١- **سوق المسْحَب**: يقع السوق في لبده قديماً ، إندثر السوق القديم بعدما أُنشيء سوق برزان .

٢- **سوق بـــرزان** :وهو السوق الرئيسي ،والذي يقع مقابل قصر الحكم سمي السوق بذلك نسبةً لإسم قصر الحكم (برزان) تم إنشاء السوق في أواخر القرن الثالث عشر الهجري حيث انتقل نشاط التجار إلى الموضع الجديد ، ومن تلك الفترة إندثرت السوق القديمة في لبده وأصبح السوق الرئيسي في حائل (برزان)[3]، ويعود سبب ازدهار سوق برزان واندثار السوق لبدة القديم (المسْحَب)إلى :

١- اجتماع الزوار والضيوف أمام قصر الإمارة في برزان لمقابلة الأمير وقدوم القوافل التجارية وإقاماتها أمام مقر الإمارة .[4]

٢-اهتمام الأمير طلال العبدالله بالموقع القريب من الإمارة ، وذلك عندما أمر ببناء ثمانين مخزناً مقابل قصر برزان ، مما أدى إلى قيام أغلب تجار حائل في أواخر القرن الثالث عشر الهجري باتخاذ دكاكين في سوق برزان.[5]

---

[1] مصدر سابق ، ج١ ، م ٢ ، ص٤٦٢ .

[2] Baran , THE RASHIDI ,P57 ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص ٢١١ .

[3] القويعي ، مرجع سابق ، ص ١١٧ ؛ العريفي ، نفسه ، ص ٢٠٩ .

[4] داوتي ، مصدر سابق ، ج١، م٢ ، ص٤٦٤-٤٦٥ ؛ لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص٧٧٠

[5] العريفي ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص٢٠٩ . ٢١١ .

يصف داوتي السوق الرئيسة في جبل شمر قائلاً : "وقست السوق الذي يمتد من المسحب (الميدان العام)[١] إلى البوابة الداخلية في إتجاه قفار ووجدته حوالي مائتي خطوة والدكاكين توجد على الجانبين ، وهي عبارة عن مخازن صغيرة للبضاعة مبينة في الخلف والضوء لا يدخل هذه الدكاكين إلا من مدخلها فقط ، يصل عدد الدكاكين إلى ما يقرب من مائة وثلاثين دكاناً" [٢] .

ويتضح لنا من خلال ما ذكرناه عن الأسواق في جنوبي العراق ، أن الأسواق في جبل شمر تشابه أسواق جنوب العراق من حيث التصميم ، وذلك بأنها مسقوفة ودكاكينها متقابلة وكذلك المساجد التي تقع بالقرب من الأسواق ، فقد ذكر لوريمر : "يقع المسجد الرئيسي في الطرف الجنوبي من المسحب" [٣] ، إلا أن هذه الأسواق تختلف في مواد البناء فالأسواق في جنوبي العراق أغلبها مبنية من الطابوق ، أما الدكاكين في جبل شمر فهي مبنية من الطين ومن سعف النخل أو أخشاب الآثل،وسوق برزان آمن بحيث وضع له باب محكم يسمى (باب الصفاقات) أُعد لحماية السوق من اللصوص ، ولا يدخل أحد إلى السوق إلا من خلاله[٤] ، وفي السوق العديد من الدلالين ، فعندما يأتي أصحاب المزارع وأهالي البادية بما لديهم من منتجات حيث يقوم هؤلاء الدلالين ببيعها لهم ، ومن خلال ذلك يزوّد أصحاب الدكاكين بضائعهم من منتجات المزارعون وأهالي البادية ، فعندما يبيعون ما جلبوه يقومون بشراء مايحتاجونه من السوق ، ومن خلال هذه العملية يزداد نشاط السوق في جبل شمر.[٥]

وفي سوق برزان هناك أماكن مخصصة للنساء يبعن فيها أدوات الزينة والملابس النسائية والعطورات ، وبالقرب من سوق برزان دكاكين تباع فيها اللحوم والخضار والتمور وعادة ما تكون هذه الدكاكين مكشوفة.[٦]

---

[١] الميدان العام يقصد به المؤلف (المسحَب) المقابل لقصر برزان أخذت تسميته من السوق القديم الذي في لبده ، وهو المكان الرئيسي في حائل يجتمع به سكان المدينة وأهالي البادية والمسافرين والحجاج ، يبلغ طوله ٢٢٨متر ، وعرضه ٢٣متر ، ويقع على أحد جوانبه قصر الإمارة (لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤، ص٧٧٠)

[٢] مصدر سابق ، ج١ ،م ٢، ص٤٦٢.

[٣] مصدر سابق ،ج٤، ص٧٧٠ .

[٤] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص ٢١٥.

[٥] داوتي ، مصدر سابق ، ج١، م٢ ، ص ٤٦١-٤٦٢ ؛ العريفي ، نفسه ، ص ٢١٢ .

[٦] فالين ، مصدر سابق ، ص ١٧٤ ؛ داوتي ، نفسه ، ص ٤٦٢.

وبما أن عمليات البيع والشراء تحصل فيها اختلافات في المسائل الشرعية المتعلقة بالتجارة ، فقد كان في السوق دكاناً يستأجره قاضي متمكن في العلوم الشرعية ، ومهمته الفصل في القضايا التجارية التي تحدث في السوق.[١]

وهناك العديد من الكلمات التي أصبح لها أثر يرددها التجار- أصحاب الدكاكين – ومنها: من كان يتجه من سكان الجهة الشرقية لحائل (الحدريين) إلى دكانه في المسْحَب يقول عنه أهل حائل : (اصْعد) ، ومن ينصرف من السوق إلى داره يقال عنه : (افاض) ، ويقول : عبدالكريم بن عثمان العبيداء (رحمه الله):

اصعدت أنا للسوق من عرض الأسباب وأشـــوف بـرزان تقـــل فيـــــه ذيـره[٢]

ج- التبادل التجاري بين المنطقتين :

لا تقارن الأسواق في جنوبي العراق بأسواق جبل شمر من حيث حجم أعداد البضائع التي فيها ، لأن القوافل التجارية التي تذهب إلى جنوبي العراق تزود أسواق جبل شمر بالمنتجات التي فيها فالأسواق في جنوبي تتعدد فيها أنواع البضائع وذلك ، لأن البصرة تقع على ميناء تجاري لا تنقطع عنها السفن التي تحمل إليها البضائع من أوروبا والهند فهي تزود أسواق البصرة والمناطق الواقعة في العراق أضف إلى ذلك أن المناطق الواقعة في جنوبي العراق تتمتع بأرضها الخصبة ، فقد اشتهرت بزراعة النخيل والرز والقمح ، ولزيادة هذه المنتجات الزراعية تقوم بعملية التصدير ، لذلك يقوم أهالي جبل شمر بإرسال القوافل التجارية إلى تلك المناطق الواقعة في جنوبي العراق.[٣]

وبما أن المناطق في جنوبي العراق غنية بالثروات الزراعية فقد كانت أهم السلع والبضائع المجلوبة هي القمح و التمن و الشعير [٤]و التمور[٥] ، أما البضائع المصنوعة التي يستوردها أهالي حائل فهي: السجاد البغدادي، والعباءات المصنوعة من الصوف والمطرزة بلون ذهبي وجلد الغنم والصوف [٦]

---

[١] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢، ص ٢١٤.

[٢] للإطلاع على المصطلحات التي يرددها التجار في حائل . أنظر : العريفي ، نفسه ، ص ٢١٤ . ٢١٨ .

[٣] غنيمة ، مصدر سابق ، ص ١٦١ ؛ الحمداني ، مرجع سابق ، ص١٥٣ .

[٤] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص٧٧١ ؛ موزل ، مصدر سابق ، ص ٢٢ ؛ القويعي ، مرجع سابق ، ص ١١٧.

[٥] خورشيد ، مصدر سابق ، ص٦ ؛ غنيمة ، مصدر سابق ، ص ١٣٩ .

[٦] هوبير ، مصدر سابق ، ص ٣٩ ؛ داوتي ، مصدر سابق ، ج١ ، م٢ ، ص٤٥١ .

وذكر لوريمر عن التبادل التجاري ما بين جبل شمر والنجف قائلاً : " تعتمد التجارة في النجف على الميناء النهري في الكوفة وتعتمد على الإستهلاك المحلي وإلى درجة أقل على التبادل مع جبل شمر، يقوم التجار من النجف ببعث الإرساليات التجارية من الداخل ، وفي بعض الأحيان ينجزه رسمياً أمير شمر الذي يزور النجف بانتظام ليقوم بصفقات الشراء وفي مواسم قلة التموين في الداخل ، فهناك إمداد مستمر من الحبوب من النجف إلى حائل " [١].

أما السلع الأخرى التي تستورد من جنوبي العراق فهي البضائع المستوردة من الهند وأوروبا عن طريق البصرة وهي : القهوة والهيل والسكر والشاي والملابس والأقمشة والعطور والأسلحة وذخائرها[٢] وذكر داوتي عن ملابس أمراء آل رشيد وأصحاب الجاه في حائل قائلاً : "ويضع كل واحد منهم على كتفه عباءة الأعراب المصنوعة من أجود الأصواف البغدادية أو من القماش الأسود الذي يجلب من أوروبا " [٣]، فتلك البضائع التي تأتي من أوروبا عن طريق ميناء البصرة تصل إلى الأسواق في جنوبي العراق ، فتصل إلى أسواق جبل شمر عن طريق القوافل التجارية ، وذكر لوريمر : "وتستورد الأقمشة والبهارات والمعادن والبضائع الأوروبية من البصرة والنجف"[٤]، ومن خلال ما ذكرنا يتضح لنا أن المنتجات الزراعية والحرف اليدوية هي المنتجات المحلية في جنوبي العراق ، أما الصناعات من أسلحة وذخائر وأقمشة ، والمنتجات الزراعية من شاي وسكر وتوابل فهي ما تستورده البصرة من الهند وأوروبا .

لاتستغني أسواق البصرة والمدن العراقية الأخرى عن منتجات جبل شمر فهي تحتاج ما تنتجه من ثروة حيوانية (الإبل و الخيول)، فعندما تذهب القوافل التجارية إلى جنوبي العراق تجلب معها العديد من الخيول العربية الأصيلة [٥] ، والإبل و المنتجات الأخرى ،كالصوف والسمن[٦] ، وذكر العريفي: "وكانت الحيوانات ومنتجاتها أهم صادرات الجبلين إلى الأقطار المجاورة في ذلك العصر " [٧] .

---

[١] مصدر سابق ، القسم الجغرافي ،ج٩، ص ١٧٢٥ .

[٢] موزل ، مصدر سابق ، ص ٢٢ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢١١ .

[٣] مصدر سابق ، ج١ ، م٢ ص٤٤٤ .

[٤] مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص٧٧١ .

[٥] Baran , THE RASHIDI ,P59 ؛ العتيق ، مرجع سابق ، ص٩٣ .

[٦] موزل ، مصدر سابق ، ص٢٢ .

[٧] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص ٢٣٥- ٢٣٦.

ومن المنتجات الاخرى التي يجلبها أصحاب القوافل إلى جنوبي العراق المنتجات اليدوية التي تقوم النساء بعملها وذلك لتباع ويشترى لهُن بثمنها ما ينقصهن من عطورات وملابس.[1]

[1] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢٣٥ .

المبحث الخامس ـ أثر التبادل الاقتصادي بين جنوبي العراق وجبل شمر :

أ– الأثر الاقتصادي :

أحدث افتتاح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م أثراً كبيراً على المشرق الإسلامي بما فيه الجزيرة العربية والخليج العربي والعراق ، فقد كان لهذا الحدث تأثيرٌ على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في تلك البلاد عامة وعلى المناطق الواقعة جنوب العراق على وجه الخصوص[١] ، فمن نتائج ذلك دخلت في البصرة الآلات الصناعية الجديدة وأُنشئت مصانع حديثة وازدهرت التجارة فيها ، وبرزت أهميتها كميناء تجاري هام لحركة الاستيراد والتصدير وأنشئت فيها المصارف والشركات والبنوك وتم ربط البصرة بالمناطق الواقعة على الخليج العربي عن طريق السفن التجارية [٢] ، ومنطقة جبل شمر لم تكن منعزلة عن تلك التطورات الاقتصادية التي عاشتها المناطق الواقعة في جنوبي العراق ، فقد شجع أمراء آل رشيد أصحاب القوافل التجارية بجلب البضائع من جنوبي العراق وإمداد أسواق جبل شمر خاصة في عهد الأمير طلال العبد الله و الأمير محمد العبد الله آل رشيد حيث أصبحت منطقة جبل شمر مركزاً تجارياً [٣].

فقد نتج عن التبادل الاقتصادي ما بين المنطقتين تنوع العديد من المنتجات سواءً المنتجة في جنوبي العراق أو المستوردة من البلاد الأوروبية والهند إلى البصرة [٤] ، فقد قام أصحاب القوافل التجارية بإمداد الأسواق بتلك المنتجات،مما أدى إلى انتعاش أسواق جبل شمر وزيادة الدخل الاقتصادي فيها ، وافتتاح العديد من الدكاكين و ذكر العتيق: " لقد جلبت هذه الحدرة أنواعاً من السلع التي تفتقر إليها السوق ويحتاج إليها الناس ، فجلبت من الأطعمة : التمن والتمر والدبس ومن الملابس العباءات الوبر و العقل و الشيلان و القطائف و الدلال البغدادية و البخور وغيرها "[٥]

---

[١] ندم ، مرجع سابق ، ص٧٣ .

[٢] الحمداني ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

[٣] موزل ، مصدر سابق ، ص ٢٧ ؛ داوتي ، مصدر سابق ،ج١، م ٢ ، ص ٤٦٢؛ Baran , THE RASHIDI P57, ؛ الزعارير ، مرجع سابق ، ص٩٩.

[٤] غنيمة ، مصدر سابق ، ص ١٦١ ؛ الحمداني ، مرجع سابق ، ص١٥١-١٥٣.

[٥] مرجع سابق ، ص ٧٠ .

ومن خلال ما ذكره من تلك المنتجات يتضح أنها لا تقتصر على المنتجات المحلية في جنوبي العراق وإنما على البضائع المستوردة من البلاد الأوربية و الهند ، مما أدى إلى زيادة الدخل الاقتصادي في جبل شمر ومعرفة السكان للعديد من المنتجات التي لم تكن معروفة لديهم في السابق .

لم تقتصر تلك المنتجات المجلوبة من جنوبي العراق على الأسواق فحسب ، وإنما كانت تمول قصر الحكم بما تجلبه من أطعمة والتي يقدمها الأمير لضيوفه في دار ضيافته في قصر برزان [١]، أما بالنسبة لما تجلبه القوافل التجارية إلى جنوبي العراق من ثروة حيوانية (خيول و إبل) فهي قد زادت من الدخل الاقتصادي لدى القبائل التابعة لجبل شمر ، وزودت الأسواق في جنوبي العراق بما ينقصها أما التي لم تباع ولا تأتي لهم بالربح في جنوبي العراق فتباع في أسواق بغداد [٢] ، وترسل الخيول المجلوبة من جبل شمر إلى بومباي لتباع في أسواقها [٣] ، ومن خلال ما تصدره منطقة جبل شمر من ثروة حيوانية يزيد من دخلها الاقتصادي وتغطي ما تحتاجه الأسواق في جنوبي العراق .

فالقوافل التجارية عندما تذهب إلى جنوبي العراق بما لديها من منتجات لا ترجع خالية فتشتري ما تحتاجه الأسواق من منتجات فهي بتلك العملية زادت من الدخل الاقتصادي في أسواق جنوبي العراق ، وذكر لوريمر: " تعتمد التجارة في النجف على الميناء النهري في الكوفة وتعتمد على الاستهلاك المحلي وتدفق الحجاج وإلى درجة أقل على التبادل مع جبل شمر ويستهلك الحجاج ثلثي الواردات ، ويقوم التجار مع النجف الإرساليات التجارية من الداخل وفي بعض الأحيان ينجزه رسمياً أمير شمر الذي يزور النجف بانتظام ليقوم بصفقات الشراء وفي مواسم قلة التموين في الداخل فهناك إمداد مستمر من الحبوب من النجف إلى حائل " [٤].

نتج عن عمليات البيع والشراء التي يقوم بها أصحاب القوافل التجارية في جنوبي العراق جلب العديد من العملات المتداولة في تلك الأسواق إلى منطقة جبل شمر فقد استخدم التجار وأهالي المنطقة تلك العُملات مما سهل عليهم عمليات البيع والشراء والتي كانت في الغالب تقوم على عملية المقايضة أو الدين ، ومن تلك العملات التي اشتهرت في أسواق جبل شمر الليرة العثمانية [٥] والمجيدي

---

[١] العتيق ، مرجع سابق ، ص ٩٤.

[٢] Baran , THE RASHIDI ,P59 ؛ العتيق ، نفسه ، ص ٩٣ .

[٣] اليحيى ، مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

[٤] مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٩ ، ص ١٧٢٥ .

[٥] اداموف ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢٧٣ ؛ حسني ، مصدر سابق ، ص ٥٥ .

والريال الفرنساوي [1] ، وبعد ظهور الريال السعودي في حائل في صفر عام ١٣٤٩هـ قلّ استعمال هذه النقود حتى اندثرت تلك العُملات [2] .

وبعد دخول منطقة جبل شمر تحت طاعة الملك عبد العزيز عام (١٣٤٠هـ / ١٩٢١م) لم تنقطع الصلات الاقتصادية بين المنطقتين ، وإنما أصبحت مستمرة حتى قامت المملكة العربية السعودية بالتطور الحضاري ، والتي منها دعم التجار السعوديين بالقيام بعملية الاستيراد والتصدير وذكر البازي: " وفي سنة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م حيث عادت العلاقات طيبة بين العراق والسعودية جاء البدو إلى البصرة وهم يحملون الدهن والوبر والصوف والجلود كما باعوا إلى منطقة جنوب العراق ما قيمته ١٠٠ ألف روبية من الحيوانات وقد اشتروا بهذه الكمية من النقود تمراً ودبساً ودقيقاً وكميات من الذرة والملابس ذات الألوان الزاهية وبكرات الخياطة والإبر والصابون حتى أدّى ذلك إلى ارتفاع أقيام بعض الحاجيات"[3].

ب- الأثر السياسي :

كان للأوضاع السياسية العالمية والداخلية أثر على التبادل الاقتصادي ما بين المنطقتين ، فقد زادت هذه الصلات في تقوية العلاقات السياسية ما بين الدولة العثمانية وإمارة آل رشيد وذلك ؛لأن المناطق الواقعة في جنوبي العراق تابعة للدولة العثمانية ومصالح إمارة آل رشيد مع هذه المناطق ذات أهمية من الناحية الاقتصادية ، مما أدى إلى اهتمام الإمارة بتحسين العلاقات السياسية مع الدولة العثمانية .

أدت هذه الصلات إلى خلافات سياسية داخلية في إمارة آل رشيد فقد كانت الذريعة التي اتخذها الأمير محمد بن عبد الله آل رشيد لقتل ابن أخيه بندر الطلال ووصوله إلى الحكم إعتداء الثاني على أحد القوافل التي كانت بقيادته ، وذلك عندما خرج محمد العبد الله إلى مدينة الناصرية الواقعة على نهر الفرات ، وبما أن القافلة يجب عليها المرور بمنطقة قبيلة الظفير ، لذا أخذ محمد العبد الله عدداً من أبناء القبيلة كمرافقين له لتأمين هذه القافلة ، حتى وصل إلى حائل وعندما علم بندر الطلال بوصول أفراد القبيلة مع عمه محمد العبد الله قائد القافلة ثار غضبه لما قام به عمّه ، فقد نتج عن ذلك الخلاف قيام الأمير محمد العبد الله بقتل ابن أخيه بندر ، وقتل معه إخوته بدر و مسلط ، وبعد هذه

---

[1] حسني ، مصدر سابق ، ص٦٥ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P60

[2] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢١٣ .

[3] مرجع سابق ، ص١٠٥ .

الحادثة الشنيعة في حائل تولى الأمير محمد العبد الله مقاليد الحكم [١] ، فقد أثرت هذه الحادثة على سلامة القوافل التجارية المتجهة إلى جنوب العراق لجلب البضائع ، فعندما يختل الأمن داخل الإمارة يقل الأمن في المناطق التابعة لإمارة آل رشيد لطمع قطاع الطرق في القوافل التجارية [٢].

أثرت الصلات التجارية في حدوث بعض النزاعات بين القبائل خصوصاً من كانت بينهم عداوة قديمة عند شراء البضائع وتحميلها وذكر البازي " وقبيل الحرب العظمى الأولى وفي سنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م دخل البدو البصرة للاكتيال وكانوا خليطاً من بدو شمر وعنزة والضفير ولما كانت بينهم عداوات سابقة كادت أن تحدث فتنة وينشب القتال داخل المدينة لولا تدخل السيد طالب باشا النقيب وأنه أشرف بنفسه على الاكتيال وقد قسمت المشتريات بالتساوي [٣] " .

وبعد دخول الدولة العثمانية في ساحة الحرب العالمية الأولى في أواخر ذي الحجة عام ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ضد بريطانيا منعت الحكومة البريطانية بمختلف الوسائل انتقال البضائع من الكويت والعراق إلى حائل وذلك ؛ لأنهم يرون أن حائل تحت نفوذ العثمانيين [٤] ، مما أدى إلى زيادة في الأسعار داخل إمارة حائل ، وكذلك في العراق التي كانت تحت سيطرة الاستعمار البريطاني فقد أدت تلك الأوضاع إلى قلة أعداد القوافل التجارية المغادرة إلى جنوبي العراق [٥] [٦] .

---

[١] موزل ، مصدر سابق ، ص ٢٣-٢٤ .

[٢] العتيق ، مرجع سابق ، ص ٣٨-٤١ .

[٣] البازي ، مرجع سابق ، ص ١٠٤ .

[٤] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢٤٤ .

[٥] العريفي ، نفسه ، ج١ ، ص ١٢٣ .

[٦] ذكر العريفي قصة عن زيادة الأسعار في تلك الفترة قائلاً : " حدثني الوالد يرحمه الله قال : عرض الشيخ سليمان البراهيم العميم في دكانه بحائل قماشاً أعجب به تاجر عراقي مقيم في مدينة حائل وتشاوروا على سعره ولم يتفقا وذلك سنة ١٣٣٢هـ قبل قيام الحرب العالمية الأولى بأيام قليلة ، وكان العميم قد نوى البيع في نفسه ، وبعد أيام اندلعت الحرب وتضاعف سعر القماش أضعافاً كثيرة ، ومر التاجر العراقي بالعميم ، فدعاه وقال له خذ بضاعتك فتعجب العراقي وقال : لكنك لم تبعني قال : لكني نويت أن أبيعك بالسعر الذي عرضت عليك ، والنية محلها القلب فقال العراقي : هل تعرف سعره اليوم بعد الحرب ؟ قال : نعم ، ولكني بعتك قبل الحرب وهذا رزقك ، ونستطيع القول بأن هذه القصة تعتبر من ضمن القصص السابقة التي تحكي عن شيم العرب ، والتي منها : الصدق و الأمانة و العفو عند المقدرة وإكرام الضيف ومراعاة حق الجار ، وصاحب القصة رجلٌ قلبه طاهر وذلك لأنه صادق مع الله ومع نفسه ، فهو لايعرف التاجر العراقي ، ولايريد منه مصالح دنيويه ، وإنما يريد الاجر والثواب من الله وصفاء نيته الصادقة هي أساس نجاحه في عمله (نفسه ، ج١ ، ص ١٢٣) .

لقد كان رجال القوافل التجارية من إحدى وسائل الإتصال السياسي مابين مركز إمارة آل رشيد في حائل وإستانبول عاصمة الدولة العثمانية . فعندما تذهب تلك القوافل إلى جنوبي العراق تُرسل معها مكاتيب من الأمير توضح فيها أبرز التطورات السياسية في نجد أولاً بأول، ومايحتاجونه من أسلحة وذخائر . فعندما يصل اصحاب القوافل يقومون بإرسالها الى استانبول عن طريق التلغراف [١] ، فقد أُرسلت عدداً من المكاتيب منها في عام١٣٣٠هـ /١٩١٢م بواسطة تلغراف العمارة [٢]، وفي عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م عن طريق تلغراف بغداد [٣] ، ويتضح لنا أنهم كما قاموا بإرسال تلك المكاتيب عن طريق التلغراف الذي يربط الولايات العراقية بإستانبول ، ايضاً يأتون بالرسائل التي يرد بها السلطان العثماني على إمارة آل رشيد ، وأن تلك الرسائل دائماً ترسل مع القوافل التجارية الكبيرة التي يسير معها أعداد من الرجال المسلحين ، وذلك لحفظها من قطاع الطرق ولسلامة وصولها .

ج- الأثر الاجتماعي :

كان لقدوم المشاهدة إلى جبل شمر الذي كان بطلب من الأمير طلال العبد الله ؛ لتحسين الوضع الاقتصادي فهذا الطلب قد يكون عن طريق التجار أصحاب القوافل التجارية الذين يزورون النجف باستمرار لجلب البضائع في إقناعهم بالقدوم إلى جبل شمر وفتح دكاكين للتجارة ولتأمين بعض الحرف اليدوية التي تخدم المجتمع في المنطقة ، مما أدى إلى قيام البادية في جبل شمر بالتردد على أسواق حائل بدلاً من عناء السفر إلى جنوبي العراق لذا فالصلات الاقتصادية تعتبر من أحد الأسباب التي أدّت إلى قدوم المشاهدة إلى مركز الإمارة في جبل شمر [٤] .

أدّى التبادل التجاري إلى تقوية العلاقات ما بين مجتمعي جبل شمر و جنوبي العراق ، وذلك عن طريق حسن المعاملة ما بين التجار في عملية البيع والشراء وحسن الأخلاق في الالتزام بالمواعيد

---

[١] التلغراف : انشأت الدولة العثمانية في العراق إدارة البرق في عام١٢٧٧هـ / ١٨٦١م ، وقامت بتمديد اسلاك التلغراف ، ووضع خطوط لعدد من الالوية ، ومنها خط وصل من القرنة إلى بغداد ، ويمر بعدد من مدن الفرات كالقرنة وسوق الشيوخ والحلة وكربلاء و العمارة .(غنيمة ، مصدر سابق ، ص٨٦-٨٧) .

[٢] الأرشيف العثماني اسطنبول ، قلم شفرة الداخلية . DH.SFR رقم ١-٧٢- ٤٦٤ . تاريخ ١٣٣٠هـ /١٩١٢م

[٣] الأرشيف العثماني اسطنبول ، قلم شفرة الداخلية . DH.SFR رقم ١- ٤١- ٤٦٨ . تاريخ ١٣٣١هـ /١٩١٣م

[٤] موزل ، مصدر سابق ، ص١٨ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P57 ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١ ، ص٢٧ .

التجارية فيما بينهم من تأمين بضائع ووعود الدين والوفاء بالعهود هذه التعاملات التجارية عكست جانباً إيجابياً في نظرة المجتمع العراقي عند أهالي جبل شمر وطيبة أخلاقهم والعكس .

وللتبادل التجاري أثر في نفوس أهالي جبل شمر ، فقد كان السكان يتطلعون ويسألون عن أخبار " الحدرة " وعن موعد وصولها ، فقدومها له أثر في نفوسهم عن سائر الأيام أعطت أيضاً مكانة اجتماعية لأصحاب القوافل التجارية وذلك لتأمين جميع ما يحتاجه الأهالي من بضائع لسد حاجاتهم ، وذكر العتيق : " وصل البشير قبل يومين من وصول الحدرة ليزف البشرى إلى عبد الكريم الذي استقبله بالفرحة والسرور ، أكرم وفادته وأنقده ثلاثة مجيديات عداً ونقداً مكافأة له على تلك الأخبار السارة " [١] .

ساعد موقع جنوبي العراق القريب من جبل شمر على وجود صلات اجتماعية بين القبائل العربية التي موطنها في جبل شمر وفروعها التي هاجرت إلى جنوبي العراق . فقد زادت هذه الروابط الاجتماعية نتيجة عوامل شهدتها منطقة جبل شمر سواءً كانت (سياسية أو اقتصادية) حيث استقرت هذه الهجرات في الزبير والبصرة ومنها من أكملت مسيرها واستقرت في بغداد والموصل وغيرها من المدن العراقية [٢] .

هذه الهجرات كانت ذات دوافع نفسية للطموح ولتنمية رأس المال . لذا اختارت عائلات من جبل شمر الاستقرار في البصرة والزبير كالعوائل النجدية الأخرى والتي كانت بهدف التجارة [٣] ، فإذا نظرنا إلى الدافع لتغيير الوضع الاقتصادي وللتجارة هو ما يسمعه الأهالي في جبل شمر عن طريق أصحاب القوافل التجارية ، وما يراه بعض الرجال المرافقين لهذه القوافل من تطور اقتصادي وفرص للعمل والتجارة في المناطق الواقعة في جنوبي العراق .

د- الأثر الحضاري :

لحركة التبادل التجاري ما بين المنطقتين والتي كانت عن طريق القوافل التجارية والحجاج القادمين من (مشهد علي) أثر حضاري على منطقة جبل شمر ، وكما هو معروف أن العراق أكثر تطوراً حضارياً من بلاد نجد ، وذلك لقيام العديد من الدول في أراضيها سواءً ما قبل الإسلام وما بعده . لذا فهي أكثر تقدماً أضف إلى ذلك موقعها الجغرافي الذي جعلها منفتحة على العالم

---

[١] مرجع سابق ، ص ٥٧ .

[٢] Baran , THE RASHIDI ,P58 ؛ السويداء ، مرجع سابق ... عقيلات الجبل ، ص ١٥٩ .

[٣] الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج١ ، ٢٦٢ .

الخارجي وذلك عن طريق شط العرب ، فقد جلبت القوافل التجارية معها العديد من المنتجات الأوروبية والآسيوية ومن هذه المنتجات الملابس الراقية التي يلبسها الأمراء والتجار ، وذكر بالجريف عن مظهر الأمير طلال العبد الله قائلاً :" لباسه مكون من رداء طويل من الكشمير (زبون) يغطي ثوباً أبيض ، وفوق هذه عباءة أنيقة منسوجة من وبر الإبل العمانيات النادرة الوجود في هذه البقعة ويلبس فوق رأسه منديلاً (غتره) مزيناً بتطريزات يدوية من خيوط الذهب والحرير ، وفوقه عقال سميك من شعر الجمال ومحبوك بخيوط حريرية حمراء ، وهو من صناعة (مشهد علي) ، ويعلق على جنبه سيفاً مذهباً ، وثيابه معطرة بالمسك لدرجة تتلاءم مع المزاج العربي " [1].

ومن خلال ما ذكره بالجريف عن مظهر الأمير وملبسه يتضح لنا أن هذه الملابس لا تصنع في حائل ، وإنما تستورد فمنها ما هو صناعة محلية في جنوبي العراق كما ذكر من مشهد علي ، ومنها ما هو مستورد من الدول الأوروبية عن طريق البصرة ، فقد أعطى التبادل الإقتصادي ما بين المنطقتين أثراً حضارياً على السكان في جبل شمر .

وذكر داوتي عن التطور الحضاري في ملابس الأمراء والوجهاء قائلاً: " وأمراء حائل يلبسون مثل ملابس البدو الرحل ولكنها جديدة ونظيفة من خام ممتاز و اللباس الطويل الواسع الذي يرتديه الناس هنا في المدينة لونه أبيض ناصع ، ويضع كل واحد منهم على كتفه عباءة الأعراب المصنوعة من أجود الأصواف البغدادية أو من القماش الأسود الذي يجلب من أوروبا " [2] ، ولا يقتصر الأثر الحضاري على الملابس وإنما حتى على البيوت وقصور الأمراء ، فهي مزينة ومفروشة بالسجاد البغدادي [3] ، وهناك العديد من المشاهد الحضارية التي جلبها أصحاب القوافل التجارية ،وذكر داوتي : " رحت أتجول في الشرفات حيث شاهدت يمام العراق المنزلي أبيض اللون وهو يهفهف بأجنحته ويبلغ من الألفة حداً جعلني أمسكه بيدي " [4] .

ومن خلال ماذكرناه يتضح أن التبادل الاقتصادي لم يقتصر على سد حاجة السكان من مأكل لسد الجوع ، وملبس ليكسوهم ، وإنما زاد ذلك إلى تعدد اصناف الأطعمة والملابس الجيدة المصنوعة في أوروبا ، وكذلك الأثاث المنزلي الراقي كالسجاد الإيراني ، وأن التبادل الإقتصادي زاد من

---

[1] مصدر سابق ، ج١ ، ص١٣٩ ؛ العلي ، صالح أحمد ، رحالة غربي يتحدث عن مدينة حائل قبل مئة عام (بالجريف)، العرب ، ج١٢ ، س١ جمادي الأولى ، ١٣٨٧هـ ، أيلول ١٩٦٧م ، ص ١١٢٦.

[2] مصدر سابق ، ج١ ، المجلد الثاني ، ص٤٤٤ .

[3] هوبر ، مصدر سابق ، ص٣٩ ؛ دواتي ، نفسه ، ص٤٥١ .

[4] نفسه ، ص٤٣٢ .

التعاملات التجارية في اسواق جبل شمر بالعملات العثمانية الرسمية ، والعملات الأجنبية ، فقد قلل من التعامل التجاري الذي كان عن طريق الدين أو المقايضة ، وأن التعامل الإقتصادي مابين المنطقتين زاد من دخل إمارة آل رشيد ، وتأمين مايحتاجه قصر الحكم من المنتجات وزاد ايضاً من دخل التجار ، مما أدى إزدهار الأسواق التي تتنوع فيها المنتجات المجلوبة من جنوبي العراق .

الفصل الرابع

الصلات العلمية بين جبل وجنوبي العراق

المبحث الأول : الحياة العلمية في جبل شمر

أولاً : أبرز العلماء في جبل جبل شمر .

ثانياً : المكتبات الخاصة في جبل شمر .

ثالثاً : أثر النساخ في إحياء الحركة العلمية .

رابعاً : أثر الحكام في إزدهار الحركة العلمية .

خامساً : المدارس في جبل شمر .

المبحث الثاني : العوامل التي زادت من صلة علماء جبل شمر بجنوبي العراق

أولاً : العامل السياسي .

ثانيا : العامل الإقتصادي .

ثالثاً : العامل الإجتماعي.

رابعاً : العامل الديني والعلمي .

خامسا : مرور قوافل الحج والتجارة بجبل شمر .

المبحث الثالث : صلة علماء جبل شمر بالعلماء العراقيين .

أولاً : عوض بن محمد الحجي

ثانياً: صالح بن سالم آل بنيان

ثالثاً : حسن بن محمد الحجي

المبحث الرابع : أثر هذه الصلة على الحياة العلمية في جبل شمر

المبحث الأول – الحياة العلمية في جبل شمر :

الحركة العلمية في مناطق نجد كانت محدودة الازدهار قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أي ما قبل القرن الثاني عشر الهجري ، وبعد قيام الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ /١٧٤٤م التي كان قيامها إثر اتفاق الدرعية ما بين الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والتي كان من أثرها ازدهار الحركة العلمية في بعض مناطق نجد [١]، ولم تكن منطقة جبل شمر من المناطق التي ازدهرت فيها الحياة العلمية في تلك الفترة ، فلم يكن ذلك إلاّ بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، وذلك بعد ما توافد العلماء والقضاة على جبل شمر عندما قام حكام آل رشيد باستقطاب العلماء والقضاة [٢] ، ومن تلك الفترة بدأت الحركة العلمية في جبل شمر بالازدهار فقدم إليها القضاة من المناطق الأكثر علمياً . وتعدد العلماء في جبل شمر فكل عالم وقاضي له مكتبة خاصة به . فقام الأمراء والتجار وكذلك النساء بأعمال خيرية لتشجيع العلماء وطلاب العلم، وذلك عن طريق شراء الكتب الثمينة وإيقافها بالمكتبات الخاصة بالعلماء ، وانتشرت حلقات العلم ، وبرز العديد من النساخ حتى تشكلت الحركة العلمية في نهاية القرن الثالث عشر الهجري بشكل يختلف عما كانت عليه ما قبل إمارة آل رشيد ١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م وفي بدايتها ، وتشتمل الحياة العلميّة في المنطقة على عدد من العناصر أهمها :

أولاً– أبرز العلماء في جبل شمر :

أغلب اتجاه العلماء وطلاب العلم في جبل شمر على العلوم الدينية كحفظ القرآن والأحاديث النبوية والتفسير والفقه حيث اعتُبِر خطيب الجامع هو المثل الأول للثقافة الإسلامية أمّا المثقف الثاني وهو القاضي والذي يتلقى علومه في إحدى المدن المجاورة . [٣]

كان لتعيين القضاة من المناطق المجاورة في جبل شمر دور في تعدد العلماء وبروز عدد من أهالي حائل علميّاً وذلك ؛ لأن القضاة يقومون بجانب مهمة القضاء التعليم فقدومهم من أهم العوامل التي أدّت إلى ازدهار الحركة العلميّة وتعدد العلماء ،ومن القضاة الذين قدموا إلى المنطقة في بداية إمارة

---

[١] البسام ، أحمد بن عبد العزيز ، الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، دارة الملك عبد العزيز ، سلسلة الرسائل الجامعية ، الرياض ١٤٢٦هـ ، ص ٤٩-٥٠ .

[٢] العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٧٩-٨٠

[٣] عبيد ، مرجع سابق ، ص ٢٦-٢٧ .

آل رشيد الشيخ عبد العزيز بن عثمان [١] ولاّه الإمام فيصل بن تركي قاضياً في جبل شمر [٢] والشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف [٣] والشيخ عبد الله بن خزام [٤] والشيخ عثمان بن منصور [٥] [٦] وغالباً ما يكون مكث هؤلاء القضاة في حائل هو في وقت المواسم إضافة على وجود القضاة ممن اشتهروا بالعلم من أهل المنطقة ، وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري بدأ تعيين القضاة من سكان المنطقة .

---

[١] عبد العزيز بن عثمان بن عبد الجبار بن أحمد بن شبانه بن محمد آل أبا مسند من آل محمد من الوهبة من تميم . ولد بالمجمعة . رحل إلى الدرعية فقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن والشيخ حمد بن معمر ، عُين قاضياً في عسير وعُمان ثم في منيخ والغاط ثم في الزلفي ، ولما ولى الإمام فيصل بن تركي الأمير عبد الله بن رشيد على جبل شمر بعث معه الشيخ عبد العزيز بن عثمان قاضياً ، أقام في جبل شمر ثلاثة أشهر ثم عاد إلى بلدته وتولى قضاء سدير توفي بالمجمعة ١٢٧٣هـ /١٨٥٧م . يصفه الشيخ علي الهندي قائلاً " كان عالم زمانه في المذهب معظماً عند علماء وقته وهو في الغاية من العبادة والزهادة والعفاف" (البسام ، عبدالله بن عبد الرحمن ، علماء نجدخلال ثمانية قرون ، ج٣، ط٢، دار العاصمة الرياض ١٤١٩هـ ، ص٤٨٨. ؛ الهندي ، علي بن محمد ، زهر الخمائل في تراجم علماء حائل ، تحقيق : إبراهيم عبد الله الحازمي ، ط١ ، دار الشريف ، الرياض ١٤٢٧هـ ، ص ٢٦) .

[٢] العريفي ، أحمد فهد ، قضاة مدينة حائل ١٢٠٠هـ. ١٣٤٠هـ . دار الجسر ، الرياض ١٤١٥هـ ، ص ٢٦ .

[٣] محمد بن إبراهيم بن سليمان بن سيف ، أصله من أهل بلدة ثادق ووالده من علمائها ، تعلم على يد والده وقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، سافر إلى مصر عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م لطلب العلم وأخذ عن علمائها جملة من العلوم . ولاّه الإمام فيصل بن تركي قاضياً في حائل وبقي فيه حتى توفي عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م (البسام ، مصدر سابق ، ج ٥، ص٤٥١ . ؛ الهندي ، مصدر سابق ، ص ٢٩) .

[٤] عبد الله بن خزام من أهل الوشم تولى القضاء في زمن عبد الله آل رشيد وتدل إحدى الوثائق أنه ولي قضاء حائل في النصف الأول من عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م وهو العام الذي تولى فيه عبد الله بن رشيد إمارة جبل شمر . وتاريخ الوثيقة ٢٩/جمادي الأولى/١٢٥٠هـ . ويظهر أنه عُين في قضاء حائل خلفاً للشيخ عبد العزيز بن عثمان الذي أقام في حائل ثلاثة أشهر حتى انقضى الموسم وهو جد الشيخ صالح السالم البنيان لأمه توفي عام ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م . (الهندي ، نفسه ، ص ٢٨ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق... قضاة ، ص ٥٤-٥٥.

[٥] عثمان بن عبد العزيز بن منصور بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن حسين الحسيني الناصر العمري التميمي . ولد بالفرعه . تتلمذ على يد الشيخ عثمان بن عبد الجبار والشيخ إبراهيم بن سيف ورحل إلى الدرعية فقرأ على الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ثم رحل إلى العراق عام ١٢٣٣هـ /١٨١٨م فقرأ على العلماء الألوسيين وعلى داوود بن جرجيس في بغداد وعلى الشيخ محمد بن سلوم في الزبير وأجازه ، تولى قضاء سدير ثم عُين قاضياً في حائل سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م مكث في حائل أربع سنوات ، وتوفي في سدير ١٢٨٢هـ /١٨٦٥م (البسام ، مصدر سابق ، ج٥ ، ص ٨٩ ؛ العريفي ، نفسه ، ص٥٨) .

[٦] الهندي ، مصدر سابق ، ص ٢٦-٣١ ؛ العريفي ، نفسه ، ص ٥١-٥٨ .

كان الشيخ محمدبن إبراهيم بن سيف يشغل منصب القضاء في حائل [١] ، في الفترة التي زار بها فالين المنطقة سنة (١٢٦٢هـ /١٨٤٦م) فقد أشار إلى القضاء قائلاً : " أن القاضي في حائل يتلقى علوماً تعليمية في القاهرة " [٢] إستند على ذلك لأن الشيخ ابن سيف رحل إلى مصر لطلب العلم [٣] فظن أن سفر القضاة إلى مصر غالباً على جميع قضاة جبل شمر .

هُناك عدة عوامل ساهمت في بروز العديد من العلماء من أهالي جبل شمر عمّا كانت عليه ما قبل إمارة آل رشيد من أهمها : اهتمام الحكام بالعلم والعلماء حيث قام الأمراء باستقطاب العلماء من البلدان المجاورة لها ، وتشجيع طلاب العلم وتقريب العلماء في مجالسهم وشراء الكتب الثمينة وإيقافها . حتى أصبح عدد العلماء في المنطقة الذين عاشوا في فترة إمارة آل رشيد يتعدى الثمانين من قُضاة وعلماء [٤]. وإذا أردنا أن نعدد العلماء يصعب علينا حصرهم في هذا المبحث لضيق المقام وإنما نذكر أبرز العلماء في فترة إمارة آل رشيد :

أولاً – عوض الحجي :

هو الشيخ عوض بن محمد الحجي ولد بحائل (١٢٦٠هـ /١٨٤٤م) [٥] . ونشأ بين أهالي لبدة وذكر المزيني " أنه أنشأ المسجد في (لبده) وزرع فيه بذور الإيمان والطلب فكان أول من بدأ مسيرة العلم في هذا المسجد حيث كان إماماً له ، ولي تدريس القرآن بمدينة حائل مدة طويلة ".[٦] تميز الشيخ بتدريس القرآن الكريم والفرائض [٧]، وله دراية بمسائل الفقه وخصوصاً بالمذهب الحنبلي[٨] ، ومن تلاميذه من أصبح مشهوراً وعلماً بالعلوم الشرعية ومنهم : صالح بن سالم البنيان وعثمان بن عبد الكريم العبيداء وعيسى بن حمود المهوس وعبد الله بن خلف الخلف وعبد الله بن مرعي المرعي ومحمد بن عامر العامر وحسن بن صالح السامي وحسن بن محمد الحجي وسالم بن محمد الحجي وإبراهيم بن عبد العزيز المرشدي[٩] . فكان له أثر علمي في إبراز عدد من علماء حائل

---

[١] البسام ، مصدر سابق ، ج ٥، ص٤٥١ ؛ الهندي ، مصدر سابق ، ص ٢٩.

[٢] مصدر سابق ، ص١٤٨.

[٣] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... قضاة ، ص ٥٧ .

[٤] للاطلاع على عدد العلماء الذين عاشوا فترة : إمارة آل رشيد . انظر : الهندي ، مصدر سابق .

[٥] السويداء عبد الرحمن بن زيد ، الثقافة والتعليم في منطقة حائل قبل المدارس النظامية ، ط١ ، السويداء ، الرياض ، ١٤٢٣هـ .

[٦] المزيني ، طارق بن عبده ، النبذه عن مسجد مشائخ لُبدة بحائل ، ط١ ، الرياض ، ١٤١٩هـ ، ص٣٦.

[٧] الهندي ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

[٨] المزيني ، مرجع سابق ، ص٣٦.

[٩] السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة و التعليم ، ص١٢٢ .

وأنشأ مكتبة خاصة به يستفيد منها طلاب العلم ، وذكر العريفي " أنه انتقل جزء كبير من محتويات هذه المكتبة إلى مكتبة الشيخ علي آل صالح سبط الشيخ عوض " [١] فإنشاؤه للمكتبة كان نابعاً من اهتمامه وعنايته بجمع الكتب خاصة العلوم الشرعية . توفي رحمه الله في حائل عام ١٣٠٣هـ/١٨٨٦ م [٢] .

ثانياً – يعقوب بن سعد :

هو يعقوب بن محمد بن سعد ولد في حائل في مطلع العقد السادس من القرن الثالث عشر الهجري . من أبرز شيوخه والده والعلامة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ والشيخ عبد العزيز صالح المرشدي . رُشح للقضاء في حائل وامتنع ثم عُين إماماً وخطيباً ومدرساً في جامع برزان ، ومن صفاته أنه لا يأخذ أجراً على إمامته [٣]، قرأ عليه الكثير من أبناء المنطقة ومن أبرزهم : طلال بن نايف بن طلال العبد الله آل رشيد وخلف بن عبد الله الخلف ويوسف بن يعقوب اليعقوب وعمر بن يعقوب اليعقوب وعبد العزيز بن محمد الهندي وناصر بن حمد الدرسوني وإبراهيم بن عبد العزيز المرشدي وعيسى بن محمد الملاحي [٤] ، وذكر الحازمي " أنه وجد في بعض مخطوطات آل يعقوب أن وفاته في ١٣٢٢/٧/١٣هـ " . [٥] فالمحقق صحح ما ذكره الهندي . رحمه الله . أن وفاته كانت في عام (١٣٢٠هـ /١٩٠٢) [٦].

ثالثاً – عبد الله بن مرعي :

هو عبد الله بن محمد بن مرعي ولد بحائل (١٢٧٠هـ /١٨٥٤م) [٧] قرأ على عدد من العلماء ومن أبرز شيوخه : عطيه المزيني وعبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ ، وبعدما تتلمذ على عدد من علماء مسجد لبده سافر لطلب العلم إلى بريدة فقرأ على علمائها ومن أبرز مشائخه : الشيخ محمد بن عمر بن سليم ومحمد بن عبد الله بن سليم وعبد الله بن مفدي اشتهر رحمه الله في الفقه وأصوله وفي الفرائض والحديث والمصطلح ، وبعد إلمامه بالعلوم الشرعية عاد إلى حائل فالتف

---

[١] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... قضاة ، ص ٢١ .

[٢] المزيني ، مرجع سابق ، ص ٣٦ .

[٣] الهندي ، مصدر سابق ، ص٤٦-٤٧.

[٤] السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة و التعليم ، ص١٢٣.

[٥] الهندي ، مصدر سابق ، تحقيق : إبراهيم الحازمي ، الهامش ص٤٧.

[٦] الهندي ، نفسه ، ص ٤٦-٤٧ ؛ السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة و التعليم ، ص١٢٣.

[٧] السويداء ، نفسه ، ص١٢٤.

حوله عدد من طلاب العلم ومن أبرزهم : سليمان بن عطيه وعبد الرحمن سليمان الملق وحمود الحسين الشغدلي [١] وعبد الرحمن بن ناصر الشاعر ومحمد بن حامد بن مبارك الشاعر وداوود بن محمد الداوود وزيد بن جار الله الزيد ومحمد بن إبراهيم البراهيم وصالح بن محمد الزريقي وصالح بن ناصر الشاعر [٢] . وذكر المزيني " أنه تولى القضاء في حائل وفي سنة ١٣٢٤هـ عُزل عنه وعُيّن مكانه الشيخ صالح السالم آل بنيان إلى وفاته عام ١٣٣٠هـ ثم تعين بعده في القضاء الشيخ عبد المسلم التميمي إلى عام ١٣٣٦هـ فعزله سعود آل رشيد فتشاور هو والسبهان ثم أعاد الشيخ ابن مرعي في ٢٠ صفر ١٣٣٦هـ " [٣] توفي رحمه الله عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م [٤].

رابعاً – عبد العزيز المرشدي :

هو عبد العزيز بن صالح بن موسى بن صالح بن مرشد المرشدي من قبيلة عنزة ، ولد في الرياض عام (١٢٤١هـ / ١٨٢٥م) ومن أبرز مشائخه : عبد الرحمن بن حسن وابنه عبد اللطيف وسليمان بن سحمان وسعد بن حمد بن عتيق قرأ عليهم في الأصول والفروع والحديث ومصطلحه والتفسير والعربية . ولاّه الإمام فيصل بن تركي قضاء سدير عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م ثم ولاّه الزلفي ثم قضاء الرياض وإمامة الجامع ، وبعد ذلك عيّنه الأمير محمد العبد الله آل رشيد قاضياً في حائل حيث استمر قاضياً وإماماً ومدرساً وخطيباً في جامع برزان [٥] أصبح له أثر علمي في المنطقة ، فقد تعلم على يده الكثير من طلاب العلم الذين برزوا في حائل ، فمنهم القضاة والعلماء والنساخ وأبرزهم : يعقوب بن محمد آل سعد وعطية بن سليمان المزيني وصالح بن سالم البنيان وحمد بن محمد أبو عرف الخطيب وإبراهيم بن عبد العزيز المرشدي وطلال بن نائف بن طلال العبد الله آل رشيد وعبد الله بن خلف الخلف وعيسى بن حمود المهوس ومحمد بن عبد العزيز الهندي . [٦] توفي رحمه الله بحائل عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م .[٧]

---

[١] المزيني ، مرجع سابق، ص٨٢.

[٢] السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة والتعليم ، ص١٢٤-١٢٥ .

[٣] مرجع سابق ، ص ٨٢.

[٤] الهندي ، مصدر سابق ، ص٦٤.

[٥] المزيني ، مرجع سابق ، ص٥٤.

[٦] السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة و التعليم ، ص ١٢٧ .

[٧] الهندي ، مصدر سابق ، ص ٥٠ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... قضاة ، ص ٦٨.

خامساً – صالح البنيان :

هو صالح بن سالم بن محسن بن سالم البنيان ، من أبرز علماء حائل ولد بحائل سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م [١] تتلمذ على يد الشيخ عوض الحجي والشيخ عبد العزيز المرشدي [٢] ، ولما قدم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ إلى حائل عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م في عهد الأمير محمد العبد الله آل رشيد لازمه واستفاد من علمه الكثير . سافر الشيخ إلى بريدة لطلب العلم فقرأ على علمائها ومن أبرز مشائخه فيها الشيخ محمد بن سليم [٣]، فعندما أراد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف العودة إلى الرياض في عام ١٣٠٩هـ /١٨٩١ م سافر البنيان معه إليها وقرأ فيها على الشيخ محمد بن محمود [٤] ، وقابل شيخه عبد العزيز المرشدي حيث استمر ملازماً له في جلساته فتعلم من المشائخ في أصول الدين وفروعه وفي الحديث والتفسير وعلوم العربية اشتهر في التوحيد والعقائد [٥] وذكر المزيني " أنه كان من أبرز علماء آل رشيد مدرساً في قصر الإمارة بحائل " [٦]، وهذا دليل على مكانته فهو من علماء حائل الذي اشتهر بصلاته العلميّة مع البلدان المجاورة وردوده على المخالفين للعقيدة السليمة وعلى أصحاب المذاهب الباطلة .

تتلمذ على يده العديد من طلاب العلم الذين أصبحوا علماء واستفادوا من علمه ومعرفته ومن أبرزهم : طلال بن نائف بن طلال العبد الله آل رشيد وحمود بن حسين الشغدلي وعبد الرحمن بن سليمان الملق ومحمد بن حميد الصرير وشكر بن حسين الشكر وعثمان بن عبد الكريم العبيداء وسالم بن علي السويداء والحميدي بن عبد العزيز الرديعان وسالم بن صالح البنيان ، وغيرهم الكثير [٧] ، ومن آثار الشيخ مكتبته التي فيها العديد من الكتب الثمينة والوثائق والمخطوطات القديمة التي استفاد منها طلاب العلم من بعده . [٨]

---

[١] الرديعان ، مرجع سابق ، ص ٢١٢.

[٢] البسام ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٣٦٢ ؛ الرديعان ، نفسه ، ص ٢١٣.

[٣] الرديعان ، نفسه ، ص ٢١٤– ٢١٥ ؛ المزيني ، مرجع سابق ، ص٥٦.

[٤] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... قضاة ، ص٦٩.

[٥] المزيني ، مرجع سابق ، ص٥٦.

[٦] نفسه ، ص٥٧.

[٧] البسام ، مصدر سابق ، ج٢، ص٤٦٤ ؛ الرديعان ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠– ٢٢١؛ السويداء ، مرجع سابق ....الثقافة والتعليم ، ص١٢٨.

[٨] للاطلاع على أشهر محتويات المكتبة ، أنظر : أحمد العريفي ، مرجع سابق ... قضاة ، ص٢٢–٢٤ .

توفي الشيخ رحمه الله في حائل يوم الأربعاء ١٣٣٠/٢/١٨هـ – ١٩١٢/٢/١٧م [١]

سادساً . عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ :

هو عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب . ولد في الأحساء (١٢٦٥هـ /١٨٤٩م) قرأ القرآن وحفظه ثم أتى به والده من الأحساء إلى الرياض في الرابعة عشر من عمره وقرأ على جده عبد الرحمن (ت ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) [٢] . وبعد وفاة والده خرج إلى الأفلاج وقرأ على علمائها وأبرزهم العلامة حمد بن عتيق لازمه ثلاث سنوات فرجع إلى الرياض وقرأ على علمائها . فقد لازم الشيخ عبد الرحمن بن عدوان و فارس الرميح و عبد الله بن حسين المغضوب و محمد بن محمود قرأ عليهم في الأصول والفروع وعلوم العربية والحديث والمصطلح وبعدما اتسع علمه وزاد في العلم شاع صيته فقدم إليه طلاب العلم من كل صوب للاستفادة من علومه . [٣]

قدم إلى حائل بطلب من الأمير محمد العبد الله آل رشيد عام (١٣٠٨هـ /١٨٩٠م) [٤] وجلس فيها للتدريس فأخذ عنه العقائد والتوحيد والحديث والتفسير حيث كانت لإقامته في حائل أثراً كبيراً فقد استفاد العديد من العلماء وطلاب العلم في حائل من علومه [٥] سكن الشيخ في لبده ودرس في مسجدها . [٦] ومن طلاب العلم الذين استفادوا من علمه فترة إقامته الشيخ صالح السالم البنيان وعبد الله بن خلف الخلف ومحمد بن حميد الصويري وحمد بن محمد أبو عرف الخطيب ويعقوب بن محمد آل سعد وناصر بن سعد الهويد (الهواوي) والحميدي بن عبد العزيز الرديعان وعلي بن عبد العزيز الأحمد آل عباس وعثمان بن عبد الكريم العبيداء وحمد بن ناصر الدرسوني وحمود الحسين الشغدلي [٧] .

---

[١] البسام ، مصدر سابق ، ج٢، ص٣٦٤ ؛ الرديعان ، مرجع سابق ، ص ٢٢٩.

[٢] البسام ، نفسه ، ج١، ص ٢١٥ ؛ الهندي ، مصدر سابق ، ص ٤٠ .

[٣] البسام ، نفسه ، ج١ ، ص ٢١٦ ؛ المزيني ، مرجع سابق ، ص٤٣.

[٤] الرديعان ، مرجع سابق ، ص ٢١٤. للاطلاع على قصة قدومه إلى حائل في وقت قدوم الشاعر راكان بن حثلين إلى الأمير محمد العبد الله آل رشيد . أنظر : البسام ، نفسه ، ج١ ، ص٢١٩-٢٢٠.

[٥] الهندي ، مصدر سابق ، ص٤٠.

[٦] البسام ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٢٠ ؛ المزيني ، مرجع سابق ، ص٤٠ .

[٧] البسام نفسه ، ج١ ، ص ٢٢٢ ؛ المزيني ، مرجع سابق ، ص٤٦.

مكث الشيخ في حائل مدة عام ثم غادرها إلى الرياض في عام ١٣٠٩هـ /١٨٩١م فعندما غادر الشيخ حزن طلابه على فرقاه وأنشد الشيخ صالح السالم أبياتاً على فراقه ومطلعها :

شوقي إلى الشيخ شوق الواجد الداء إلى الشفاء أو العطشان للماء

قـــد كان قلبي المعنى قبل رؤيتـــكم في كل يوم له مثوى ببطحاء [١]

توفي رحمه الله في الرياض يوم الجمعة ٢٠/ربيع الأول /١٣٣٩هـ -١/١٢/١٩٢٠م [٢] .

سابعاً – حمود الشغدلي :

هو حمود بن حسين بن محسن الشغدلي ، ولد بحائل عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م لازم إمام مسجد لبده الشيخ عوض بن محمد الحجي عندما كان في السابعة من عمره ، وعندما بلغ درس على يد أول مشائخه الشيخ مبارك بن عواد فقد تعلم منه القرآن والتجويد ، واستزاد في دراسة العلوم الشرعية من تفسير القرآن والحديث والتوحيد والفقه على يد الشيخ صالح السالم البنيان . [٣] ومن المشائخ الذين تتلمذ على أيديهم الشيخ عثمان بن عبد الكريم العبيداء والشيخ عبد الله بن مرعي [٤] ولم يقف الشيخ عند هذا الحد من العلم بل واصل مسيرته العلميّة حيث سافر إلى الرياض عام١٣٢٦هـ /١٩٠٨م وأخذ في دراسة علم النحو على يد الشيخ حمد بن فارس ودراسة التوحيد والفقه على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ حتى أصبح من العلماء الملمين بالعلوم الشرعية . [٥]

ومن خلال تحصيلهِ للعلم أصبح له أثر علمي في حائل فترة إمارة آل رشيد وفي العهد السعودي فهو من علماء حائل المخضرمين .كانت له مجالس للتدريس فقد أصبح طلابه علماء تولوا العديد من المناصب في العهد السعودي ، ومن أبرزهم : علي بن سالم الصالح البنيان ، وعلي بن محمد الهندي (كان مستشاراً في وزارة المعارف) ، وعبد الكريم بن سالم الصالح البنيان (رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حائل) ، وعبد الله الشلاش (مفتش في وزارة المعارف)[٦]

---

[١] الهندي ، مصدر سابق ، ص ٤٠-٤١ .

[٢] البسام ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ٢٢٤ ؛ المزيني ، مرجع سابق ، ص٤٦.

[٣] الشغدلي ، عبد الرزاق بن حمود حسين ، حديث الوثائق سيرة من حياة الشيخ حمود بن حسين الشغدلي وعلاقته بموحد الجزيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ص٢١ .

[٤] البسام ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٣٦ ؛ المزيني ، مرجع سابق ، ص١١٠.

[٥] الهندي ، مصدر سابق ، ص١٠٧ ؛ البسام ، نفسه ، ص١٣٦ ؛ الشغدلي ، مرجع سابق ، ص٢٢ .

[٦] المزيني ، مرجع سابق ، ص١١١.

وعبدالمحسن بن عبد الرحمن الملق إمام مسجد لبده ومحمد إبراهيم المشاري (مدرس بالمدرسة السعودية) وعلي بن عبد العزيز المشاري (مدرس بالفيصلية بحائل) [١] .

ومن آثاره مكتبته التي أنشأها حيث استفاد منها طلاب العلم في حائل حتى وقتنا الحاضر وذلك لما تضمنته المكتبة العديد من الكتب التي تختص بالعلوم الشرعية ومؤلفات العديد من علماء نجد،وهي لا تزال قائمة في أيدي أحفاد الشيخ [٢] ، استمر الشيخ قاضياً في حائل منذ تعيينه عام ١٣٤٣هـ /١٩٢٤م حتى أحيل للتقاعد لكبر سنه عام ١٣٧٨هـ /١٩٥٨م توفي الشيخ رحمه الله في ١٣٩٠/١٢/٨هـ - ١٩٧١/٢/٣م . [٣]

ثانياً . المكتبات الخاصة في جبل شمر :

تعتبر المكتبات من أهم مظاهر التطور الثقافي والحياة العلميّة في جبل شمر والتي كان أغلبها مكتبات خاصة بالعلماء وإنشاء المكتبات الخاصة كان نابعاً من اهتمام العلماء في جمع الكتب والتنافس على اقتنائها [٤] ، ويعود وجود المكتبات والخزائن العلميّة في المنطقة والتي تشتهر بالعديد من أصناف الكتب والمخطوطات الثمينة كغيرها من بلدان نجد إلى استجابة منطقة جبل شمر للدعوة الإصلاحية حيث كان القضاة يُرسلون من قبل الإمام إلى جبل شمر وقت المواسم [٥] وغالباً ما كان يأتي هؤلاء القضاة من قبل مراكز نجد العلميّة كالعارض وسدير .

وبعد قيام إمارة آل رشيد في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ظهر وقف الكتب على طلبة العلم بشكل واضح ، فقد أوقف الأمير عبيد العلي آل رشيد كتاب (الممتع في شرح المقنع) لإبن المنجي المنسوخ سنة ٩٠٨هـ /١٥٠٢م أوقفه على طلبة العلم في المنطقة سنة١٢٦٥هـ/١٨٤٩م بشرط ألاّ يخرج منها وهو مختوم بختمه ، وفي هذه السنة أوقف عبيد ما يزيدعلى عشرة كتب على طلبة العلم وكما هو الحال بالنسبة لابنه حمود العبيد [٦] ، وفي عام

---

[١] الشغدلي ، مرجع سابق ، ص٣٨.

[٢] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... قضاة ، ص٢٤ . للاطلاع على محتويات المكتبة أنظر : الشغدلي ، نفسه ، ص١٤٢ .

[٣] البسام ، مصدر سابق ، ج٢، ص ١٣٨-١٤٠ ؛ الشغدلي ، نفسه ، ص٢٤-٢٥ .

[٤] العريفي ، مرجع سابق ، ص٢٠.

[٥] العثيمين ، مرجع سابق ، ص٤٥.

[٦] وقفية الأمير عبيد بن رشيد وختمه للجامع مع الصغير سنة ١٢٦٥هـ ١٨٤٩م (الرديعان ، مرجع سابق ، ص ٣٨) .

١٢٦٦/ ١٨٥٠م أوقف عبيد عدداً من الكتب على طلبة العلم بشرط أن لاتباع ولاتخرج من حائل[١].

ومن أبرز المكتبات في جبل شمر فترة إمارة آل رشيد ما يلي :

أولاً – مكتبة صالح بن سالم البنيان : عندماتوفي الشيخ رحمه الله في عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م ورثها عنه وزاد فيها ابنه علي (ت١٣٩٩هـ) [٢] ، والمكتبة قائمة إلى الآن يستفيد منها طلاب العلم والعلماء ، وهي برعاية أبناء الشيخ علي الصالح ، ومن أشهر ما تحتويه المكتبة :

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس ، مخطوط عام ١٠٦٠هـ بخط عمر بن أحمد الصديقي ، وعلى الكتاب وقف عبيد بن رشيد .
- سيرة ابن هشام مخطوط سنة ١١١٩هـ بخط عبد الرحمن بن محمد بن الشيخ شعيب .
- غزو الجيوش الإسلاميّة لابن قيم الجوزية مخطوط سنة ١٢٢٩هـ بخط عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب .
- عنوان المجد لعثمان بن بشر ، مخطوط سنة ١٢٥١هـ بخط محمد بن حمد ابن نصر الله بن فوزان بن نصر الله بن محمد بن عيسى بن حمد بن عيسى بن صقر بن مشعاب .
- الداء والدواء لابن قيم الجوزية ، مخطوط سنة ١٢٩٦هـ بخط عبد الله بن علي بن محمد الغنيمي .
- تفسير الإمام محمد بن جرير الطبري ، مخطوط سنة ١٣١١هـ . خط بعض أجزائه الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل الشيخ وبعضها بخط الشيخ سليمان بن سحمان وبعضها بخط عبد العزيز بن صالح الصرامي ، وعلى الكتاب وقف حمود آل عبيد آل رشيد[٣].

وتحتوي هذه المكتبة على (٢٩٤) مخطوط [٤] ، و (٩٠٠) كتاب مطبوع طباعة قديمة ، و(٤٠٠) كتاب مطبوع طباعة حديثة [٥].

---

[١] وثيقة بخط عبدالمحسن ابن سيف تثبت وقف الأمير عبيد بن علي آل رشيد عدداً من الكتب على طلبة العلم في حائل في عام ١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م . مكتبة الدكتور / خليف بن صغير الحسيني الشمري بحائل .

[٢] الهندي ، مصدر سابق ، ص١٢ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... قضاة ، ص٢٢ .

[٣] العريفي ، نفسه ، ص٢٢-٢٣-٢٤.

[٤] الرديعان ، مرجع سابق ، ص ١٠٢.

[٥] السويداء ، مرجع سابق .... الثقافة والتعليم ، ص٦٠ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... قضاة ، ص٢٢.

ثانيا – مكتبة المهوس : أنشأها الشيخ عيسى المهوس وهي تضم أكثر من عشرة آلاف كتاب . انتقلت إلى الشيخ عبد الله بن بليهد فأخذ بعضها وبيع أكثرها بثمن بخس[١]

ثالثاً – مكتبة آل يعقوب : أنشأها الشيخ محمد بن سعد وابنه الشيخ يعقوب وتحتوي على ١٦٩مخطوط [٢] ،ومن بين المخطوطات التي تحتويها المكتبة (مختصر الجامع الصغير) الذي أوقفه عبيد بن رشيد على طلبة العلم [٣] ، وفي العهد السعودي أتى سيل على حائل دخل على المنازل ومن بين هذه المنازل منزل اليعقوب الذي فيه المكتبة واندثرت العديد من الكتب بسبب السيل بعدها نقل ما سلِم من الكتب في عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م إلى مكتبة المعهد العلمي .[٤]

رابعاً – مكتبة الحجي : أنشأها الشيخ عوض والذي كان له اعتناء بجمع الكتب ، وانتقل جُزء كبير منها إلى مكتبة الشيخ علي صالح البنيان سبط الشيخ عوض . [٥]

خامساً –مكتبة الشغدلي : أنشأها الشيخ حمود الحسين وهي من أشهر المكتبات في حائل يستفيد منها طلاب العلم والعلماء(حتى وقتنا الحاضر) ، وتحتوي على العديد من كتب التفسير والحديث والفقه والتوحيد والتاريخ والجغرافيا واللغة العربية والطب فهي تحتوي على (٤١٧) من كتاب مطبوع ومخطوط . [٦]

فقد أُنشت تلك المكتبات بجهود أصحابها الذاتية النابع من محبة اقتناء الكتب بالطرق المتاحة في تلك الفترة وذلك إما عن طريق الشراء أو الإهداء أو الاستنساخ أو الوقف [٧] .

ثالثاً – أثر النساخ في إحياء الحركة العلمية :

للنساخ دور كبير في إحياء الحركة العلمية في منطقة جبل شمر خصوصاً في فترة إمارة آل رشيد، حيث نمت المكتبات وتنوعت مصادرها ومحتوياتها بأنواع جديدة من الكتب وتكون هذه الطريقة إمّا بتبديل نسخة إضافية من كتاب مُعين بنسخة زائدة من كتاب آخر أو إعارة نسخة من

---

[١] الهندي ، مصدر سابق ، ص١٢.

[٢] الرديعان ، مرجع سابق ، ص ١٠٣.

[٣] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... قضاة ، ص٢١.

[٤] معلومات أمدني بها عبد الرحمن اليعقوب يوم الخميس ١١/ ١٤٣٣/٢هـ في منزل الشيخ سعود المتعب الحمود آل سبهان (رحمه الله) بالرياض .

[٥] الهندي ، مصدر سابق ، ص١١ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... قضاة ، ص٢١.

[٦] الشغدلي ، مرجع سابق ، ص١٤٢.

[٧] السويداء ، مرجع سابق .... الثقافة و التعليم ، ص٥٨.

الكتاب إلى صاحب مكتبة أخرى ليقوم باستنساخه بنفسه أو يعطيه أحد النساخ في حائل لكتابة نسخة منه . [١]

لم يكن هناك أثر واسع للنساخ ماقبل إمارة آل رشيد وفي بداياتها ، بسبب قلة عدد النساخ . فقد كان لقدوم العلماء والقضاة إلى منطقة جبل شمر وقيامهم بالتدريس أثر كبير في زيادة أعداد المتعلمين للقراءة والكتابة ، ووجود العديد من سكان المنطقة المهتمين بالعلم وجمع الكتب ، فإذا قارنت ما بين أسماء النساخ ما قبل الإمارة وفي بدايتها مع أسماء النساخ وما نسخوه منذ سنة (١٢٨٠هـ /١٨٦٣م) وما بعدها تجد تطوراً في زيادة أعداد النساخ . وإستمرت حركة نسخ الكتب من قبل طلبة العلم حتى ظهرت المطابع في العهد السعودي [٢] .

قام النساخ بجهد كبير في إحياء المكتبات ، ولم يقتصر عملهم على نسخ الكتب فحسب وإنما قاموا بكتابة العديد من الوثائق والصكوك فقد حفظوا لنا تراثاً تاريخياً [٣] ، وكانت وسيلة النسخ من الوسائل المعينة لبعض طلبة العلم والعلماء على الحفظ والاطلاع وسعة المعرفة [٤] .

أبرز النساخ في جبل شمر :

١- سالم بن عبد الله الشلش (١٢٦٠هـ-١٨٤٤م/ ١٣١٠هـ- ١٨٩٣م)

٢- شكر بن حسين الشكر (١٢٧٢هـ-١٨٥٦م/ ١٣٣٧هـ -١٩١٩م) فقد كان خطه جميلاً كتب (المدهش) لابن الجوزي مُشكّلاً ، وكتب (آداب المشي إلى الصلاة) للشيخ محمد بن عبد الوهاب مُشكلاً أيضاً [٥].

٣- ناصر السعيد الهويد (ت ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م) وذكر عنه الهندي " كان حسن الخط جداً كتب بقلمه كثيراً من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب " [٦] .

---

[١] السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة والتعليم ، ص٦٢.

[٢] الرديعان ، مرجع سابق ، ص٣٦.

[٣] الهندي ، مرجع سابق ، ص١٣.

[٤] الرديعان ، مرجع سابق ، ص٤٠.

[٥] الهندي ، مصدر سابق ، ص١٣ ؛ السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة و التعليم ، ص٦٣.

[٦] نفسه ، ص٦٩.

٤- علي بن عبد العزيز الأحمد العباس (١٣٠٦هـ-١٨٨٩م/ ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م) [١] وذكر الهندي قائلاً : " له خط جميل جداً ذكر لي أنه كتب المدهش لابن الجوزي بقلم قصب لا يتجاوز طوله الإصبع ". [٢]

٥- خلف بن عبد الله الخلف (١٢٨٥هـ-١٨٦٨م/ ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م) نسخ الدرر البهية في المسائل الفقهية.

٦- عطية بن سليمان المزيني (ت ١٣٣٠هـ /١٩١٢م) نسخ الرد على الزنادقة .

٧- محمد بن حميد الصريري (١٢٩٠هـ- ١٨٧٣م/ ١٣٥٨هـ -١٩٣٩م) رسالة في التجويد ومصباح الضلام .[٣]

ومن خلال ذكر أسماء النساخ والفترة التي عاشوا بها يؤيد ما ذكرناه سابقاً أن بروز النُساخ في حائل بشكل واضح هو ما بعد عام (١٢٨٠هـ /١٨٦٣م) حتى اتسعت حركة النساخ بشكل أكبر في مطلع القرن الرابع عشر الهجري حتى ظهور المطابع في العهد السعودي .

رابعاً – أثر الحكام في ازدهار الحركة العلميّة :

تمسك حكام جبل شمر آل علي و آل رشيد بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . رحمه الله . والتي مصدرها القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع السلف الصالح كمنهج أساسي في الحكم ، وكان لحكام آل علي الفضل . بعد الله . في تأييد نفوس أهالي جبل شمر للدعوة الإصلاحية.[٤]

أما حكام آل رشيد فقد ظهر في عهدهم دعم قوي للحركة العلمية في الجبل ؛ وذلك لخدمة الدين . فقد طلب الإمام فيصل بن تركي من الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) مراسلة الأمير عبيد بن رشيد رسالة جواب على خلاف بين أهل العلم في حائل وهي مما يأمر به الوالي عموم المسلمين يقول الشيخ عبد الرحمن في أولها : " بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الرحمن بن حسن إلى الأخ المحب عبيد بن رشيد سلمه الله تعالى وهداه ووفقه لما يحبه ويرضاه آمين " . فقدكان رده " سلام عليكم ورحمة الله وبركته ، وبعد : وصل الخط وسرنا طيبكم وسلامتكم ونحمد إليكم الله تعالى على ما أسداه من الأنعام ، وما منّ به مِن معرفة دين

---

[١] الرديعان ، مرجع سابق ، ص ١١٨.

[٢] الهندي ، مصدر سابق ، ص١١٤ .

[٣] الرديعان ، مرجع سابق ، ص ١١٧- ١١٩.

[٤] وثيقة رقم (١) في ملحق الوثائق (رسالة من الإمام تركي بن عبد الله إلى الأمير صالح آل علي) الرديعان ، نفسه ، ص٥٠ .

الإسلام نسأل الله المزيد من ذلك والثبات عليه والاستقامة والمحافظة عليه ، وذلك فضله وإحسانه تعالى لمن وفقه له وهداه له ، وما ذكرت من أن بعض الناس ، يوجب صيام يوم الثلاثين من شعبان إذا حال دون منظره غيم أو قتر"[١] .

ومن خلال ما ذكره عبيد بن رشيد في رده على رسالة الشيخ أدبه واحترامه للعلماء واهتمامه في المسائل الفقهية التي تهم المسلمين وتعينهم على طاعة الله عز وجل فهو ينظر لها أنها أساس في الحكم ، وكذلك ذكره لنعمة الله وهي من أهم النعم معرفة الدين الصحيح وأنه يرجو الثبات والمحافظة . وهذا يتضح بأن الحكام لهم دور كبير في ازدهار الحياة العلمية وبالأخص العلوم الشرعيّة . فالأمير عبيد هو الساعد الأيمن لأخيه عبد الله في تأسيس الإمارة وتوطيد الحكم . فدور الحكام له أثر على الحياة العلميّة بحيث وجد العلماء أرضاً خصبة للنهوض بالعلم في حائل .

فقد كان لأمراء آل رشيد أثر ديني على ساكني الجبل لذا وصف بالجريف الذي زار حائل ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م الأمير عبيد بالرجل المتعصب للدعوة الوهابية وقال عنه : " كان عبيد ملتزماً وورعاً بعيداً عن أي علاقة بغيضة كإرتداء حرير أو استخدام تبغ ومداوماً على تلاوة القرآن لأوقات طويلة " [٢] .

لم يقتصر تشجيع الحركة العلمية على الأمير عبيد فحسب ، وإنما على عدد من أمراء آل رشيد فكذلك هو حال الأمير محمد العبد الله لا يختلف عن حال عمه في حُب الخير ووقف الكتب وإجلال العلماء واحترامهم الذين قدموا إلى حائل ما قبل إمارته وفي فترة إمارته ، ومن أشهر العلماء الذين قدموا إلى حائل في عهده الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ حيث مكث مدة عام ١٣٠٨ . ١٣٠٩هـ . فتلك الفترة التي مكث بها تتلمذ على يده العديد من طلاب عِلم ومن علماء . فالدور الأساسي هو الحاكم في تشجيع العلماء بالقدوم إلى المنطقة وتشجيع طلاب العلم بالاستفادة من علمهم ، وهذا يتضح في اتجاه الحكام إلى الاهتمام بالدين وأهله . [٣]

ذكر نولده الذي زار حائل في عهد محمد العبد الله آل رشيد " أن ابن رشيد انغمس في الترف الثقافي ، فجلب عدداً من المدرسين من سوريا ومصر ، وكان يحاول بمساعدتهم توسيع نشر التعليم بين أتباعه " [٤] ، فما ذكره نولده دليل على اهتمام الأمير بتطوير الحركة العلمية والاستفادة

---

[١] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١ ، ص٦٧ .

[٢] مصدر سابق ، ج١، ص٢٤٣ ؛ العريفي ، نفسه ، ص٦٦ .

[٣] السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة والتعليم ، ص١٢٩ .

[٤] مصدر سابق ، ص٥٠-٥١ .

من العلماء ولم يقتصر فكره على علماء نجد فحسب وإنما على الأقطار الأخرى ، وذكر داوتي عن محمد العبد الله قائلاً : " طلب الأمير من نصر أن يقرأ في كتابٍ كبير من كتب التاريخ كان موضوعاً على الرف ، ومغلفاً بغلاف أحمر ويحمل عنوان (أخبار الدول وآثار الأول) [1] ، وطلب من نصر أن يقرأ من القسم المكتوب في هذه الكتاب عن النبي عيسى ابن مريم " [2] ، ومن خلال ما ذكره داوتي أن الأمير يخصص جلسات علميّة لا تقتصر على العلوم الشرعية ، وهذه الجلسات العلمية يأتي إليها العديد من العلماء فجلسات الأمراء العلميّة تعطي دافعاً قوياً لازدهار الحركة العلمية .

ومن الحكام الذين لهم دور في ازدهار الحركة العلميّة الأمير حمود العبيد آل رشيد فقد كان دوره لا يقتصر على وقف الكتب على طلبة العلم ، وإنما فتح مجلسه للعلماء كالندوات العلميّة التي يعقدها علماء حائل ، ففي مجلسه يقرأ العلماء من مختلف الكتب الدينية والتاريخيّة والأدبية ، ومن الأمثلة على ذلك كان الشيخ جار الله الحماد يقرأ عند الأمير كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي حيث وافته المنيّة وهو يقرأ عام ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م فحزن عليه الأمير حمود ورثاه في الحال بقوله:

يا معجم البلدان هبيت وألويت ... من بعد أبو حماد ما بك شفاة

من عقب ما أنت عنبر صرت حلتيت ... لو نجلبك ما حللوك الشراة [3]

فالحكام هم أصحاب الدور الأساسي في ازدهار الحركة العلميّة ، وذلك عن طريق تشجيع العلماء وطلاب العلم مادياً ومعنوياً وإيقاف الكتب الثمينة في المكتبات .

خامساً – المدارس في جبل شمر :

اتخذت المساجد أماكن للتعليم حيث كان التعليم يتم في الكتاتيب ثم يواصل طلاب العلم تعليمهم في المساجد حيث يتلقون العلم على العلماء والمشائخ في العلوم الشرعية وغيرها فالمسجد هو المدرسة الذي يجتمع به طلاب العلم مع العلماء [4] ، وفي بداية إمارة آل رشيد كانت المدارس محدودة فقد وصف بالجريف مجالس العلم عند الأمير طلال العبد الله ت ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦ م

---

[1] هذا الكتاب لأبو العباس أحمد الدمشقي القرماني (ت ١٠١٩هـ) .

[2] مصدر سابق ، ج١ ، المجلد الثاني ، ص٤٣٦.

[3] السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة والتعليم ، ص٤٦.

[4] الحماد ، مرجع سابق ، ص١٢٠.

بأنه يُقرأ عليه شيء من السيرة أو صحيح البخاري [١] .

أمّا في عهد الأمير محمد العبد الله آل رشيد ازدهرت هذه المدارس وبدأت الحلقات العلميّة بشكل أوسع فقد نمت الحركة العلميّة وزاد عدد الطلاب والعلماء ، ويذكر نولده ويوافقه داوتي أيضاً فقد زاروا حائل فترة إمارة محمد العبد الله آل رشيد قائلين: " في حائل أربع مدارس " [٢] ، ويقصد بالمدارس أماكن التعليم (المسجد) فهي ليست مدارس نظاميّة ، وأبرز المساجد التي تعقد فيها مجالس العلم مسجد لبدة وجامع برزان وقد ذكر موزل عندما زار حائل (١٣٣٤هـ / ١٩١٤م) أن أكبر المدارس في حائل مدرسة الشيخ عبد العزيز المرشدي في جامع برزان ومدرسة الشيخ عبد الله بن مرعي في لبدة [٣] .

أما طريقة التدريس في هذين المسجدين على طريقتين الأولى : الشرح والتدريس وهذه للمتون في الأصول والفروع وغيرها . الثانية : جرد المطولات من الكتب العلميّة كالصحاح والسنن والتفسير وكتب ابن تيميّة وابن القيّم وغيرها ، وكذلك تتميز هذه المدارس بالاهتمام بمقابلة النسخ [٤] الخطيّة على أصولها المنقولة عنها ، ومن ذلك أن الشيخ صالح البنيان قرأ على شيخه عوض الحجي إغاثة اللهفان وصححه منه [٥] ، وقابل الشيخ صالح الرد على الزنادقة والجهميّة للإمام أحمد واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية مع أحد تلاميذه عام (١٣١٢هـ /١٨٩٤م) [٦] وكذلك قابل ا لقطر الصيّب في الكلم الطيب لابن القيم ، نسخة ثم قابله مع عبد الله بن عتيق الخرجي في ١٣١١/٢/١١هـ - ١٨٩٣/٨/٢٤م) [٧] .

ومن أشهر طلاب العلم وعلماء مسجد لبدة : الشيخ عوض بن محمد الحجي ت (١٣٠٤هـ/١٨٨٧م) والشيخ صالح بن سالم البنيان ت (١٣٣٠هـ/١٩١٢م) الشيخ حمود بن حسين الشغدلي ت (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م) والشيخ عبد الله بن محمد بن مرعي

---

[١] بالجريف ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٦٥.

[٢] مصدر سابق ، ص٥٠ ؛ مصدر سابق ، ج٢ ، المجلد الأول ، ص٦٧ .

[٣] البادي ، مرجع سابق ، ص١٩٢.

[٤] المقابلة : أي قراءة كتاب مخطوط على الأصل الذي نُقل منه ، أو على نسخة أتقن منه .

[٥] وثيقة رقم (١٠) ملحق الوثائق . الرديعان ، مرجع سابق ، ص ٥١٧ .

[٦] وثيقة رقم (٥٦) ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٥٧٠ .

[٧] وثيقة رقم (٥٧) ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٥٧١ .

ت(١٣٣٧هـ/١٩١٩م) والشيخ عثمان بن عبد الكريم العبيداء ت (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٦م) ، فقد تميز أهل العلم في هذا المسجد بتأليف الردود على طريقة أئمة الدعوة . حيث ألّف الشيخ عوض الحجي ت (١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م) رداً على داوود بن جرجيس عالم العراق في كتاب سمّاه (الصواعق في أجوبة أنموذج الحقائق) ولم يقتصر دورهم في الردود ، وإنما أيضاً لهم دور في الأحداث السياسيّة ومن ذلك أن الشيخ حمود الشغدلي عندما علم بتحركات الملك عبد العزيز الأولى عام (١٣٣٨هـ /١٩١٩م) أرسل إليه يُذكره بالله تعالى وبحرمة الدماء والأعراض . [١]

أما المدرسة الثانية في جامع برزان ومن أشهر طلاب العلم وعلماء الجامع : الشيخ محمد بن سيف ت (١٢٦٥هـ /١٨٤٩م) والشيخ محمد بن سعد ت (١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م) والشيخ عبد العزيز المرشدي ت (١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م) والشيخ يعقوب بن محمد بن سعد (١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م) والشيخ عطيه بن سليمان المزيني ت (١٣٣٠هـ /١٩١١م) والشيخ عبد الله بن خلف ت(١٣٤٤ هـ ١٩٢٥م) [٢] ، فقد كان لهؤلاء العلماء أثر واضح في كثرة الكتب الموقوفة عليهم من أهل الخير الذين زودوا المكتبات بالعديد من الكتب الثمينة ، فقد كان الشيخ عبد العزيز المرشدي ناظراً لبعض أوقاف آل سعود وآل رشيد ، كوقفية نورة بنت الإمام فيصل بن تركي[٣]، ووقفية رقية متعب آل رشيد[٤]، وكذلك ناظراً لوقفيات بعض الوجهاء والمحسنين كوقفية الوجيه عبد الله بن عبد الرحمن البسام لكتاب الإنصاف [٥] .

وعلماء هذا الجامع هم الأقرب لأمراء آل رشيد من مسجد لبدة حيث كان المرشدي قاضياً حتى وفاته وعلاقته كانت قوية بالحكام ،وكذلك علاقة آل يعقوب بآل عبيد قوية ومتينة ، وما يؤيد ذلك أن الصدر الأعظم في الباب العالي استانبول صادق على المخصصات المالية التي رفعها وكيل نظارة المالية (وزارة المالية) لتُصرف شهرياً رواتب لثلاثة من علماء جامع برزان مع المؤذن في ذي القعدة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م وهؤلاء العلماء هم : الشيخ عبد الله بن خلف و الشيخ حمد الخطيب

---

[١] الرديعان ، مرجع سابق ، ص٤٥-٤٦-٤٧ .

[٢] الرديعان ، نفسه ، ص٤٩.

[٣] وثيقة رقم (١٧) ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٥٢٤ .

[٤] وثيقة رقم (١٨) ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٥٢٥ .

[٥] البسام من وجهاء عنيزة وتجارها وصديقاً لآل رشيد أوقف الكتاب عام (١٣١١هـ /١٨٩٣ م) أنظر : وثيقة رقم (١١) ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٥١٨ .

و الشيخ يوسف اليعقوب [1] .

وقد ساهمت هذه المدارس في كثرة العلماء وطلاب العلم حيث أصبح تنافس ما بين طلاب العلم مما زاد من الحركة العلميّة في جبل شمر استمرت هذه المدارس في المساجد حتى بدأ العهد السعودي وبدأت المدارس النظاميّة في المنطقة حيث افتتح الشيخ سليمان حمد السكيت عام ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م أول مدرسة أهلية على النمط الحديث ثم أعقب ذلك في عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م افتتاح أول مدرسة ابتدائية نظامية احتوت مدرسة الشيخ السكيت وصارتا مدرسة واحدة هي المدرسة السعودية بحائل [2] .

---

[1] وثيقة رقم (١/٢١) ، ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٥٢٨-٥٣١ .

[2] السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة والتعليم ، ص١٢١-١٢٢ .

المبحث الثاني– العوامل التي زادت من صلة علماء جبل شمر بجنوبي العراق :

أولاً . العامل السياسي :

بعد إعتلاء عبد الله بن رشيد الحكم في جبل شمر أخذ يوسع سلطانه [١] ، وفي عهد إمارة محمد العبد الله امتد حكم آل رشيد إلى أطراف العراق ومشارف الشام وجميع مناطق نجد [٢] نتج عن اتساعها ترسيخ الصلات وتقويتها ما بين منطقة جبل شمر وجنوبي العراق،وذلك لوجود الأمن ، فقد قامت العديد من الصلات والتي أهمها الصلات الاقتصادية والعلميّة في إمارة آل رشيد .

كانت العلاقات ما بين الدولة العثمانية وإمارة آل رشيد طيبة وعلاقات مبنية على المصالح المشتركة بين الطرفين ،فالمناطق الواقعة في جنوبي العراق من إحدى الولايات التابعة للدولة العثمانية ويدل حُسن العلاقات السياسية ما بين المنطقتين أن الأمير عبد الله بن رشيد كان يملك مجموعة ثمينة من الخيول تقارب مائتي حصان موزعة في مختلف أنحاء إمارته وأنه اعتاد بدافع الصداقة أن يهدي اثنين مما تنتج خيوله الأصيلة إلى والي بغداد [٣] ، فالهدف وراء الهدايا هو سياسي ؛ وذلك لأن معظم أهالي جبل شمر يهاجرون إلى العراق ، وكان هذا الأمير يرى أن العلاقات السياسية بين المنطقتين يجب أن تكون جيدة ومتينة .

وإذا نظرنا إلى هذه العلاقات السياسية المترابطة بين جبل شمر وجنوبي العراق نتج عنها العديد من الصلات من بينها الصلات العلميّة ، فلو كانت هذه العلاقات سيئة بين المنطقتين لما كانت بينهما صلات حضاريّة ، لذا ساعدت العلاقات بوجود صلات علمية ما بين علماء جبل شمر وجنوبي العراق .

ثانياً . العامل الاقتصادي :

للموقع الجغرافي في جبل شمر أثر كبير في قدوم القوافل التجارية والحجاج من بلاد العراق وإيران التي تمر بها ، مما ساعد في وجود صلات اقتصادية بين المنطقتين، فقد عمل آل رشيد على استمرار هذه القوافل وتوفير الحماية والأمن لها لما يعود ذلك من فائدة على إمارتهم، فقد كان عبد الله بن رشيد يستفيد من قدوم تلك القوافل بفرض الضرائب عليها وقد أسهم دخله منها في تغطية كثير

---

[١] فالين ، مصدر سابق ، ص١٤٠ .

[٢] الحماد ، مرجع سابق ، ص٨٠-٩٩ .

[٣] فالين ، مصدر سابق ، ص ١٥٤ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P59

من مصارفه واحتياجات الإمارة [١]، وهذه الضرائب لم تعرف نسبتها بالتحديد في عهد عبد الله بن رشيد [٢]،ومهما كانت نسبة الدخل الاقتصادي إلاّ أنها استمرت من بعده، فقد قام طلال العبدالله بعد أبيه في تأمين هذه القوافل وحمايتها وزاد من ذلك بتطوير التجارة والحرف حيث أنشأ في حائل أسواق ومستودعات ، واستقدم التجار والحرفيين فقد قام بإرسال دعوات للتجار في النجف وبالفعل زاروا حائل بشكل مستمر بهدف التجارة وعرض عليهم الإقامة في حائل حيث تم تأجير عدد من تلك المحلات عليهم وبدأوا بممارسة أنشطتهم التجارية حتى أصبح لهم سوق يسمى (سوق المشاهد)[٣] .

فقد نتج عن الصلات الاقتصادية ما بين المنطقتين زيادة في الصلات العلميّة فقد ذكر فالين عن الحياة العلمية في جبل شمر قائلاً : " والكتب باستثناء القرآن الكريم قليلة جداً هُنا مثل قلتها في الصحراء ولا يملكها سوى القاضي وعدد ضئيل من الناس وكتب القاضي تتعلق بالفقه وهو حريص عليها وقد أكد لي أنه اشتراها من مشهد علي (النجف) ولم أقع بينها على أي كتاب في التاريخ"[٤] فإذا نظرنا إلى فترة قدوم فالين الأولى إلى جبل شمر أنها في عهد مؤسس الإمارة عبد الله بن علي آل رشيد (١٢٥٠ / ١٢٦٣هـ / ١٨٣٥/١٨٤٧م) ، فماذكره فالين عن الحركة العلمية والكتب في تلك الفترة كان محصوراً على القاضي محمد بن سيف ، لكن المتعارف عليه أن هناك أشخاص مهتمين في الحركة العلمية من علماء جبل شمر كالشيخ عوض الحجي والأمير عبيد الرشيد فقد كانت لديه مكتبه عامرة بالكتب .

أمّا من حيث جلب الكتب وشراءها من النجف مع وجود الاختلاف المذهبي ما بين جبل شمر (حنبلي) منهج أهل السنة والجماعة ومذهب النجف (شيعي) أنه ليس كل ما هو موجود في مكتبات النجف يخالف المذاهب السنيّة الأخرى ففيها كتب الحديث والتفسير ومؤلفيها من أهل السنة وكذلك يقوم العلماء بشراء كتب الروافض لمعرفة أخطائهم والردود عليها ،فشراء الكتب من النجف أمر طبيعي ، فالعامل الاقتصادي له دور كبير في وجود الصلات العلميّة ما بين المنطقتين

---

[١] Baran , THE RASHIDI ,P58 ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص ٧٥ .

[٢] Wallin, Narrative of Journey from Cairo to Medina and Mecca by sues, Araba, Ta wila, Al-Jouf, Jubbe, Hail and Najed in 1845, P19.

[٣] نولده ، مصدر سابق ، ص٥٠ ؛ فاسيلييف ، مرجع سابق ، ص٢٣١ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P59

[٤] مصدر سابق ، ص ١٥٠ .

فعندما تذهب القوافل التجاريّة إلى جنوبي العراق وتجلب معها البضائع تأتي بالعديد من الكتب والمجلات العلميّة .

ثالثاً . العامل الاجتماعي :

لهجرة القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية إلى العراق وخاصة المناطق الواقعة جنوبي العراق أثر كبير في استمرار الصلات الحضارية ، ومن تلك القبائل التي هاجرت قبيلة شمر وما يجاورها من القبائل في منطقة جبل شمر حيث هاجرت واستقرت في جنوبي العراق ، فقد كانت تلك الهجرات المستمرة التي لم تنقطع ذات أثر بارز في وجود صلات متعددة الجوانب ما بين المنطقتين، فهذه الهجرات من جبل شمر إلى جنوبي العراق كانت بداياتها ما قبل القرن التاسع الهجري ومن أقدم من هاجر من شمر هم : آل قشعم ، وذكر السويداء " هاجر منها سعد المعروف (راعِ الذلول) إلى جنوب العراق ليلحق بمن سبقه من آل قشعم مع ثامر الذي هاجر إلى جنوب العراق سنة (٧٩٥هـ /١٣٩٣م) " . ومن تلك الفترة استمرت الهجرات ما بعد هجرة آل قشعم [١] ، ومنها هجرة زوبع والتي عرفت وقائعها سنة (١١٦٩هـ/ ١٧٥٦م) ورئيسهم بكر الحمام وكذلك الغرير [٢] ، ومن بعدهم هجرة آل جرباء والتي كانت هجرتهم في مطلع القرن الثالث عشر الهجري (١٢٠٥/١٧٩١هـ) . [٣]

فقد كانت لتلك الهجرات التي ما قبل إمارة آل رشيد المتعاقبة على فترات إلى جنوبي العراق دليل على تشجيع أقاربهم في جنوبي العراق للهجرة إليهم عندما تتغير عليهم الظروف في جبل شمر وذكر العزاوي " وإذا كان هؤلاء انقطعوا من نجد فإنهم لا يزالون يعدون أنسابهم فالبدو إذا أمحلت ديارهم أكرموهم وقربوا إخوانهم في العراق ووسعوا لهم المجال فكانوا على الرحب والسعة " [٤] . وبالفعل لم تنقطع هذه الهجرات ما بين المنطقتين ففي بداية إمارة آل رشيد يذكر فالين إلى أن أفراداً وعائلات يهاجرون يومياً من جبل شمر إلى بلاد الرافدين للالتحاق بأقاربهم هناك ممن هاجروا قبلهم ، ويذكر أنه في العادة تسير أربع قوافل كبيرة في السنة من حائل إلى العراق غير أن جماعات صغيرة وأفراداً يسافرون يومياً تقريباً إلى العراق [٥] ،فهذه القوافل تعتبر عاملاً اقتصادياً إلاّ أن لها أثراً اجتماعياً

---

[١] مرجع سابق ... منطقة حائل ، ص٣١٠ .

[٢] العزاوي ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٩٩ – ٢٣٠ .

[٣] ويليا مسون ، مرجع سابق ، ص٤٦ .

[٤] مصدر سابق ... أوراق من تاريخ نجد ، ورقة ٦ .

[٥] مصدر سابق ، ص ١٥٢-١٥٣ .

حيث تصاحب بعض الجماعات من جبل شمر هذه القوافل وذلك ؛ لأنها في الغالب تكون تحت الحماية والحراسة من قطاع الطرق .

وليست الهجرات المتتابعة من جبل شمر إلى جنوبي العراق وحدها تعتبر عاملاً من عوامل الصلات الإجتماعية فحسب ، وإنما قدوم أعداد من سكان جنوبي العراق إلى جبل شمر في هجرات معاكسة فزيادة قوة إمارة آل رشيد سياسياً وحضارياً له أثر في جذب العديد من سكان جنوبي العراق إلى جبل شمر وذلك للتجارة ، فقد قدم المشاهدة من النجف إلى المنطقة في عهد الأمير طلال العبد الله [١] .

هذه الهجرات التاريخية سواءً من جبل شمر إلى جنوبي العراق أو العكس لها دور في الصلات العلمية بين المنطقتين ، فعندما يأتون إلى جبل شمر يجلبون معهم الكتب أضف إلى ذلك الرسائل المتبادلة التي ما بين العلماء في جبل شمر وجنوبي العراق قد تكون عن طريق أولئك المهاجرين التي لم تنقطع صلتهم ببلدهم الأصل .

ومن عوامل الصلات العلميّة هي هجرة قسم كبير من أهالي نجد إلى المناطق الواقعة في جنوبي العراق وخاصةً الزبير أُطلق عليها " نجد الصغيرة " حيث يوجد فيها أكبر جالية نجدية [٢] ، ومن أولئك المهاجرين العديد من العلماء والأدباء الذين أصبح لهم أثر في ازدهار الحركة العلميّة في تلك المناطق والتي كانت أصولهم من نجد [٣] ، ومن العلماء الذين هاجروا من جبل شمر إلى جنوبي العراق الشيخ نوري الموصلي [٤] الذي أسندت إليه مهمة التدريس في مدينة الزبير في مدرسة الرشديّة [٥] .

---

[١] فاسيلييف ، مرجع سابق ، ص ٢٣١ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P57 ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص٨١.

[٢] الجار الله ، مرجع سابق ، ص١٢٨ .

[٣] للاطلاع على تراجم العلماء النجديين في الزبير . أنظر : الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص١٧٧-١٨٤ .

[٤] هو : نوري بن عبد القادر الموصلي ينتمي إلى قبيلة شمر . رشحته الحكومة التركيّة ما بعد التدريس في المدرسة الرشدية والقضاء في سوق الشيوخ وبعد فترة من الوقت أسند إليه القضاء في الناصريّة مركز لواء المنتفق في العراق شغل هذا المنصب فترة من الزمن ثم طلب للتعليم في الكويت في عهد مبارك الصباح فلبى الطلب وأسندت إليه مهمة التدريس في مدرسة المباركيّة . (الصانع و العلي ، نفسه ، ج ٣، ص١٨٦-١٨٧) .

[٥] تأسست المدارس الرشدية خلال الحكم العثماني في العراق عام (١٢٦٣هـ/٨٤٧م) سميت نسبة للسلطان العثماني محمد رشاد فتحت في أغلب الولايات العثمانية وكانت على درجتين ثانوية وابتدائية . ففتحت في الزبير مدرسة الرشدية الابتدائية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري وكانت تعلم القراءة والكتابة والقرآن الكريم والحديث فأقبل عليها الطلاب وبعدما تنتهي المرحلة الأولى من تدريس مبادئ اللغة التركية وغيرها من العلوم الشرعية يقصد الطلاب بغداد ليكملوا دراستهم الثانوية فإذا نجح بعدها يُرسل إلى استانبول لدراسة الحربية في كليات استانبول ليتخرج منها ضابطاً في الجيش العثماني برتبة ضابط ركن . (الصانع والعلي ، نفسه ، ج٣ ، ص٤١-٤٣) .

ومن خلال ذلك يتضح لنا أن العامل الإجتماعي له دور في زيادة الصلات العلمية مابين المنطقتين فعندما يسافر أحد العلماء أوطلبة العلم من جبل شمر إلى جنوبي العراق يكون حرصه الأول زيارة من تربطه بعلماء جنوبي العراق صلة القرابة أو صلة المكان (المنشأ)، أضف إلى ذلك أنهم يحرصون على زيارة علماء نجد المستقرين في الزبير ، وذلك للقرب الإجتماعي فجميعهم من سكان نجد ، ولوحدة المذهب (الحنبلي) ، ولتقارب أفكارهم ومعتقداتهم التي مصدرها الكتاب والسنة النبوية .

رابعاً ـ العامل الديني والعلمي :

لم يكن جميع السكان في المدن الواقعة جنوبي العراق يعتنقون المذهب الشيعة ، وإنما اشتهر المذهب ؛ لوجود المزارات التي فيها (النجف وكربلاء) وهي من أهم مزارات الشيعة ، فمدينة البصرة والزبير أغلب سكانها وعلمائها من أهل السنة والجماعة ، وذكر الحيدري عن مذهب أهل البصرة قائلاً : " وأهل البصرة والجنوب من أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام الشافعي [1] وأما سكنة شط العرب فهم رفضه والرفضة الذين في البصرة ليسو من أهل البصرة بل من العجم والبحرين ، وبعض أهل البادية من شط العرب وغيرهم ممن ترفض فإن كان بصري الأصل سني ، وكذا كل جنوبي سني وترفض أهل شط العرب وغيرهم من نواحي البصرة " [2] ، فما ذكره الحيدري دليل على أنه ليس كل من كان في جنوبي العراق تأثر في المذهب الشيعي لقربهم من النجف وكربلاء ، ويجزم بأن كل بصري الأصل سني لم يتأثر بالشيعة ، فوحدة الاعتقاد السُني ما بين البصرة وجبل شمر يعتبر عاملاً من عوامل الصلات العلميّة ما بين المنطقتين .

وحدة المذهب الحنبلي لها دور في الصلات العلميّة ما بين المنطقتين فسكان جبل شمر من أهل السنة والجماعة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل [3] ، وهو ما قامت عليه الدعوة الإصلاحية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب [4] ، وذكر فالين عن مذهب القضاة والعلماء في جبل شمر قائلاً:

---

[1] ينسب إلى محمد بن إدريس القرشي (ت ٢٠٤هـ / ٨٢٠م) نشأ في الحجاز بين مكة والمدينة حيث تلقى العلم على مالك وسمع منه الموطأ . وأخذ عنه فقهه ولازمه حتى مات مالك . انتقل الشافعي بعد ذلك بين اليمن وبغداد ومكة ، ثم نزح إلى مصر سنة ١٩٩هـ/ ٨١٥ م. فإستقر بها حتى وفاته ودفن فيها وما زال قبره بالقاهرة في حي يعرف باسمه . (عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، ط٢ ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٦هـ ، ص٤٧) .

[2] الحيدري ، فصيح بن السيد صبغة الله ، أحوال البصرة ، دار البصرة ، بغداد ، ١٣٨١هـ ، ص٦ .

[3] ينسب إلى أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م) ولد في بغداد تنقل ما بين الكوفة والبصرة ومكة والمدينة والشام والمدينة لجمع الحديث وقد صحب الشافعي أخذ عنه اعتمد مذهبه في الفقه على الحديث فإذا وجد حديثاً صحيحاً لم يلتفت إلى غيره وإذا وجد فتوى من الصحابة عمل بها . (عاشور ، مرجع سابق ، ص٤٨) .

[4] فاسيلييف ، مرجع سابق ، ص٨٢ ؛ عبيد ، مرجع سابق ، ص٢٦.

" إن القاضي في هذه الديار هو الممثل الآخر للثقافة الإسلاميّة ويعينه الأمير أيضاً في منصبه ويتلقى علومه في إحدى المدن الكبيرة المجاورة على علماء يدرسونه فقه المذهب الحنبلي "[١] .

وذكر الحيدري عن مذهب أهالي الزبير قائلاً : " فأهلها كلهم من أهل السُنة والجماعة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، وفيهم بعض علماء الحنابلة وكثير من طلبة الفقه على مذهب ابن حنبل من ذوي الفهم والذكاء " [٢]،وكذلك المدارس في الزبير أغلبها يُدرس فيها الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل [٣] .

فالتشابه السني خصوصا في المذهب الحنبلي ما بين السكان في جنوبي العراق و جبل شمر له دور في وجود صلات علميّة بين المنطقتين ، لأن الارتباط ما بينهما يتعلق بالمسائل الفقهية وطلب الكتب التي تتعلق بالمذهب الحنبلي وكذلك الردود على أصحاب البدع المنحرفة عن الدين الصحيح .

خامساً – مرور قوافل الحج بجبل شمر :

كان لمرور الحجاج من العراق عن طريق مركز إمارة آل رشيد الذين قاموا بتأمين وحماية تلك القوافل أثر كبير في ازدهار الحياة العامة في إمارة آل رشيد ، فكما أن لقدوم الحجاج أثر في الحياة الاقتصادية كذلك كان لقدومهم أثر في ازدهار الحياة العلميّة ، فمرور الحجاج بجبل شمر القادمين من العراق قد يكون معهم عدد من العلماء والفقهاء وتكون معهم الكتب التي يبيعونها أويهدونها،وذلك لأن الحركة العلمية كانت في أوج نشاطها في العراق من القرن الثاني إلى السابع الهجري [٤] . فبقدومهم تزدهر المكتبات بالعديد من الكتب الثمينة إما عن طريق البيع أو الإهداء فتبادل الكتب يعتبر عاملاً من عوامل الصلات العلميّة ما بين المنطقتين ، وذكر العريفي عن الطرق التي يقوم بها العلماء لجمع الكتب في مكتباتهم الخاصة أن منها : " شراء الكتب من السواح والحجاج الذين يمرون بحائل في طريق ذهابهم وإيابهم فتقصر بهم النفقة فيضطرون إلى بيع شيء من أمتعتهم ومن ذلك ما يكون لديهم من كتب نفيسة " [٥] ، فجمع الكتب من الحجاج القادمين من العراق وتزويد المكتبات كان عاملاً في وجود صلات علميّة ما بين المنطقتين .

---

[١] مصدر سابق ، ص ١٤٨ .

[٢] مصدر سابق ، ص٧ .

[٣] الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٤٤ .

[٤] Baran , THE RASHIDI ,P58 ؛ السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة والتعليم ، ص٥٨.

[٥] مرجع سابق .... قضاة ، ص٨٧ .

المبحث الثالث ــ صلة علماء جبل شمر بالعلماء العراقيين .

كان لازدهار الحركة العلميّة في جبل شمر دورٌ كبير في وجود صلات علميّة ما بين المناطق الأخرى ، حيث ظهر فيها العديد من العُلماء البارزين على مستوى نجد والبلدان المجاورة ، فهذا الازدهار العلمي كان وراءه تشجيع الحكام للعلماء ولطلبة العلم ، وهمّة أولئك العلماء في طلب العِلم وتحصيله وحرصهم في جميع الكتب واقتنائها في المكتبات الخاصة بهم ، فجميع ذلك أوجد صلات علميّة بين جبل شمر والبلدان المجاورة ، أضف إلى ذلك الصلات الاقتصادية ما بين المنطقتين ، وقدوم الحجاج ووحدة المذهب كلها ساهمت في تقوية الصلات العلميّة ما بين المنطقتين ،وتختلف الصلة ما بين العلماء فمنها ما يكون :

١- عن طريق السفر إلى المناطق الواقعة في جنوبي العراق .

٢- عن طريق إرسال الكتب .

٣- المراسلات الوديّة فيما بينهما ، أو المراسلات التي تتعلق بالمسائل الفقهية ، أو الردود على أهل البدع .

ومن أبرز علماء جبل شمر الذين كانت لهم صلات علمية مع العلماء العراقيين فترة إمارة آل رشيد:

أولاً . عوض بن محمد الحجي [1]:

لم تكن صلته العلميّة بعلماء جنوبي العراق عن طريق السفر ، وإنما كانت عن طريق جواب الشيخ عوض عندما سُئل في مسألة في الفرائض ، وأجاب عليها فقد قسم التركة ما بين الورثة حسب السؤال ، وهذه المسألة تتكون من ورقتين كتب الجواب في ورقه ونصف وفي آخر الجواب كتب قائلاً: " والله أعلم قاله الفقير إلى ربه الحكيم الخبير عوض بن محمد قال بفمه ورقمه بقلمه بعد العشاء الأخير لخمس مضين من ذا القعدة سنة ١٢٨١هـ " . أمّا النصف الآخر من الورقة الثانية ففيها

---

[1] تنسب أسرة الحجاجا التي في لبدة إلى الحاج محمد بن عوض الجارحي من سكان قصر العشروات ولا تزال في القرية حوطة الحجاجا معروفة ، انتقلت الأسرة إلى حائل في أول القرن الرابع عشر الهجري ولهم بقية قليلة العدد في هذا العهد في الرياض ، أما بداية استقرار الشيخ عوض الحجي في حائل البلدة كان في حدود عام ١٢٨٠هـ . (الرديعان ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ - ١٦٧) .

جواب مُفتي لواء المنتفق قائلاً " أما محيي الأموات وكاسيها .... تكاد هذه التحريريات تهب الروح .. فبخٍ بخٍ لمن أنشأها وقدر في ردها .. ولا زال لابساً ثياب العافية ".[1]

يتضح لنا من خلال تلك الوثيقة والتي تحتوي على ورقتين أن جواب مفتي لواء المنتفق لم يكن معارضاً لفتوى الشيخ عوض ، فقد اقتنع بالإجابة ودعا له ، فالصلة ما بينهما وديّة تحمل معها أيضاً العبرة والعظة من الدنيا وأنها ليست دار قرار ، وذلك عندما ذكر في بداية جوابه :" أما ومحيي الأموات وكاسيها " ، وما نريده من خلال جواب مفتي المنتفق كيفية الصلة التي كانت فيما بينهما فالمصادر التاريخية لم تذكر أن الشيخ عوض الحجي قد سافر إلى جنوبي العراق [2]، فالفترة التي كتب فيها المسألة أنه كان مقيماً في حائل [3] ، أما إذا كان هناك احتمال في قدوم مفتي لواء المنتفق إلى جبل شمر فهو احتمال ضعيف ، وذلك أن عالماً بمكانته لم يكن لقدومه أثر في المصادر التاريخية خاصةً التي تتعلق بتراجم العلماء ، فأغلب العلماء الذين قِدموا إلى جبل شمر ذُكروا في المصادر التي تختص بالحياة العلميّة [4] ، أما الاحتمال الآخر بأن السائل أتى من العراق لهدف واحد هو السؤال فقط في هذه المسألة فهذا بعيد وذلك ؛ لوجود العديد من العلماء البارزين في المسائل الفقهية التي تتعلق بالفرائض في البصرة والزبير وغيرها من المناطق الواقعة في جنوبي العراق ، ونرجح أنه قد يكون السائل من الحجاج أو أحد التجار أصحاب القوافل التجارية الذين قدموا إلى حائل وقابل الشيخ وسأله عن المسألة وأخذ معه الجواب " الموثق " إلى بلده وعرضه على مفتي لواء المنتفق وعلّق عليه ورد الجواب إلى حائل كالرسائل الأخرى والمكاتبات ما بين علماء جبل شمر وعلماء العراق .

للشيخ عوض الحجي رد على عالم العراق داود جرجيس [5]كغيرها من الردود التي ألّفها

---

[1] وثيقة رقم (١/٤٣) (٢/٤٣) ملحق الوثائق . الرديعان ، مرجع سابق ، ص٥٥٥-٥٥٦ . معلومات زودني بها الأستاذ /حسان بن إبراهيم الرديعان في ١٤٣٣/٥/٣هـ . ذكر لي بأن الوثيقة وجدها في إحدى المكتبات ا لخاصة بعلماء حائل .

[2] الهندي ، مصدر سابق ، ص٣٥-٣٧ ؛ المزيني ، مرجع سابق ، ص٣٦-٣٧ ؛ الرديعان ، مرجع سابق ، ص١٦٦-١٧٣.

[3] الرديعان ، نفسه ، ص١٦٧ .

[4] معلومات زودني بها الأستاذ / حسان الرديعان في ١٤٣٣/٥/٣هـ .

[5] هو داود بن سليمان بن جرجيس البغدادي النقشبندي الخالدي الشافعي (١٢٣١-١٢٩٩هـ / ١٨١٦- ١٨٨٢م) صنّف كُتباً صغيرة منها أشد الجهاد في إبطال دعوى الاجتهاد رد بها على حنابلة نجد فيما ينسب إليهم من دعوى الاجتهاد. (الرديعان ، حسان ، فضيلة الشيخ صالح بن سالم آل بنيان (حياته ، أثاره ، جهوده العلمية) ، دار التوحيد ، الرياض ١٤٢٩هـ ص١٧٩) .

العلماء[1] لإظهار الشبهات التي وقع فيها ابن جرجيس ، وأنها مخالفة للشرع تُبعد عن الحق والصراط المستقيم . فقد ألّف الشيخ عوض الحجي(الصواعق في أجوبة أنموذج الحقائق) [2] ، وهي كشف الشبهات التي تتعلق بمسألة دعاء الأنبياء والصالحين والتبرك بقبورهم والتقرب منهم كما يُتقرّب إلى الله عز وجل (تعالى الله عمّا يقول) ، فأسلوب الشيخ في الرد على نهج أهل السنة والجماعة وهي الاستدلال بالقرآن الكريم والسنة النبوية والأخذ بها بعيداً عن هوى النفس وما ذكره الأئمة كأقوال الشيخين ابن تيميه وابن القيم ، فقد ذكر الشيخ في البداية " أمّا بعد فيقول الفقير إلى الله الرحيم القدير ، الذي إذا حضر لم يُعد وإذا غاب لم يُفقد عوض بن محمد أنّا قد عثرنا على رسالة أنموذج الحقائق فإذا هي تُقرر الشرك في عبادة الخالق لداود بن سليمان بن جرجيس تضمن عبادة الطاغوت وطاعة إبليس "[3].

وضح الشيخ حقيقة الوسيلة وأنها على نوعين استدل بهما الشيخ من الأحداث التي وقعت في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخلفاء الراشدين . **الأول** : باطل وهو أن يتوسل بذات الشيخ ولو كان التوسل بالذات لتوسل عُمر ـ رضي الله عنه ـ بذات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما استسقى ، وقد ذكر الشيخ أنه لا خلاف في أن ذات الرسول . صلى الله عليه وسلم . أشرف وأطهر وأفضل ذوات المخلوقين على الإطلاق وهذا النوع من وسائل الشرك .

الثاني : التوسل بالدعاء وهذا لا خلاف فيه عند أهل العلم وهو جائز أن يتوسل بدعاء أهل الصلاح كما فعله عمر ومعاوية وغيرهما وحديث الغار أنهم توسلوا إلى الله بصالح أعمالهم[4] .

تطرق الشيخ إلى الشفاعة وبدأ بقوله تعالى : " من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه " [5]. وبيَّن موقف أهل السُنة والجماعة في الشفاعة وهي أنها ثابتة بدليل عندما قال أبو هريرة " من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله " . فهي لا تطلب إلاّ من الله ولا تقع إلاّ بإذنه ، واستدل الشيخ بما ذكره ابن

---

[1] الرد على داوود بن جرجيس حدث من عدد من علماء الدعوة كالشيخ عبد الرحمن بن حسن (١١٩٣- ١٢٨٥هـ/١٧٧٩ ١٨٦٨م) . و الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٢٥- ١٢٩٣هـ / ١٨١٠- ١٨٧٦م) في كتاب سمّاه (منهاج التقديس في الرد على داود بن جرجيس) أكمله الشيخ محمود شكري الألوسي . فما قام به الشيخ عوض الحجي تأثراً بعلماء الدعوة . (البسام ، مصدر سابق ، ج١، ص ١٩٢ ؛ ابن بشر ، عنوان ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص٢٧٩.

[2] أمدني بالمخطوط مشكوراً الأستاذ حسان بن إبراهيم الرديعان .

[3] الحجي ، الصواعق في أجوبة أنموذج الحقائق ، ورقة ١ .

[4] الحجي ، نفسه ، ورقة ٤ .

[5] سورة البقرة ، الأية : ٢٥٥ .

تيميه وحقيقة الشفاعة أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دُعاء من أُذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود ، أما التوسل بالأموات فهو شرك بالله[1].

ومن خلال صلات الشيخ العلمية يتضح لنا سعة إطلاعه في الفرائض وإجادته في حل تلك المسألة ، ويثبت ذلك إقتناع عالم لواء المنتفق بجواب الشيخ ، أضف إلى ذلك سعة إطلاعه في علم العقيدة ، فكشف الشبهات والردود على تلك البدع من الكتاب والسنة النبوية وأراء علماء الإسلام كالإمام احمد ابن حنبل ، وابن القيم ، والشيخ محمد بن عبدالوهاب لايجيدها إلا عالم متعمق في مسائل العقيدة و ومن خلال ردالشيخ يتضح لنا تواضعه على الرغم من علو مكانته العلمية ، وذلك عندما إستخدم في مقدمته كلمات بسيطه واصفاً بها نفسه ،اعتمد الشيخ في رده على ابن جرجيس أسلوب الإقناع من خلال الأحداث التاريخية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ والأدلة الصريحة التي تتعلق بالتوسل من الكتاب والسنة ، فالشيخ عوض الحجي كغيره من علماء الدعوة البارزين الذين يعتمدون في ردودهم على حجة وقوة الدليل .

ثانياً – صالح بن سالم البنيان :

كانت لجهود الشيخ صالح في طلب العلم وتحصيله آثار بارزة في ازدهار العلم في حائل حيث كان أحد العلماء البارزين في نجد ، فقد سعى لطلب العلم بهمة عالية ، فقرأ على علماء حائل والوافدين إليها ، ومن أبرزهم الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ والشيخ عبد العزيز المرشدي والشيخ عوض بن محمد الحجي ، لم يكتفِ الشيخ عند هذا القدر من العلم لذا سافر إلى بريده والرياض ، وبعد عودته إلى حائل أصبح الشيخ صالح إماماً وفقيهاً وعارفاً بالمذهب الحنبلي وله إدراك تام وسعة اطلاع خاصة في التوحيد والعقائد .[2]

فالجهد الذي قام به أدّى إلى صلاته العلميّة مع علماء نجد ، ولم تقتصر صلاته العلمية عند هذا الحد وإنما امتدت مع علماء الشام [3] والأحساء [4] والعراق ، وما نريده صلاته العلميّة مع

---

[1] الحجي ، مصدر سابق ، ورقة ٧ .

[2] المزيني ، مرجع سابق ، ص٥٦-٥٧ .

[3] من علماء الشام الذي كانت بينه وبين الشيخ صالح مراسلات علميّة الشيخ : عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني ولد وتوفي بدمشق (١٢٥٣-١٣٣٥هـ) . فقد كانت رسالته إلى الشيخ صالح مؤرخة عام (١٣٢١هـ / ١٩٠٣م) . (الرديعان ، مرجع سابق ، ص٢٢٨ .

[4] من علماء الأحساء الذي كانت بينه وبين الشيخ صالح مراسلات علمية الشيخ : عبد القادر بن عبد الله البزاز العبادي المعروف بشنون (ت ١٣٢٨هـ) كان قاضياً في القطيف . فقد كانت رسالته إلى الشيخ صالح مؤرخة في عام (١٣٠٧هـ / ١٨٩٠ م) . (الرديعان ، نفسه ، ص٢٢٨) .

العلماء العراقيين ، فقد كانت صلته مع عالم العراق نعمان الألوسي [1] ، فقد أرسل الألوسي رسالة تتكون من ورقتين إلى الشيخ صالح مؤرخة في (١٥/٤/١٣١١هـ - ٢٥/ أكتور / ١٨٩٣م) قائلاً في رسالته : " أما بعد بعد إهداء وافر السلام والنبأ الذي يباري الشقيق والخزام إلى العالم التقي والفاضل النقي الأخ في الله جناب الشيخ صالح بن سالم آل بنيان لا برح صالح الفعل سالم الجسيم شيد بنيان الفضل " [2] ، ومن خلال ما ذكره الألوسي في مطلع رسالته يتضح أن صلاتهم قوية وودية فيما بينهم وأن الصلات فيما بينهم لم تكن بدايتها هذه الرسالة أو رسالتين وإنما قد تكون أكثر من ذلك ، وهذا واضح من خلال اختيار الكلمات والألفاظ الطيبة التي تدل على عمق الصداقة فيما بينهم والتي مبدأها المحبة في الله ، ويدل على ذلك عندما ذكر في رسالته :" فإني أشتاقكم كما تشتاقون " [3].

أرسل صالح السالم رسالة إلى نعمان الألوسي والتي ذكرها الألوسي في رسالته أنها وصلت إليه في (٢/٢/١٣١١هـ - ١٤/ أغسطس / ١٨٩٣م) ، ومن خلال رسالة الألوسي يتضح أن رسالة صالح السالم التي أرسلها إليه من محتوياتها نقاش حول عدد من الكتب الموجودة لدى الشيخ صالح يريد نقاشه عنها ومعرفة رأيه ، فكان جواب الألوسي طلب هذه الكتب من الشيخ ، لأنها ليست موجودة لديه ، ويدل على ذلك عندما ذكر في رسالته :" ثم ما ذكرتم من جهة الكتاب مصباح الظلام في الرد على عثمان بن منصور فإنه ليس موجود عندنا وكذا بغية المرتاد المنعوت بالسبعينية فهو من أعظم ما نبتغيه ولكم الفضل وأما كتاب الاعتصام لأحمد الخزاعي فلم أره ولا يوجد عندنا ثم إذا كان يمكن استنساخ الجزء الأخير أي النصف الثاني من كتاب منهاج السنة لشيخ الإسلام وكذا النصف الثاني من بدائع الفوائد للشيخ ابن القيم أرجو استكتابهما لأنه عندي من كل منهما النصف الأول"[4].

ومن خلال تلك الوثيقة يتضح لنا إهتمام الشيخين في الكتب التي تتعلق بردود العلماء على أصحاب البدع والأمور الشركية ، وهذا الإهتمام كان نابعاً من حرصهم في التمسك بالدعوة الإصلاحية ، والتي مبدأها عبادة الله كما جاء في الكتاب والسنة النبوية ، ومحاربة البدع والشرك بجميع

---

[1] للاطلاع على ترجمة الألوسي أنظر : ص ٩١ من هذه الدراسة .

[2] وثيقة رسالة من الشيخ نعمان الألوسي يطلب فيها من الشيخ صالح البنيان تزويده بعدد من كتب الحنابلة . في ١٥/ ٤ /١٣١١هـ ، مكتبة صالح بن سالم البنيان . بحائل .

[3] وثيقة رسالة من الشيخ نعمان الألوسي ١٥/٤/ ١٣١١هـ .

[4] وثيقة رسالة من الشيخ نعمان الألوسي ١٥/٤/ ١٣١١هـ .

أنواعه ، وأن تلك المناقشات فيما بينهما عن عدد من الكتب نتج عنها تبادل ثقافي ، فالكل يزود الآخر بمالديه من الكتب التي لم تكن موجودة في مكتبة أحدهما أو في بلده .

ويتضح لنا أيضاً سبب الصلات فيما بينهما وهو نشر المذهب الحنبلي ، فقد ذكر الألوسي في رسالته: " وإذا يمكن أيضاً شراء المغني في الفروع أو المنتهي أو شرح الإقناع أو غيرهم من كتب الحنابلة المفصلة فنزداد شكراً وليت أن مثل هذه الكتب كان يطبعها بعض من له سعة لنشر مذهب الإمام أحمد ومع ذلك يربح دنيا وأخرى لأن كتب مذهبه قلّت أو اضمحلت " [1] .

أما اختيار مراسلة الشيخ صالح السالم من علماء حائل فهذا يرجع إلى بروز الشيخ بالفقه الحنبلي . فقد وصف نفسه بالحنبلي وعدّه الشيخ سليمان بن حمدان (ت ١٣٩٧هـ) من متأخري الحنابلة . أضف إلى ذلك اهتمام الشيخ بنسخ العديد من الكتب خاصة رسائل شيخ الإسلام ابن تيميه فنسخ التدمرية سنة (١٢٩٩هـ / ١٨٨٢م) ونسخ المدهش في المواعظ والخطب لابن الجوزي سنة (١٢٩٨هـ / ١٨٨١م) وقرأ مقابلة في كتب كثيرة على أصولها المنقولة عنها : كالردّ على الزنادقة والجهميّة للإمام أحمد ، وتملكه للعديد من الكتب [2] ، فجميع ذلك أعطاه مكانة علميّة زاد بها على معاصريه من علماء المنطقة ، فما قام به من جهد لنصرة المذهب السليم مذهب أهل السنة والجماعة ، وإبطال البدع ، قد ساعد في وجود صلات علميّة دفعت بالألوسي لطلب الكتب ومناقشتها . وقد كانت وسيلة الصلة التي فيما بينهما هي الرسائل المتبادلة. فالرسائل المتبادلة والتي في محتوياتها المحبة في الله ، والاشتياق، وطلب الكتب وإرسالها ، وجميعها تعتبر صلات علميّة على المستوى الشخصي ما بين الشيخين (رحمهما الله) ، وعلى مستوى نجد وحائل والعراق بشكل عام لأن كل عالم يُمثل البلد الذي ينتمي إليه .

ثالثاً – الشيخ حسن الحجي :

هو حسن بن محمد بن عوض الحجي ولد عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م تتلمذ على يد أخيه عوض الحجي وأخذ عنه القرآن والتجويد ومن مشائخه الشيخ صالح السالم البنيان [3] ، ويذكر الهندي : " كان مولعاً بالكتب وحفظ الأدبيات والحكم والوصايا حسن القراءة جداً كان وسطا في الفقه والفرائض والعربية " [4] ، وللشيخ أثار علميّة وأدبيّة ، فقد كتب قصيدة طويلة بعنوان (صدى

---

[1] وثيقة رسالة من الشيخ نعمان الألوسي ١٥/٤/ ١٣١١هـ .

[2] الرديعان ، مرجع سابق ، ص٢١٤ – ٢١٧ .

[3] الرديعان ، نفسه ، ص٢٦١ .

[4] مصدر سابق ، ص٧٤ .

الحرب) طُبعت عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م بمطبعة اللواء بمصر ، وهي في معركة الصريف ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م التي وقعت بين عبد العزيز المتعب آل رشيد ومبارك الصباح[١] ، والتي منها ثناؤه على الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ عندما نصح الأهالي بالمحافظة على ولائهم والبقاء على بيعتهم للأمير عبدالعزيز آل رشيد قائلاً :

وبلاد نجد أرجفت وتحيرت بوسواس الشيطان والهذيان

إلا أناسا حافظين لعهدهم ووفائهم والفضل للمنان

كالشيخ عبدالله من حفظ الوفا فرعى الأمانة واتقى الرحمن[٢]

ومن قصائده عندما قال الشيخ إسماعيل المقرئ قصيدة في ذم النفس قام بتخميسها [٣] ، وهي من القصائد الجميلة في ذم النفس .

ومن آثاره العلميّة أنه كان ناظراً لأوقاف بعض المحسنين فقد أوقف مقبل بن عبد الرحمن الذكير [٤] عدداً من الكتب في حائل على طلبة العلم وجعل النظر لبعضها بيد الشيخ حسن [٥] وكذلك وقفية الحاج محمد بن مصطفى أغا البغدادي وإثبات الوقفيّة بخط الشيخ حسن الحجي [٦].

---

[١] خليف الشمري ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ ؛ صورة من غلاف الكتاب المطبوع ، وثيقة رقم (١٣٦) ملحق الوثائق . الرديعان ، مرجع سابق ، ص٦٤١.

[٢] الشمري ، نفسه ، ص٢١٠.

[٣] التخميس : أحد الفنون الشعريّة ويعتمد على الصنعة وهي تشطير أبيات القصيدة إلى خمسة أشطر يكون صدر البيت الأصلي عجز آخر بيتين وعجز الشطر الخامس الذي يكون منفرداً لوحدة ويعتبر قفلة للبيتين . قال الشيخ إسماعيل المقرئ قصيدة في ذم النفس منها :

نفس ابن آدم لو تسامت للسما فالنقص مسؤول على أخلاقها

تطغى إذا استغنت ويكثر زهورها وتذل ثم نقل في إملاقها

فقام الشيخ حسن الحجي بتخميسها قائلاً :

والنفس داعية الهلاك وكلما رأت الهوى مالت إليه وقلما

يرجو لنجاء مطيعها لكنما نفس ابن آدم لو تسامت للسما

فالنقص مسئول على أخلاقها

(السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة والتعليم ، ص١٠٣-١٠٤)

[٤] نزحت أسرته من الزلفى واستقرت في عنيزه . نشاط هذه الأسرة تجاري ومقر إقامته في البحرين ، أصبح الذكير من أشهر تجار اللؤلؤ لُقب (بفخر التجار) ووكيلاً لماركة كارتينه الفرنسية الشهيرة ، نشرت له مؤخراً صحيفة " الوسط " البحرينية صورة التُقِطتْ عام (١٩١١م) تجمعه مع تاجر اللؤلؤ المصمم للمجوهرات الفرنسي كارتييه (توفي عام ١٩٢٣م) عن عمر يناهز ٨٠ عاماً . (الشبيلي ، عبد الرحمن، مقبل الذكير ، الشرق الأوسط ، الأحد ٢٤/ذو الحجة / ١٤٣٢هـ ، العدد ١٢٠٤٥) .

[٥] من الكتب التي أوقفها الذكير على طلبة العلم في حائل والناظر عليها حسن الحجي كتاب (الكشاف القناع عن متن الإقناع) للشيخ منصور بن إدريس الحنبلي . (وثيقة رقم (١٣٢) ملحق الوثائق . الرديعان ، مرجع سابق ، ص٦٣٧) .

[٦] وثيقة رقم (١٣٣) ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٦٣٨ .

أما صلته العلميّة مع علماء جنوبي العراق كانت عندما سافر الشيخ إلى البصرة ، فالهدف الأساسي من ذهابه إلى البصرة لم يكن لصلة علمية ، وإنما لهدف سياسي ، وذلك عندما أرسله الأمير عبد العزيز المتعب آل رشيد وكيلاً في البصرة التابعة للحكومة العثمانية ، أقام في البصرة مدة سبع سنوات[١] ، ولم تذكر الوثيقة تحديداً تاريخياً أثناء ذهابه لأول مرة إلى البصرة ، وقد يكون ذهابه إلى البصرة ما بعد معركة الصريف (١٣١٨هـ / ١٩٠٠م) وذلك لكتابته قصيدته المشهورة ، بعنوان (صدى الحرب) والتي تتعلق بأحداث المعركة فكتابته للقصيدة أنه كان قريباً من ذلك الحدث السياسي ، أضف إلى ذلك حاجة عبد العزيز آل رشيد لمساعدة الحكومة العثمانية له ما بعد معركة الصريف لذا قال الشيخ في وصيته :" بعثني عبد العزيز لأجل تنفيذ أحواله عند الحكومة [٢] .

هذه الفترة التي أقام فيها والتي تتعلق بالأوضاع السياسيّة والعلاقات السياسية ما بين حكومة آل رشيد والحكومة العثمانية في البصرة من الطبيعي أن يكون فيها صلة علميّة للشيخ مع علماء البصرة والزبير وذلك لأسباب :

أولاً : طول الفترة التي أقام فيها في البصرة والزبير فقد مكث في سفرته الأولى إلى البصرة سبع سنوات وسفره الثاني في عام (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) فقد ذكر: " رواحي التالي سنة ١٣٣٢هـ إلى هذا التاريخ " أي تاريخ كتابته للوصيّة في (١٥/ذو القعدة / ١٣٣٥هـ) فالفترة التي أقام فيها في البصرة حدود ثلاث سنوات [٣] ففترة إقامته الأولى والثانية ما يقارب عشر سنوات ومن الطبيعي أن هذه الفترة الطويلة التي أقام فيها نتج عنها صلات علمية مع علماء البصرة والزبير .

ثانياً : أن الحجي كان مُثقفاً وشاعراً وله اطلاع في الفقه والفرائض وعلوم اللغة العربية [٤] ، وقد ذكر عنه الهندي قائلاً :" كان مولعاً بالكتب " [٥] ، فاهتمامه بالعلم وجمع الكتب يفرض عليه مقابلة العُلماء والأُدباء أضف إلى ذلك أن الزبير والبصرة فيها العديد من العلماء والأدباء خاصة العلماء النجديين المستقرين في الزبير .

ثالثاً : أن ابنه الوحيد عبد الكريم استقر في الزبير ، وكان عمله فيها علميّاً حيث كان قيّماً لإحدى المكتبات في الزبير ، وهذا يتضح بأن والده له صلات علميّة مع العلماء والأدباء وسمعته العلميّة لها

---

[١] وثيقة رقم (١٣١) ملحق الوثائق . الرديعان ، مرجع سابق ، ص٦٣٦ .

[٢] وثيقة رقم (١٣١) ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٦٣٦ .

[٣] وثيقة رقم (١٣١) ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٦٣٦ .

[٤] الرديعان ، نفسه ، ص ٢٦١ .

[٥] مصدر سابق ، ص٧٤ .

مكانة عالية بينهم وتشجيعه لابنه في الاهتمام بالعلم عوامل أوصلت ابنه للعمل في إحدى المكتبات في الزبير [1].

ومن خلال ماذكرناه يتبين لنا أن صلة علماء جبل شمر بالعلماء العراقيين قليلة (فترة إمارة آل رشيد) على الرغم من كثرة أعداد العلماء وطلبة العلم في حائل ، ويعود ذلك إلى عدة أسباب :

أولاً : أن صلات علماء حائل أغلبها منصب على علماء نجد الأقرب من المدن الواقعة في جنوبي العراق .

ثانياً : أن علماء حائل من أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (الدعوة الإصلاحية) فهم كغيرهم من علماء نجد ، لذا كانت صلتهم بعلماء نجد أكثر من غيرها من البلدان الأخرى .

ثالثاً: وجود العديد من العلماء البارزين من سكان المنطقة ، مما أدى إلى صلاتهم العلمية (محلياً) فيما بينهم ، مما أدى إلى قلة اعداد العلماء المسافرين لطلب العلم خارج المنطقة .

رابعاً : قدوم العديد من العلماء والقضاة إلى مركز إمارة آل رشيد (حائل) ، وذلك عن طريق حكام الإمارة ، فقد كان القاضي يقوم بمهمة التدريس بجانب القضاء في إحدى المساجد ، مما أدى إلى قلة خروج طلبة العلم إلى البلدان الأخرى والتي من بينها العراق .

---

[1] الصانع و العلي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص ٣٠٦ ؛ الرديعان ، مرجع سابق ، ص٢٦٤ .

المبحث الرابع ـ أثر هذه الصلة على الحياة العلميّة في جبل شمر :

كانت لصلة علماء جبل شمر بالعلماء العراقيين أثراً على الحياة العلميّة وتطورها في جبل شمر سواءً كانت هذه الصلة ما بين العلماء عن طريق الفتاوى بالمسائل الفقهية ، أو بالردود على أهل البدع ومن ينادي بها من العلماء العراقيين كالعالم داوود بن جرجيس الذي قام بابتداع العديد من البدع ، أو عن طريق المراسلات الوديّة فيما بينهم وطلب الكتب ونشر المذهب الحنبلي أو السفر إلى العراق ومخالطة العلماء والاستفادة من علمهم وبما هو موجودٌ لديهم من الكتب الثمينة ،فتلك الصلات مع علماء العراق أثرت في تطور الحياة العلميّة سواءً على مستوى العلماء أو على طلبة العلم في المنطقة أو على السكان .

أثرت الصلات العلميّة في وجود العديد من الصحف والمجلات العربية والتركية التي تصل إلى جبل شمر فكان قدومها من الأقطار العربية : كالشام ومصر والعراق ، ومن تلك الصحف القادمة من العراق (لغة العرب) [1] ، والتي تتحدث عن الوقائع والأحداث العربية والعالميّة ، وتحتوي على العديد من الموضوعات التاريخية والأدبية والعلميّة التي يستفيد منها المثقفين والعلماء وذكر الدخيل عن الحياة العلمية في جبل شمر: " وتؤانس جماعة منهم تطالع الصحف السيارة والمجلات الموقوتة وأهل هذه الديار أنور من غيرهم من تلك الأقطار في العلوم العصريّة وأوسع اطلاعاً في الأمور السياسيّة"[2] أمّا كيفية وصول هذه الصحف والتي فيها العديد من المعلومات يكون إمّا عن طريق القوافل التجارية أو قوافل الحجاج وإمّا عن طريق الصلات العلمية ، فعندما كانت المراسلات ما بين الألوسي والشيخ صالح البنيان من الطبيعي أن يكون مع هذه الرسائل الصحف والمجلات الموجودة لديهم كهديّة وتعبير عن أواصر الصداقة والمحبة ، أضف إلى ذلك عندما مكث الشيخ حسن الحجي في البصرة ما يقارب عشر سنوات وبما أنه من المحبين للثقافة ولديه اهتمام بنشرها ، فمن الطبيعي أن يُرسل ما يقرأه من تلك الصحف إلى علماء وسكان جبل شمر .

---

[1] لغة العرب صاحبها أنستاس الكرملي (١٢٦٣ . ١٣٦٦هـ) صدر الجزء الأول منها في شهر (رجب ١٣٢٩هـ الموافق تموز سنة ١٩١١م) وتوقفت عند نهاية الملزمة الأولى من الجزء الثالث من سنتها الرابعة بسبب الحرب العالمية الأولى . واستأنف إصدارها سنة ١٩٢٦م . وتعتبر لغة العرب أول مجلة عربية تُعنى بالفهرسة التفصيلية إذا خصص صاحبها العددين الأخيرين من كل سنة لتلك الفهارس . (الظاهري ، أبو عبد الرحمن ابن عقيل و سيدو ، أمين سليمان ، لغة العرب رئيس كتبتها أنستاس الكرملي (دراسة تاريخية وكشاف موضوعي) ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض ، ١٤١٤هـ ص١٧) .

[2] مصدر سابق ، لغة العرب ، العدد ١ ، تموز ١٩١١ ، ص٢٢.

ومن الطرق التي تصل بها هذه الصحف ما ذكره نولده الذي قدم إلى حائل عام (١٣١٠هـ / ١٨٩٣م) عن محمد العبد الله آل رشيد : " لقد كان الأمير مُشتركاً في عدد من الصحف العربية والتركية) [١]. وقد يكون اشتراك الأمير في تلك الصحف عن طريق علماء جبل شمر ، فقد أثرت هذه الصلة في وجود العديد من الصحف التي تُزيد من اطلاع الأمراء والعلماء والسكان وتطور من ثقافتهم ، ويذكر نولده عن سعة اطلاع الأمير محمد العبد الله قائلاً :" إن الأمير لم يكن رجلاً ذكياً وعادلاً فحسب بل كان راوياً ومصوراً للناس والأحداث بشكل منقطع النظير للدرجة التي كنت أظل أستمع له لساعات عديدة في دهشة وإعجاب " [٢] ، وهذه الصحف التي تأتي للإمارة لا يطلع عليها الأمراء والمسؤولين فقط ، وإنما تنتقل إلى عدد من العامة حيث يستفيد منها عدد كبير من القُراء ينقلون هذه المعارف والعلوم التي اطلعوا عليها إلى غيرهم[٣].

للصلات العلمية دورٌ في زيادة حركة النساخ في جبل شمر مما يزيد من أعداد الكتب المخطوطة والتي تُثري المكتبات الخاصة بالعلماء ، فالصلة العلميّة التي كانت ما بين الشيخ صالح البنيان والشيخ نعمان الألوسي نتج عنها طلب الألوسي للعديد من الكتب : " حيث قال بغية المرتاد المنعوت بالسبعينية لشيخ الإسلام ابن تيميه فلا يوجد أيضاً فإذا تفضلتم بإرسالهما ولا سيما البغية فهو من أعظم ما نبتغيه ولكم الفضل وإما كتاب الاعتصام لأحمد الخزاعي فلم أره ولا يوجد عندنا ثم إذا كان يمكن استنساخ الجزء الأخير أي النصف الثاني من كتاب منهاج السنة لشيخ الإسلام وكذا النصف الثاني من بدايع الفوائد للشيخ ابن القيم أرجو استكتابهما " [٤] . فطلب الألوسي لنسخ تلك الكتب يدل على زيادة حركة النساخ في المنطقة ، ومن فوائد النسخ هي سعة اطلاع الناسخ ومعرفته العلمية ، وطلب هذه الكتب يريدها الألوسي بثمنها فبيع هذه الكتب فيها فائدة ماديّة للناسخ حيث يستطيع من خلالها شراء الكتب ووقفها وبتلك الطريقة تعطي نوعاً من ازدهار الحركة العلمية في جبل شمر [٥].

---

[١] مصدر سابق ، ص١٠٠ .

[٢] نولده ، نفسه ، ص٩٩.

[٣] السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة والتعليم ، ص١١١.

[٤] وثيقة رسالة من الشيخ نعمان الألوسي يطلب فيها من الشيخ صالح البنيان تزويده بعدد من كتب الحنابلة . في ١٥/ ٤ /١٣١١هـ ، مكتبة صالح بن سالم البنيان . بحائل .

[٥] وثيقة رسالة من الشيخ نعمان الألوسي في ١٥/ ٤ /١٣١١هـ ، مكتبة صالح بن سالم البنيان . بحائل .

أثرت الرسائل المتبادلة ما بين العالمين صالح البنيان ونعمان الألوسي في اهتمام علماء جبل شمر وطلبة العلم الذين تأثروا في شيخهم البنيان بالتمسك بالمذهب الحنبلي ونشره ، وذلك من خلال نشر ونسخ كتب الإمام أحمد بن حنبل وكتب الحنابلة . فقد ذكر الألوسي في رسالته إلى صالح البنيان بما يخص نشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل قائلاً : " وإذا يمكن أيضاً شراء المغني في الفروع أو المنتهي أو شرح الإقناع أو غيرهم من كتب الحنابلة المطولة المفصلة فنزداد شكراً وليت أن مثل هذه الكتب كان يطبعها بعض من له سعة في نشر مذهب الإمام أحمد ومع ذلك يربح دنيا وأخرى لأن كتب مذهبه قلّت واضمحلت ومن يطبع الآن في مصر والهند أو غيرهما يربح الربح الوافر فاسعوا تؤجروا إن شاء الله " [١] ، ومن خلال ما ذكره دليل على أن البنيان من العلماء المهتمين بالمذهب الحنبلي ونشره وكذلك طلبة العلم الذين تأثروا بشيخهم مما زاد من اهتمامهم بنشر المذهب .

وصول الكتب إلى منطقة جبل شمر يأتي عن طريق العلماء والقضاة الذين قدموا إلى جبل شمر وعن طريق الحجاج والقوافل التجارية وصلات علماء جبل شمر بالبلدان المجاورة إما عن طريق الهدايا أو الشراء [٢] ، وكذلك عن طريق صلة العلماء مع عُلماء العراق ، فقد زادت أعداد الكتب التي يملكها العلماء . لذا أصبح لأغلب علماء جبل شمر مكتبات خاصة بهم ، فقد أوقف الشيخ عبد الله بن مرعي (ت ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م) كتاب (غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ) للشيخ خير الدين أبي البركات نعمان الألوسي [٣] وأوقف الحاج محمد بن مصطفى أغا البغدادي على طلبة العلم في جبل شمر كتاب (الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة) لشهاب الدين ، والناظر إبراهيم المهوس وإثبات الوقفية بخط الشيخ حسن الحجي في عام ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م وجعل الواقف ثوابه إلى والده والأمير عبد الله بن رشيد [٤] ، فجلب الكتب إلى المنطقة عن طرق متعددة من بينها صلة العلماء مع العلماء العراقيين .

كانت لصلة علماء جبل شمر بعلماء العراق عبر الردود والمراسلات العلمية والخلافات المذهبية دور في اهتمام العلماء بشراء الكتب من الحجاج (الشيعة) الذين يأتون عن طريق النجف ، وذكر فالين : " وكتب القاضي تتعلق كلها بالفقه وهو حريص عليها ، وقد أكد لي أنه اشتراها من مشهد

---

[١] وثيقة رسالة من الشيخ نعمان الألوسي يطلب فيها من الشيخ صالح البنيان تزويده بعدد من كتب الحنابلة . في ١٥/ ٤ /١٣١١هـ ، مكتبة صالح بن سالم البنيان بحائل .

[٢] السويداء ، مرجع سابق ... الثقافة والتعليم ، ص٥٨.

[٣] وثيقة رقم (١١٦) ملحق الوثائق . الرديعان ، منبع الكرم ، ص٦٢٦ .

[٤] وثيقة رقم (١٣٣) ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٦٣٨.

على النجف " [1] ، فقيام العلماء في جبل شمر بشراء الكتب هو اهتمام العلماء بالاطلاع على تلك الكتب والتي تتعلق بمسائل الفقه المخالفة للسنة وكذلك لمعرفة اعتقادهم ؛ لأجل الرد عليهم ومعرفة الشبهات الموجودة في معتقداتهم .

كانت للردود العلماء أثر على الحياة العلمية في جبل شمر ومن تلك الردود رد الشيخ عوض الحجي على داوود بن جرجيس [2] ، وكذلك رد الشيخ صالح البنيان في قصيدة سماها (الشهاب المرمي على نحر من سُمي) [3] ، فردود العلماء لها أثر في شراء الكتب التي تتعلق بالمعتقدات والمذاهب الخاطئة حيث استفاد طلاب العلم من تلك الكتب والتوسع في معرفة المذاهب الخاطئة .

ومن الصلات العلمية بعلماء العراق والتي كان لها أثر في زيادة أعداد الكتب إقامة الشيخ حسن الحجي في البصرة ما يقارب عشر سنوات [4] ، ففترة إقامته لها دور في جلب العديد من الكتب إلى مقر إقامته ودليل ذلك أنه من المولعين بالكتب وجمعها أضف إلى ذلك أن ابنه عبد الكريم أصبح قائم مكتبه في الزبير [5] ، فصلته العلمية بعلماء العراق لها دور في زيادة أعداد الكتب المجلوبة من العراق والتي تعتبر من أهم ملامح ازدهار الحركة العلمية في جبل شمر .

كان لجواب الشيخ عوض الحجي على مسألة في الفرائض والتي علق عليها مُفتي لواء المنتفق السيد داوود ابن السيد سعيد أثر في بروز علماء جبل شمر في حل المسائل التي تصعب على بعض العلماء وكذلك أعطت لطلاب العلم زيادة في المعرفة والاطلاع لمثل هذه المسائل [6] .

أصبح لرد الشيخ عوض الحجي على داود بن جرجيس عالم العراق والذي وضع عنوانه (الصواعق في أجوبة أنموذج الحقائق) أثراً على الحياة العلمية في جبل شمر ، وذلك أن الشيخ عوض مرجعاً علمياً له أثر حتى وقتنا الحاضر ، فقد كتب رده على ابن جرجيس في ما يقارب سبع صفحات (مخطوط بخط يده) هي تتعلق بالتوسل بالأنبياء والصالحين وأنّه ما قام به ابن جرجيس ومن أيّده بهذه الطريقة . الشرك بالله عز وجل ، فما ألفه الشيخ عوض يعتبر مرجعاً علمياً ، وذلك لأن فيه العديد من الأدلة الصريحة من القرآن الكريم والسنة النبويّة ، وكذلك لرد الشيخ أثر في إثراء

---

[1] مصدر سابق ، ص١٥٠ .

[2] الحجي ، مصدر سابق ، ورقة ٦ .

[3] الرديعان ، مرجع سابق ... ديوان صالح السالم ، ص١٧٧.

[4] وثيقة رقم (١٣١) ملحق الوثائق . الرديعان ، مرجع سابق ... منبع الكرم ، ص٦٣٦.

[5] الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج ٣ ، ص ٣٣٠ ؛ الرديعان ، نفسه ، ص٢٦٤.

[6] وثيقة رقم (١/٤٣) (٢/٤٣) ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٥٥٥-٥٥٦.

المكتبات بالمؤلفات التي تتعلق بالردود على أهل البدع ، وتمسّك علماء جبل شمر بمنهج السلف الصالح منهج أهل السنة والجماعة ، ومعرفة طلاب العلم بعقيدة أهل البدع وشبهاتهم وذلك برد الشيخ على دعاء ابن جرجيس للأنبياء والصالحين وأنه يتقرب منهم كما يتقرب من الله عز وجل حيث أبطل الشيخ ما قام به ابن جرجيس بالأدلة المقنعة والصريحة من القرآن الكريم والسنة النبوية فقد عرف طلبة العلم العديد من الآيات وتفسيرها والأحاديث ووضح معنى التوسل[1] ، ومعرفة طلبة العلم للمذاهب الباطلة الأخرى كالمعتزلة وغيرها حيث ذكر الشيخ :" وإما المعتزلة فنفوا الشفاعة أصلاً وهذا العراقي [2] ، وأصحابه أثبتوا وقرروا طلبها من غير الله وأما أهل السنة والجماعة فقالوا الشفاعة ثابتة كما قال أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله الحديث ، فهي لا تطلب إلاّ من الله ولا تقع إلاّ بإذنه ، قال شيخ الإسلام ابن تيميه وحقيقة الشفاعة أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع لكرمه " [3] ، فقد بيّن الشيخ مذهب أهل السنة والجماعة مستدلاً بأحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وبما ذكره شيخ الإسلام . فما ذكره الشيخ كان له أثراً في إقتناع طلبة العلم ، واتضاح العديد من البدع لدى سكان جبل شمر ، والابتعاد عنها والتي من أشدها الإشراك بالله .

ومن أثر هذه الصلة مع عالم العراق ابن جرجيس تأثر طلاب العلم بشيخهم عوض الحجي في الرد على أهل البدع ، ومن طلبة العلم الذي أصبح بحراً في العلوم الدينية الشيخ صالح البنيان فقد رد على أحمد زيني دحلان من علماء الحجاز وداود بن جرجيس من علماء العراق ومن أيدهما فقد نظم الشيخ قصيدته الشهيرة بعنوان (الشهابُ المرميُّ في نحر من سُمِّي) قبل عام ١٣١٥هـ /١٨٩٧م والتي مطلعها :

بحمد ربي ولي الحمد مولانا ... بدأت لا الذم استبدي بمبدانا

والحمد لله هادي من يشاءُ ومن ... يشأ يُضلّ قضى فينا بما كانا [4]

إلى أن قال لإيضاح ما هم عليه من أخطاء ابتدعوها لم تذكر في القرآن والسنة :

فالمستغيثونَ بالأموات ما كفروا ... والساجدون لدى الإلحاد طُغياناً

والمستجيرون بالأموات من سفهٍ ... والناذرون لهم حجاً وقربانا

---

[1] الحجي ، مصدر سابق ، ورقة ١ . ٢ . ٣ .

[2] يقصد به داود وبن جرجيس .

[3] الحجي ، نفسه ، ورقة ٧ .

[4] الرديعان ، مرجع سابق ... ديوان الشيخ صالح ، ص ١٧٧.

والمخلصـــون لهـــم عنـــد الشـــدائد فـــي ... مـــوج البحـــارٍ ولا يـــدعون رحمانـــا

فهـــؤلاء لـــدى الأقـــوام مـــا خرجـــوا ... مـــن ربقـــةِ الـــدين إســـلاماً وإيمانـــاً

هـــذي عقيـــدة دحـــلان الخبيـــث فـــلا ... أحيـــا الإلـــه تـــرى منـــه بهتّانـــا

وخدنـــه مـــن غـــدا للشـــرك طاغيـــةً ... أعنـــي بـــه الخـــب داود وابـــن ســـلمانا [1]

فالأبيات التي ذكرها الشيخ صالح البنيان في قصيدته عددها ١٠٥ أبيات وما ذكرناه منها ما يدل على اعتقادهم الذي وضحه الشيخ وهو الإشراك بالله في الدعاء والنذر وأنهم يرون التضرع لقبور الأنبياء والصالحين عبادة وأنها تضرهم وتنفعهم . فقد وثق الشيخ في قصيدته أسماء من ينادون بهذه البدع وهم ابن دحلان وابن جرجيس [2] .

ومن الردود التي تُعتبر أثراً في صلة الشيخ عوض الحجي بابن جرجيس عندما رد عليه في مؤلفه (الصواعق في أجوبة أنموذج الحقائق) كتابة أخيه الشيخ حسن الحجي في أبيات يرد فيها على أهل البدع والشبهات ومنها :

ألـــم يصـــرفوا حـــق الإلـــه لميـــت ... ينادونـــه فـــي كـــل حـــين ويفزعـــوا

ألـــم يجلـــؤ لمـــا أصـــابة مصـــيبة ... إلـــى كـــل ميـــت بـــل وفـــيهم تضـــرعوا

وكـــانوا لهـــم يولـــون نـــذر أو غيـــره ... يخـــافونهم الله أولـــى وأنفـــعُ

إلى أن قال :

إلهـــي خـــذ للـــدين مـــن كـــل مشـــركٍ ... كفـــورٍ بـــدين الله لحـــق يـــردعُ

إلهـــي جُـــد وأنظـــر إلينـــا برحمـــةٍ ... وخـــذ بنواصـــينا لبابـــك نقـــرعُ

ويـــا رب وألعـــن كـــل مـــن كـــان كـــافراً ... ومـــن ضـــلّ فـــي دحـــلان يقفـــوا ويتبـــعُ [3]

أدت صلة علماء جبل شمر مع العلماء العراقيين لهذه الآثار سواءً كانت الصلة التي ما بينهم عن طريق المراسلات الوديّة وطلب الكتب أو السفر إلى العراق أو في الرد على أهل البدع ، فجميعها تعتبر صلات علمية بين المنطقتين .

---

[1] الرديعان ، مرجع سابق ... ديوان الشيخ صالح ، ص١٧٨-١٧٩.

[2] الرديعان ، نفسه ، ص١٧٧.

[3] وثيقة رقم (١٣٥) ملحق الوثائق . الرديعان ، مرجع سابق ... منبع الكرم ، ص٦٤٠.

الفصل الخامس

الصلات العلمية من جنوبي العراق بجبل شمر

المبحث الأول : الحياة العلمية في جنوبي العراق

- المدارس الدينية
- الكتاتيب
- المدارس الرشدية
- المدارس العليا (دار المعلمين)
- المدارس غير إسلامية
- المدارس الشيعية
- المدارس في الزبير
- مظاهر إزدهار الحياة العلمية في جنوبي العراق

المبحث الثاني : العوامل التي أدت إلى صلة علماء جنوبي العراق بجبل شمر

- العامل السياسي
- العامل الإجتماعي
- العامل الإقتصادي
- اهتمام أمراء ال رشيد بطرق الحجاج

المبحث الثالث : صلة العلماء العراقيين بعلماء وأمراء جبل شمر

- صلة جعفر الحلي النجفي بأمراء جبل شمر
- صلة محمد صالح الهمداني بأمراء جبل شمر
- صلة محمد سعيد الحبوبي بأمراء جبل شمر والسكان
- صلة الشيخ محمد أمين الشنقيطي بعلماء جبل شمر

المبحث الرابع : التوزع المذهبي بين المنطقتين

- المذهب السائد في جبل شمر
- المذهب السائد في جنوبي العراق

المبحث الخامس : أثر هذه الصلة على الحياة العلمية في جنوبي العراق

المبحث الأول ـ الحياة العلمية في جنوبي العراق :

لقد تطور العراق علمياً ويعتبر من أهم البلاد العربية التي حققت نجاحاً في الحركة العلمية وذلك لكثرة أعداد العلماء العراقيين في شتى العلوم ، وإذا قارنته بالحياة العلمية في نجد في فترة الدراسة (١٢٥٠ - ١٣٤٠هـ/ ١٨٣٥-١٩٢١م) فهناك فرق في التطور المعرفي أكثر مما كانت عليه نجد في تلك الفترة ، ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها :

١- قيام العديد من الحضارات القديمة قبل الميلاد على أرض العراق كالبابلية والأشورية .

٢- كانت مقر الخلافة العباسية في بغداد التي اهتمت بالنواحي العلمية وأنشئت المدارس والمكتبات فتوافد إليها الكثير من العلماء والأدباء وطلبة العلم .

٣- أن العراق وولاياتها الثلاث (بغداد ، الموصل ، البصرة) كانت تابعة للدولة العثمانية التي حملت على عاتقها نشر التعليم .

٤- وجود النجف وكربلاء أهم مزارات الشيعة التي أُنشئت بها المساجد وإلى جانبها أماكن مخصصة للتعليم فقدم إليها العلماء وطلبة العلم من الروافض فقد نتج من خلال ذلك زيادة العلماء وطلبة العلم وإنشاء المدارس والمكتبات وإدخال المطابع.

٥- أن منطقة نجد لم تقم في أرضها حكومات منظمة كالشام وبغداد والحجاز ومصر ولم تحرص تلك الخلافات الإسلامية عليها لأنها منطقة صحراوية وقليلة الموارد . فظلت مهملة من الدول الإسلامية المتعاقبة .

٦- قيام العديد من الإمارات في نجد وهذه الإمارات كإمارة آل رشيد لم تكن لديها فكرة الدولة التي تقوم على الإدارة الحقيقة كالدول الأخرى في زمنها فالمدارس النظامية في حائل وكذلك المطابع [1] لم تأتِ إلا بعد دخولها تحت حكم الملك عبد العزيز فهي متأخرة عما كانت عليه المناطق الواقعة في جنوبي العراق ، ولا يفهم من خلال ما ذكرناه أن الحياة العلمية في جبل شمر محدودة فهي مزدهرة ففيها العديد من العلماء البارزين والمكتبات التي تحتوي على الكتب الفريدة إلا أنها لا تقارن بالعراق التي تزدهر بالعلم لتلك الأسباب التي ذكرناها .

---

[1] ذكر داوتي في محادثة له مع حمود عبيد آل رشيد قائلاً : " كان حمود يسألني في بعض الأحيان عن فن الطباعة أليس بوسعي أن أدله على الطريقة التي تتم بها الطباعة ؟ ولكني عندما قلت له : إن بوسعه أن يشتري لنفسه مطبعة من بغداد نظير مبلغ ليس كبيراً من المال ، فلم يتشجع " . (مصدر سابق ، ج٢ ، المجلد الأول ، ص ٦٧) .

الإلمام بالحياة العلمية في جنوبي العراق يصعب علينا حصره في هذا المبحث ، لأن المناطق في جنوبي العراق أكثر اتساعاً من منطقة جبل شمر ففيها العديد من المدن التي خرج منها عدد من العلماء والأدباء والمفكرين والمدارس والمكتبات والمطابع وغيرها من جوانب الحياة العلمية ، وإنما نقتصر في هذا المبحث على أماكن التعليم (المساجد) التي أنشأها العلماء والمدارس النظامية التي أنشأتها الدولة العثمانية وأهم المكتبات الخاصة والمطابع التي قامت بطبع الكتب والجرائد اليومية والمجلات العلمية ، وبذلك نستطيع أن نعطي صورة واضحة بشكل عام عن قاعدة التعليم (المدارس) التي نشأ منها العلماء والأدباء والمفكرين .

يركز التعليم في جنوبي العراق خلال فترة الحكم العثماني بشكل عام على العلوم الدينية وإلى جانبها العلوم الأخرى كالتاريخ والجغرافيا والحساب وعلم الفلك [١] ، وأماكن التعليم فيها المساجد قبل أن يتخذ التعليم طابعاً نظامياً [٢] ، ولا يقتصر التعليم (الكتاتيب) على الفتيان وإنما امتد إلى الفتيات وأماكن التعلم في المنازل وطريقة التدريس في البداية على القراءة والكتابة وقصار السور من القرآن الكريم . [٣]

والتعليم في البصرة لا يختلف تماماً عن المدن العراقية الأخرى والولايات العثمانية فهو تعليم يعتمد في بدايته على الناحية الدينية فهناك أماكن مخصصة ملحقة بالجامع أو المسجد تجري فيها العملية التعليمية ، يطلق عليها المدرسة ، ومن أهم المدارس غير نظامية في البصرة مدرسة الشيخ عثمان بن سند [٤] ، ومدرسة السليمانية ، والرحمانية في محلة السيف ، والرؤوفية في محلة القبلة [٥].

أُدخلت الأساليب الحديثة على التعليم(المدارس النظامية)في فترة التنظيمات١٢٥٥/١٢٩٣هـ ١٨٣٩/١٨٧٦م ونتج عن تلك التنظيمات الإدارية في الدولة العثمانية افتتاح مدارس نظامية في

---

[١] خلود اليوسف ، مرجع سابق ، ص١٦٧.

[٢] أداموف ، مصدر سابق ، ج١ ، ص٨٧-٨٨ .

[٣] الأرحيم ، مرجع سابق ، ص١٢٣-١٣٩ .

[٤] عثمان بن سند بن عبد الرحمن بن سند الوائلي (من قبيلة عنزه النجدية) ولد في إحدى الجزر التابعة للكويت عام (١١٨٠هـ / ١٧٦٦م) درس عندما كان صغيراً في جامع الكواز وبعد ما أكمل دراسته في الجامع انتقل إلى المدرسة المحمودية ودرس العلوم العصرية كالجغرافيا والتاريخ وعلوم الطبيعة ، ومن مشائخه محمد بن فيروز أحد كبار علماء نجد درس على يده التفسير والأصول . ثم النحو والصرف . ومن مؤلفاته (سبائك العسجد في أخبار أحمد) و (مطالع السعود بطيب أخبار داوود). توفي رحمه الله في ١٢٤٢/١٠/١٩هـ-١٨٢٧/٥/٦م في بغداد ودفن فيها .(الصانع و العلي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٧٦- ٨٣) .

[٥] الأرحيم ، مرجع سابق ، ص١٣٩.

(استانبول) العاصمة وبعد ذلك انتقلت الفكرة إلى الولايات التابعة لها ومن بين تلك الولايات المدن التابعة لجنوبي العراق،[1] وتنقسم المدارس في العراق إلى عدة أقسام وهي :

أولاً – المدارس الدينية :

وهذه المدارس اعتادت الدولة العثمانية عند إنشاء الجوامع فتح مدارس ملحقة بها حيث خصصت لتلك المدارس أوقاف وأصبحت لها واردات تؤمن معيشة الطلاب طوال أيام دراستهم فيها وتدخل ضمن إدارة الأوقاف ، وتعد ملكاً للدولة وكانت هذه المدارس خاصة بالمسلمين ولغة التدريس فيها اللغة العربية ثم دخلت الفارسية أما اللغة التركية،فلم تدخلها إلا بعد إعلان التنظيمات عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م .[2]

ثانياً – الكتاتيب .

وهذه المدارس من أقدم أنواع التعليم فهي منتشرة بشكل عام في جميع المدن العراقية .[3] وهي مدارس دينية وأماكن التعليم فيها بالجوامع والمساجد وكانت تعلم القرآن الكريم و القراءة والكتابة وحفظه بواسطة (الملالي)[4] ، وتشمل الدراسة على الفتيان والفتيات ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات وعلى الرغم من إنشاء الكتاتيب إلا أنها لم تجد الاهتمام والعناية من قبل الدولة العثمانية حيث تركت أمر رعايتها للأهالي الذين يدفعون أجوراً لأصحاب الكتاتيب (الملا) ومن المشكلات التي واجهتها المدارس الدينية (الكتاتيب) في البصرة والمدن الأخرى في جنوبي العراق عدم وجود هيئة تعليمية ثابتة ليتلقى من خلالها الطلاب تعليمهم ،فقد كانت المسألة تطوعية فيتبرع رجال الدين وإمام المسجد وأحد العلماء الذين يزورون المدينة فيساهم بعضهم بإلقاء بعض الدروس على الطلاب في تلك المدارس ، وعلى سبيل المثال تطوع في البصرة الشيخ عبد الوهاب عام (١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م) للتدريس في المدرسة الرحمادة صباحاً ومساءً ، إلا أن الدولة العثمانية أصبحت

---

[1] بيات ، فاضل مهدي ، التعليم في العراق في العهد العثماني (دراسة تاريخية في ضوء السالنامات العثمانية) ، جامعة بغداد جمع وتقديم : عبد الجليل التميمي ، الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية ، زغوان ، ١٩٩٠ م ، ص١١٠ .

[2] بيات ، نفسه ، ص١١٧.

[3] بيات نفسه ، ص١١٧.

[4] الملا : أُخذ هذا المصطلح من الإملاء وسميت أماكن تعلمهم بالكتاتيب . (علي، مرجع سابق ، ص٣٢) .

تعتمد على خريجي تلك المدارس للعمل في دوائر الدولة الحكومية كما أنها بقيت مسؤولة عن تخريج أئمة المساجد حتى ما بعد انتشار التعليم النظامي .[١]

ثالثاً – المدارس الرشدية : [٢]

كانت مدارس الرشدية في بداياتها محصورة في العاصمة (استانبول) انتشرت بعد ذلك في الولايات العثمانية بموجب نظام المعارف الذي صدر عام ١٢٨٦ هـ-١٨٦٩م والذي يُجيز إقامة مدارس في الأماكن التي يتجاوز عدد منازلها عن ٥٠٠ هذه بالنسبة للابتدائية . أما الإعدادية (الثانوية) فتنشأ في الأماكن التي يبلغ عدد بيوتها الألف [٣] ، وذكر فاضل بيات " ولكن الذي نراه في المدارس الإعدادية لم تؤسس إلا في مراكز الولايات العراقية وعدد من الألوية كما أن المدارس الرشدية لم تفتح في جميع المدن التي يبلغ عدد بيوتها الحد المقرر في هذا النظام " [٤] ويثبت ذلك ما ذكره الصانع والعلي أن الزبير فتحت بها المدرسة الرشدية وهي ابتدائية وأن الطالب إذا انتهى من الابتدائية يذهب إلى بغداد ليدرس الثانوية . أما البصرة ففيها مدرسة رشدية متوسطة ومن يكمل دراسته يتوجه إلى بغداد [٥] .

افتتحت الرشدية الابتدائية بالزبير في أوائل القرن الرابع عشر حدود عام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م والذي اقترح فكرة تأسيسها في الزبير هو الشيخ خالد باشا العون ، فكانت تدرس القراءة والكتابة والقرآن الكريم والحديث إلى جانب من مبادئ اللغة التركية فكانت الحكومة المركزية في بغداد ترسل المدرسين إليها وأقبل عليها الناس يدخلون أولادهم .[٦]

ارتفع عدد المدارس الرشدية في الولايات العثمانية من مدرسة في عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م إلى سبع عشرة في العام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م أي ارتفع العدد إلى ست عشرة مدرسة خلال واحد وثلاثين عاماً ، وهذا عدد لا بأس به في تلك الفترة إذا نظرنا إلى الإمكانيات المحدودة من بناء المدارس وفترة إنجازها ، وبعد خمس سنوات أي في عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م بلغ عدد المدارس

---

[١] خلود اليوسف ، مرجع سابق ، ص١٦٦-١٦٨.

[٢] للاطلاع على تسمية المدارس الرشدية . أنظر : ص ٢٠١ من هذه الدراسة .

[٣] بيات ، مرجع سابق ، ص١١٣ ؛ الوردي ، مرجع سابق ، ص١٥٤ .

[٤] نفسه ، ص١١٣.

[٥] الصانع و العلي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٤٣.

[٦] الصانع و العلي ، نفسه ، ص٤١-٤٣.

الرشدية أربعين مدرسة [1] . ويدل ذلك على الاهتمام بالتعليم ونشره فالدولة العثمانية لم تهمل الولايات التابعة لها في نشر الوعي الثقافي لدى السكان وهذا ينطبق على جميع الولايات لا يقتصر على جنوبي العراق .

أما تعليم البنات فقد أنشئت أول مدرسة رشدية للبنات في الموصل عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م وعدد طالباتها عشرين طالبة ، أما المدن الواقعة في جنوبي العراق فقد قررت الحكومة العثمانية في سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م إقامة مدرسة رشدية في كل من كربلاء والحلة والديوانية ، وكانت المدارس الرشدية للبنات تضم قسمين: القسم الابتدائي ، والقسم الرشدي ، وعدد سنوات الدراسة فيها ست سنوات ،أما ما يتعلق بالمواد الدراسية التي كانت تدرس في المدارس الرشدية للذكور فهي القرآن الكريم والعلوم الدينية واللغتين العربية والتركية والحساب والجغرافية والخط والرسم وهذه المواد تدرس في المراحل الثلاث ، أما مادة التاريخ واللغة الفارسية تُدرسان في المرحلتين الثانية والثالثة واللغة الفرنسية والهندسة تدرسان في المرحلة الثالثة فقط ، ولا تختلف المواد المقررة في تلك المدارس كثيراً عن مدارس البنين بل أضيفت لها مواد كحفظ الصحة وإدارة البيت والأعمال اليدوية [2] .

فالمدارس الرشدية التي أنشأتها الحكومة العثمانية كانت عامة في كل الولايات وقد زادت في المدن الواقعة جنوبي العراق مما ساهم في ازدهار الحركة العلمية في جنوبي العراق ، وذلك لتعدد المواد التي تُدرس ونظاميتها فتلك المدارس لها أهدافها في تخريج طلابها وابتعاثهم إلى العاصمة (استانبول) وخدمة الخريجين لمجتمعهم فهي من العوامل التي زادت من أعداد العلماء والأدباء والمفكرين العراقيين ولذا فهي لا تقارن بمنطقة جبل شمر التي لم تأتيها في تلك الفترة لم فكرة المدارس النظامية .

رابعاً – المدارس العليا (دار المعلمين) :

بعد أن توسعت الدولة العثمانية في نشر التعليم والثقافة عن طريق إنشاء المدارس النظامية وبعد إقبال الأهالي على تلك المدارس أصبحت الحاجة ملحة إلى مدرسة لإعداد المعلمين لتلك المدارس ، ولهذا السبب أنشئت دور المعلمين من أجل إعداد معلمين أكفاء لمدارس الصبيان والمدارس الابتدائية في مراكز المدن والقرى حيث تم تأسيس دار المعلمين في ولاية بغداد عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠م وحملت اسم (مدرسة دار المعلمين الابتدائية) وتضم ٤٠ طالباً ومدة الدراسة

---

[1] أحمد ، إبراهيم خليل ، تطور التعليم في العراق (١٨٦٩-١٩٣٢م) منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٢م ، ص٣٦-٤٦.

[2] بيات ، مرجع سابق ، ص١٢٨-١٢٩.

فيها سنتان [١] . وبعد تخرجهم تقوم الحكومة المركزية في بغداد بإرسالهم إلى الولايات العراقية ، ومن تلك الولايات البصرة ، والمدن التابعة لها كالزبير ففيها مدرسة رشدية ابتدائية [٢] ،وهذا مما زاد من أعداد المعلمين الملتحقين بمدرسة دار المعلمين في بغداد ، ويعود ذلك إلى السياسة التعليمية التي انتهجتها الحكومة العثمانية في إيجاد مراكز لإعداد المعلمين في ولاياتها بدلاً من كونها في العاصمة استانبول البعيدة عن تلك الولايات فقد شجعت تلك السياسة الالتحاق بتلك المدارس وذلك لقربها منهم .

خامساً – المدارس غير إسلامية :

انتشرت المدارس غير الإسلامية في ولايات الدولة العثمانية ما قبل إعلان التنظيمات ١٨٣٩/١٨٧٦م [٣] إذ قامت الطوائف الدينية غير إسلامية بإحياء المدارس (الخاصة) ولم تكن هذه المدارس هي المدارس الوحيدة التي يتعلم فيها غير المسلمين بل كانت أبواب المدارس العثمانية مفتوحة لأبنائهم ، ويرجع سبب افتتاح تلك المدارس مع العلم بأن الدولة العثمانية لم تمنع الطلاب غير المسلمين من دخول مدارسها أن هذه المدارس أرادت مناهج خاصة بها كمناهج الدول التي تعود إليها هذه المدارس [٤] ، وكان دور الحكومة العثمانية تجاه المدارس غير الإسلامية السماح لهذه المدارس بشرط أن تكون خاضعة للرقابة [٥]، وهذه المدارس غير إسلامية في جنوبي العراق وتحديداً بالبصرة تخدم عدداً من الطوائف مثل : اليهودية والسريانية والكلدانية والأرمنية ويشرف عليها من يملكها كرئيس المصالح البريطانية ورؤساء المصالح الأجنبية الأخرى . [٦]

تأخر افتتاح المدارس في البصرة عن ولايتي بغداد والموصل فكان افتتاح هذا النوع من المدارس في عام ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م عندما قامت الطائفة اليهودية في البصرة التي تديرها جمعية الاتحاد الإسرائيلي بفتح أول مدرسة (الاليانس) وكانت هذه المدرسة بدعم من الجمعيات في لندن وباريس والهدف منها تحقيق غايات سياسة الصهيونية العالمية ،زادت أعداد المدارس غير الإسلامية في البصرة

---

[١] بيات ، مرجع سابق ، ص١٣٢-١٣٣.

[٢] الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٤١.

[٣] بيات ، مرجع سابق ، ص١٤١ ؛ يونس شريف ، مدارس الاتحاد الإسرائيلي (اليانس) في العراق ، آفاق عربية ، ع ٥، كانون الثاني ، ١٩٨١م ، ص١٧١ .

[٤] بيات ، نفسه ، ص١٤١.

[٥] خلود اليوسف ، مرجع سابق ، ص١٧٢.

[٦] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٥ ، ص١٠٥٨ .

عندما افتتحت مدرسة للسريان الأمريكان واللاتين (للبنات) وأربع مدارس (للكلدان) مدرسة للصبيان وأخرى للبنات في مدينة البصرة ، ومدرسة للصبيان ، وأخرى للبنات في العشار ، ومعظم مدارس الإرساليات التبشيرية التي دخلت الولايات العثمانية والتي من بينها ولاية البصرة كانت تدعم من الدول الأجنبية وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا حيث أنها اعتبرت نفسها حامية للكاثوليك .[1]

سادساً – المدارس الشيعية :

اشتهرت مدينة النجف بزيادة أعداد المدارس مقارنة بالمدن الأخرى في جنوبي العراق خاصة وفي العراق بشكل عام وتعود زيادة أعدادها إلى العديد من الأسباب :

أولاً : زيادة أعداد الجوامع والمساجد التي يخصص فيها أماكن تعقد فيها جلسات لطلب العلم لجميع درجات ومستويات المتعلمين ففيها ما يقارب ثمانية وسبعين مسجداً ، ومن تلك المساجد (مسجد الصاعة) والذي توجد فيه خمس غرف يسكنها من أراد من طلبة العلم والقيّم عليه ، ومسجد (آل كاشف الغطاء) ومسجد (الشيرازي) وهو من المساجد العامرة في أكثر الأوقات وكان محلاً للتدريس ومسجد (الشيخ مرتضى) وهو من المساجد الذي يتوافد إليه طلبة العلم ؛ لوجود العلماء البارزين الذين اعتادوا إلقاء الدروس العلمية فيه ، وغيرها من المساجد التي تعقد فيها مجالس علمية . أضف إلى ذلك أن هناك مساجد أخرى قديمة التأسيس أي منذ العصر العباسي ولشهرتها ومكانتها التاريخية يقدم إليها العلماء وطلاب العلم ويقوم رجال الدين والتجار بترميم تلك المساجد القديمة أو إعادة بنائها ومن تلك المساجد (مسجد الشيخ الطوسي) الذي كان في البداية داراً لشيخ الطائفة (أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي) عندما هاجر من بغداد إلى النجف عام ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م حيث أوصى بأن تجعل الدار مسجداً بعده ومن تلك الفترة أصبح من أشهر مساجد النجف يأتي إليه أهل العلم للدراسة والتدريس .[2]

ثانياً : أن النجف مركز ديني ؛ لوجود المزارات فيأتيها الشيعة من سائر الأقطار بقصد العلم والعبادة .

ثالثاً : وجود الأسر العلمية القديمة التي ورّثت العلم على أجيالها .

هذه الأسباب وغيرها ساهمت في بروز النجف علمياً ، وذلك من خلال كثرة أعداد المدارس فيها والعلماء والمكتبات .

---

[1] خلود اليوسف ، مرجع سابق ، ص١٧٢-١٧٣.

[2] آل محبوبة ، مصدر سابق ، ص٩٨-١١٥.

وقد كثرت المدارس في النجف لدرجة أنه يصعب حصرها والتوسع فيها ولهذا سنذكر عدداً منها . ومن تلك المدارس الشهيرة : مدرسة (الشيخ الملا عبد الله) ومدرسة (الصدر) وهي تزيد على ثلاثين غرفة في طابق واحد فقد قام رجال الدين بوضع مخصصات مادية لها لكي تقوم ببعض واجبات طلاب العلم ، وإطعام من يأتي إليها من الضيوف من سائر الأقطار ، ومدرسة (القوام) والتي تأسست عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م فقد خرّجت هذه المدرسة الكثير من العلماء وفيها ست وعشرون غرفة وتعرف بالمدرسة (الفتحية) نسبة إلى بانيها فتح علي خان ، ومدرسة (البروجردي العلمية) وهي من المدارس العلمية الدينية وتحتوي على ثلاث طوابق وعدد غرفها أربع وستون غرفة أنشئت فيها مكتبة تضم العديد من الكتب القديمة والمخطوطات [1] .

ويتضح لنا من خلال تلك المدارس الدينية في النجف أن أغلبها ليست مدارس نظامية من قبل الحكومة العثمانية فأعدادها طغت كثيراً على النظامية ، وأن تلك المدارس على الرغم من أن بعضها تأسست ما قبل القرن العاشر والحادي عشر الهجريين إلا أنها مستمرة وأبوابها مفتوحة للعلماء وطلبة العلم حتى وقتنا الحاضر ، ويرجع ذلك إلى اهتمام الشيعة بتلك المدارس ، وعدم إهمالها . فعندما يتوفى مؤسس المدرسة يأتي من بعده أبناءه وأحفاده يكونون قائمين عليها أو من رجال الدين والتجار الذين تتلمذوا في تلك المدرسة أو غيرها فيقومون بترميمها وتجديدها ، والهدف من ذلك نشر المذهب للأجيال القادمة ، وعن طريق المدارس يقومون بتقوية مذهبهم وتأصيله على طلبة العلم فتلك المدارس توجد فيها مساكن لطلبة العلم القادمين إلى النجف طول فترة إقامتهم ، وهذه الدور تشجع في قدوم طلبة العلم والعلماء وذلك ؛ لأن السكن يخفف عنهم أجور التكلفة التي يدفعونها لأجل العلم .

تشتهر النجف بمكتباتها المليئة بالكتب النادرة والمخطوطات القديمة التي يملكها الأمراء من الشيعة ووزرائهم في مختلف العصور ،فمنها ما هو بالخط الكوفي والأندلسي واليماني ، والأسباب التي أدت إلى وجود المكتبات لا تختلف عن أسباب تعدد المدارس وكثرتها ، ويزيد على تلك الأسباب وجود العلماء الذين ألّفوا وصنفوا العديد من الفنون العلمية وأبرزها العلوم الدينية ، ومن تلك المكتبات (مكتبة الشيخ علي آل كاشف الغطاء) ومكتبة (محمد السماوي) ومكتبة (السيد جعفر آل بحر العلوم) ومكتبة (آل قزويني) وغيرها من المكتبات الأخرى وساعد على نشوء المكتبات وكثرة أعداد الكتب فيها وأنواع المصنفات ، وجود العديد من المطابع في النجف كمطبعة

---

[1] آل محبوبه ، مصدر سابق ، ص١٢٦-١٤٣.

(حبل المتين) التي تأسست في أواخر القرن الثالث عشر الهجري ،و(المطبعة العلوية) وكان تأسيسها عام (١٣٢٩هـ /١٩١١م) فالمطابع لها دور في ازدهار المكتبات فهي أسرع بكثير وأقل جهداً مما يقوم به النساخ [١] .

سابعاً – المدارس في الزبير :

ومن المدن العراقية الأخرى التي تزدهر بالمدارس والعلماء وطلبة العلم الذين توافدوا على أولئك العلماء هي مدينة الزبير ، ويعود ازدهار الحركة العلمية فيها إلى عدة أسباب منها :

أولاً : أن من سكانها العالم التابعي الحسن البصري لأنه نشر العلم فيها [٢].

ثانياً : هجرة الكثير من أهالي نجد إلى مدينة الزبير بقصد التجارة ، وتحسين الوضع الاقتصادي حتى أطلق عليها (نجد الصغيرة) ، ومن بين تلك الجماعات والتجار القادمين إليها طلبة العلم الذين تعلموا بها عندما قدموا مع عوائلهم المهاجرة ومن تلك الأسر والتي لها مكانة علمية في الزبير وأصولهم من نجد عائلة (الدهيشي) ومنها : الشيخ محمد بن علي الدهيشي وعائلة (البابطين) ومنها : العلامة عبد المحسن بن إبراهيم البابطين . وإلى جانب تلك الأسر التي نبغ منها علماء في العلوم الشرعية ذهاب العديد من علماء نجد إلى الزبير لطلب العلم وزيادة في تحصيله ، وهذا مما زاد من أعداد المدارس العلمية ، وازدهار الحركة العلمية في الزبير ومن أولئك العلماء : الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى فقد درس في مدرسة الدويحيس ، ومن آثاره كتاب (تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد) ، والشيخ محمد بن صالح البسام (ت ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ، والشيخ محمد بن عبد الله بن حميد (ت ١٢٩٥هـ /١٨٧٨م) ومن آثاره (السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة) وغيرهم العديد من العلماء [٣] الذين أصبح لهم أثر في الحياة العلمية في نجد والزبير . [٤] .

---

[١] آل محبوبه ، مصدر سابق ، ص١٤٨-١٧٥ .

[٢] ذكر الشاعر ابن لعبون الذي تنقل ما بين نجد و الزبير و الكويت

ويصف موضع الحسن البصري القريب من قبر طلحة بن الزبير . رضي الله عنه . قائلاً :

يا منازل (مي) عن قبه حسن من يسار وعن قبر طلحة يمين

في ربـــوع كل ما فيها حسـن في ديار كل ما فيها حســين

عبد الله بن خميس ، شريط مسجل من برنامج إذاعي (من القائل) .

[٣] للاطلاع على أسماء العلماء الذين قصدوا الزبير لطلب العلم و على الأسر النجدية في الزبير أنظر : الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص١٧٧-١٨٤.

[٤] الصانع والعلي ، نفسه ، ج٣ ، ص١١٠-ص١٧٧-١٨٣.

ثالثاً : وجود التجار من أهل الخير الحريصين على نشر العلم وذلك عن طريق إنشاء المدارس وصرف رواتب لطلبة العلم والعلماء وكذلك القائمين على الدروس العلمية التي تقام في المساجد ووضع أماكن مخصصة ملحقة بالمساجد لتهيئة مكان مناسب لطلب العلم . [1]

رابعاً :اهتمام الحكومة العثمانية في نشر التعليم في الولايات التابعة لها .

ومن أبرز المدارس النظامية التي أنشئت بنفقة من أهل الزبير ولم يكن للولاة العثمانيين أثر في إنشائها مايلي :

أولاً – مدرسة الدويحس :

تعتبر أول مدرسة نظامية تجمع عدد من الطلاب مرتبطين بدوام محدد ولهم منهج معين يقوم به المدرسون . تنسب إلى من أسسها ابن دويحس ، فقد كانت فكرة إنشائها عن طريق الشيخ إبراهيم بن جديد (ت ١٢٣٢هـ /١٨١٧م) عندما اقترح على ابن دويحس ؛ لأنه رجل ثري ويحب الخير وبالفعل وافق على الفكرة ، فتأسست المدرسة عام (١١٨٦هـ / ١٧٧٢م) فقد تولى فيها التدريس عدد من العلماء منهم من كانت أصوله من نجد ، ومن الأحساء ، ومنهم من العراق ، ومن أولئك العلماء الشيخ إبراهيم بن غملاس (ت ١٢٩٢/١٨٧٥م) وحبيب الكروي البغدادي (ت ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م) والشيخ عبد الله بن سليمان النفسية (ت ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م) والشيخ عبد المحسن البابطين (ت ١٣٧١هـ /١٩٥١م) ،ومازاد من شهرة مدرسة الدويحس [2] تعدد العلماء المشهورين الذين درّسوا في المدرسة ؛ ولأنها كانت تدفع رواتب للطلاب لذا أقبل إليها طلبة العلم . وتُدرس فيها أعداداً من العلوم كالحديث والتفسير والفلك والفقه والحساب والعربية[3] .

ثانياً – مدرسة النجاة الأهلية :

ذكرنا أن الحكومة العثمانية أنشت المدرسة الرشدية في الزبير ومن آثار الاحتلال البريطاني للبصرة عام (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) أُغلقت الرشدية ، وفتح الإنجليز مدرسة الزبير في نفس موضع

---

[1] الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٣٨-٤١.

[2] زادت شهرتها ما بين الأقطار الخارجية ويدل على ذلك أنه كان يقال لا يبلغ طالب العلم مكانة مرموقة حتى يتخرج أو يحضر دروساً في سبع مدارس في سبعة بلدان مدرسة آل أبي بكر في الأحساء ، ومدرسة الألوسي في بغداد والأزهر في مصر ، والمرداوية في دمشق ، ومن تلك المدارس مدرسة الدويحس في الزبير وكان طالب العلم إذا استوفى علومه في إلى مكة والمدينة لحضور بعض حلقات شيوخ الحرمين في مكة والمدينة ثم يذهب إلى عنيزة في القصيم . ذكرت تلك المدارس نظراً لشهرتها العلمية لوجود علماء بارزين يدرسون فيها ولتخرج أفضل طلبة العلم منها . (الصانع والعلي ، نفسه ، ج٣ ، ص٣٩) .

[3] الصانع والعلي ، نفسه ، ج٣ ، ص٣٨-٤١.

(الرشدية) في عام (١٣٣٤ /١٩١٦م) وظاهرها تعليم الصبيان والغاية منها تحقيق أهدافهم الشخصية [١] ، والتي منها إدخال الأفكار الغربية (العلمانية) لكي تؤثر على معتقداتهم الدينية والتقليل من دراسة العلوم الدينية . وهذا واضح فكيف يأتي عدو للإسلام ويحتل البلاد بالقوة وبعدها يريد أن ينشر التعليم للجيل القادم لذا من الطبيعي أن تكون ردة فعل الأهالي الشك في الأمر .

ومن هنا أتت فكرة إنشاء مدرسة أهلية ذات رسالة دينية على أسس قوية ؛ لنشر الدين الصحيح من قبل الشيخ محمد أمين الشنقيطي [٢] وهي فكرة مضادة للمدرسة التي تقوم عليها الحكومة البريطانية والتي قامت على أنقاض المدرسة الرشدية ذات الطابع الديني [٣] .

يذكر الصانع والعلي أن تأسيسها في عام (١٣٣٩هـ / ١٩٢٠ م) [٤]. أما الخالدي فقد ذكر أنها (١٣٤١/٥/٢٠هـ - ٨/ ١/ ١٩٢٣م) [٥]. والواقع أن ماذكره كلاهما صحيح فالصانع والعلي ذكروا السنة التي بدأت منها تلك الفكرة والعمل لتطبيقها وذلك ؛ لأن طلب افتتاح مدرسة لا يأتي إلا بموافقة من الوزارة وبتصريح لإنشاء مدرسة لذا اجتمع المؤسسون لجمعية النجاة [٦] بطلب إلى الوزارة الداخلية العراقية للإذن بتأسيس جمعية أهلية باسم جمعية النجاة ، وعمل الجمعية تأسيس مدارس ونشر الوعي الديني والعلمي. ولم تحصل هذه الجمعية على الإذن إلا في عام (١٣٤٢هـ / ١٩٢٢م) فالخالدي ذكر السنة التي افتتحت بها المدرسة [٧] ،وسبب ذكر الباحث لمدرسة النجاة مع العلم أنها لم تفتتح إلا عام (١٣٤٢هـ / ١٩٢٢م) أي خارج الإطار الزمني للدراسة (١٣٤٠هـ

---

[١] الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٢٧٠.

[٢] أبو يوسف أبو عائشة لُقب بـ (فال الخير) ، وهو محمد بن عبدي بن فال الخير بن حبيب الله بن أبي بن حبيب بن أحمد بن أعمر كداش الحسني (١٢٩٣- ١٣٥١هـ / ١٨٧٦- ١٩٣٢ م) ولد في قرية (تنبكتو) إحدى قرى شنقيط في موريتانيا قدم إلى الزبير ؛ عام (١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م) وفي بداية قدومه حل ضيفاً عند علي بن عبد الله بن عبد الرحمن البسام وإخوته . رغب أهالي الزبير باستقراره وطلبوا منه ؛ لاستمتاعهم بدروسه ونصائحه الهادفة . تزوج الشنقيطي من إحدى نساء الزبير . ومع مرور الوقت أصبح له أثراً علمياً وسياسياً في الزبير . (الخالدي ، عبد اللطيف ، الشيخ محمد أمين الشنقيطي ، دار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٩م ، ص١١-١٩ ص١٧٢-١٧٥) .

[٣] الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٢٧٠.

[٤] الصانع والعلي ، نفسه ، ج٣ ، ص٢٧٠.

[٥] الخالدي ، مرجع سابق ، ص١٧٦.

[٦] مؤسسي جمعية النجاة عدد من المشايخ وهم : محمد أمين الشنقيطي وعبد الوهاب الطبطائي ومحمد العوجان ومحمد السند ومحمد العقيل وإبراهيم العبد الله البسام وعبد المحسن المهيدب وداود البريكان ومحمد العساقي وسليمان السويدان ونصار الأحمد . (الخالدي ، نفسه ، ص١٧٦-١٧٧) .

[٧] الخالدي ، نفسه ، ص١٧٧.

/١٩٢١م) ؛لأن فكرة افتتاحها داخلة في الفترة الزمنية للدراسة فالفكرة مضادة للمدرسة التي افتتحها الإنجليزي في عام (١٣٣٤ هـ/١٩١٦م) .

ويدل على أن هذه المدرسة حققت أهدافها وهي التي ينشدها السكان المشككون بنوايا الحكومة البريطانية أن الطلاب أقبلوا على المدرسة ، والمدرسين فيها يتقاضون أجور رمزية إذا قيست برواتب موظفي الدولة ، واستمرت المساعدات المالية من ذوي الفضل لهذه المدرسة التي تُدرس فيها العلوم الشرعية والعلوم الأخرى كالحساب والهندسة والجغرافيا التاريخ واللغة العربية[١] .

ثامناً – مظاهر إزدهار الحياة العلمية في جنوبي العراق :

نتج عن ازدهار الحياة العلمية وتطورها من خلال انتشار المدارس النظامية بجميع أنواعها تعدد المكتبات ، وإقدام العلماء عليها إلى جلب المطابع إلى العراق ، كسائر الولايات العثمانية الأخرى والتي نتج منها ظهور الصحافة في العراق ، وسبب انتشار الصحف والمجلات أنها لقيت إقبالاً كبيراً بين طبقة المثقفين الذين كانوا يتداولونها على نطاق واسع ما قبل دخولها إلى العراق[٢]، ويقدر يوسف عز الدين عدد الجرائد والمجلات الصادرة من استانبول وبلاد الشام ومصر التي كانت تدخل العراق بنحو خمسة آلاف نسخة في الأسبوع الواحد [٣]. أصبح هناك تقارب في التوقيت الزمني بين دخول المطابع إلى العراق ودخول الصحف والمجلات إلى العراق عن طريق الشام ومصر واستانبول ، مما أدى إلى إنشاء أول جريدة في العراق " الزوراء " نسبة إلى بغداد في عام(١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م)[٤] وبما أن أول جريدة في العراق " الزوراء " إلا أن أول مجلة عراقية في النجف مجلة " العلم " صدرت في ربيع الأول عام (١٣٢٨هـ /١٩١٠م) وهي دينية باللغة العربية أصدرها السيد محمد علي هبة الدين

---

[١] الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٢٧٠-٢٧٢،

[٢] لم تكن بغداد حتى منتصف القرن التاسع عشر تعرف الطباعة بل أن العراقي إذا سمع بأن الكتاب الكبير العديد الصفحات يطبع في يوم أو أقل تأخذه الحيرة لضعف مداركه في فن الطباعة ، ويعتبر ذلك من المستحيلات ، لكنهم عندما سمعوا بماجلبته الطباعة على أهل مصر من الفوائد العديدة ، وكثرة الكتب ، وأهالي الشام الذين جلبوا الطباعة ما بعد مصر وخصوصاً لما شاهدوا بأعينهم ما جنته الحكومة العثمانية من الفوائد والثمرات من مطبعتها في بغداد التي جلبها مدحت باشا (١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م) والتي نتج من خلالها نشأت المجلات والجرائد ، أما سبب تأخر العراق بجلب المطابع أنهم لا يجتمعون بمشروع ولا يعقدون شركة ولا محلاً أو غير ذلك حتى يشاهدوا ثمراته وفوائده بأعينهم ولو أدى الأمر إلى تأخرهم عن مجاراة الأمم الراقية . (حلمي ،إبراهيم ، الطباعة في دار السلام والنجف وكربلاء ، لغة العرب ، ج٧ ، السنة الثانية ، صفر ١٣٣١هـ /كانون الثاني ١٩١٣م ص٣٠٣)

[٣] عز الدين ، يوسف ، الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص٢٣٩ .

[٤] حلمي ، مصدر سابق ، لغة العرب ، ص٣٠٤ ؛ النصيري ، عبد الرزاق أحمد ، أثر الصحافة العربية في التطور الفكري للنخبة المثقفة في العراق(١٨٦٩ . ١٩٠٨) ، آفاق عربية ، العدد ٤ ، السنة نيسان ١٩٩٢ ، بغداد ، ص٦٠-٦١ .

الشهرستاني ، ومن المجلات الأخرى في النجف " درة النجف " عام (١٣٢٩هـ / ١٩١١م) وجريدة " نجف " التي تصدر أسبوعية وهي فارسية عامية سياسية اجتماعية صدرت عام (١٣٢٨هـ /١٩١٠ م) إلا أنها لم تستمر ، وجريدة " الاستقلال " باللغة العربية صدرت أيام الثورة العراقية باسم الاستقلال ثم تحولت باسم الفرات وكان صدورها عام (١٣٣٨هـ /١٩٢٠ م)[١] .

تمكن سليمان فيضي من الحصول على امتياز إصدار جريدة باللغة العربية في البصرة وسماها بالإيقاظ في عام (ربيع الأول ١٣٢٧هـ - مايو ١٩٠٩م) استمرت الجريدة في الصدور حتى (شوال ١٣٢٨هـ - أكتوبر ١٩١٠م) .[٢]

أدت هذه الجرائد والمجلات دوراً كبيراً في بلورة وعي المثقفين العراقيين فقد تطور الفكري السياسي العراقي الحديث وغيرها كتطور ثقافة المجتمع في جميع الجوانب الحضارية التي ترفع المجتمع ومكانته ما بين البلدان الأخرى ، ومن تلك الصحف صحيفة الجنان التي تعتبر أحد منابر الثقافة العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر [٣] ، فانتشار الوعي الثقافي وكثرة أعداد العلماء البارزين في كل مدينة من المدن الواقعة جنوبي العراق ، وانتشار المطابع والمكتبات والصحف وغيره من الجوانب العلمية يرجع سببه إلى اهتمام الحكومة العثمانية في نشر التعليم ، ووجود أعداد من التجار أهل الخير الذين قاموا بإنشاء المدارس وصرفوا عليها رواتب لطلبة العلم والمعلمين ، ووجود المزارات في جنوبي العراق (النجف وكربلاء) التي ساهمت في جذب العديد من علماء الشيعة والأدباء والمفكرين وطلبة العلم إليها واهتمامهم بالمذهب ونشره .

---

[١] آل محبوبه ، مصدر سابق ، ص١٧٨-١٨٠.

[٢] فيضي ، مصدر سابق ، ص١٩.

[٣] العمر ، فاروق صالح ، الجنان (١٨٧٠ — ١٨٨٦م) من المجلات العربية في مرحلة التأسيس ، (دراسة وتوثيق) ، سلسلة الموسوعة التاريخية المسيرة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص١٢٤.

المبحث الثاني : العوامل التي أدت إلى صلة علماء جنوبي العراق بجبل شمر .

للموقع الجغرافي في جنوبي العراق القريب من جبل شمر دور كبير في وجود عدداً من العوامل السياسية والحضارية التي ساهمت في حدوث صلات من علماء جنوبي العراق بجبل شمر ، ومن تلك العوامل ما يلي :

أولاً – العامل السياسي :

إمارة آل رشيد في بداياتها كالإمارات الأخرى لم تبلغ أوج اتساعها في عهد مؤسسها وإنما كان اتساع الإمارة تدريجياً في الجهة الشمالية بعيداً عن منطقة القصيم على الرغم من انتصار عبد الله بن رشيد ١٢٥٠- ١٢٦٣هـ على زعمائها في معركة بقعاء عام (١٢٥٧هـ / ١٨٤١م) [١] . مما جعل هذه الإمارة تتسع اتساعاً واضحاً في أواخر القرن الثالث عشر الهجري حتى وصلت إلى بصرى على بعد ٧٠ ميلاً من دمشق شمالاً ، وحدودها الشمالية في العراق بالقرب من النجف والسماوة ، وفي الجنوب إلى وادي الدواسر ، ومن نواحي المدينة المنورة إلى قرب الأحساء شرقاً ،[٢] وقد أشار راكان بن حثلين إلى امتداد الإمارة في عهد الأمير محمد العبد الله قائلاً :

من حد نجران إلى باب برزان ما هي لنا يالضيغمي أنت أميره [٣]

برزت مكانة إمارة آل رشيد ؛ لاتساع حدودها السياسية وأصبحت لها هيبة في الجزيرة العربية وأعطت عاصمة الإمارة (جبل شمر) مكانة وسمعة عالية بين البلدان المجاورة [٤] فقد أصبح لها تأثير سياسي وحضاري [٥] . لذا فإن هيبة الإمارة ومكانتها البارزة أصبحت عاملاً مهماً لجذب العلماء والأدباء والمفكرين إلى عاصمتها ،كالدول الأخرى فالعواصم دائماً تكون محل أنظار العلماء والأدباء والشعراء ، لاستقرار الحكام فيها .

لاتساع إمارة جبل شمر ولمكانتها وللأحداث السياسية التي مرت بها تشكلت لها علاقات سياسية مع الدول العظمى ، فقد كانت علاقتها مع الدولة العثمانية التي تيسطر على جنوبي العراق علاقة قوية ومترابطة خصوصاً في عهد الأميرين محمد العبد الله (١٢٨٩ / ١٣١٥هـ) وعبد العزيز

---

[١] العثيمين ، مرجع سابق ، ص٢٦٢-٢٦٣.

[٢] الحماد ، مرجع سابق ، ص٨٠ . ص٩٩.

[٣] الأديب عبد الله بن خميس (رحمه الله) شريط مسجل من برنامج إذاعي " من القائل " .

[٤] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٤ ، ص٧٧٢.

[٥] داوتي ، مصدر سابق ، ج١ ، المجلد الأول ، ص٣٦.

المتعب العبد الله (١٣١٥ / ١٣٢٤هـ) . فقد كان الأمير محمد العبد الله يرسل في كل مناسبة الخيول الأصلية للسلطان عبد الحميد ففي عام (١٣٠١هـ / ١٨٨٤م) قام بإرسال عدد من الخيول (للأسطبل العامر) أسطبل السلطان ،كتب مع الهدايا رسالة للسلطان محتواها أن قبول السلطان للهدايا سيكون مداعاة للسرور مع التأكيد على أن القيام بخدمة جناب السلطان من وسائل الشرف والافتخار ، وفي عام (١٣١٤هـ / ١٨٩٦م) انتصرت الجيوش العثمانية على اليونان فكانت فرصة لمحمد العبد الله لإظهار فرحه وسروره بهذا النصر فأهدى السلطان ستين رأساً من الخيل ابتهاجاً بهذه المناسبة [١] ، ونظراً لتلك الهدايا والمصالح المشتركة فيما بينهم اهتم السلطان عبد الحميد بربط إمارة آل رشيد بالدولة العثمانية . فقد وجه السلطان مجلس الوكلاء بدراسة منح مخصصات مالية سنوية لإمارة آل رشيد تزيد عما يمنح عادة لشيوخ القبائل العربية بالإضافة إلى منحة خلعه ثمينة كل عام ، وذلك لخدماته ولحماية من طريق الحجاج [٢].

وفي عهد الأمير عبد العزيز المتعب آل رشيد١٣١٥-١٣٢٤هـ قدم إليه سليمان فيضي من العراق عندما فصلته الحكومة العثمانية من الخدمة العسكرية ، لذا طلب وساطة الأمير له عند الحكومة العثمانية في استانبول ، وبالفعل قُبِلت شفاعة الأمير ؛ لمكانته العالية والعلاقات السياسية الجيدة فيما بينهم [٣]، فتلك العلاقات السياسية ما بين العثمانيين وآل رشيد ساعدت في صلة علماء جنوبي العراق التابعة للحكومة العثمانية بجبل شمر الموالية للعثمانيين .

أدى دخول البريطانيين إلى العراق عام (١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) إلى قيام وجهاء المدن العراقية الموالين للحكومة العثمانية من علماء وشعراء وأدباء بتحريض السكان ضد الإنجليز وإقامة ثورة ضدهم نتج عن تلك الثورات مطاردة الحكومة البريطانية لرجالات الثورة لذا خرج عدد من العلماء والشعراء والأدباء إلى جبل شمر خوفاً من الأسر كالعلامة محمد أمين الشنقيطي [٤] ، وفي أثناء ثورة العشرين الشهيرة طاردت الحكومة البريطانية رجال الثورة من بينهم الشاعر عبد الرزاق في عام١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م الذي لُقِب بشاعر الثورة العراقية حيث خرج هارباً خوفاً من الأسر إلى

---

[١] الحماد ، مرجع سابق ، ص١٧٠-١٧٢.

[٢] الحماد ، نفسه ، ص١٦٨.

[٣] فيضي ، مصدر سابق ، ص٣٩-٤٠.

[٤] الخالدي ، مرجع سابق ، ص١٠٨-١٠٩ . ص١٤٢-١٤٤.

جبل شمر [1] ، ويرجع سبب خروجهم إلى جبل شمر وجود الصلات الاقتصادية والتي منها خروج القوافل التجارية من العراق إلى جبل شمر وكذلك الصلات الاجتماعية ما بين المنطقتين ، وقوة العلاقات السياسية ما بين إمارة آل رشيد والحكومة العثمانية التي أنهتها الحكومة البريطانية الغاضبة على الموالين للحكومة العثمانية والمحرضين على قيام الثورة ضدهم في جنوبي العراق .

ثانياً – العامل الاجتماعي :

هاجرت عدد من الأسر النجفية من مدينة النجف إلى حائل [2] ، وذلك في زمن الأمير طلال العبد الله (١٢٦٣- ١٢٨٣هـ) بقصد التجارة [3] ، ومع مرور الوقت تزايدت أعدادهم ففي عهد الأمير محمد العبد الله (١٢٨٩-١٣١٥هـ) وصلت أعدادهم كما ذكر داوتي حدود خمس وثلاثين أسرة [4] ،وفي زمن الأمير سعود العبد العزيز المتعب (١٣٢٦/١٣٣٨هـ) وصلت أعدادهم كما ذكر موزل حوالي ثمانين أسرة [5] ، ويدل تزايد أعدادهم وطول الفترة التي أقاموا بها إلى وجود الاستقرار الأمني والاطمئنان على تجارتهم التي حققت مكاسب جيدة ، وهذه الهجرة تعتبر عاملاً مهماً في وجود صلة من علماء جنوبي العراق بجبل شمر وذلك عن طريقين :

١- أن التطور المعرفي والتعليم في جنوبي العراق فرض على أغلب السكان التعليم لوجود المدارس النظامية وغيرها ، والتي من بينها مدارس النجف التي قدم منها أعداد من المتعلمين مع أهاليهم بقصد التجارة . فقد برز من تلك الأسر القادمة إلى جبل شمر علماء وأدباء وشعراء وأصبح لهم أثراً علمياً كالشاعر والأديب محمود سعيد الحبوبي والهمداني . فهؤلاء قدموا مع آبائهم بقصد التجارة .

٢- أن هؤلاء المشاهدة عندما استقروا في جبل شمر لم ينقطعوا عن أهاليهم في مواطنهم الأصلية (النجف) بل أصبح البعض منهم يتردد ما بين جبل شمر والنجف . وينقل ما يراه من احترام الأهالي وهيبة الإمارة وطيب أخلاقهم وكرمهم إلى السكان هناك فما تحدثوا به عن إمارة جبل شمر

---

[1] الجبوري ، مرجع سابق ، ص٤٤.

[2] الحكيم ، حسن عيسى ، الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي ، ط١، العارف ، بيروت ، ١٤٣٠هـ ، ص٩٨ ؛ عجيل ، محسن فياض ، سليمان بن صالح الدخيل النجدي (الصحفي السياسي . المؤرخ) ط٢ ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ٢٠٠٢م ، ص٣١٥).

[3] Baran , THE RASHIDI ,P57 ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢١١ .

[4] مصدر سابق ، ج١ ، المجلد الثاني ، ص٤٥٥.

[5] مصدر سابق ، ص٤٨.

شجع عدداً من الأدباء والشعراء في الكتابة عنهم لذا فما قام به المشاهدة يعتبر عاملاً في وجود صلة من علماء جنوبي العراق بجبل شمر .

ثالثاً – العامل الاقتصادي :

للصلات الاقتصادية ما بين المنطقتين أثر بارز في وجود صلات من علماء وأدباء وشعراء جنوبي العراق بجبل شمر . حيث يخرج أصحاب القوافل التجارية (عقيلات الحبل) إلى أسواق النجف [١] وكربلاء والأنبار [٢] والناصرية والسماوة [٣] وغيرها من المدن في جنوبي العراق ؛ لشراء ما يحتاجه السكان ، وبيع ما يريدون بيعه في تلك الأسواق ، ولتزويد الأسواق بجبل شمر بالسلع المتنوعة[٤]. ولأهمية أسواق جنوبي العراق ولقربها من جبل شمر تخرج في العام الواحد ما لا يقل عن أربع قوافل تجارية [٥] حيث يصحب القوافل التجارية أعداد من الرجال المسلحين ؛ لضمان وصولها خوفاً من قطاع الطرق [٦] ،لذا فالمسافرون إلى جبل شمر يستغلون خروج القوافل التجارية لمصاحبتها وذلك ؛ لضمان وصولهم ويدل على ذلك قدوم الشيخ محمد أمين الشنقيطي إلى جبل شمر مع أصحاب القوافل التجارية [٧] ،ويمكن القول إن بعض هؤلاء التجار لديهم ميول علمية مع إهتماماتهم التجارية والحرفية .

أدت تلك الصلات إلى تقوية الروابط الاجتماعية ما بين أصحاب القوافل وسكان جنوبي العراق . فأصحاب القوافل كالسُفراء يمثلون موطنهم ، وينقلون صورة مجتمعهم . فهم دائماً يتعاملون بالأمانة والصدق ، وصلة علماء جنوبي العراق بجبل شمر لم تكن جميعها عن طريق مباشر ،وإنما ترسل رسائل العلماء والأدباء والشعراء مع أصحاب القوافل (لحرصهم على إيصال الأمانة) عند عودتهم إلى جبل شمر فقد أثبتت الصلات الاقتصادية بأنها إحدى عوامل صلة علماء جنوبي العراق بجبل شمر.

---

[١] فالين ، مصدر سابق، ص١٣٧ ؛ لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٩ ، ص١٧٢٥.

[٢] فالين ، نفسه ، ص١٣٧ .

[٣] موزل ، مصدر سابق ، ص٢٣ . ص٣٣

[٤] موزل ، نفسه ، ص٢٢ ؛ أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج٢ ، ص٢١٠-٢١١.

[٥] فالين ، مصدر سابق ، ص١٥٣ ؛ موزل ، نفسه ، ص٢٢.

[٦] موزل ، نفسه ، ص٢٢ .

[٧] الخالدي ، مرجع سابق ، ص١٤٤.

رابعاً – اهتمام أمراء آل رشيد بطرق الحجاج :

حرص أمراء آل رشيد على قيادة قوافل الحج وحمايتها لما فيها من مكاسب مادية تزيد من دخل الإمارة والسكان اقتصادياً عند مرورها بمركز الإمارة ، لذا استغل طلال العبدالله (١٢٨٣/١٢٦٣هـ) جميع مهاراته الدبلوماسية لجعل طريق الحج العراقي يمر بجبل شمر ، وبالفعل حصل على السماح من الحكومة العثمانية بمرور القوافل التي تجتمع في النجف أو في الزبير أو في بغداد وتتجه جنوباً إلى جبل شمر ثم تكمل مسيرها إلى الأماكن المقدسة ؛ لأداء فريضة الحج [١].

وذكر حسين حسني عن اهتمام آل رشيد بحماية الحجاج قائلاً : "ويتم تعيين أميرين للحج كل سنة في إمارة الجبل فيقومان بحمل السنجق العائد لآل رشيد مع عدد كاف من المحافظين ويغادرون حائل بحيث يصلون إلى النجف والسماوة أثناء اقتراب موسم الحج ، وتجتمع هذه القوة في المدينتين فتستريح لمدة أسبوع ثم تتحرك مع الحجاج وهؤلاء أمراء الحج يتعهدون بتوصيل الحجاج إلى مكة المكرمة وإعادتهم إلى النجف والسماوة سالمين " [٢] ، فما ذكره يدل على الالتزام بتأمين خط سيرهم من قطاع الطرق (الحنشل) من مواطنهم الأصلية في جنوبي العراق حتى يعودون إلى أهاليهم ، وهو ليس كما يُعتقد أن الالتزام بالحجاج يكون من جبل شمر إلى الأماكن المقدسة فقط بل يمتد إلى العراق .

واجهت إمارة آل رشيد تحديات سياسية في فترة حكم الأمير عبد العزيز المتعب(١٣١٥ /١٣٢٤هـ) . لذا قل الاهتمام واستغل قطاع الطرق تلك التحديات والصعوبات التي تواجهها الإمارة ففي عام (١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م) أصدر بعض علماء النجف ومنهم الشيخ الشريباني فتوى تحريم سلوك الطريق بين النجف وجبل شمر على الحجاج العراقيين بسبب الاعتداء على الحجاج فامتنعوا مدة ثلاث سنوات ، وبعد أن تعهد الأمير عبد العزيز المتعب للحكومة العثمانية بالمحافظة على أرواح الحجاج وأموالهم ، وافق الشيخ الشريباني وأفتى بإباحة الطريق واستؤنف السير . [٣]

فما قام به أمراء آل رشيد في حماية قوافل الحجاج ، وتعهدهم بالمحافظة على أرواحهم له دور في وجود صلات من علماء جنوبي العراق بجبل شمر فتلك القوافل تستريح في مركز الإمارة ومع تلك القوافل العديد من العلماء والأدباء والشعراء الذين يواجهون السكان ويختلطون بهم ، ومن كانت له شهرة واسعة من العلماء أو الشعراء يأتي إلى قصر الحكم فيقول الشعر الجميل ويثني على الأمراء فبذلك قوافل الحجاج تكون عاملاً من عوامل صلة علماء جنوبي العراق بجبل شمر ، أضف إلى ذلك

---

[١] Baran , THE RASHIDI ,P58 ؛ الحماد ، مرجع سابق ، ص٦٦.

[٢] مصدر سابق ، ص٥٥.

[٣] الحكيم ، مرجع سابق ، ص٩٧.

رضاء الحجاج العراقيين خصوصاً أهالي النجف وكربلاء على ما قام به أمراء آل رشيد لخدمتهم في فترة استقرارهم وتأمين الطريق لهم حتى يصلوا إلى أهاليهم لذايكتب الأدباء والشعراء والعلماء عن إمارة آل رشيد بسبب خدمتهم للحجاج .

المبحث الثالث ـ صلة العلماء العراقيين بعلماء وأمراء جبل شمر :

ساعدت تلك العوامل السابقة في وجود صلات علمية عن طريق عدد من العلماء والأدباء والشعراء والمؤرخين العراقيين بمنطقة جبل شمر ، ومن معالم تلك الصلات العلمية ما يلي :

أولاً . صلة الشاعر جعفر الحلي النجفي [1] بأمراء جبل شمر :

قبل التطرق إلى صلته بجبل شمر وكيفية الصلة يجب أن نوضح الأسباب التي أدت إلى صلته مع أمراء آل رشيد .

١- تأمين أمراء آل رشيد لطرق الحجاج خاصة القادمين من النجف واستقرارهم في حائل وما يلاقيه أولئك الحجاج من حماية وأمان واستقرار جيد عند إقامتهم في المنطقة .

٢- قوة العلاقات السياسية ما بين أمراء آل رشيد والحكومة العثمانية فالمنطقة التي يسكنها الشاعر في إحدى الولايات التابعة للحكومة ويؤيد هذه السببين ما كتبه الشاعر من أبيات منها :

سلطاننا عبد الحميد أحبّه ... وعليه من نعمائه أبرادَ

وأراده للمعضلات أمامه ... إن الأمير لمثلهن يرادَ

لولاه ما حج الحجيج ولا سرت ... خوص الركاب ولا قطعن وهادَ [2]

يقصد الشاعر في تلك الأبيات الأمير محمد العبد الله (١٢٨٩-١٣١٥هـ) الذي سعى في تأمين طرق الحجاج . فالشيعة الفرس من إيران أو العرب في العراق يذهبون إلى النجف (العتبات المقدسة) قبل موسم الحج ، وبعد النجف يمرون بجبل شمر ويستريحون ، وبعد ذلك يكملون مسيرهم إلى مناسك الحج والشاعر (شيعي) لذا رأى الحلي خدمة أمراء آل رشيد للحجاج ، ولا يعني من خلال

---

[1] هو جعفر بن حمد بن محمد حسن بن عيسى بن كامل بن منصور بن كمال الدين . ويعود نسبه إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولد في إحدى قرى الحلة الجنوبية في ١٢٨٨/٨/١٥ هـ . ٢٧/شباط / ١٨٦١م . خرج من الحلة إلى النجف حيث يقيم إخوته والهدف من هجرته الدراسة . فقد درس اللغة العربية وعلوم الشريعة على عدد من العلماء منهم : الشيخ عباس علي كاشف الغطاء والشيخ محمد الشريباني والميرزا حسين الخليلي والشيخ محمد طه نجف . توفي في النجف ١٣١٥/٨/٢٣هـ . الجمعة ٢٥/حزيران/١٨٩٧م ودفن بها . كانت له علاقات شعرية بالسلطان عبد الحميد وأمراء مكة وأمراء المحمرة وآل رشيد . فكانوا يحفلون بشعره ويثنون عليه ويجزلون العطاء له . (التميمي ، مرجع سابق ، ص٧٧) .

[2] الحلي ، جعفر ، سحر بابل وسجع البلابل ، العرفان ، صيدا ، ١٣٣١هـ ، ص١٦٧.

ما ذكرته أن طرق الحجاج عن طريق جبل شمر يقتصر على الشيعة فقط ، وإنما على الحجاج القادمين من فارس وبلاد العجم والعراق من السنّة والطوائف الأخرى .

٣- وجود عدد من التجار من أهالي النجف في حائل (المشاهدة) واستقرارهم في حائل وبين سكانها بأمان وأحسن حال وكذلك صلته الشعرية مع أولئك التجار فهي تعتبر من الأسباب التي أدت إلى صلته مع أمراء وسكان المنطقة ومن التجار التي كانت له صلة بهم الحاج أحمد بن حسن مرزه . ويعود إليه الفضل فقد عرفه بأمراء آل رشيد . فقد كتب قصيدة في الحاج أحمد وضح فيها أنه صاحب فضل عليه ، وكانت له أيضاً صلة بالشاعر محمد سعيد الحبوبي الذي عاش في حائل مع والده وتردد ما بين النجف وحائل [١] .

وما يلاحظ من خلال تلك الأسباب أن قصائده وهدايا الأمراء له (محمد العبد الله وعبد العزيز المتعب) تكون عن طريق الحجاج القادمين من النجف أو عن طريق التجار (المشاهدة) . أضف إلى ذلك وصول القصائد إليهم مباشرة من الشاعر ، وذلك لما ذكره هاشم الحلي (مترجم صاحب الديوان) قائلاً : " وهو الذي عرفه لأمراء نجد وسفر بينهم وبينه " [٢] أي عرّف ما بين جعفر الحلي وأمراء آل رشيد معرفة شخصية فقد جلس في مجالسهم وألقى الشعر أمامهم .

كتب الحلي من خلال تتبع ديوانه (سحر بابل وسجع البلابل) اثنتي عشرة قصيدة منها خمس قصائد في الأمير محمد العبد الله وقصيدتين في الأمير عبد العزيز المتعب (١٣١٥ . ١٣٢٤هـ) وثلاث قصائد فيهما جميعاً وقصيدتين في سكان حائل وثنائه عليهم . وما يلاحظ في عدد القصائد التي كتبها في الأمير محمد أكثر عدداً من التي امتدح فيها عبد العزيز آل رشيد و ذلك لأن الشاعر توفي في السنة التي تولى فيها الأمير عبد العزيز الحكم في عام (١٣١٥هـ / ١٨٩٧م) .

يصعب علينا في هذا المقام كتابة قصائده فالقصيدة الواحدة منها ما وصل إلى ثلاثين بيت وأكثر قصائده في مدح الأمير محمد العبد الله وثناءه عليه في حروبه والحضارة التي وصل إليها في جميع جوانبها ، وإنما سنعرض أجزاءً من قصائده التي وصف بها الأميرين وقوتهما وكرم الأهالي وطيبة نفوسهم ، ومن تلك القصائد التي كتبها في الأمير محمد العبد الله آل رشيد ومطلعها :

---

[١] الحلي . مصدر سابق ، ص٣٤٠ . ص ٣٨٥ .

[٢] الحلي ، نفسه ، ص٣٤٠ .

شـــكت خيولـــك طـــول الكـــدِ والتعـــب ... مهـــلاً فمـــا تركـــت عاصـــياً مـــن العـــرب
أتعبتهـــا بالمغـــازي واســـترحت بهـــا ... وإنمـــا تحصـــل الراحـــات بالتعـــب
لـــيس الأميـــر الـــذي يقضـــي إمارتـــه ... مـــلازم الظـــل لـــم يـــذهب ولا يهـــب
بـــل الأميـــر الـــذي يرقـــى غـــوار بهـــا ... ولا يبيـــت بغيـــر الســـرج والقتـــب

إلى أن قال :

لـــك الجزيـــرة مـــن صـــنعا إلـــى هجـــر ... إلـــى العـــراق إلـــى مصـــر إلـــى حلـــب
ثـــوب الرئاســـة لـــم تلبســـه عاريـــة ... بـــل إنـــه لـــك إرث مـــن أبٍ لأب

وختمها بقوله :

خـــذوا عراقيـــة أهـــديتها لكـــم ... الفاظهـــا انتظمـــت كـــاللؤلؤ الرطـــب
هـــذا جـــزاء مـــا زرعـــتم مـــن مكـــارمكم ... وزارع الكـــرم يجنـــي طيـــب العنـــب
ثـــم الصـــلاة علـــى الهـــادي وعترتـــه ... وصـــحبه مـــن ذوي الإيمـــان والحســـب [1]

ومن القصائد التي كتبها في الأمير عبد العزيز المتعب قائلاً :

أقـــول لركـــب رائحـــين لحائـــل ... طـــووا بالمطايـــا ســـبباً بعـــد ســـبب
هـــديتم خـــذوا عنـــي تحيـــه عاشـــق ... تـــزف إلـــى عبـــد العزيـــز بـــن متعـــب
فتـــى يعجـــب الـــرأي جميـــل مقالـــه ... ولكنـــه فـــي نفســـه غيـــر معجـــب

إلى أن قال :

إذا اســـتعرت نـــار الملاحـــم خاضـــها ... وأقـــدم مســـروراً ولـــم يتهيـــب
لقـــد أودع الـــرحمن ســـراً بســـيفه ... ليفـــتح فيـــه كـــل بـــاب مُحجـــب [2]

ومن القصائد التي كتبها في أهالي حائل ومطلعها :

أحبـــاي مـــن نجـــد ســـلام علـــيكم ... ســـلام محـــب غيـــركم لـــم يكـــن يهـــوى
مجالســـكم أبهـــى مـــن الـــروض بهجـــةً ... وألفـــاظكم أحلـــى مـــن المـــن والســـلوى
وأســـيافكم ينهـــل منهـــا دم الطـــلا ... وأيمـــانكم يـــرفض منهـــا حيـــا الجـــدودى

---

[1] الحلي ، مصدر سابق ، ص٤٥-٤٨ .

[2] الحلي ، نفسه ، ص٤٨.

إلى أن قال :

أقــول لركــب قــد طــووا نحــو حائــل سباســب تطــوى الــيعملات ولا تطــوي

هنيئــاً فــأنتم بعــد عشــر بحائــل وطــوبى فجنــات الأميــر هــي المــأوى [1]

ومن خلال القصائد التي كتبها الحلي في الأمير بن محمد العبد الله وعبد العزيز المتعب وفي أهالي حائل أن جميعها قصائد مدح ورفع لمكانتهم ، وفي المقابل كانوا يكرمونه بالهدايا والمال لما كتبه من قصائد . هذه القصائد لها أثر لدى أمراء وسكان نجد والجزيرة العربية بشكلٍ عام وخصوصاً في مركز إمارة آل رشيد ، فالشاعر لديه مكانته وشهرته التي اكتسبها بقصائده الجميلة التي يرددها الأدباء والمثقفين المتذوقين للشعر الفصيح ، وشاعر بمكانته يكتب العديد من القصائد في أمراء آل رشيد من الطبيعي أنها تزيد من مكانتهم زيادةً على ما هم عليه من مكانة وشرف وإجلال فقصائده بمثابة الإعلام ، فالشعر هو الوسيلة الإعلامية في تلك الفترة حيث توج فيها انتصاراتهم ، ووضح قوة علاقتهم بالدولة العثمانية ، وما وصلت إليه إمارتهم من تطور حضاري .

ثانياً : صلة الشاعر محمد صالح الهمداني [2] بأمراء جبل شمر :

كانت صلته الشعرية بأمراء آل رشيد أقل من الشاعر جعفر الحلي من حيث عدد القصائد إلا أن قصائده التي كتبها عن الأمير محمد العبد الله وعبد العزيز المتعب جميعها كتبت عندما كان مستقراً في حائل [3] . فهي تختلف عن الحلي الذي كانت بعض قصائده قد كتبها في العراق [4] .

ذكرنا فيما سبق عن أثر المشاهدة في جبل شمر ، ومن أولئك المشاهدة الهمداني الذي هاجر من النجف إلى جبل شمر ؛ لأن والده من تجار النجف الذين استقروا في المنطقة وقد كان قدوم الشاعر في فترة إمارة محمد العبد الله ، والسبب وراء ظهور شعره وقربه من الأمير الشاعر محمد سيد الحبوبي ، والذي كان الهمداني أحد طلابه عندما قدم إلى حائل فقد تعلم منه العديد من الخواطر الأدبية ، وملكاته الشعرية التي كانت سبباً في بروز مكانته الشعرية في المنطقة حتى كتب قصائده في الأمير محمد العبد الله ومن قصائده :

أيــا ملــك الملــوك ومــن بيــوم النــوى قــد كــان أرحمهــم اضــطرابا

---

[1] الحلي ، مصدر سابق ، ص٤٣٠-٤٣٦.

[2] للاطلاع على ترجمة الشاعر أنظر : ص ١٢٤ من هذه الدراسة .

[3] شبر ، مرجع سابق ، ص٣١٠.

[4] الحلي ، مصدر سابق ، ص ٤٨ .

وحـــين غـــزا العتـــاة بـــأرضِ نجـــد هـــوت لوجوههـــا ولـــوت رقابـــا
حـــررت علـــى العصـــاة جيـــوش عـــزٍ تـــدك الأرض بـــالزحف اضـــطرابا[1]

ولا تختلف القصائد التي كتبها الهمداني في المدح والثناء على أمراء آل رشيد عن تلك القصائد التي كتبها الحلي إلا أنها زادت من أعداد الشعراء البارزين الذين امتدحوا بها الأمراء ، وذكروا مغازيهم والرد على أعدائهم ، ويلاحظ أن القصائد التي كتبها الحلي أكثر من التي ذكرها الهمداني حتى عدد أبياتها . فالشاعر ا لحلي يفوق في وصفه وعدد أبياته عن شعر الهمداني بكثير ، أما الأسباب التي من خلالها كتب الهمداني قصائده في أمراء آل رشيد لا تختلف تماماً عن الأسباب التي جعلت الحلي يمتدحهم فيها .

ثالثاً : صلة الشاعر محمد سعيد الحبوبي بأمراء جبل شمر والسكان :

على الرغم من مكانته الشعرية وقدرته على كتابة العديد من أنواع الشعر إلى أنه لم يوجد في ديوانه قصيدة واضحة يخص بها أمير من أمراء آل رشيد أو أبيات يخص بها الأمراء [2] كديوان الشاعر جعفر الحلي مع العلم أن الحبوبي من المشاهدة الذين يترددون على مجالس الأمراء ، وسبب قربه من مجالسهم مكانته الشعرية فيمتعهم بقصائده الجميلة التي تحتوي على الألفاظ الجزلة التي تتصف بجمال التركيب ، وحسن الأسلوب ، والمعاني التي تشمل على الوصف والتصوير فأغلب قصائده من السهل الممتنع[3] ، فعندما يأتي إلى مجالسهم يذكر العديد من القصائد والقصص التي فيها من الفوائد والكلمات والمصطلحات الجديدة التي يذكرها للمستمعين له في تلك المجالس التي تضم أعداد من كبار الشخصيات في الإمارة لذا فهي تعتبر صلة علمية ومكانها مجالس الأمراء .

اتضحت محبة الشاعر لحائل من خلال قصائده الجميلة فتلك المحبة من أهم أسبابها تعامل الأهالي وطيبة نفوسهم وتعامله الطيب معهم ، فالشاعر بما أنه قريب من مخالطة السكان بحكم عمله مع والده بالتجارة ، ولمكانته العلمية والأدبية فمن الطبيعي أن ينشر لهم العديد من العلوم والمعارف التي اكتسبها ، فقصائده التي يرددها على الأهالي الذين يجلسون معه تحتوي على الكلمات الجميلة

---

[1] شبر ، مرجع سابق ، ص٣١٠-٣١١.

[2] الحبوبي ، ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي النجفي ، تصحيح وتذليل : عبد العزيز الجواهري ، الطبعة الأهلية ، بيروت ، ١٣٣١هـ ، تبع الباحث جميع صفاحته .

[3] شبر ، مرجع سابق ، ص٣١٠.

والتي تجذب النفس للاستماع لها . ومن قصائده الجميلة التي كتبها عندما كان مسافراً إلى النجف حيث هاجت مشاعره عندما تذكر الأيام التي عاشها مع والده في حائل واشتياقه للعودة إليها قائلاً :

بـــلادك نجـــد والمحـــب عراقـــي ... فغيـــر التمنـــي لا يكـــون تلاقـــي

ولـــو أن طرفـــاً زار طرفـــي ســـاهراً ... لكنـــت رجـــوت القـــرب بعـــد افتـــراق

أرى الـــدهر يـــأبى فـــي تـــألف شـــملنا ... كـــأني أعاديـــه فـــرام شـــقاقي [1]

استخدم الشاعر كلمة نجد وهو يقصد بها حائل لأنه عاش بها . ومن الأبيات التي ذكر بها نجد ، ويقصد فيها حائل قوله :

أيـــن تلـــك القبـــاب مـــن أرض نجـــدٍ ... أتـــرى البـــين حـــل تلـــك القبابـــا

يـــا نـــازلي الرمـــل مـــن نجـــدٍ أحـــبكم ... وإن هجـــرتم ففيمـــا هجـــركم فيمـــا [2]

مذهب ومعتقد الحبوبي شيعي ليس كمذهب أهالي حائل السني الذين يقابلونه ويسمعون قصائده ويتعاملون معه بطيبة نفس وكرم ، إلا أنهم يضعون ما بينه وبينهم حاجزاً عندما يتطرق إلى العلوم الشرعية فهم لا يأخذون منه ، فالمرجع عندهم في المسائل العقدية والفقهية علماء حائل الذين يتميز كل عالم منهم بعلم من علوم الشريعة فضلاً عن بعض العلماء المطلعين والمتميزين في سائر العلوم الشرعية وذلك ؛ لأن أهالي حائل ينظرون إلى علمائهم أنهم أصحاب العقيدة السليمة (منهج أهل السنة والجماعة) وذلك لموافقتها للعقل والنصوص الشرعية بعكس المذهب الشيعي والذي يعتمد علمائه في أغلب مسائلهم العقدية والفقهية حسب رغباتهم الشخصية .

رابعاً – صلة الشيخ محمد أمين الشنقيطي بعلماء جبل شمر :

اشترك الشنقيطي عندما كان في الزبير مع المجاهدين ضد الإنجليز دفاعاً عن الدولة العثمانية ودعماً لخلافتها التي تهددها الحكومة الإنجليزية [3] ،واشترك في معركة الشعيبة الشهيرة ١٣٣٣/٦/١٨هـ - ٤/١٤ /١٩١٥م والتي انتهت بهزيمة المجاهدين (رجال الثورة) والحكومة العثمانية ، وبعد المعركة دار الحديث بين الشيخ عجمي السعدون والشنقيطي الذي نصحه السعدون باعتزال المعارك الحربية ، لأنه أصبح مطلوباً من قبل الإنجليز لمكانته الدينية لما يعلمه الشيخ عجمي من جواسيس الإنجليز وأعوانهم والذي كان هدفهم القبض على رؤوس رجال الثورة لذا ارتحل بحراسة

---

[1] الحبوبي ، مصدر سابق ، ص٣٠٢.

[2] أحمد العريفي ، مرجع سابق ... مقامات ، ج١ ، ص٧٩-٨٠.

[3] الخالدي ، مرجع سابق ، ص١٢٤.

من رجال عجمي إلى الخميسية فالناصرية ثم وصل بعدها إلى بغداد بأيام قليلة ، ولم يمكث شهراً إلا واقتربت الجيوش البريطانية من بغداد حيث جرت معركة سلمان بك (١٥/محرم/١٣٣٤هـ ٢٢/نوفمبر / ١٩١٥م) لذا خشي أن يقع في الأسر فغادر متخفياً إلى السماوة ، ومنها انضم إلى إحدى القوافل التجارية المغادرة إلى جبل شمر فوصل إلى المنطقة [١]، وإذا أردنا تحديد الفترة التي وصل بها إلى جبل شمر فقد خرج من بغداد بعد المعركة مباشرة ، والمدة التي انتقل فيها من بغداد إلى السماوة لا تتجاوز أسبوع ، ومدة الرحلة ما بين السماوة إلى جبل شمر ما بين الأسبوعين إلى ثلاثة أسابيع لذا يكون وصوله إلى إمارة آل رشيد في شهر صفر عام ١٣٣٤هـ / ديسمبر ١٩١٥م في عهد سعود العبد العزيز المتعب ١٣٢٦هـ. ١٣٣٨هـ / ١٩٠٨. ١٩١٩م .

أما السبب الحقيقي وراء خروجه من العراق واضحاً من خلال ما ذكرناه مطالبة الحكومة الإنجليزية بالقبض عليه . أما سبب اختياره لمنطقة جبل شمر فيعود إلى عدة أسباب منها :

أولاً : قناعته بحصوله على الأمان في حائل في ظل إمارة آل رشيد ذات الميول العثمانية [٢].

ثانياً : الدافع النفسي لدى الشيخ في محبته على الاطلاع وزيادة المعرفة مما سمعه عن الحياة العلمية في جبل شمر وازدهارها ، والتي منها تعدد أسماء العلماء البارزين في العلوم الشرعية في نجد والأقطار العربية المجاورة للجزيرة العربية ، وكذلك حرص الشيخ على نشر العلوم النافعة بين طلبة العلم والعلماء والاستفادة من علومهم .

ذكر الخالدي " وصل الشنقيطي إلى حائل مع إحدى القوافل القادمة من السماوة وحل ضيفاً على أحد طلابه الشيخ صالح القاضي في مدينة حائل والذي رحب به وبالغ في إكرامه واحترامه [٣] " . ومن خلال تتبع المصادر التي تتعلق بتراجم العلماء والقضاة في جبل شمر في الفترة التي قدم بها الشنقيطي لم نجد ما يوافق ما ذكره الخالدي عن الشيخ صالح القاضي الذي حل الشنقيطي ضيفاً عنده . ولو اعتبرنا أن القاضي وصفاً لعمل الشيخ صالح الذي ذكره ، فإننا لم نجد أيضاً من خلال تتبع أسماء العلماء والقضاة (المذكورين بهذا الاسم) من عاش في الفترة التي أتى بها

---

[١] الخالدي ، مرجع سابق ، ص١٤٢-١٤٤.

[٢] الخالدي ، نفسه ، ص١٤٤.

[٣] نفسه ، ص١٤٤-١٤٥.

ومنهم من كان صغيراً [1] وإذا أردنا ترجيح الشيخ صالح بن محمد الزريقي (١٢٩٥ . ١٣٧١هـ) فالشيخ صالح لم يشغل مهمة القضاء ، وإنما كان من العلماء البارزين المهتمين بمهنة التدريس[2]، وقد يكون الخالدي توهم في اسم الشيخ الذي حل الشنقيطي ضيفاً عنده في حائل .

مكانة الشنقيطي وشهرته العلمية فرضت على العلماء وطلبة العلم أن يأتوا إليه عندما يزور مدينة أو إحدى القرى ، فعندما أتى إلى بغداد حل ضيفاً على صالح العسافي (أحد تجار بغداد) فقد قدم إليه عدداً من علماء بغداد ومن بينهم السيد محمود شكري الألوسي (ت١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م) . فكذلك الحال ينطبق على الشنقيطي عندما قدم إلى حائل ، فعندما سمع العلماء وطلبة العلم بقدومه توافدوا إليه إجلالاً له وتكريماً لما يحمله من علم وعمل ، فالفترة التي مكث فيها وإن كانت قصيرة إلا أنه عقد لطلبة العلم والعلماء العديد من الدروس في مختلف العلوم [3] ، ومن أشهر العلماء والقضاة في الفترة التي قدم بها الشيخ سالم بن صالح البنيان (ت ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م) والشيخ الحميدي بن عبد العزيز الرديعان (ت١٣٧٠هـ/١٩٥٠م) والشيخ محمد بن عبد العزيز الهندي(ت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م) والشيخ حمود الحسين الشغدلي (ت١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)والشيخ عبدالرحمن بن سليمان الملق (ت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م والشيخ عبد الله الصالح الخليفي (ت ١٣٨١هـ /١٩٦١م) وغيرهم من العلماء وطلبة العلم . [4]

ومن خلال توافد العلماء إليه وإقامته العديد من الدروس العلمية من الطبيعي أن تكون لها آثارها الإيجابية لدى طلبة العلم والعلماء في جبل شمر، والتي منها معرفتهم بالكتب والمخطوطات التي اطلع عليها ليجلبوها من مواطنها ،وكذلك معرفتهم العلمية بالمذهب المالكي (مذهب الشنقيطي) [5] القريب من المذهب الحنبلي الذي يعتمد على حجة الدليل من الكتاب والسنة ، ويقلل من حجة الرأي ، ومن خلال الدروس التي ذكرها من الطبيعي أن يكون من بينها مواضيع تطرق بها عن أصحاب البدع والخرافات . فتلك الدروس تشجع طلبة العلم والعلماء على الاستمرار في الوقوف

---

[1] للاطلاع على تراجم علماء وقضاة حائل في تلك الفترة . انظر : الهندي ، زهر الخمائل في تراجم علماء حائل ؛ الرديعان ، منبع الكرم والشمائل في ذكر أخبار من عاش من أهل العلم في حائل .

[2] الرديعان ، مرجع سابق ، ص ٣٧٢-٣٧٤.

[3] الخالدي ، مرجع سابق ، ص١٤٤-١٤٥.

[4] الهندي ، مصدر سابق ، ص٩٩-١١٢ ؛ الرديعان ، مرجع سابق ، ص٣٤٦ . ص ٣٦٤ . ص٣٧٥-٣٧٦ . ص٣٨١ . ص٣٩٨.

[5] الخالدي ، مرجع سابق ، ص٩٥.

أمام تلك البدع والخرافات والرد عليها ؛ لأنها مخالفة لما أتى به الله عز وجل ونبيه ، أضف إلى ذلك أن هذه الزيارة إلى جبل شمر رفعت من مكانة العلماء وطلبة العلم بين البلدان الأخرى فزيارة عالم كالشيخ محمد أمين الشنقيطي للمنطقة يفهم منها أن لمنطقة جبل شمر مكانة علمية بارزة وازدهار علمي فكبار العلماء دائماً يأتون إلى المدن المزدهرة بعلمائها ومكتباتها ونساخها .

أما السبب الذي أدى إلى قصر إقامته في جبل شمر والذي ذكره الخالدي أنه شعر بالضيق وعدم الارتياح في حائل لذا خرج إلى عنيزة [1] ، فالسبب وراء خروجه أنه عندما أتى إلى جبل شمر كان هارباً ومتخفياً عن الحكومة البريطانية عندما كان في العراق حتى ضمن له رجال القوافل التجارية وصوله إلى المنطقة وسلامته من الحكومة التي تطارده ؛ لأنه مصدراً من مصادر الثورة ضدهم . فقد تكون حائل من النقاط التي يمر بها ؛ لتحقيق هدفه الحقيقي ، والذي كان سبباً في خروجه من العراق خوفاً من الأسر .

---

[1] الخالدي ، مرجع سابق ، ص١٤٥.

المبحث الرابع ـ التوزع المذهبي بين المنطقتين :

أولاً – المذهب السائد في جبل شمر :

لقد تأثرت المنطقتان بعدد من الأحداث التاريخية التي ساهمت في انتشار مذهب أهل السُنّة والجماعة في منطقة جبل شمر ، وانتشار المذهب الرافضي في جنوبي العراق خصوصاً في كربلاء والنجف والمدن القريبة منها مع وجود أعداد كبيرة من السنة في المدن البعيدة عن النجف وكربلاء كالزبير والبصرة .

منطقة جبل شمر قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كالبلدان النجدية الأخرى التي انتشرت فيها البدع والخرافات حتى أصبح السكان يعتبرونها من الشعائر الدينية وذلك نتيجةً للجهل وقلة العلماء المختصين بالعلوم الشرعية فتلك الشعائر الدينية التي يمارسونها منها ما يصل إلى درجة الشرك [١] ، ونظراً لتلك البدع والأمور الشركية التي يمارسونها أهل نجد بشكلٍ عام أصبحت نجد بحاجة إلى حركة إصلاحية تُعيد شعائر الدين الإسلامي إلى ما كانت عليه في السابق من الصفاء ،وفي ظل هذه الظروف الدينية قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام بدعوة لتجديد الدين [٢] وكانت نقطة التحول في الدعوة الإصلاحية عندما انتقل الشيخ إلى الدرعية في عام (١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م) والتي كان أميرها محمد بن سعود الذي استقبل الشيخ وتم الاتفاق فيما بينهما على نشر الدين الصحيح وإقامة دولة إسلامية . [٣]

نتج عن هذا الاتفاق نشر الدعوة الإصلاحية ومحاربة البدع ، فقد حمل أئمة الدعوة آل سعود على عواتقهم نشرها وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية ، ومن بين تلك البلدان النجدية منطقة جبل شمر التي أصبحت تابعةً للحكم السعودي عام (١٢٠١هـ / ١٧٨٧م) والتي كانت في تلك الفترة تحت سيطرة آل علي في زمن الأمير محمد بن عبد المحسن ، ومن تلك السنة أصبحت منطقة جبل شمر تدافع عن الحركة الإصلاحية وتنشر منهجها الصحيح .[٤]

---

[١] العثيمين ، مرجع سابق ، ٢٦-٢٧ ؛ البسام ، مرجع سابق ، ص٢١٧.

[٢] فاسيلييف ، مرجع سابق ، ص٨٧-٨٨ ؛ البسام ، نفسه ، ص٢١٧-٢١٨.

[٣] البسام ، نفسه ، ص٢٢٦-٢٢٧.

[٤] الحلبي ، مصدر سابق ، ص ٢٧٩ ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص٤٤-٤٥ .

وكانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الأصول على مذهب أهل السنة والجماعة وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل [١] ، ويدل على اهتمام أُمراء جبل شمر وسكانها بهذه الدعوة وتمسكهم بها هو استمرارهم على تأييد هذه الدعوة فيما بعد إمارة آل علي . [٢]

نتج عن دخول إمارة آل علي تحت طاعة الدولة السعودية إرسال القضاة إلى جبل شمر ، فقد كان أئمة الدولة السعودية الأولى والثانية يُرسلون القضاة إليها ، إلا أن أولئك القضاة لم يكونوا مستقرين دائماً وإنما يقتصر وجودهم في أوقات المواسم [٣] ، ومن خلال إقامتهم في جبل شمر وعملهم الذي من طبيعته مقابلة القاضي للسكان ، فمن الطبيعي أن يكون لهؤلاء القضاة الحرص على نشر الدين والتعاليم الإسلامية الصحيحة بين السكان فما قام به القضاة أدى إلى معرفة السكان بالعقيدة الصحيحة والابتعاد عن الأمور الشركية ، وتشجيع السكان على طلب العلم ، ولم يقتصر إرسال القضاة والعلماء في زمن إمارة آل علي بل امتد في عهد إمارة آل رشيد . [٤]

ومن خلال ما ذكرناه يتضح أن منطقة جبل شمر بدأت بالتبعية لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في فترة إمارة آل علي الذين كان لهم الفضل بدخولهم تحت طاعة الدولة السعودية الأولى والتي من نتائجها ابتعاد السكان عن البدع التي تُبعد عن عبادة الله ومعرفة الدين الصحيح (عقيدة أهل السنة والجماعة) .

---

[١] لم يكن المذهب الذي أتى به الشيخ محمد بن عبد الوهاب مذهباً جديداً كما يطلق البعض على الدعوة الإصلاحية وأتباعها (الوهابية) باعتقادهم أنه مذهب جديد ، وإنما كانت هذه الدعوة تجديديةومذهبها نسبة للإمام أحد بن حنبل . رحمه الله . فهذه الدعوة كالمذاهب الصحيحة الأخرى (الشافعية و الحنفية و المالكية) وهي مذاهب أهل السُنة والجماعة . أما بداية المذهب الحنبلي في نجد فقد كان المذهب يُدرس قبل القرن العاشر الهجري ، وطريقة دخول المذهب الحنبلي إلى نجد فقد كان عن عدة طرق منها : الرحلات العلمية التي كان يقوم بها بعض الطلبة إلى الشام ومصر وغيرها ، ودراستهم على علماء الحنابلة في تلك المناطق فقد تاثر الطلاب بمشائخهم وبالمذهب الذي يتبعونه وتحمسهم لتدريسه في بلادهم بعد رجوعهم إليها . (فاسيلييف مرجع سابق ، ص ٨٨ ؛ البسام ، مرجع سابق ، ص١٤٢-١٤٥) .

[٢] مُلين ، محمد نبيل ، عُلماء الإسلام تاريخ وبنية المؤسسة الدينية في السعودية بين القرنين الثامن عشر والحادي والعشرين ، ترجمة: محمد الحاج سالم وعادل بن عبد الله ، ط١ ، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت ، ٢٠١١ ، ص١٤٦ ؛ فالين ، مصدر سابق ، ص١٤٨ ؛ حسني ، مصدر سابق ، ص٤٢ .

[٣] العثيمين ، مرجع سابق ، ص٦٤.

[٤] للاطلاع على العلماء والقضاة الذين قدموا إلى جبل شمر فترة إمارة آل رشيد (١٢٥٠ . ١٣٤٠هـ) أنظر : ص ١٨١-١٨٦ من هذه الدراسة .

اهتم أُمراء آل رشيد بعد إمارة آل علي بأمور الدين وأصبحوا محاربين للبدع والخرافات فقد استمروا على المذهب الحنبلي ، وشجعوا السكان على طلب العلم ورفع مكانة العلماء ، وهذا يدل على تمسكهم بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب [1] . فقد طبق السكان تعاليم الدعوة الإصلاحية ويدل على ذلك ما ذكره فالين : " إن العقيدتين الرئيسيتين في المذهب الوهابي اللتين يعمل بهما عرب شمر هما عدم الاعتراف بواسطة الأولياء وحتى بواسطة الرسول بين الله والإنسان ووجوب الصلاة علناً في المسجد مع الجماعة "[2]. فما ذكره فالين يوضح أهم سبباً الذي من أجله بدأت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي تحريم التوسل بقبور الأنبياء والأولياء الصالحين وجعلهم واسطة بين العبد وربه ، ويدل عدم اعتراف السكان بهذه البدع والخرافات هو حرصهم على تطبيق التعاليم الإسلامية الصحيحة السليمة المعتقد .

ذكر فالين أيضاً حرص الأمير عبد الله بن رشيد على التمسك بالدين ، وذلك من خلال حرص الأمير على معاقبة المتخلفين عن الصلوات . حيث قال : " وحدث مراراً في حائل أن عبد الله بن الرشيد عاقب كثيرين تخلفوا عن هذه الصلاة عقاباً أليماً " [3] فما ذكره فالين يوافق القول (إن صلاح الحاكم صلاح الشعب) فالأمير عبد الله حريص على إقامة الصلاة وعلى أركان الإسلام الأخرى . فقد استمر الأمير على الدعوة الإصلاحية وتعاليهما .

ومن خلال ما ذكرناه يتضح لنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم تكن مذهباً جديداً وإنما هي عقيدة أهل السلف الصالح ، وأن انتشار المذهب الحنبلي في نجد لم يكن نابعاً من بداية الدعوة الإصلاحية بل كان موجوداً في نجد ما قبل دعوة الشيخ ، وأن الفضل في نشر الدين السليم المعتقد في جبل شمر يعود إلى أئمة الدولة السعودية بشكل عام وإلى آل علي على وجه الخصوص وكذلك أمراء آل رشيد الذين استمروا في تمسكهم بالمذهب الحنبلي .

ثانياً – المذهب السائد في جنوبي العراق :

أما المنطقة الأخرى (جنوبي العراق) فينقسم السكان المسلمون فيها إلى مذهبين رئيسيين هما : السني والشيعي ، ويغلب على المدن الواقعة في جنوبي العراق المذهب الشيعي ويعود ذلك إلى عدة أسباب أدت إلى تزايد أعدادهم فمنها :

---

[1] فالين ، مصدر سابق ، ص١٤٧-١٤٨ ؛ نولده ، مصدر سابق ، ص٤٤-٤٥ ؛ فاسيلييف ، مرجع سابق ، ص ٨٢ ؛ Baran , THE RASHIDI ,P55 ؛ العثيمين ، مرجع سابق ، ص١٨٤-١٨٥.

[2] نفسه ، ص١٤٧.

[3] نفسه ، ص١٤٨.

أولاً :وقوع الأحداث التاريخية في المدن الواقعة في جنوبي العراق التي ارتبطت بظهور الشيعة.

ارتبط الوجود الشيعي منذ بدايته ارتباطاً وثيقاً بجنوبي العراق لوجود الأحداث التاريخية التي وقعت هناك ففي عام (٤١/ ٦٦١م) قُتل الخليفة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – في أحد مساجد الكوفة [١] ، وارتبط التشيع بالتبعية للخليفة الراشد علي بن أبي طالب –رضي الله عنه – ويدل على ذلك بروز الشيعة في زمن خلافته حيث تكونت له قاعدة جماهيرية في الكوفة ؛ لأن مقر خلافته فيها حيث ظهر منها العديد من الشيعة المغالين بتقديس علي – رضي الله عنه – مما أدى إلى وجود أصحاب المذهب في الكوفة [٢] ، وزاد تعصبهم لآل البيت فيما بعد وفاة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – حيث طالبوا بالخلافة من بعده لأحد أبنائه وأن آل البيت هم أحق بالخلافة ، وبعد مقتل ابنه الحسين في كربلاء (٦١/ ٦٨٠م) ظهر التشيع بصورة واضحة ، فقد اهتم الشيعة بأضرحتهم حتى أصبحت المزارات تشد إليها الرحال وزيارتها عبادة يتبركون بها ويتوسلون بها حتى سموها بالعتبات المقدسة [٣] ، وتلك الأحداث التاريخية التي وقعت في جنوبي العراق كان لها أثر في وجود أصحاب المذهب في هذه المدن ، وتجمعهم بها بالقرب من تلك الأضرحة للتبرك بها وشرف السكن بها كما يعتقدون شركاً وإبتداعا .

ثانياً – الهجرة المستمرة إلى العتبات المقدسة :

لوجود العتبات المقدسة خاصة التي في كربلاء والنجف دور في جذب المتعصبين للمذهب فقد أصبحت التقاليد تبارك ماءها وترابها ، وتعد الزائرين بالثواب والأجر المضاعف وحصول الشرف

---

[١] نقاش ، إسحق ، شيعة العراق ، ترجمة : عبد الإله النعيمي ، دار المدى ، سوريا ، ١٩٩٦ ، ص٣١.

[٢] الخنيزي ، جهاد بن عبد الإله ، السلفية والشيعة بين خيارين تخاصم أو تصالح ، بيسان ، بيروت ، ٢٠١٢م ، ص١٠٩.

[٣] العتبات : جمع عتبة والمناطق التي يطلق عليها اسم " العتبات المقدسة " أو " العتبات العالية " يوجد أكثرها في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء ، ويعتبر المكان الذي دُفن فيه الخليفة علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . الكائن في النجف المقام المقدس الأول عند الروافض ، والعتبة الثانية من ناحية الأهمية ضريح الإمام الحسين في كربلاء ، وعرف ضريح الحسين في كربلاء قبل ضريح الإمام علي في النجف (بل إن قبر الحسين فاق قبر والده علي رضي الله عنه في التقديس عند الشيعة) وجابر بن عبد الله هو أول من زار هذا القبر بعد حوالي ٤٠ يوماً من أحداث كربلاء ، وفي الكاظمية عتبة كل من الإمام السابع موسى الكاظم والإمام التاسع محمد تقي . أما سامراء ففيها ضريح الإمام العاشر علي الهادي ، والحادي عشر حسن العسكر . أما الإمام الثاني عشر " المهدي " يعتقد الشيعة أنهم يمثلون خط الامتداد الطبيعي لما بعد النبوة عبر تمسكهم بالأئمة من أهل البيت الاثني عشر وأن ما يميزهم عن غيرهم من المسلمين أنهم يحصرون التلقي بعد الرسول . صلى الله عليه وسلم . في أئمة اثني عشر من أهل بيته أولهم الإمام علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي محمد بن الحسن العسكري (قايا ، مرجع سابق ، ص٢٢-٢٣ ؛ الخنيزي ، نفسه ، ص ١٠٦) .

الأعلى لمن دُفن في مقبرة كربلاء (وادي الإيمان) التي لا تفوقها قدسية ومكانة إلا مقبرة النجف [١] فقد أعطوها هاتين المدينتين احتراماً دينياً عميقاً لذا يفضلون الهجرة إليها عن غيرها من المدن بل فاق لدى بعضهم المكانة التي يوليها عامة المسلمين لمكة والمدينة [٢].

أما بداية الهجرة إليها من العرب فهي من الفترة التي بدأ بها ظهور التشيع والتعصب له وهي بإزدياد ، أما هجرة الإيرانيين (الفرس) فقد ذكر نقاش " ففي نهاية القرن السادس عشر كان مجتمع العراق الشيعي مجتمعاً عربياً على العموم وعرّض ظهور إيران الصفوية سكان العراق إلى مؤثرات شيعية فارسية "[٣] . فما ذكره من ناحية التحديد الزمني لقدومهم قد تكون هجراتهم لم تشكل ظاهرة وتأثير على المجتمع الشيعي العراقي إلا بعد ظهور الدولة الصفوية وقوتها التي ساعدت في تدفق الهجرات إليها . أما ما قبل القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي فهناك زيارات مستمرة من شيعة إيران بقصد الحج والتبرك بالمكان وغير ذلك من الأهداف فقد شكلوا تأثيراً على الشيعة في العراق إلا أن أثرهم لا يقارن فيما بعد ظهور الدولة الصفوية ، ويدل على ذلك خروج العديد من العلماء الإيرانيين خلال الفترة ما بين (١١٣٤/١١٧٦هـ - ١٧٢٢م / ١٧٦٣م) فقد نتج عن تدفق هجرة العلماء انتشار اللغة الفارسية انتشاراً واسعاً [٤] .

يقدر لوريمر أعداد أهالي النجف أكثر من ٣٠,٠٠٠ نسمة ، وأكثر من ثلث السكان إيرانيو الأصل وبجانب العامل الديني لهجرتهم إلا أن العامل الاقتصادي أيضاً له أثر في جذبهم إلى العتبات المقدسة خاصة في النجف وكربلاء [٥].

ثالثاً. إرسال الوعاظ والدعاة إلى المدن والقرى القريبة من العتبات المقدسة :

نتج عن زيادة أعداد العلماء سواء من سكانها الأصليين أو الفرس بالاهتمام في الدعوة للمذهب حيث قام الوعاظ بنشر مذهبهم بين القبائل المجاورة لهم وذكر العلوي " عزى المؤرخون العراقيون في القرن التاسع عشر هذه الظاهرة اعتناق القبائل النازحة للمذهب الشيعي إلى نشاط الدعاة والوعاظ الشيعة الذين كانوا يغادرون الأماكن المقدسة مثل النجف وكربلاء وسامراء للعمل

---

[١] نقاش ، مرجع سابق ، ص٤٢ ؛ الوردي ، مرجع سابق ، ص٢٧٤ .

[٢] نيبور ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٢١٠ ؛ نقاش ، نفسه ، ص٣٣-٣٤.

[٣] نفسه ، ص٣٤.

[٤] نفسه ، ص٣٤.

[٥] موزل ، مصدر سابق ... الفرات الأوسط ، ص ٦٧ ؛ لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٩، ص١٧٢٤ .

التبشيري "[1] ، ويرجع الدافع الحقيقي لاهتمامهم في نشر المذهب خصوصاً في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي والذي دخلت فيه أعداد من جميع القبائل المجاورة للعتبات المقدسة بالمذهب الشيعي ، وهو خوف العلماء من الهجمات التي شنها الإمام سعود بن عبد العزيز على كربلاء عام (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) [2] ، ومايؤكد سبب نشرهم للمذهب هوحماية القبائل للعتبات المقدسة ، وذلك لأن القبائل التي لها اتحاد عشائري قديم في جنوبي العراق كالمنتفق وزبيد والدليم والخزاعل وبني لام والبو محمد لم يزيد عدد التشيع فيما بينها إلا في مطلع القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي . فتلك القبائل لم يأتِ إليها الدعاة لنشر مذهبهم بشكل مستمر إلا بعد الهجمات التي شنها آل سعود على كربلاء للرد على الهجمات التي قام بها الشيعية على القوافل النجدية ، ويعود سبب نشر المذهب بين القبائل هو حماية العتبات المقدسة لديهم من خطر القبائل المجاورة الذي تزامن مع الهجمات السعودية ، وأن تقف بجانبهم ضد خصومهم [3] .

نتج عن إرسال الدعاة والوعاظ في تشيع أعداد من القبائل الواقعة في جنوبي العراق (ولا يفهم أن القبيلة التي تشيعت بأن جميع أعداد تلك القبيلة من الشيعة) ، فالقبائل التي نزحت من الجزيرة العربية إلى جنوبي العراق سواءً التي استوطنت في مرحلة مبكرة من التاريخ الإسلامي ،كقبائل المنتفق وزبيد والعُبيد أو القبائل الأخرى التي استوطنت ما بعد القبائل السابقة كالخزاعل وبني لام والتي كان استيطانها في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي ، وقبيلة شمر التي هاجرت على فترات متعاقبة من الزمان واستوطنت في جنوبي العراق ،وكذلك قبيلة تميم النازحة من نجد في حدود عام ١١٨٧هـ/١٧٧٣هـ [4] ، فجميع تلك القبائل عندما قدمت إلى جنوبي العراق كانت تعتنق المذهب السني [5] فقد كان التشيع من تلك القبائل لم يكن برغبة منها وحماس في اعتناق المذهب ، وإنما كان نتيجة لعدة ظروف أدت إلى ذلك ، ومن أهم تلك الظروف والتي لم تحسب لها القبائل أنها عندما استقرت كانت قريبة من مواطن الشيعة (العتبات المقدسة) والواضح أن تلك القبائل قد جهلت المذهب ، فلم تعرف عن معتقداته التي تبعد عن عبادة الله ، وهذه القبائل ترى أن الشعائر

---

[1] العلوي، حسن ، الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤-١٩٩٠م ، ط٢ ، د. ن ، د م ، ١٩٩٠ ، ص٤٢.

[2] فاسيلييف ، مرجع سابق ، ص١١٧-١١٨ ؛ العثيمين ، عبد الله الصالح ، تاريخ المملكة العربية السعودية ، ج١ ، ط٣ ، مطابع الشريف ، الرياض ، ١٤١١هـ ، ص١٥٩ ؛ قايا ، مرجع سابق ، ص٣٥ ؛ نقاش ، مرجع سابق ، ص٥٠.

[3] نقاش ، نفسه ، ص٥٠-٥١ . ص ٧٢ .

[4] نقاش ، نفسه ، ص٤٨-٤٩ ؛ الوردي ، مرجع سابق ، ص٢٥٠.

[5] العلوي ، مرجع سابق ، ص٤٢.

التي يقومون بها عبادة ، فالجهل بأمور الدين سبب في دخولهم بالمذهب وإذا أردنا المقارنة فهو كالجهل الذي كان في نجد قبل قيام الدعوة الإصلاحية .

أما الفترة التي اعتنقت فيها القبائل للمذهب الشيعي فلم تتضح لنا وإنما إشارات بعض المصادر إلى أن ذلك أصبح بصورة واضحة في بداية القرن الثاني عشر الهجري و أواخر القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر الميلادي [١] .

قبيلة شمر كغيرها من القبائل التي هاجرت إلى جنوبي العراق ومع مرور الوقت واستقرارها بالقرب من العتبات المقدسة تأثرت بالظروف المحيطة بها ، فهي كالقبائل التي مرت بها موجة الإعتقاد الشيعي (فليس جميع أعداد القبيلة من الشيعة) وقد كانت في الأصل سُنيّة عندما خرجت من جبل شمر فالأسباب التي أدت إلى تشيع أعداد من قبيلة شمر في جنوبي العراق هي الأسباب نفسها التي أدت إلى تشيع أعداد من القبائل الأخرى ومن تلك الأسباب :

أولاً : قيام العلماء والوعاظ بالأنشطة الدعوية المستمرة بين القبائل المجاورة الذين يغادرون من النجف وكربلاء وسامراء لنشر مذهبهم [٢] ، فأولئك الدعاة يحرصون على إقناع أمير أو شيخ الفخذ باعتناق المذهب فعندما يقتنع بالمذهب يتبعه أفراد العشيرة [٣] .

ثانياً : الجهل بأمور الدين [٤] ، فعندما يقوم الوعاظ بالدعوة لمذهبهم وإدخال البدع من ضمن العبادات ، فالجاهل يعتبرها عبادة والمتعلم لسنة محمد – صلى الله عليه وسلم – ينظر لها بأنها بدعة.

ثالثاً : الهروب من التجنيد الإجباري ، فالعثمانيين لا يعتمدون على الروافض في الأحوال الأمنية والعسكرية وذكر نقاش " وقد يكون أن رجال العشائر في قبولهم بالمذهب الشيعي سعوا إلى التهرب من الجُندية " [٥] .

رابعاً : تهديد القبائل وقوتها التي شكلت خطراً على العتبات المقدسة ، والتي تهدد مصادر دخل الإيرانيين القادمين إلى النجف ، فالضغط القبلي من القبائل المجاورة فتح أعين علماء الشيعة لكسب ود تلك القبائل وأن خطرهم سينتهي عندما يعتنقون مذهبهم [٦] .

---

[١] العلوي ، مرجع سابق ، ص٤٢ ؛ نقاش ، مرجع سابق ، ص٥٠ ؛ آل خميس ، مرجع سابق ، ص٣٠.

[٢] العلوي ، نفسه ، ص٤٢ ؛ الوردي ، مرجع سابق ، ص ٢٥٠ .

[٣] آل خميس ، مرجع سابق ، ص٣٠.

[٤] آل خميس ، نفسه ، ص٣٠.

[٥] مرجع سابق ، ص٧٢.

[٦] نقاش ، نفسه ، ص٥٢.

خامساً : الهجمات التي قام بها أئمة الدولة السعودية الأولى ؛ لنشر الدعوة ومحاربة الشرك والبدع والخرافات[١] . وذكر نقاش:" عززت هجمات الوهابيين على النجف وكربلاء الهوية الطائفية للعلماء والشيعة وزادت دافعهم للضغط على العشائر للتشيع " [٢]. لذا اهتم العلماء بنشر المذهب ؛ لتأمين وحماية العتبات المقدسة من تلك الهجمات .

سادساً : استقرار جماعات من قبيلة شمر بالقرب من كربلاء التي تعتبر لدى الشيعة من أهم المزارات وبحكم مجاورتهم لمدينة كربلاء من الطبيعي أن يكون هناك تأثر فالأقلية دائماً ما تتأثر بالأكثرية فقد تأثرت تلك الأعداد القريبة من كربلاء مع مرور الزمن بالمذهب الشيعي[٣] ، وبحكم قرب المكان لا نستبعد عملية المصاهرة بين القبائل المستقرة في كربلاء وما حولها من القرى فحدوث الزواج مع القبائل الأخرى أمر لا يستبعد حيث ينتج من خلال المصاهرة الاختلاط مع الشيعة واعتناق المذهب الشيعي .

ومن خلال ما ذكرناه من الأسباب التي أدت إلى التشيع يتبين لنا أن تلك القبائل القريبة من العتبات المقدسة كانت (سُنية) في الأصل إلا أنها تشيعت نتيجة لظروف وأحداث أحاطت بها ويفهم من ذلك أن تلك القبائل لم تكن متحمسة وراغبة في اعتناق المعتقد الرافضي لولا ضغط تلك الأسباب والظروف .

أما المدن التي يسكنها الشيعة فهي تختلف من مدينة لأخرى من حيث زيادة أعدادهم وأهم المدن التي يزيد بها التجمع الشيعي (كربلاء) حيث ذكر لوريمر أعداد المستقرين في كربلاء ما يقارب ٨٠,٠٠٠ نسبة وأغلبهم من الشيعة [٤] ، ومذهب الروافض من شمر في كربلاء جعفري [٥]. أمّا (النجف) أعدادهم تصل إلى ٣٠,٠٠٠ نسمة [٦] و(الحلة [٧]) ففيها عدد من الأدباء والعلماء

---

[١] قايا ، مرجع سابق ، ص٣٥ ؛ العثيمين ، مرجع سابق ... تاريخ المملكة ، ج ١، ص١٥٩ .

[٢] مرجع سابق ، ص٥١.

[٣] أوبنهايم و فرنركاسكل ، مصدر سابق ، ج٣، ص ٣٤٦- ٣٤٨ ؛ نقاش ، نفسه ، ص ٧١ ؛ الوردي ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢.

[٤] مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٦ ، ص١٠٢٨ .

[٥] قايا ، مرجع سابق ، ص٨٤.

[٦] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٩ ، ص١٧٢٤.

[٧] البغدادي ، مصدر سابق ، ص١٤٣.

البارزين ويرجع نسبهم إلى شمر ، ولهم أثر في الحلة والمدن العراقية الأخرى [١] ، والمدن الأخرى التي يوجد فيها توزع مذهبي الديوانية والسماوة وسوق الشيوخ [٢] .

أما البصرة فتسكنها أعداد قليلة من الشيعة مقارنة بأعداد سكانها من السنة ،وذكر الحيدري:" والرفضة الذين في البصرة ليسوا من أهل البصرة بل من العجم والبحرين وبعض أهل البادية من شط العرب وغيرهم ممن ترفض فإن كل بصري الأصل سُني " [٣] ، ويفهم من خلال ما ذكره الحيدري أن الشيعة يشكلون أقلية ، وقد يكون سبب وجودهم في البصرة بقصد التجارة .

تعتبر مدينة الزبير من المدن العراقية التي لم يسكنها الشيعة فجميع سكانها من السُنة ، وقد ذكر لوريمر أن أعدادهم ما يقارب ٦٠٠٠ نسمة وجميعهم من السُنة [٤] ، ويرجع سبب عدم وجود الشيعة في الزبير ؛ لوجود ضريح الصحابي الزبير بن العوام –رضي الله عنه –وضريح طلحة ابن الزبير –رضي الله عنه – [٥] وكما هو معروف لدى معتقد الشيعة هو بغض الصحابة –رضي الله عنهم – كما يرجع السبب إلى سنية أهل الزبير ورفضهم أن يساكنهم الشيعة فيها .

يتبادر إلى الذهن أن المدن الواقعة في جنوبي العراق أغلب سكانها شيعة ، أو أن المدن التي فيها العتبات المقدسة (كربلاء و النجف) جميع سكانها من الشيعة فهاتين المدينتين على الرغم من مكانتها الدينية إلا أنها لا تخلو من وجود أعداد من أهل السنة والجماعة ففي مدينة النجف مائة سني وسبب استقرارهم أنهم من موظفي الحكومة العثمانية [٦] ، وفي مدينة كربلاء يبلغ عدد السنة فيها ١٠,٠٠٠ نسمة [٧] ، وما نريد ذكره أن أهل السُنّة ليست أعدادهم قليلة في جنوبي العراق كما يتبادر إلى الذهن لإرتباطه بوجود العتبات المقدسة ، ويدل على كثرة أعداد السنة في جنوبي العراق توزع المذاهب الفقهية ، فأهل البصرة على مذهب الإمام الشافعي ، وأهالي الزبير على المذهب الحنبلي [٨] .

---

[١] الحلي ، مصدر سابق ، القسم الثاني ، ص١٥٣-١٧١.

[٢] البغدادي ، مصدر سابق ، ص١٤٦-١٤٨.

[٣] مصدر سابق ، ص٦.

[٤] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج١٤ ، ص٢٥٩٤.

[٥] ابن بطوطة ، مصدر سابق ، ج١، ص١٦٨ ؛ نيبور ، مصدر سابق ، ج٢، ص١٩١ ؛ الصانع والعلي ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٣٤-٣٦.

[٦] لوريمر ، مصدر سابق ، القسم الجغرافي ، ج٩ ، ص١٧٢٤.

[٧] لوريمر ، نفسه ، ج٦ ، ١٢٠٨ .

[٨] الحيدري ، مصدر سابق ، ص٦-٧ ؛ نيبور ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٨٦.

يجب أن نذكر أن أعداداً من قبيلة شمر هاجرت من جبل شمر واستوطنت في جنوبي العراق وتمسكت بمذهبها الأصل (السني) . فلم تأثر بها الظروف التي أثرت في الأعداد الأخرى من قبيلة شمر وذلك ؛ لأن استقرارها كان بعيداً عن النجف وكربلاء فاختلاطهم الاجتماعي كان مع أهل السُنّة كالزبير والبصرة ، أضف إلى ذلك أن أعداداً من شمر لم تتأثر في التشيع كالجرباء ؛ لأن استقرارها في جنوبي العراق لم يدم طويلاً .

نظراً لوجود التوزع المذهبي في جنوبي العراق الذي نتج عنه حدة الاختلافات والمناقشات المذهبية ما بين السنة والشيعة ، فتلك الاختلافات لم تكن على مستوى العلماء بل امتدت ما بين العامة ، ونتيجة لتلك الاختلافات التي شكلت خطراً أصدر علماء مذهبي السنة والشيعة فتوى مشتركة باللغات العربية والعثمانية والفارسية حول ضرورة معاقبة مروجي الخلاف بين المذهبين من الجهلاء ومشعلي الفتن بين أبناء الأمة الواحدة .[1]

فقد كان موقف الحكومة العثمانية من تلك الخلافات المذهبية تمثل في إصدار بيان حول ضرورة الامتناع عن تداول الخلافات المذهبية بين أهالي السُنة والشيعة في العراق والدعوة إلى المؤاخاة في الدين وتقوية الأواصر بين الدولة العثمانية وإيران [2]، وبالفعل لقد قامت الحكومة العثمانية بتهدئة الخلافات المذهبية في العراق ، ويدل على ذلك تهنئة قاضي ومفتي وعلماء ونقيب الأشراف في بغداد إلى الوالي بمناسبة قضائه على الفتن المذهبية في العراق [3].

---

[1] أغلو ، سنان معروف ، العراق في الوثائق العثمانية (الأوضاع السياسية والاجتماعية في العراق خلال العهد العثماني) ، دار الشروق ، عمان ، ٢٠٠٦م ، ص١٠٨.

[2] أغلو ، نفسه ، ص١٢٠.

[3] أغلو ، نفسه ، ص١٢٥-١٢٦.

المبحث الخامس ـ أثر هذه الصلة على الحياة العلمية في جنوبي العراق :

أثرت صلة علماء جنوبي العراق بجبل شمر على الحياة العلمية في جنوبي العراق فمنطقة جبل شمر تزدهر بالحياة العلمية ، ويدل على ذلك زيادة أعداد علمائها البارزين خصوصاً في العلوم الشرعيّة[١]، فعندما قدم الشيخ محمد أمين الشنقيطي إلى جبل شمر توافد غليه العلماء وطلبة العلم الذين عقد لهم دروساً في مختلف العلوم ، والمواضيع التي يسألونه عنها [٢] ، ثم أولئك العلماء الذين قابلوا الشيخ أغلبهم يتميزون بامتلاك الكتب والمخطوطات النادرة [٣] التي أعطوا الشيخ نبذة عما تحتويه تلك المكتبات الخاصة بهم التي جذبت انتباه الشيخ ؛ لندرتها ، ويدل على أهمية المكتبات في جبل شمر طلب الشيخ نعمان الألوسي من الشيخ صالح السالم البنيان العديد من الكتب [٤] .

أثرت صلة الشنقيطي بجبل شمر على الحياة العلمية في جنوبي العراق عند عودته إلى الزبير عام (١٣٣٧هـ / ١٩١٨م) حيث حلّ ضيفاً على الشيخ إبراهيم بن عبد الله الراشد وعندما استقر في الزبير استمر على نشر العلم ، فقد عقد دروساً في المساجد توافد إليه طلبة العلم ؛ ليستفيدوا من علمه ، وتطور الأمر بفكرة إنشاء مدرسة أهلية في الزبير ، وبالفعل تم إنشاء جمعية ومدرسة النجاة الأهلية [٥] ، ومن الطبيعي أن ما رآه الشنقيطي في جبل شمر من ازدهار علمي من خلال تعدد العلماء البارزين والمكتبات الخاصة بهم والتي تحتوي على العديد من الكتب والمخطوطات النادرة والثمينة أن ينقل ما رآه ؛ لحرصة على نشر العلم ، فتلك الدروس التي عقدها في الزبير لطلبة العلم منها ما يوصي بها طلابه بالرجوع إليها ، ويتحدث أيضاً عن تلك المكتبات وأهميتها فما نقله الشيخ عن الحياة العلمية في جبل شمر زاد من معرفة العلماء وطلبة العلم في الزبير أو المدن المجاورة لها .

---

[١] للاطلاع على علماء جبل شمر . أنظر : الهندي ، زهر الخمائل في تراجم علماء حائل ؛ الرديعان منبع الكرم والشمائل في ذكر أخبار وآثار من عاش من أهل العلم في حائل .

[٢] الخالدي ، مرجع سابق ، ص١٤٤-١٤٥.

[٣] من نوادر المخطوطات في الخزائن الحائلية (المحرر للمجد) ابن تيميه المنسوخ منه (٧١٤هـ) عن نسخة المؤلف ومن ذلك المثال يتضح المقصود بالنوادر فهي ما كان بالنظر إلى نسخ المؤلف بنفسه (أي ما خط بيد المؤلف) أو بخط تلميذه أو نسخته التي قرأها وصححها أو قرب سنة نسخها من زمن حياة المؤلف ، وتكون المخطوطات من النوادر إذا لم يسبق لها الطبع (الرديعان ، مرجع سابق ، ص١٠٧.

[٤] وثيقة رقم (١/٩٧) ، (٢/٩٧) ملحق الوثائق . الرديعان ، نفسه ، ص٦١١-٦١٢ .

[٥] الخالدي ، مرجع سابق ، ص١٧٢-١٧٥.

وما يجب أن نذكره هنا سبب ازدهار المكتبات الخاصة في جبل شمر التي جذبت انتباه العلماء القادمين إليها فمنها :

أولاً : كثرة أعداد العلماء (فترة إمارة آل رشيد) فقد تعدى عددهم ثمانين عالماً وقاضياً أغلبهم في العلوم الشرعية [١].

ثانياً : زيادة أعداد النساخ المهتمين بنسخ الكتب حيث أحصى الرديعان أعدادهم بأنها وصلت إلى ستة وثلاثين ناسخاً [٢].

للصلات العلمية أثر بجانب العلاقات السياسية والصلات الاقتصادية والاجتماعية ، وذلك من خلال اهتمام العلماء والأدباء والمثقفين في جنوبي العراق بأخبار إمارة آل رشيد في جميع الجوانب الحضارية والسياسية ، ومن المنابر العلمية التي تطرقت عن إمارة آل رشيد في جميع جوانبها مجلة لغة العرب التي أصدرها أنستاس الكرملي والتي بدأ نشاطها في عام (١٣٢٩هـ/ ١٩١١م) [٣] حيث كتب فيها سليمان الدخيل العديد من المقالات التي تتعلق بالإمارة . فقد كتب في السنة الأولى من إصدارها مقالاً عن (نجد) تطرق فيه عن موقعها وحدودها ، وعن سكان نجد في الزمن القديم والحاضر وعن أقسام نجد (الإمارات الثلاث) التي من بينها إمارة آل رشيد حيث تطرق عن الحياة العلمية في جبل شمر قائلاً : " وترى في بلادهم اليوم الكتب العربية القديمة النادرة الثمينة التي لا ترى لها وجوداً في سائر البلاد العربية وأغلبها غير مطبوع وتؤانس جماعة منهم الصحف السيارة والمجلات الموقوتة ، وأهل هذه الديار أنور من غيرهم من تلك الأقطار في العلوم العصرية وأوسع اطلاعاً في الأمور السياسية " [٤].

ومن المقالات التي كتبها عن الإمارة مقال عن (أخلاق نجد) بشكل عام وجبل شمر من البلدان النجدية فقد تطرق في البداية عن أخلاقهم والصفات التي يتميزون بها عن غيرهم ، وعن

---

[١] للاطلاع على أعداد العلماء والقضاة الذين عاشوا فترة إمارة آل رشيد . أنظر : الهندي ، زهر الخمائل في تراجم علماء حائل تحقيق : إبراهيم الحازمي .

[٢] الرديعان ، مرجع سابق ، ص١١٣.

[٣] الظاهري و سدو ، مرجع سابق ، ص١٧.

[٤] مصدر سابق ، لغة العرب ، ع١ ، س١ ، رجب ١٣٢٩هـ ، يوليو ١٩١١م ، ص١٦-٢٢ ؛ عجيل ، مرجع سابق ، ص٤٥-٥١ .

تجارتهم والأقطار الخارجية التي يتعاملون معها كالعراق ومصر والشام ، وعن زراعتهم وصناعتهم ديانتهم ومعتقداتهم[١] .

ومقال آخر بعنوان (إمارة آل رشيد) تطرق فيه بمعلومات عن أسماء الإمارة وبيت آل رشيد أصحاب الحكم موضحاً اسم الأمير في تلك الفترة سعود بن عبدالعزيز المتعب (١٣٢٦هـ . ١٣٣٨هـ / ١٩٠٨ . ١٩٢٠م) وموقع الإمارة وحدودها ، وأقسام السكان وأعدادهم ،وطبقات المجتمع الحائلي ، وبيان كيفية حروبهم وغير ذلك من المعلومات التي شملت النواحي الحضارية والسياسية [٢]. أضف إلى تلك المقالات التي كتبها الدخيل ما كُتب في لغة العرب في قسم (تاريخ وقائع الشهر في العراق وما جاوره) حيث ذكر فيها عن الأوضاع السياسية في الإمارة وغزوات آل رشيد جنوبي العراق[٣] ، وعلاقتهم مع القبائل التي في جنوبي العراق وعن علاقة الإمارة مع الحكومة العثمانية والملك عبد العزيز فتلك المعلومات التي دونتها لغة العرب أغلبها في فترة حكم الأمير سعود العبد العزيز المتعب ١٣٢٦- ١٣٣٨هـ [٤].

ومن خلال ما ذكرناه يتضح لنا أن الصلات العلمية لها أثر في اهتمام العلماء والأدباء والمؤرخين في جنوبي العراق بمعرفة أخبار إمارة آل رشيد ، وما كتبه سليمان الدخيل من معلومات ذات أهمية في جميع الجوانب الحضارية والسياسية في عدد من المقالات ، فقد أوصل تلك المعلومات عن طريق المجلة إلى تلك الطبقة ، مما زاد من الجانب المعرفي لدى العلماء والمثقفين في جنوبي العراق والعراق بشكل عام من تلك الفترة حتى وقتنا الحاضر .

أغلب العلماء والأدباء وكذلك رجال السياسة العراقين اعتادوا كتابة المذكرات التاريخية التي تتعلق بحياتهم مما شاهدوه وسمعوه من أحداث سياسية وحضارية في العراق وما جاورها . والتي أثرت في زيادة صلة العلماء العراقيين بجبل شمر (بجانب الصلات الاقتصادية والاجتماعية والعلاقات السياسية) في كتابة معلومات عن جبل شمر ، ومن تلك المذكرات ما كتبه سليمان فيضي الذي قدم

---

[١] الدخيل ، مصدر سابق ، ع٢ ، س١ ، شعبان ١٣٢٩هـ ، أغسطس ، ١٩١١ ، ص٦٣-٦٩.

[٢] الدخيل ، مصدر سابق ، لغة العرب ، ع١٠ ، س٣ ، جمادي الأول ١٣٣٢هـ / أبريل ١٩١٤م ، ص٥٧٩ . ٥٨٦ ؛ عجيل ، مرجع سابق ، ص١٦٤-١٧٠.

[٣] لغة العرب ، تاريخ وقائع الشهر في العراق وما جاوره ، ع٣ ، س١ ، رمضان ١٣٢٩هـ/ سبتمبر ١٩١١م ، ص١١٣-١١٤، ص٢٧٧ .

[٤] لغة العرب ، تاريخ وقائع الشهر ، ع٩ ، س٣ ، ربيع الثاني ١٣٣٢هـ / مارس ١٩١٤م ، ص٥٥٦.

إلى جبل شمر في عهد الأمير عبد العزيز المتعب آل رشيد في عام (١٣٢١هـ / ١٩٠٤م) [١] ، وفي عام (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م) أُصيب سليمان بمرض أملى خلال الفترة الأخيرة من حياته تلك المذكرات . حيث أورد في تلك المذكرات التي أملاها معلومات ذات أهمية ذكر فيها عن حُسن العلاقات السياسية ما بين إمارة آل رشيد والحكومة العثمانية خصوصاً في عهد الأميرين محمد العبد الله وعبد العزيز المتعب ، وأن تلك العلاقات كانت سبباً في ذهابه إلى جبل شمر لمقابلة الأمير للوساطة له لدى الحكومة العثمانية ؛ لإلغاء قرار فصله من الخدمة العسكرية في بغداد ، فقد أعطى في تلك المذكرات صورة واضحة لقوافل الحجاج التي خرج معها من مدينة الزبير واصفاً فيها حراسة تلك القوافل من عدد من الرجال المسلحين ، ومدة سير القوافل التي استغرقت أربعة عشر يوماً واللحظة التي دخل بها عاصمة الإمارة (حائل) فقد وصف أسواقها التي تتنوع فيها أصناف المنتجات ، والمساجد ، والمدارس ، والبيوت المشيّدة بالطين وكثرة النخيل وأنواع الفواكه التي تحيط بالمدينة . [٢]

أما من الناحية السياسية فقد بدأ سليمان فيضي بوصف الأمير عبد العزيز المتعب عندما قابله قائلاً : " كان شاباً في الخامسة والثلاثين ، أسمر الوجه ، ذا هيبة ووقار ، وعينين قاستين ونظرات نفاذة ، معتدل القوام صلب البُنية ، تتوسم فيه الإقدام والجرأة لأول مرة إذا جلس وضع السيف في حجره ، وإذا مشى حمله بيده " [٣] ، وتطرق إلى قيام إمارة آل رشيد ، وعن الأمير محمد العبد الله وعلاقته بالسلطان عبد الحميد بما فيها من الهدايا المتبادلة فيما بينهم . كما تطرق أيضاً عن إمارة آل سعود وبداية توحيد الملك عبد العزيز للبلاد عام (١٣١٩هـ / ١٩٠١م) ، وعن العلاقات السياسية ما بين الأمير عبد العزيز آل رشيد والملك عبد العزيز وعلاقته مع الشيخ مبارك الصباح ، وكذلك عن أوضاع إمارة آل رشيد فيما بعد عهد عبد العزيز المتعب موضحاً الخلافات الداخلية فيما بينهم على السلطة[٤] ، وختم مذكراته التاريخية عن إمارة آل رشيد قائلاً :" هذا ما كان من أمراء آل رشيد بعد خذلانهم ، أما آل سعود فقد استقامت لهم الأمور ، وهيمنوا على نجد والأحساء ثم على الحجاز وعسير واستمر حكمهم فيها حتى اليوم كما يعلم الجميع . [٥]

---

[١] مصدر سابق ، ص٤٠ .

[٢] نفسه ، ص٤٠ .

[٣] نفسه ، ص٤٤.

[٤] نفسه ، ص٥٣-٥٨ .

[٥] نفسه ، ص٥٩.

أثرت مذكرات سليمان فيضي التي كتبها على الحياة العلمية في العراق بشكل عام بما فيها جنوبي العراق . فقد أصبحت تلك المذكرات مصوراً مهماً في تاريخ العراق الحديث ، وكذلك مصدراً للدول والإمارات التي تطرق إليها في مذكراته سواءً في الجوانب السياسية أم الحضارية ، فما كتبه زاد من معرفة العلماء والأدباء العراقيين المهتمين بأخبار إمارة آل رشيد وعلاقاتها السياسية وجوانبها الحضارية لما تحمله تلك المذكرات من معلومات ذات أهمية حتى وقتنا الحاضر .

أما سبب عدم ذكر تلك المذكرات بجانب صلة علماء جنوبي العراق بجبل شمر يتضمن في سببين :

أولاً : أن سليمان فيضي عسكري من رجال السياسة وقدومه إلى جبل شمر كان الهدف منه سياسياً أضف إلى ذلك أنه لم يمكث فيها لأنها خرج منها بأسرع وقت لما علم أن الأمير عبد العزيز المتعب معسكراً بالقرب من عنيزه . [1]

ثانياً : أن مذكراته لم تكتب إلا في عام (١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م) أثناء مرضه ولم تنشر إلا بعد عام من وفاته (رحمه الله) توفي في بغداد (١٣٧٠/٤/١٠ هـ -١٩٥١/١/١٩م) [2].

---

[1] مصدر سابق ، ص٤١.

[2] نفسه ، ص٢٧.

الخـاتمــة

الحمد لله – سبحانه وتعالى – على مامَنَّ به في إتمام البحث وأسأل الله المزيد من توفيقه، ومن أبرز النتائج التي خلصت إليها من هذا البحث :

- للأوضاع السياسية في نجد خصوصاً بعد قيام الدولة السعودية الأولى والذي أصبح جبل شمر تابعاً لها في عام ١٢٠١هـ/١٧٨٧م دورٌ في هجرة أعداد من قبيلة شمر إلى العراق كهجرة آل جربا عام ١٢٠٥هـ/١٧٩١م بقيادة مطلق الجربا . وبجانب الأحداث السياسية تدهور الأوضاع الاقتصادية في جبل شمر عندما تحل بهم سنوات الجفاف بعكس المدن الواقعة في جنوبي العراق التي تنعم بالرخاء الاقتصادي ؛ لوجود نهري دجلة والفرات ، فذلك كان له دور في هجرة جماعات من سكان نجد بشكل عام وجماعات من جبل شمر على وجه الخصوص إلى جنوبي العراق .

- أن أفخاذاً من قبيلة شمر عندما هاجرت إلى جنوبي العراق واستقرت بها أصبح لها أثر في الجانب الاقتصادي والمعرفي و فقد اهتمت شمر طوقه بالزراعة يزودون الأسواق بالمنتجات الزراعية ، وكذلك في الخميسية تسكن أعداد من شمر فيها ، والهدف من استقرارهم مزاولة التجارة ، وفي الحلة عائلة الكواز المشهورين ببيع الكيزان والأواني الخزفية ، وبجانب ذلك أصبح لهم أثراً في الجانب المعرفي ، فقد نشأ منهم عدد من العلماء والأدباء كأسرة الكواز والعذاري في الحلة ، وفي الديوانية صلال الموح وأبناء عمومته ، فقد أصبحت لهم علاقات علمية مع العلماء العراقيين .

- أن المدن الواقعة في جنوبي العراق تتميز بتعدد القبائل وأغلبها هاجرت من الجزيرة العربية فمنها من كانت هجرتهم ما قبل الإسلام ، ومنها مع بداية الفتح الإسلامي في العراق فالهجرات إليها إستمرت حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري ، فتلك القبائل القاطنة في جنوبي العراق تختلف في توزيعها الجغرافي فمنها التي كانت انتشارها في جميع أنحاء العراق كقبيلة زبيد وشمر ومنها من كان توزيعها الجغرافي محصوراً في جنوبي العراق كقبائل المنتفق .

- لم تكن هناك هجرات من قبائل جنوبي العراق إلى جبل شمر بشكل واضح سوى هجرة أعداد من المشاهدة وهؤلاء كان قدومهم من العتبات المقدسة (النجف و كربلاء) وهم من عدة أسر وليسوا من قبيلة واحدة ، وإنما سموا بذلك نسبةً لموطن قدومهم (مشهد علي) وسبب قدومهم اقتصادي ، وذلك عندما قام الأمير طلال العبد الله آل رشيد ١٢٦٣هـ . ١٢٨٣هـ بجلب التجار والحرفيين إلى عاصمة الإمارة (حائل) .

- لموقع جبل شمر الجغرافي القريب من جنوبي العراق بالنسبة للأقطار الأخرى دور في وجود التبادل الاقتصادي فيما بينهما ، بجانب دور حكام آل رشيد في تشجيع أصحاب القوافل التجارية لتزويد السكان والأسواق من المدن العراقية التي تنعم بالرخاء الاقتصادي .

- أن العملات النقدية التي كانت تستخدم في جبل شمر لا تختلف كثيراً عن العملات المتداولة في جنوبي العراق كالنقود العثمانية (الرسمية) مثل الليرة العثمانية الذهبية والمجيدي الفضي والبارة وكذلك النقود الأجنبية مثل الريال الفرنساوي .

- أن طرق القوافل التجارية تختلف في فترة سيرها حسب الفصل التي تخرج فيه ففي فصل الصيف يحتاج رجال القوافل والركائب للماء الكثير لذلك يتتبعون موارد الماء مما ينتج عن ذلك طول المسافة ، أما في فصل الشتاء فتكون المسافة أقصر من فصل الصيف وأول الخريف لإستغنائهم عن موارد الماء لذا يكتفون بمياه الأمطار التي تتوفر بالمصامد والغدران.

- لعقيلات الجبل دور بارز في تقوية الصلات الاقتصادية بين جبل شمر وجنوبي العراق حيث قاموا بتزويد الأسواق بجميع المنتجات العراقية التي يحتاجها سكان جبل شمر ، وبيع منتجاتهم في المدن العراقية ، وأن دور العقيلات لا يقتصر على التجار من جبل شمر بل امتد إلى أهالي بريدة المتميزين بذلك فمنهم أسرة الرواف المشهورين بالتجارة ، حيث قام إبراهيم الرواف وأبنائه خليل وياسين بشراء الإبل من بدو شمر وبيعها في الشام والعراق .

- أن الأسواق في المدن العراقية كأسواق البصرة والزبير والخميسية وسوق الشيوخ والسماوة والنجف لا تقارن بأسواق جبل شمر من حيث تصميمها الرائع والمنتجات المتوفرة فيها المتعددة الأصناف كالمنتجات الأوروبية والهندية والإيرانية والمحلية ، ولاتقارن أيضاً بأعداد الزوار

القادمين إليها ، ويدل على ذلك اعتماد أصحاب القوافل التجارية بجلب البضائع من تلك الأسواق العراقية لتزويد أسواق جبل شمر ، فقد نتج عن تلك الصلات الإقتصادية ازدهار الأسواق في جبل شمر وتعدد المنتجات وتوافرها ، مما أدى إلى قيام البدو القريبين من حائل بشراء ما يحتاجونه من أسواقها بدلاً من السفر إلى العراق .

- أن الحياة العلمية في جبل شمر مزدهرة فقد تعددت فيها المكتبات الخاصة بالعلماء وكثرة أعداد القضاة والعلماء فيها ، وعلى الرغم من زيادة أعدادهم إلا أن صلتهم العلمية مع علماء العراق أقل بكثير ، وذلك ؛ لأن علاقاتهم العلمية كانت أغلبها محصورة بعلماء نجد فالصلات العلمية مابين المنطقتين اقل بعكس الصلات الاقتصادية المستمرة مع جنوب العراق.

- علماء جبل شمر الذين كانت لهم صلة علمية مع علماء العراق كانوا محدودين وأبرزهم :الشيخ صالح بن سالم آل بنيان ، والشيخ عوض بن محمد الحجي ، وأن تلك الصلات العلمية كانت عن عدة وسائل منها المراسلات المكتوبة فيما بينهم ، حيث ترسل مع أصحاب القوافل التجارية أو قوافل الحجاج القادمين من العراق أو عن طريق أحد أقارب العلماء ، وذلك عندما ذهب الشيخ حسن بن محمد الحجي (أخو الشيخ عوض) إلى البصرة وأقام فيها سبع سنوات أو تكون عن طريق المقابلة ما بين الشيخين .

- أن القبائل الواقعة بالقرب من كربلاء و النجف لم يعتنق جميع أفرادها المذهب الشيعي ، وإنما أغلبهم من أهل السُنة كقبيلة المنتفق وشمر وزبيد والخزاعل وتميم وغيرها من القبائل ، يضاف إلى ذلك أن الأفخاذ التي تتفرع من تلك القبائل ليس جميعها شيعة ، وإنما أغلبهم من أهل السُنة ، وأن سبب اعتناق اعداد منهم للمذهب الشيعي كان نتيجة للجهل و لقربهم من العتبات المقدسة وحرص علمائها ودعاتها على اعتناق تلك القبائل المذهب وذلك ؛ لحماية العتبات المقدسة من الهجمات لأن القبائل يتميزون بالشجاعة .

- أن صلة علماء جنوبي العراق بعلماء وأمراء شمر قليلة وأغلبها أدبية (شعرية) حيث قام أعداد من شعراء الحلة وكربلاء بكتابة القصائد بأمراء جبل شمر كالشاعر جعفر الحلي ، والهمداني ، وأن العوامل التي أدت إلى تلك الصلة حماية أمراء آل رشيد لقوافل الحجاج

القادمة من العراق ، وعلاقة إمارة آل رشيد القوية بالسلاطين العثمانيين كعلاقة الأمير محمد العبد الله آل رشيد ١٢٨٩- ١٣١٥هـ بالسلطان عبد الحميد الثاني ، فتلك الصلات جميعها أدبية ما عدا صلة الشيخ محمد أمين الشنقيطي بعلماء جبل شمر .

والحمدلله رب العالمين

الملاحق

- الخرائط

- الصور

- الوثائق

ملحق (١)

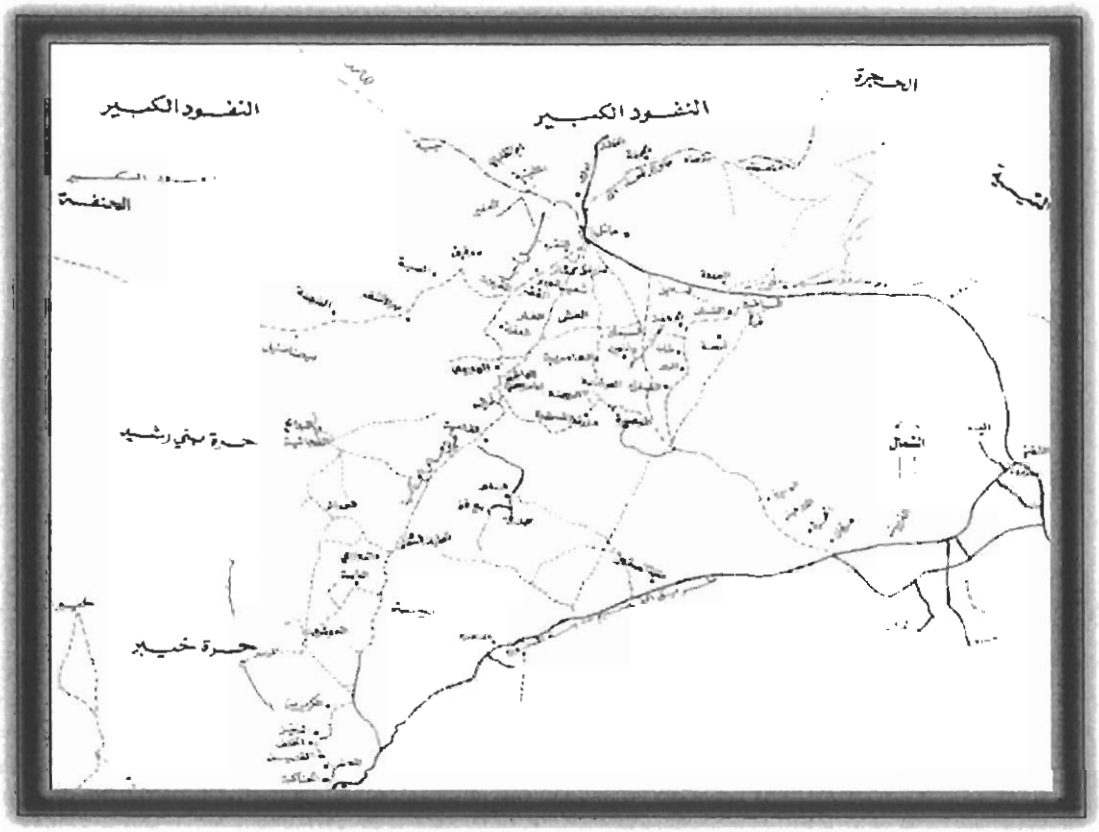

خريطة توضح عاصمة إمارة آل رشيد و القرى التابعة لها كما رسمها الرحالة بالجريف

عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م

ملحق (٢)

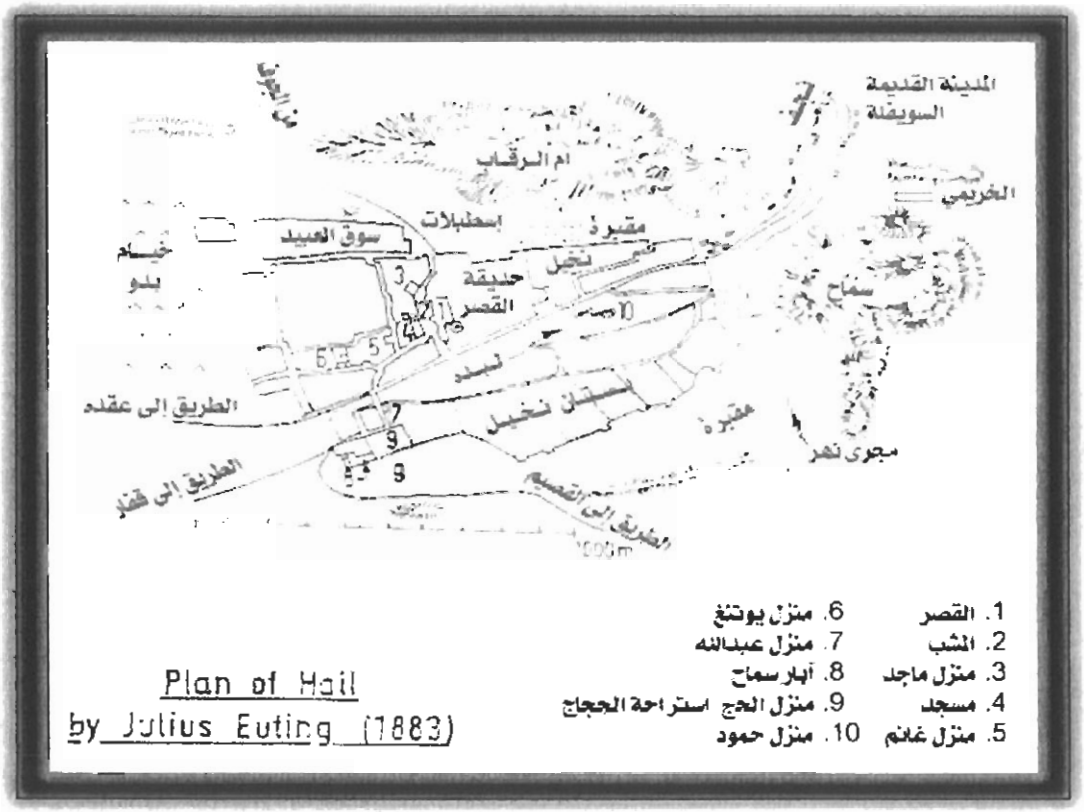

مخطط مدينة حائل كما رسمها الرحالة يوليوس أويتنج في عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م

ملحق (٣)

خريطة توضح المدن الواقعة في جنوبي العراق من تصميم الباحث

ملحق (٤)

١٠٠ ليرة عثمانية ذهب سكة في القسطنطنية عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م

ملحق (٥)

٢٠ بارة عثمانية سكة في القسطنطينية عام ١٣٢٧هـ / ١٩٠٨م

ملحق (٦)

مجيدي عثماني ضرب في القسطنطينية عام ١٢٩٣هـ /١٨٧٦م

ملحق (٧)

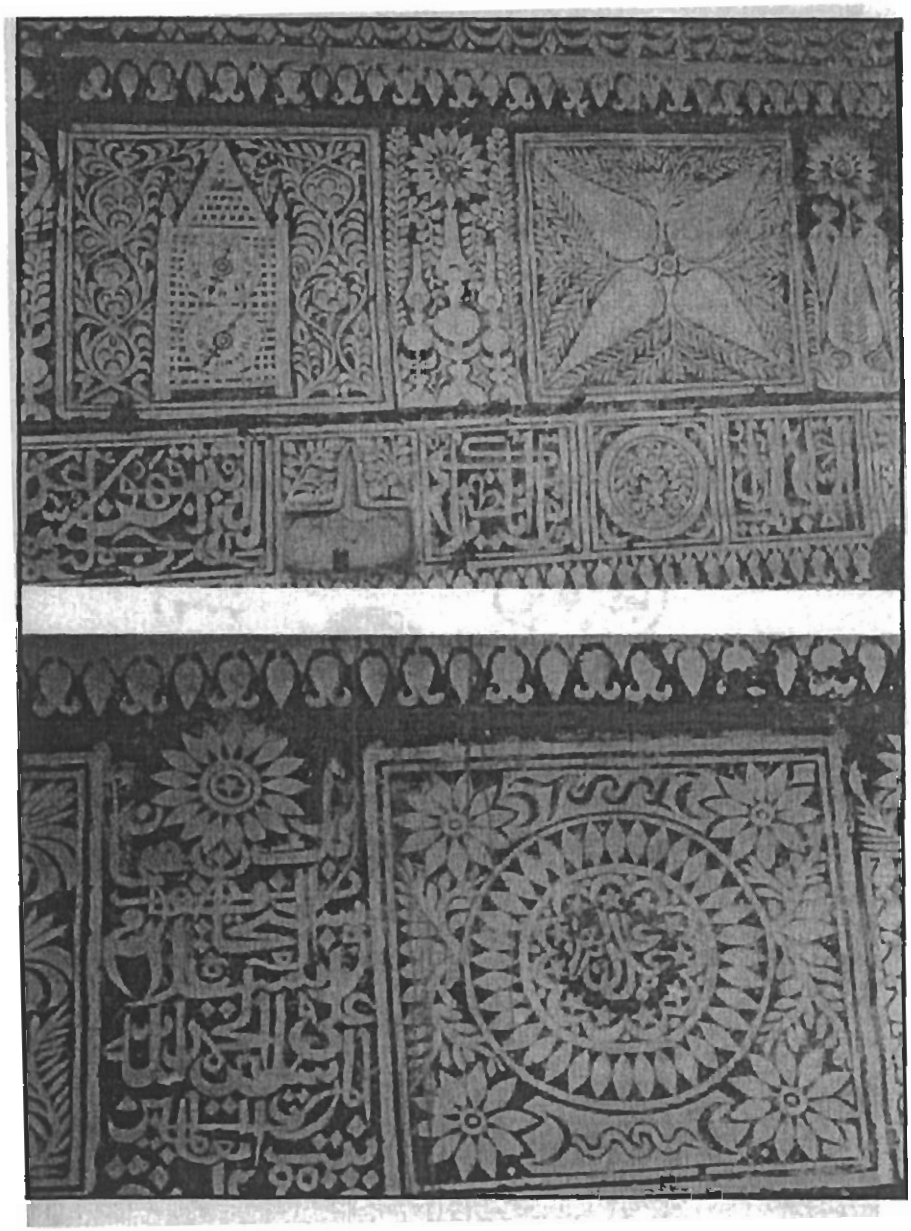

نقوش عبود المشهدي بإستخدام الجص لعدد من البيوت الحائلية والتي كان لها أثر في إدخال إحدى فنون العمارة بحائل . من كتاب مقامات حائلية ، ج١، احمد فهد العريفي

ملحق (٨)

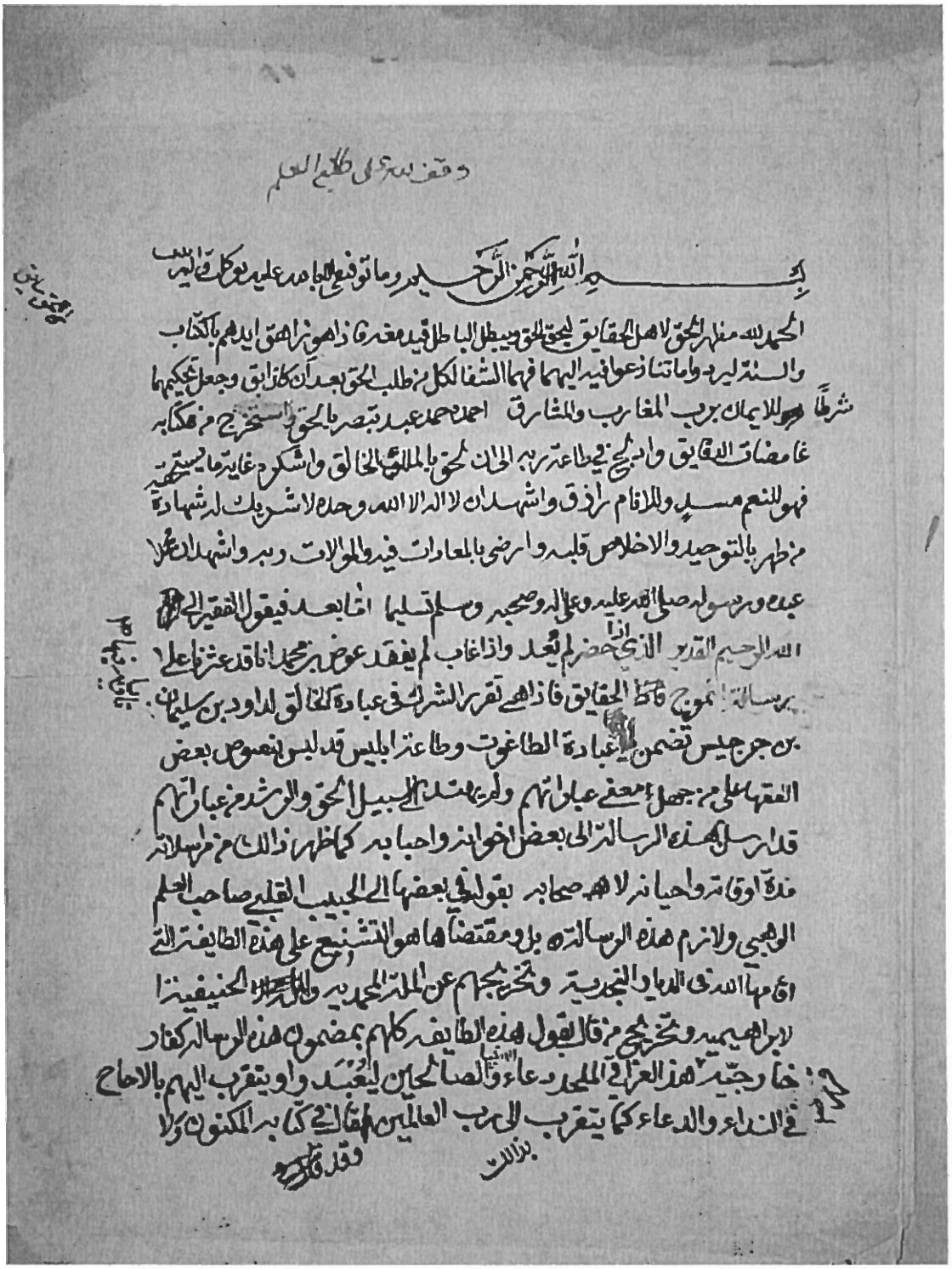

مخطوط الشيخ عوض الحجي (الصواعق في أجوبة أنموذج الحقائق) في الرد على داوود ابن جرجيس

ملحق (٩)

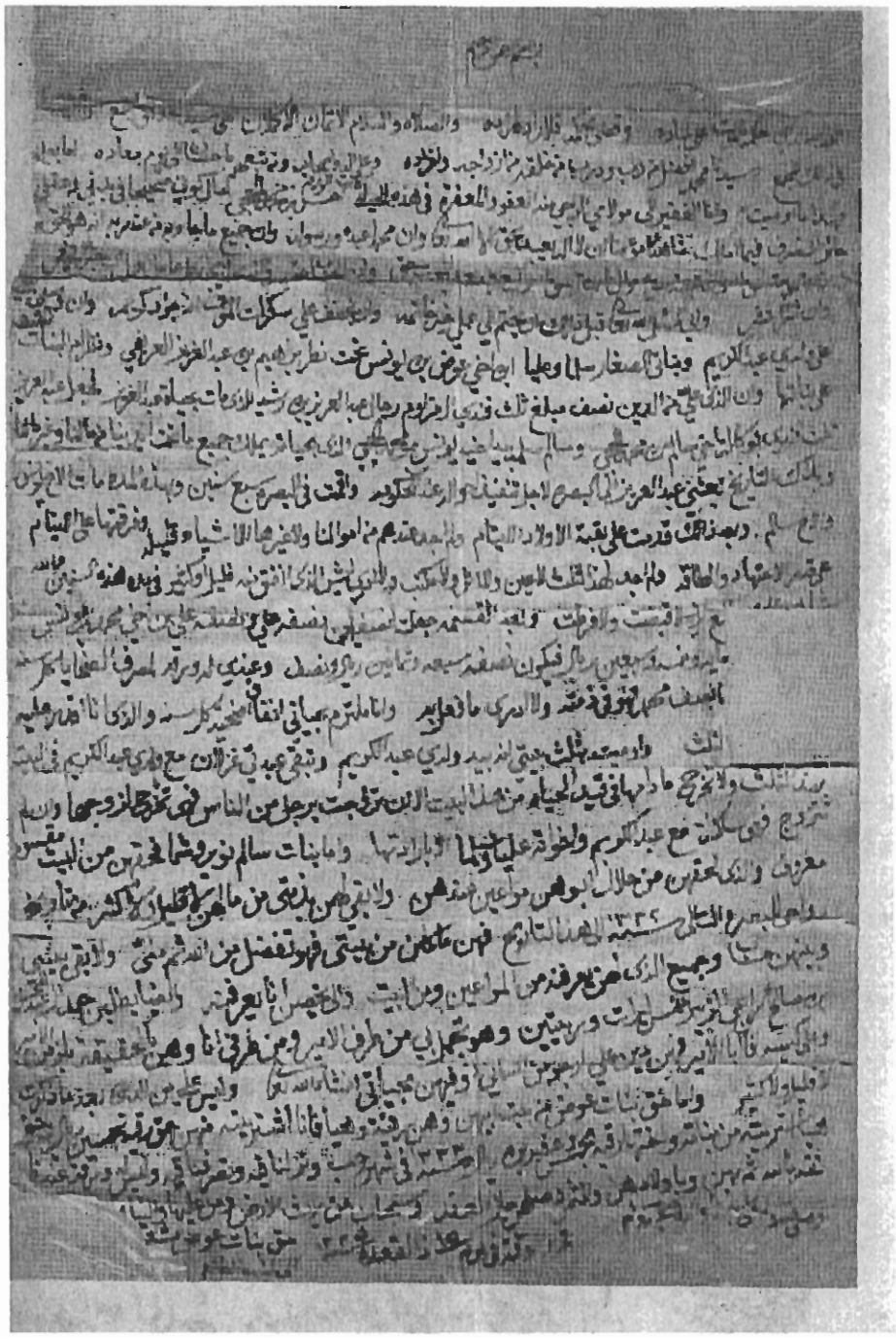

وصية الشيخ حسن بن محمد الحجي في عام ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م

من كتاب (منبع الكرم والشمائل) حسان الرديعان

ملحق (١/١٠)

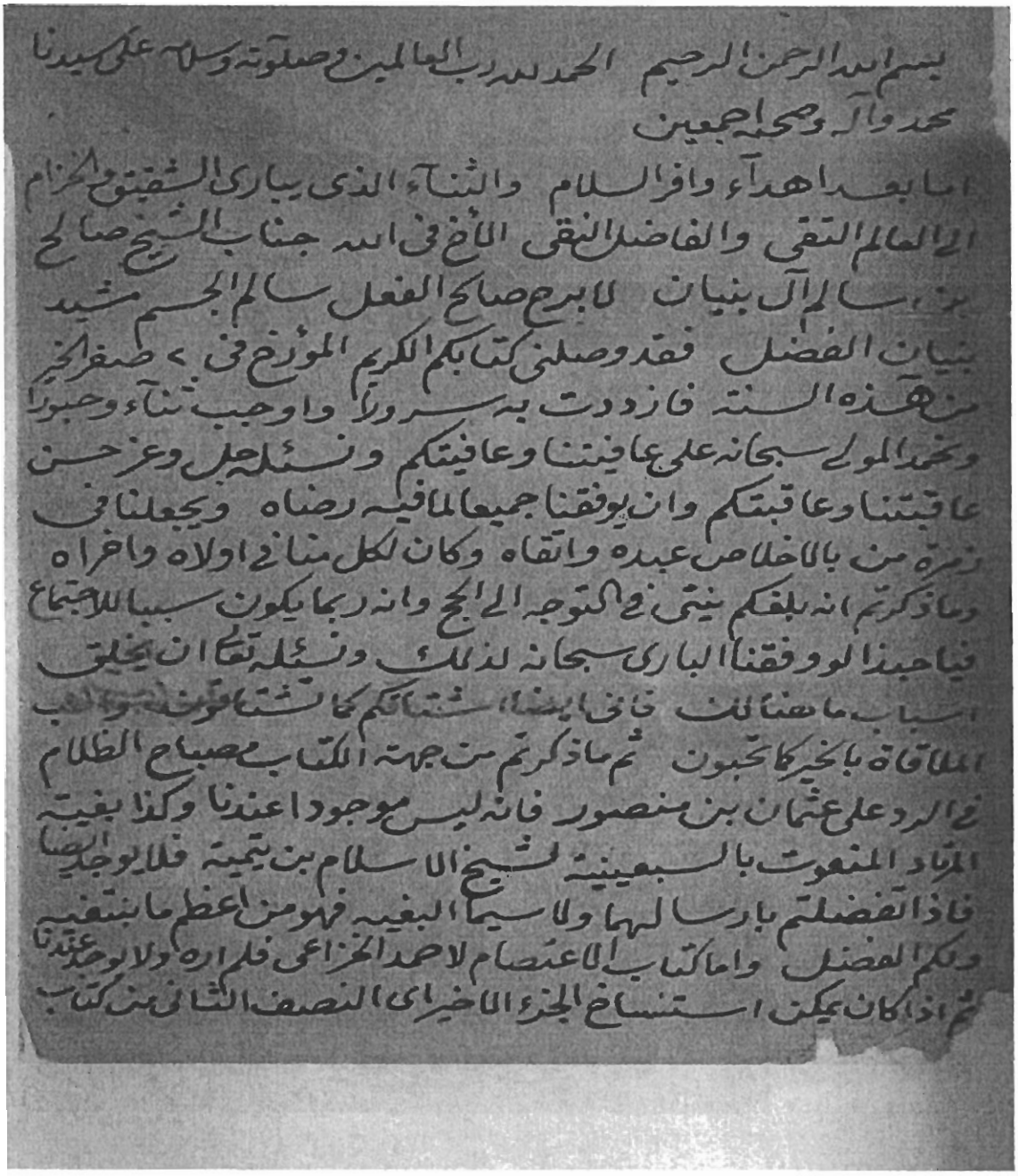

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلوته وسلامه على سيدنا
محمد وآله وصحبه اجمعين
اما بعد اهداء وافر السلام والثناء الذى يبارى الشقيق والحزام
الى العالم التقى والفاضل النقى الأخ فى الله جناب الشيخ صالح
بن سالم آل بنيان لابرح صالح الفعل سالم الجسم مشيد
بنيان الفضل فقد وصلنى كتابكم الكريم المؤرخ فى ٢ صفر الخير
من هذه السنة فازددت به سرورا واوجب ثناء وحبورا
ونحمد المولى سبحانه على عافيتنا وعافيتكم ونسئله جل وعز حسن
عاقبتنا وعاقبتكم وان يوفقنا جميعا لما فيه رضاه ويجعلنا فى
زمرة من بالاخلاص عبده واتقاه وكان لكل منا فى اولاه واخراه
وما ذكرتم انه بلغكم نيتى فى التوجه الى الحج وانه ربما يكون سببا للاجتماع
فياحبذا لو وفقنا البارى سبحانه لذلك ونسئله تعالى ان يخلق
اسباب ما هنالك فانى ايضا اشتاقكم كما تشتاقونه واحب
الملاقاة بالخير كما تحبون ثم ما ذكرتم من جهة الكتاب مصباح الظلام
فى الرد على عثمان بن منصور فانه ليس موجودا عندنا وكذا بغية
المراد المنعوت بالسبعينية لشيخ الاسلام بن تيمية فلا يوجد لهما
فاذا تفضلتم بارسالهما ولا سيما البغية فهو من اعظم ما ينتفع
ولكم الفضل واما كتاب الاعتصام لاحمد الخزاعى فلم اره ولا يوجد عندنا
ثم اذا كان يمكن استنساخ الجزء الاخير اى النصف الثانى من كتاب

رسالة الشيخ نعمان الألوسي إلى الشيخ صالح السالم البنيان في عام ١٣١١هـ / ١٨٩٣م
(مكتبة الشيخ صالح البنيان)

ملحق (٢/١٠)

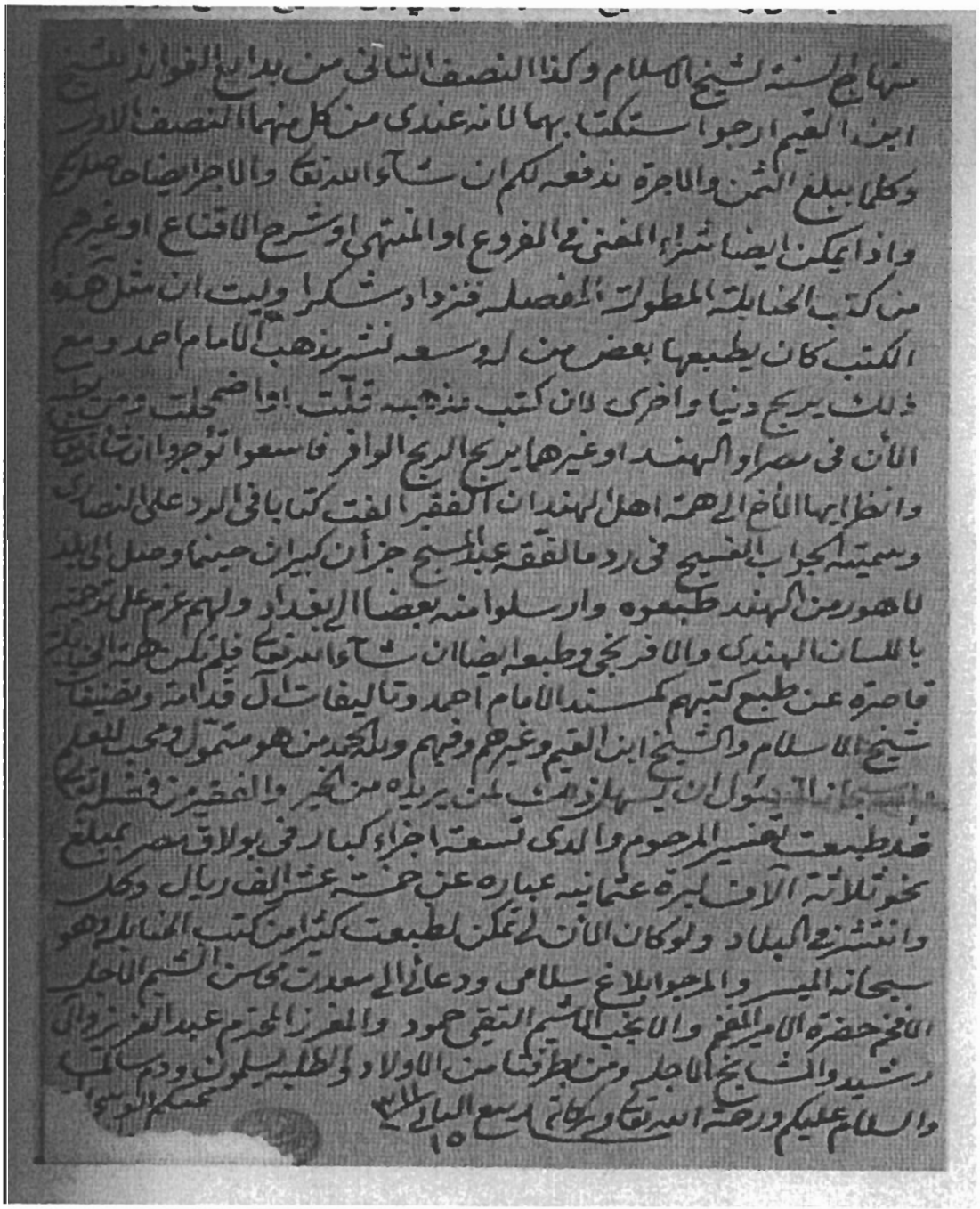

(الورقة الثانية) من رسالة الشيخ نعمان الألوسي إلى الشيخ صالح السالم البنيان في عام ١٣١١هـ / ١٨٩٣م (مكتبة صالح البنيان)

ملحق (١١)

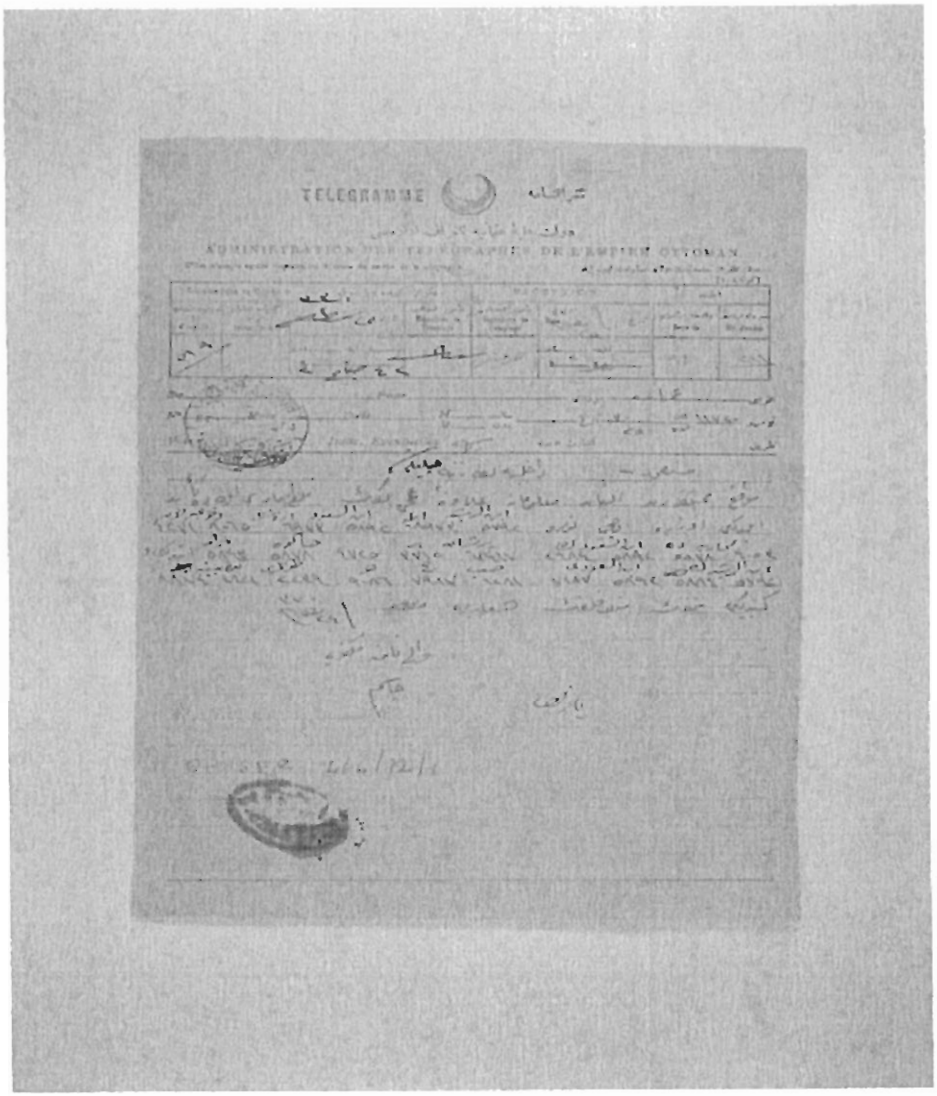

وثيقة توضح قيام أصحاب القوفل التجارية ببعث رسائل أمراء ال رشيد إلى إستانبول عن طريق تلغراف (لواء العمارة) في عام ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م

ملحق (١٢)

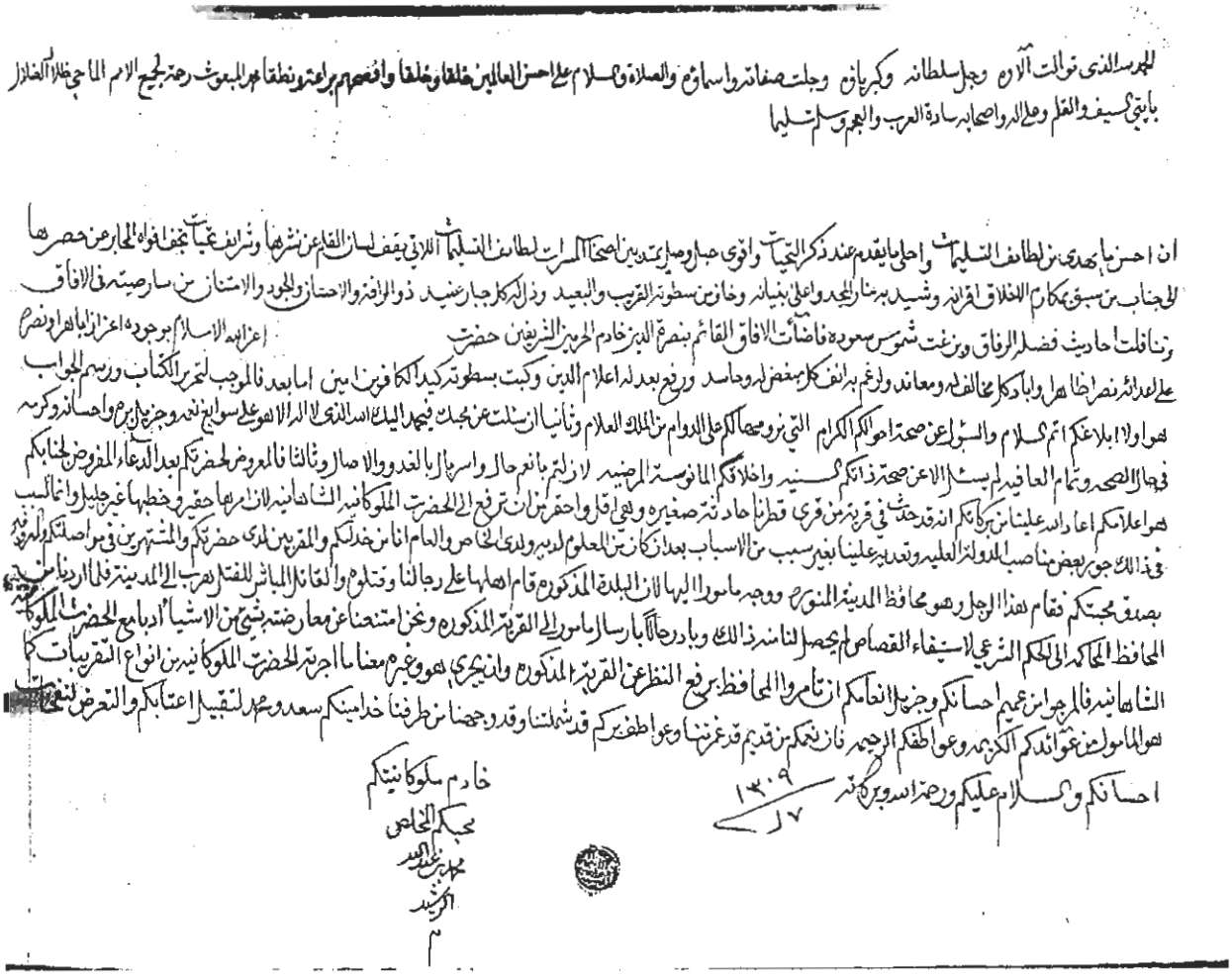

رسالة من الأمير محمد العبدالله آل رشيد إلى السلطان عبد الحميد في عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م والتي يتضح من خلالها حسن العلاقات الطيبة فيما بينهم

المصادر والمراجع

أولاً – الوثائق :

(أ) الوثائق المحلية :

مكتبة صالح البنيان بحائل :

– وثيقة رسالة من الشيخ نعمان الألوسي يطلب فيها من الشيخ صالح البنيان تزويده بعدد من كتب الحنابلة . في ١٥/ ٤ /١٣١١هـ .

مكتبة خليف بن صغير الشمري قرية ضبيعة بحائل :

– وثيقة مبايعة بخط الشيخ عوض الحجي مابين غانم البازري و علي بن صالح في عام ١٢٨٩هـ .

– وثيقة مبايعة بخط الشيخ سليمان بن ابراهيم العتيق بين سعدبن عبد الرحمن العتيق وحمود العبدالمحسن وأخيه فالح .في عام ١٣٠٩هـ .

– وثيقة بخط عبدالمحسن ابن سيف تثبت وقف الأمير عبيد بن علي آل رشيد عدداً من الكتب على طلبة العلم في حائل في عام ١٢٦٦هـ .

– دفتر وثائقي عن أسرة الثويني في منطقة حائل والقريات جمع الأستاذ / سعد بن إبراهيم الثويني .

(ب) الوثائق العثمانية (غير منشورة) :

– متفرقات يلدز :

Y.PRK.UM رقم ١٢٢–٤١ تاريخ ١٣١٥/١٢/٢٥هـ.

Y.PRK.ASK رقم ٨٤– ١٦٩ تاريخ ٨/ ١/١٣١٧هـ.

YPRK.SRN رقم ٢٨–٣ تاريخ ١٣٠٩/٧/١٢هـ.

– قلم شفرة الداخلية :

DH.SFR رقم ١–٧٢– ٤٦٤ . تاريخ ١٣٣٠هـ /١٩١٢م

DH.SFR رقم ١– ٤١– ٤٦٨ . تاريخ ١٣٣١هـ /١٩١٣م

(ج) الوثائق البريطانية المنشورة :

-Bid well , Robin , THE AFFAIRS OF KUAIT 1896-1905 ,VOL1, PART II , printed ,in Greaat Britain by Stephen Austin and sons Limited Hertford , 3.7. 1901.

ثانياً . المخطوطات :

- **الحجي ، عوض بن محمد**

الصواعق في أجوبة أنموذج الحقائق .

- **الشمري ، عياد بن خلف بن نهير ،**

الإيضاح في سيرة طير الفلاح ندى بن خلف بن نهير .

- **الصويغ**

مخطوط الصويغ ١٣٠٨ هـ .

- **العبيد ، محمد العلي**

النجم اللامع للنوادر جامع أخبار وأشعار بين القرنين الثالث والرابع عشر .

- **العزاوي ، عباس**

أوراق منشورة من تاريخ نجد .

- **هوبير ، شارل**

مخطوطة هوبير .

ثالثاً – المصادر والمراجع المطبوعة :

أ- الكتب العربية :

- **إبراهيم ، عبد العزيز عبد الغني .**

نجديون وراء الحدود (العقيلات) ، ط١ ، دار الساقي ، ١٩٩١م .

- **إبراهيم ، إسماعيل حقي .**

أسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية ، ط١ ، دار الفكر ، عمّان ، ٢٠٠٢م .

- **ابن بشر ، عثمان بن عبد الله .**

عنوان المجد في تاريخ نجد ، تحقيق : عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ، ج٢ ن ط٤ دارة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٣هـ .

- **ابن بطوطة ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله ،**

مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تهذيب : أحمد القوامري و محمد المولى ، ط١ ، نوابغ الفكر ، القاهرة ، ١٤٣٠ هـ .

- **ابن بليهد ، محمد بن عبدالله**

صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الأثار ، ط٣ ، دار عبدالعزيزآل حسين ، الرياض ، ١٤١٨هـ .

– **ابن ربيعة .**

تاريخ ابن ربيعة ، تحقيق : عبد الله بن يوسف الشبل ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ١٤١٩هـ .

– **ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح .**

تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد وأنباء بعض البلدان ٧٠٠– ١٣٤٠هـ ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤١٩هـ .

– **ابن لعبون ، حمد بن محمد.**

مقدمة ابن لعبون وتاريخ الدولة السعودية الحنيفة ، تحقيق : عبد العزيز بن عبد الله بن لعبون ، الكويت ، ١٤١٩هـ .

– **أحمد ، مهدي رزق الله .**

السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ط١ ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ١٤١٢هـ .

– **أحمد ، إبراهيم خليل .**

تطور التعليم في العراق ١٨٦٩ . ١٩٣٢م ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة، ١٩٨٢م

– **أداموف ، الكسندر .**

ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ترجمة : هاشم صالح التكريتي ، جامعة البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي ، قسم الدراسات التاريخية الجغرافية ، ١٩٨٩م .

– **الأرحيم ، فيصل .**

تطور العراق تحت حكم الاتحاديين (١٩٠٨ . ١٩١٤) ، مطابع الجمهور ، الموصل ، ١٩٧٥م .

– **الأعظمي ، علي ظريف .**

مختصر تاريخ البصرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد .

– **أغلو ، سنان معروف .**

العراق في الوثائق العثمانية (الأوضاع السياسية والاجتماعية في العراق خلال العهد العثماني) ، دار الشروق ، عمّان ، ٢٠٠٦م .

– **أفندي ، خورشيد .**

ولاية البصرة ، ترجمة : نوري السامرائي ، مركز دراسات الخليج ، ١٩٨١م .

– **آل محبوبه ، جعفر باقر .**

ماضي النجف وحاضرها ، ط٢ ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .

– **آن بلنت .**

رحلة إلى بلاد نجد ، ترجمة : محمد أنعم غالب ، ط٢ ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩هـ .

– **اوبنهايم ، ماكس و آرش برونشلش ، فرنركاسكل**

البدو ، ترجمة : محمود كيبو ، ط٢، دارالوراق ، لندن ، ٢٠٠٧م ،

– **اوبنهايم ، ماكس .**

رحلة إلى ديار شمر وبلاد شمال الجزيرة ، ترجمة : ماجد شبر، ط٢ ، الوراق ، بيروت ، ٢٠٠٩ .

البدو ، ترجمة : ماجد شبر ، دار الوراق ، لندن ، ٢٠٠٤م .

– **أويتنج ، يوليوس .**

رحلة داخل الجزيرة العربية ، ترجمة : فايز السعيد ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ١٤١٩هـ .

– **أينهولت .**

رحلة أينهولت الهولندي إلى العراق سنة ١٨٦٦ . ١٨٦٧م ، ترجمة : ميربصري ، تحقيق وتقديم : طارق نافع الحمداني ، ط١ ، دار الوراق ، بيروت ، ٢٠١٢م .

– **البازي ، حامد .**

البصرة في الفترة المظلمة ، منشورات دار بصري ، بغداد ، ١٩٦٩م .

– **بركات ، رجب**

بلدية البصرة (١٨٦٩ . ١٩٨١م) منشورات مركز دراسات الخليج ، جامعة البصرة ، ١٩٨٤م .

– **البسام ، أحمد بن عبد العزيز .**

الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، دارة الملك عبد العزيز ، سلسلة الرسائل الجامعية ، ١٤٢٦هـ .

– **البسام ، عبدالله بن عبد الرحمن .**

علماء نجدخلال ثمانية قرون ، ط٢، دار العاصمة ، الرياض ١٤١٩هـ .

– **البسام ، عبدالله بن محمد**

تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق ، تحقيق : إبراهيم الخالدي ، ط١ ، المختلف ، الكويت ، ٢٠٠٠م

– **البسام ، محمد بن حمد .**

عشائر العرب الدرر المفاخر في أخبار الأواخر ، تحقيق : رمزية محمد الأطرقجي ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٠م .

– **البغدادي ، إبراهيم فصيح الحيدري.**

عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ، ط٢ ، مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٩م .

– **البغدادي ، محمد عبد الرزاق.**

جغرافية العراق السياحية ، الجامعة المستنصرية ، كلية الإدارة والاقتصاد بغداد ، ١٤١٢هـ .

– **البغدادي ، المنشي .**

رحلة المنشي البغدادي ، ترجمة : عباس العزاوي ، دار الوراق ، لبنان ، ٢٠٠٨م .

– **بني يونس ، مأمون عبد الله أصلان**

قافلة الحج الشامي في شرقي الأردن في العهد العثماني ١٥١٦ . ١٩١٨م ، ط١ ، دار الكندي، عمان ، ٢٠٠٠م .

– **بيل ، جيرترود**

رسائل جيروتروود بيل ١٨٩٩– ١٩١٤م ، ترجمة : رزق الله بطرس ، ط١ ، دار الوراق ،لندن ، ٢٠٠٨م .

– **التميمي ، جعفر بن صادق .**

معجم الشعراء العراقيين المتوفين في العصر الحديث ولهم ديوان مطبوع ، ط١ ، المعرفة ، ١٤١٢هـ .

– **التميمي ، حميد أحمد حمدان .**

البصرة في عهد الاحتلال البريطاني (١٩١٤ . ١٩٢١م) منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٩م .

– **التميمي ، محمد تيسير.**

وثائق تاريخية عشائر بني تميم ، المركز القومي للنشر ، الأردن ، ١٤٢٨هـ .

– **تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة** ، ترجمة : عبد الجليل الطاهر .

– **الجار الله ، أحمد بن جار الله .**

مدينة الزبير وإقليمها شخصية المكان وبصمة الإنسان ، الدمام ، ١٤٢٣هـ .

– **الجاسر ، حمد .**

المعجم الجغرافي (شمال المملكة) ، ج٢ ، دار اليمامة ، الرياض .

جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ، دار اليمامة ، الرياض .

– **جبر بن سيار .**

نبذة في أنساب أهل نجد ، تحقيق: راشد بن محمد بن عساكر ، ١٤٢٢هـ .

– **الجبوري ، عبد الله .**

من شعرائنا المنسيين ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٦م .

– **الجدع ، أحمد .**

تاريخ تميم وأنسابها ، دار الضياء ، عمّان ، ١٤١٩هـ .

– **الجميل ، مكي .**

البدو والقبائل الرحالة في العراق ، ط١ ، دار الرافدين، بيروت ، ١٤٢٦هـ .

– جودة ، حسين .

شبه الجزيرة العربية (دراسة في الجغرافيا الإقليمية) ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٤م .

– الحبوبي ، محمد سعيد .

ديوان محمد سعيد الحبوبي النجفي ، تصحيح وتذليل : عبد العزيز الجواهري ، المطبعة الأهلية ، بيروت ، ١٣٣١هـ .

– حتاته ، يوسف كمال بك

مدحت باشا حياته – مذكراته – محاكمته ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ٢٠٠٢م .

– الحربي ، دلال بنت مخلد .

نساء شهيرات من نجد ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ١٤١٩هـ .

– حسني ، حسين .

مذكرات ضابط عثماني في نجد ، ترجمة : سهيل صابان ، دار كتب ، بيروت ، ٢٠٠٣م .

– الحسني ، عبد الرزاق .

العراق قديماً وحديثاً ، ط٢ ، العرفان ، صبيا ، ١٣٧٥هـ .

– الحفيظ ، عماد محمد.

دور البصرة في زراعة وانتشار نخلة التمر عند العرب ، مركز إحياء التراث العربي ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩م .

– الحكواتي ، ماجد .

قصائد من الشعر العربي في العراق ، جائزة عبد العزيز البابطين ، الرياض ، ٢٠٠٤م .

– الحكيم ، حسن عيسى .

الكوفة بين العمق التاريخي والتطور العلمي ، ط١ ، العارف ، بيروت ، ١٤٣٠هـ .

– الحمدان ، محمد بن عبد الله .

ديوان حميدان ابن الشويعر ، ط٢ ، دار قيس ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

– الحمداني ، طارق نافع .

ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٩م .

– حمزة ، فؤاد .

قلب جزيرة العرب ، ط١ ، الثقافة الأدبية ، بورسعيد ، ١٤٢٣هـ .

– الحموي ، ياقوت بن عبد الله .

معجم البلدان ، ط٨ ، دار ، صادر ، بيروت ، ٢٠١٠م .

– الحلبي ، فتح الله الصايغ

رحلة فتح الله الصايغ الحلبي إلى بادية الشام وصحاري العراق والعجم والجزيرة العربية ، تحقيق : يوسف شحلد ، ط٢، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٩٤م .

– الحلي ، يوسف كركوش.

تاريخ الحلة (الحياة الفكرية) ، ط١ ، الحيدريه، النجف ، ١٣٨٥هـ .

– الحلي ، جعفر بن حمد .

سحر بابل وسجع البلابل ، ط١ ، العرفان ، صيدا ، ١٣٣١هـ .

– الحيدري ، فصيح بن السيد صبغة الله .

أحوال البصرة ، دار البصرة ، بغداد ، ١٣٨١هـ .

– الخالدي ، سعود الزيتون .

معجم قبائل الخليج في مذكرات لوريمر (دليل الخليج) ، ط١ ، دار الثقافة ، الدوحة ، ١٤٢٣هـ.

– الخريصي ، هشال عبد العزيز .

قبيلة شمر متابعة وتحليل ، ط١ ، دار الساقي ، ١٩٩٨م .

– الخميس ، حمد بن عبد الله .

إمارة في بلاد الرافدين الخميسية منذ عام ١٨٥٠ إلى ١٩٤٢م ، ط١ ، دار الشروق ، عمان ، ٢٠٠٤م .

– الخنيزي ، جهاد بن عبد الإله .

السلفية والشيعة بين خيارين تخاصم أو تصالح ، بيسان ، بيروت ، ٢٠١٢م .

– الخياط ، جعفر .

صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة ، وزارة الإعلام ، بغداد ، ١٩٧١م .

– داوتي ، تشارلز .

ترحال في صحراء الجزيرة العربية ، ترجمة : صبري محمد حسن ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٥م .

– الدخيل ، سليمان بن صالح .

القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد ، طبع ملحقاً لكتاب نبذة تاريخية من نجد ، ط١، دار اليمامة ، الرياض ١٣٨٦هـ .

– الدراجي ، سعدي إبراهيم .

تحصينات مدينة البصرة في العصر العثماني ، مركز إحياء التراث العلمي ، جامعة بغداد، ١٩٩١م .

– الدراجي ، عبد الرزاق .

جعفر أبو التمن ودوره في الحركة الوطنية في العراق ١٩٠٨–١٩٤٥م ، ط٢ ، ١٩٨٠م .

- **الدروبي ، إبراهيم .**

البغداديون أخبارهم ومجالسهم ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٨م .

- **الرديعان ، حسان بن إبراهيم .**

منبع الكرم والشمائل في ذكر أخبار من عاش من أهل العلم في حائل ، ط١ ، مكتبة فهد العلي العريفي ، الرياض ، ١٤٣٠هـ .

ديوان الشيخ صالح بن سالم آل بنيان ، ط١ ، دار التوحيد ، الرياض ، ١٤٢٨هـ .

- **الرشيد ، ضاري بن فهيد .**

نبذة تاريخية عن نجد ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٦هـ .

- **الرواف ، خليل إبراهيم .**

صفحات مطوية من تاريخنا العربي الحديث (مذكراتي خلال قرن من الأحداث) ، ط١ ، الناشر ، ١٤١٤هـ .

- **الروضان ، عبد عون .**

موسوعة عشائر العراق ، ط١ ، الأهلية ، عمّان ٢٠٠٣م .

- **الريحاني ، أمين .**

تاريخ نجد الحديث ، دار الجيل ، بيروت .

- **الريشاوي ، متعب بن خلف .**

إمارة الخزاعل نشأتها وتطورها وعلاقاتها المحلية والإقليمية ١٠٥٠ . ١٢٨١هـ / ١٦٤٠ . ١٨٦٤م ، ط١ ، الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف ، ١٤٣٠هـ .

- **الزركلي ، خير الدين .**

شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، ط٥ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٩٢م .

- **الزعارير ، محمد عبد الله .**

إمارة آل رشيد في حائل ، ط١ ، دار بيسان ، ١٩٩٧م .

- **السامرائي ، إبراهيم .**

القبائل والبيوتات الهاشمية في العراق ، الشرق الجديد ، بغداد ، ١٩٦٨م .

- **السرحاني، سلطان بن طريخم .**

جامع أنساب قبائل العرب ، دار الثقافة ، قطر .

- **سركيس ، يعقوب .**

مباحث عراقية في الجغرافيا والتاريخ والآثار (بعض النقود العثمانية في العراق)

شركة التجارة والطباعة ، بغداد ، ١٩٥٥م .

- **السعدون ، خالد حمود .**

الأوضاع القبلية في ولاية البصرة خلال الحكم العثماني الأخير والاحتلال البريطاني (١٣٢٦-١٣٢٧هـ) ، الدار العربية للموسوعات، لبنان ، ١٤٢٦هـ .

- **سليمان ، فائق بك .**

عشائر المنتفق ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٣م .

- **السويداء ، عبد الرحمن زيد .**

الحروب والمجاعات والأمراض وأثرها على التركيبة السكانية في نجد ، ط١، دار السويداء ، الرياض ، ١٤٣١هـ .

هذه بلادنا رمّان في حائل ، ط١ ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ١٤١٤هـ .

أهل المناخ في منطقة حائل ، ط٢ ، دار السويداء ، الرياض ١٤٢٧هـ .

نجد في الأمس القريب ، ط٢ ، دار السويداء ، الرياض ، ١٤٢٣هـ .

عقيلات الجبل ، ط٢ ، دار الأندلس ، حائل ، ١٤٢٧هـ.

الثقافة والتعليم في منطقة حائل قبل المدارس النظامية ، ط١ ، دار السويداء ، الرياض ، ١٤٢٣هـ.

- **شبر ، جواد .**

أدب اللطف أو شعراء الحسين من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر الهجري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .

- **الشريفي ، إبراهيم جار الله دخنه .**

التحفة الذهبية في معرفة الأنساب العربية ، ط١ ، الكويت ، ١٤١٦هـ .

- **الشغدلي ، عبد الرزاق بن حمود حسين .**

حديث الوثائق سيرة من حياة الشيخ حمود بن حسين الشغدلي وعلاقته بموحد الجزيرة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، ط١ ، ١٤١٤هـ .

- **الشلاه ، حسين هادي .**

طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث ، الدار العربية للموسوعات، لبنان ، ١٤٢٢هـ .

- **الشمري ، خليف بن صغير .**

المستودع والمستحضر في أسباب النزاع بين مبارك آل صباح ويوسف آل ابراهيم ، دار نينوى ، دمشق ٢٠٠٨م .

- **الشمري ، علي بن ناصر .**

شيوخ وعشائر المنتفق ، ط١ ، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠١٠م .

- **الصويان ، سعد العبدالله**

أيام العرب الأواخر أساطير ومرويات شفهية في التاريخ والأدب من شمال الجزيرة العربية ، ط١ ، الشبكة العربية للابحاث والنشر ، بيروت ، ٢٠١٠ م

- **الطعمه ، سليمان هادي .**

تراث كربلاء ، منشورات الأعلى ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

- **الطيب ، محمد سليمان .**

موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

- **الظاهري ، أبو عبد الرحمن عقيل .**

آل جربا في التاريخ والأدب ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٨٣م .

- **الظاهري ، أبو عبد الرحمن عقيل . وسيدو ، أمين سليمان .**

لغة العرب رئيس كتبتها أنستاس الكرملي (دراسة تاريخية وكشاف موضوعي) ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض ، ١٤١٤هـ .

- **عاشور ، سعيد عبد الفتاح**

دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، ط٢ ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٤٠٦هـ .

- **عبيد ، جبار يحيى .**

التاريخ السياسي لإمارة حائل ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٤٢٤هـ .

- **العتيبي ، سعيد بن دبيس .**

طريق الحج البصري دراسة تاريخية للطريق وأثرية لمنازله من ضريه إلى أوطاس ، ط١ ، وكالة الآثار والمتاحف ، الرياض ، ١٤٢٦هـ .

- **العتيق ، سليمان بن عبد العزيز .**

حائل قبل مئة عام (سيرة مدينة في سير رجل) ، ط٢ ، دار الأندلس ، حائل ، ١٤٢٩هـ .

- **العثيمين ، عبد الله الصالح .**

نشأة إمارة آل رشيد ، ط٢ ، الشريف ، الرياض ، ١٤١١هـ .

تاريخ المملكة العربية السعودية ، ط٣ ، مطابع الشريف ، الرياض ، ١٤١١هـ .

- **عجيل ، محسن فياض .**

سليمان بن صالح الدخيل النجدي (الصحفي – السياسي – المؤرخ) ، ط٢ ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ٢٠٠٢م .

- **العدوي ، إبراهيم أحمد .**

الشرق الإسلامي في العصر الحديث ، مكتبة الشباب ، ١٤١١هـ .

- **العـراق فـي الوثـائق البريطانيـة ١٩٠٥ ـ ١٩٣٠ م** . ترجمـة : فـؤاد قزانجـي ، دار المـأمون ، بغـداد ١٩٨٩م .

- **العريفي ، أحمد بن فهد** .

مقامات حائلية ، الرياض ، ١٤٢٨هـ .

قضاة مدينة حائل ١٢٠٠ . ١٣٤٠هـ ، دار الجسر ، الرياض ، ١٤١٥هـ.

- **العريفي ، فهد العلي** .

هذه بلادنا حائل ، ط١ ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .

- **عز الدين ، يوسف** .

الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

- **العزاوي ، عباس**

موسوعة عشائر العراق ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٤٢٥هـ .

- **العفنان ، سعد بن خلف** .

حائل وعبقرية المكان ، ط٢ ، المعرفة ، حائل ، ١٤١٧هـ .

- **آل علي ، محمد بن مهنا**

إمـارة آل علـي فـي منطقـة حائـل وعلاقتهـا بالدولـة السـعودية الأولـى والثانيـة ، ط١، دار المؤيد ، الريـاض ، ١٤٢٤هـ

- **العلوي ، حسن** .

الشيعة والدولة القومية في العراق ١٩١٤ . ١٩٩٠م ، ط٢ ، ١٩٩٠ م .

- **علي ، عبد الكريم محمد** .

تاريخ مدينة سوق الشيوخ ، عصام ، بغداد ، ١٩٩٠م .

- **العلياني ، عبد الحميد عبد العزيز** .

جواهر الزبير ، الرياض ، ١٤١٨هـ .

- **العمر ، فاروق صالح** .

الجنان ١٨٧٠ . ١٨٨٦م من المجلات العربية في مرحلة التأسيس (دراسة وتوثيق) ، سلسلة الموسوعة التاريخية ، المسيرة ، بغداد ، ١٩٩٠م .

- **غنيمة ، يوسف رزق الله**

تجارة العراق قديماً وحديثاً ، ط١ ، مطبعة العراق ، بغداد ، ١٩٢٢م

- **الفاخري** .

تاريخ الفاخري ، تحقيق : عبد الله بن يوسف الشبل ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ١٤١٩هـ .

- **فاسيلييف**

تاريخ العربية السعودية ، ترجمة : خيري الضامن و جلال الماشطة ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٦م .

- **الفاضل ، الحاج صلال** .

مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح من رجال الثورة العراقية ، تعليق : كامل سلمان الجبوري ، ط١ ، العاني ، بغداد ، ١٩٨٦م .

- **فالين ، جورج أوغست** .

رحلات فالين إلى جزيرة العرب ، ترجمة : سمير سليم شلبي ، ط١ ، دار الوراق ، بيروت ، ٢٠٠٨م .

- **فريد بك ، محمد** .

الدولة العثمانية العليّة ، تحقيق : إحسان حقي ، ط٢ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٣هـ.

- **فيضي ، سليمان** .

مؤلفات مختارة التحفة الإيقاظية في الرحلة الحجازية والبصرة العظمى ، دار الساقي ، لبنان ، ١٩٩٨م .

- **قايا ، ديلك** .

كربلاء في الإرشيف العثماني ١٨٤٠ - ١٨٧٦م ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ٢٠٠٨م .

- **القريطي ، عقيل بن إبراهيم** .

تاريخ طيء (أعلام – نسب وقائع) ط١، مطابع المحيسن ، حائل ١٤٢٠هـ .

- **القريني ، محمد بن موسى** .

إصلاح العراق في ضوء تقرير الوالي عبد الرحمن باشا (١٢٩٦ / ١٢٩٨ هـ) ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ١٤٢٨هـ .

- **القويعي ، عقيل بن ضيف الله**

أقوال ومسائل في أخبار منطقة حائل ، ط١ ، مطابع النموذجية ، الرياض ، ١٤١٥ هـ .

- **كحالة ، عمرو رضا** .

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ط٧ ، دار الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

- **الألباني ، محمد ناصر الدين**

غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، المكتب الاسلامي ، ط٣ ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

- **لجمن** .

رحلة الكولونيل لجمن في الجزيرة العربية ١٩٠٩ - ١٩١٠م ، ترجمة : خالد عبد الله ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠٠٦م .

- **لوتر ، شتاين**

رحلة إلى شيخ قبيلة شمر مشعان الفيصل الجربا ١٩٦٢م ، ترجمة : قسم الترجمة في الدار العربية للموسوعات ، ط١ ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠١١م .

- **لوريمر .**

دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، الأجيال ، قطر .

- **لونكريك ، ستيفن هيمسلي .**

أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة : جعفر الخياط ، ط٤، الشريف الرضى ، إيران ، ١٣٨٨هـ .

- **المزيني ، طارق بن عبده .**

النبذه عن مساجد مشائخ لبده بحائل ، ط١ ، الرياض ، ١٤١٩هـ .

- **محمدين ، محمود محمد .**

أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٣هـ .

- **المسلم ، إبراهيم**

العقيلات ، ط٣ ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ ،

- **مُلين، محمد نبيل .**

عُلماء الإسلام تاريخ وبنية المؤسسة الدينية في السعودية بين القرنين الثامن عشر والحادي والعشرين ، ترجمة : محمد الحاج سالم وعادل بن عبد الله ، ط١ ، الشبكة العربية للأبحاث ، بيروت ، ٢٠١١م .

- **المهداوي ، علي هادي .**

الحلة في العهد العثماني المتأخر ١٨٦٩ . ١٩١٤م ، بيت الحكمة ، بغداد ٢٠٠٢م .

- **موزل ، ألويس .**

الفرات الأوسط ، ترجمة : صدقي حمدي و عبدالمطلب داوود ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي ، بغداد .

عن التاريخ المعاصر لشبه الجزيرة العربية ، ترجمة : ماجد شبر ، دار الوراق ، لندن ، ٢٠٠٧.

- **مؤلف مجهول .**

أوراق من تاريخ نجد من عام ١٢٨٥ . ١٣٥٣هـ ، تحقيق : عبد العزيز سعود عبد العزيز الفرهود ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٤٢٩هـ .

- **الناصري ، أحمد العامري**

الحلة البيضاء في تاريخ آل جربا ، ط١ ، دار الرافدين ، لبنان ، ١٤٣٠ هـ

- **النجفي ، السيد حسين علي .**

كربلاء . الحلة . الديوانية قبل ٧٥ عاماً ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، ٢٠٠٨م .

- **نديم ، شكري محمود .**

المفصل في تاريخ العراق المعاصر (مجموعة باحثين) ، ط١ ، بيت الحكمة ، بغداد ٢٠٠٢م .

العراق في عهد السيطرة العثمانية (١٩٠٨ . ١٩١٨م) ، دار دجلة ، عمان ، ٢٠٠٨م .

- **نوار ، عبد العزيز سليمان .**

تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا ، دار الكاتب العربي، القاهرة ، ١٣٨٧هـ .

داوود باشا والي بغداد ، دار الكاتب العربي ، القاهرة .

- **نولده ، إدوارد .**

الأوضاع السياسية في وسط الجزيرة العربية عند نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، ترجمة : عوض البادي ، ط٢ ، دار بلاد العرب ، الرياض ، ١٤٢٢هـ .

- **نيبور ، كارستن**

رحلة إلى شبه الجزيرة العربية وإلى بلاد أخرى مجاورة لها ، ترجمة : عبيد المنذر ، ط١، الإنتشار العربي ، بيروت ، ٢٠٠٧م .

- **الهندي ، علي بن محمد .**

زهر الخمائل في تراجم علماء حائل ، تحقيق : إبراهيم عبد الله الحازمي ، ط١ ، دار الشريف ، الرياض ، ١٤٢٧هـ .

- **هوبير ، شارل**

رحلة في صحراء الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨-١٨٨٢م الحماد - الشمر - القصيم - الحجاز ، ترجمة: أليسار سعادة ، دار كتب ، بيروت ٢٠٠٣م

- **الوردي ، علي**

دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، ط٢ ، دار الوراق ، لندن ، ٢٠٠٧م .

- **وليامسون ، جون فرديك .**

قبيلة شمر العربية مكانتها وتاريخها السياسي ١٨٠٠ . ١٩٥٨م ، ترجمة : بصري ، دار الحكمة ، لندن .

- **اليحيى ، أحمد بن محمد .**

السكان والاقتصاد والعمل قبل قرن في جزيرة العرب ، ط١ ، الرياض ، ١٤١٨هـ .

ب – الكتب الأجنبية :

1- Galo Guramani,Northen Najed, London introduction, 1938.
2- Alois Musil, Northen Najed, NewYork 1928.
3- Wallin, Narrative of Journey from Cairo to Medina and Mecca by sues, Araba, Ta wila, Al-Jouf, Jubbe, Hail and Najed in 1845.
4- Charles Huber, Journal dunvoyage en Arabie (1883-1884) Paris, 1888.

رابعاً – البحوث العلمية والدوريات :

– أبو عليه ، عبد الفتاح حسن .

النقود والموازين والمقاييس في سنجق الحسا في العهد العثماني (١٨٧١- ١٩١٣م)، الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادرها ووثائقها في العهد العثماني جمع وتقديم : عبد الجليل التميمي ، مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني ، تونس ، ١٩٨٦م .

– بيات ، فاضل مهدي .

التعليم في العراق في العهد العثماني (دراسة تاريخية في ضوء السالنامات العثمانية) ، جامعة بغداد ، الحياة الفكرية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني ، جمع وتقديم : عبد الجليل التميمي ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية ، زغوان ، ١٩٩٠م .

– **تاريخ وقائع الشهر في العراق وما جاورها** ، لغة العرب ،ع٩ ، س٣ ، ربيع الثاني ١٣٣٢هـ مارس ١٩٩٤م .

– الجاسر ، حمد

بزاخة وقعتها وموقعها ، العرب ، ج٨ ، س٧ ، صفر ١٣٩٣ / مارس ١٩٧٣م .

– جبر ، يحيى عبد الرؤوف .

شمال شبه الجزيرة العربية في مصنفات الرحالة ، بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الرياض عام ١٤٢١هـ ، ج١ ، دارة الملك العزيز ، ١٤٢١هـ .

– الحربي ، دلال بنت مخلد .

فاطمة السبهان (حياتها ودورها في إمارة آل رشيد) ، الدرعية ، س١ ، العدوان ، السادس والسابع رجب ١٤٢٠هـ / نوفمبر ١٩٩٩م .

– حلمي ، إبراهيم .

الطباعة في دار السلام والنجف وكربلاء ، لغة العرب ، ج٧ ، صفر ١٣٣١هـ / كانون الثاني ١٩١٣م .

- **الحمداني ، طارق بن نافع**

بادية السماوة قبائلها وحواضرها مابين القرن الرابع عشر والقرن السادس عشر ، (الوطن العربي النواة والامتدادات عبر التاريخ) ، ندوة المجمع العلمي العراقي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، لبنان ، ٢٠٠٣م .

- **سركيس ، يعقوب .**

الأب الكرملي وكتابة النقود العربية وعلم النميّات ، مجلة المجمع العلمي ، ج١ ، س١ ، ذو القعدة ١٣٦٩هـ / أيلول ١٩٥٠ ، مطبعة التفيض ، بغداد .

- **الشبيلي ، عبد الرحمن .**

مقبل الذكير، الشرق الأوسط ، ع ١٢٠٤٥ ، ٢٤ الأحد / ذو الحجة / ١٤٣٢هـ .

- **الدخيل ، سليمان**

إمارة آل رشيد ، لغة العرب ، ع١١ ، س ، ١٣٣٢هـ .

سوق الشيوخ ، لغة العرب ، ج٥ ، س٢ ، ذي الحجة ١٣٣٠هـ .

نجد ، لغة العرب، س ع٢٢ ، س١ ، رجب ١٣٢٩هـ / تموز ١٩١١م .

- **عبد الرحيم ، عبد الرحمن عبد الرحيم .**

النظم الإدارية في البلدان العربية وأثرها في العلاقات العربية العثمانية ، الدارة ، ع١ ، س٩ شوال ١٤٠٣هـ

- **العماري ، فضل بن عمار .**

حول كرم حاتم الطائي (دراسة في قصيدة) ، الدارة ، ع٤ ، س١٧ ، رجب ، شعبان رمضان ١٤١٢هـ .

- **العلي ، صالح أحمد .**

رحالة غربي يتحدث عن مدينة حائل قبل مئة عام (بالجريف) ، العرب ، ج١٢ ، س١ ، جمادي الأولى ١٣٨٧هـ أيلول ١٩٦٧م .

- **المياح ، علي محمد**

القبائل العربية في العراق قبل الإسلام ، (الوطن العربي النواة والامتدادات عبر التاريخ) ، ندوة المجمع العلمي العراقي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، لبنان ، ٢٠٠٣م .

- **النحاس ، زهير علي**

بادية الجزيرة (العراقية) موطناً للبداوة العربية (النجدية) قبيلة شمر الجربا (نموذجاً) ١٧٩١-١٩١٤م (الوطن العربي النواة والامتدادات عبر التاريخ) ، ندوة المجمع العلمي العراقي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، لبنان ، ٢٠٠٣م .

- النصيري ، عبد الرزاق أحمد .

أثر الصحافة العربية في التطور الفكري للنخبة المثقفة في العراق ١٨٦٩ . ٩٠٨م ، آفاق عربية ، ع٤ ، نيسان ١٩٩٢م ، بغداد .

- يونس شريف

مدارس الاتحاد الإسرائيلي (اليانس) في العراق ، آفاق عربية ، ع٥ ، كانون الثاني ١٩٨١م .

خامساً – الرسائل الجامعية :

- Baran , Michael , THE RASHIDI AMIRATE OF HAYL , in thy University of Michigan History , Doctor of Philosophy , 1929

- الهمزاني ، شايم لافي غانم ،

التغير الإجتماعي في منطقة حائل ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، قسم الإجتماع ، دراسة ماجستير ، غير منشورة ، ١٤١٠هـ .

- الحماد ، حمد .

حكم محمد العبد الله بن رشيد لنجد (١٢٨٩- ١٣١٥هـ) ، رسالة ماجستير ، جامعة الملك سعود ، قسم التاريخ ، غير منشورة ، ١٤٢٤هـ .

- السوداني ، غانم عودة .

أساليب الطلب في شعر الحبوبي ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية بغداد ، قسم اللغة العربية ، غير منشورة ، ١٤٢٥هـ.

- الشمري ، ساير غربي .

الأحوال السياسية في حائل في عهد إمارة عبد الله بن رشيد ، رسالة ماجستير ، جامعة القصيم ، غير منشورة ، ١٤٣١هـ .

- علي ، غانم بن محمد .

النظام المالي العثماني في العراق ١٢٥٥هـ . ١٣٣٣هـ / ١٨٣٩ . ١٩١٤م رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، ١٤٠٩هـ .

- اليوسف ، خلود عبد اللطيف .

البصرة في العهد الحميدي ١٨٧٦ . ١٩٠٨م ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، غير منشورة ١٤١٢هـ .

سادساً – الروايات الشفهية :

- **مقابلة مع الشيخ جوفان بن زيدان الجنيدي** ، حائل ، بتاريخ ١٤٣٤/٢/١٥هـ.
- **مقابلة مع الشيخ سبهان بن علي الحمود آل سبهان** ، في منزله بالرياض يوم الخميس ١٤٣٢/٥/١٧هـ .
- **مقابلة مع عبد الرحمن يوسف اليعقوب** ، في منزل الشيخ سعود المتعب الحمود آل سبهان . رحمه الله . يوم الخميس ١٤٣٣/٢/١١هـ .
- **مقابلة مع الأستاذ حسان بن إبراهيم الرديعان** ، في ١٤٣٣/٥/٣هـ .
- **مقابلة مع الشيخ نايف العبدالله الحسيني الشمري** ، في مزرعته بقرية ضبيعة يوم الخميس ١١/١١/ ١٤٣٣هـ .
- **الأستاذ والمؤرخ عبدالرحمن المرشدي** ، شريط صوتي (الأباء والأجداد) .
- **الشاعر والأديب عبد الله بن خميس (رحمه الله)** ، شريط صوتي من برنامج إذاعي قديم (من القائل) .

الـــمحتـويـات

المقدمة ١-١١

التمهيد:

أولاً : الموقع الجغرافي لجبل شمر وجنوبي العراق والصلات الجغرافية فيما بينهما .

أ- جبل شمر :

- الموقع والحدود وأبرز المعالم الجغرافية ١٣- ١٤
- التسمية ١٤- ١٥
- أهم المعالم التاريخية ١٥- ١٦

ب- جنوبي العراق : ١٧

- البصرة ١٨
- الزبير ١٩
- سوق الشيوخ ١٩-٢٠
- كربلاء ٢٠-٢١
- النجف ٢١
- الحلة ٢٢

ج- الصلات الجغرافية بين جبل شمر وجنوبي العراق :

- النفود الكبير ٢٣-٢٤
- الأودية..... ٢٤
- موارد المياه..... ..... ٢٥

ثانياً : الحالة السياسية في جبل شمر وجنوبي العراق (١٢٥٠/١٣٤٠هـ / ١٨٣٥-١٩٢١)

أ- الحالة السياسية في جبل شمر :

- الحالة السياسية ما قبل إمارة آل رشيد ٢٧-٢٨
- بداية إمارة آل رشيد ٢٩-٣٣
- حكام الإمارة بعد مؤسسها ٣٤-٤٥

ب- الحالة السياسية في جنوبي العراق :

- ضم العثمانيين للعراق ٤٥-٤٧

- سياسة العثمانيين في جنوبي العراق من (١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م) حتى دخول الإنجليزي عام

(١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) ٤٧-٥٢

الفصل الأول

قبائل جبل شمر وهجراتهم إلى جنوبي العراق .

المبحث الأول : القبائل العربية في جبل شمر .

- خلفية تاريخية عن القبائل التي سكنت في المنطقة ٥٤-٥٧
- قبيلة شمر ٥٧-٦٨
- قبيلة تميم ٦٩-٧٥

المبحث الثاني : عوامل الهجرة إلى جنوبي العراق والمواطن التي استوطنوها .

- العامل الاجتماعي..... ٧٦-٧٨
- العامل الاقتصادي ٧٨-٨٠
- العامل السياسي ٨٠-٨٣

المبحث الثالث : أثر قبائل جبل شمر في جنوبي العراق في الجانب الإقتصادي والعلمي.

- الجانب الاقتصادي ٨٤-٨٧
- الجانب العلمي ٨٨- ٩٨

الفصل الثاني

قبائل جنوبي العراق وهجراتهم إلى جبل شمر

المبحث الأول : القبائل العربية في جنوبي العراق

- قبيلة شمر ١٠٠-١٠٤
- قبائل المنتفق ..... ١٠٥ -١٠٨
- قبائل زبيد..... ١٠٨-١١١
- المشاهدة ١١١-١١٢

المبحث الثاني : عوامل الهجرة إلى جبل شمر وعلاقتهم مع السكان والسلطة المحلية .

- العامل السياسي ١١٣-١١٤

- العامل الاقتصادي..... ١١٥-١١٦
- العامل الإجتماعي ١١٧-١١٨

المبحث الثالث : أثر قبائل جنوبي العراق في جبل شمر في الجانب الاقتصادي والعلمي

- الجانب الإقتصادي ١١٩-١٢٢
- الجانب العلمي ١٢٢-١٢٨

الفصل الثالث

التبادل الإقتصادي مابين جبل شمر وجنوبي العراق

المبحث الأول : أ- العوامل التي أدت إلى التبادل الإقتصادي بين جبل شمر وجنوبي العراق

- الموقع الجغرافي ١٣٠
- العامل الإقتصادي ١٣١-١٣٢
- العامل السياسي ١٣٣

ب-الدخل الإقتصادي في جبل شمر وجنوبي العراق

أولاً : الدخل الإقتصادي في جبل شمر

- الزراعة ..... ١٣٤ - ١٣٥
- الرعي والثروة الحيوانية ..... ١٣٥ -١٣٦
- الحرف والصناعات ١٣٦- ١٣٧
- التجارة ..... ١٣٧ - ١٣٨

ثانياً : الدخل الإقتصادي في جنوبي العراق

- الزراعة والثروة الحيوانية ١٣٩
- الصناعة ..... ١٣٩ - ١٤٠
- التجارة ..... ١٤٠ - ١٤١

ج-العملات والموازين والمقاييس المتداولة بين المنطقتين .

- العملات ..... ١٤٢ - ١٤٤
- الموازين ..... ١٤٤ - ١٤٦
- المقاييس ١٤٦

المبحث الثاني : طرق القوافل التجارية بين جبل شمر وجنوبي العراق .....١٤٧ - ١٥٢

المبحث الثالث : دور العقيلات في تقوية الصلات الإقتصادية بين جبل شمر وجنوبي العراق ١٥٣-١٥٦

- الصادرات ..... ١٥٦ - ١٥٧
- الواردات ١٥٧- ١٥٨
- تأمين السيولة النقدية ١٥٨-١٥٩

المبحث الرابع : أشهر الأسواق في جنوبي العراق وجبل شمر والتبادل التجاري فيما بينهما .

- الأسواق في جنوبي العراق ١٦٠-١٦٤
- الأسواق في جبل شمر..... ١٦٤ - ١٦٨
- التبادل التجاري فيما بينهما ..... ١٦٨ - ١٧٠

المبحث الخامس : أثر التبادل الإقتصادي بين جبل شمر وجنوبي العراق .

- الأثر الإقتصادي ١٧١- ١٧٣
- الأثر السياسي ..... ١٧٣ - ١٧٥
- الأثر الإجتماعي ..... ١٧٥ - ١٧٦
- الأثر الحضاري ..... ١٧٦ - ١٧٨

الفصل الرابع

الصلات العلمية بين جبل وجنوبي العراق

المبحث الأول : الحياة العلمية في جبل شمر

- أبرز العلماء ١٨٠- ١٨٨
- المكتبات الخاصة ١٨٨- ١٩٠
- أثر النساخ في إحياء الحركة العلمية ..... ١٩٠ - ١٩٢
- أثر الحكام في إزدهار الحركة العلمية ١٩٢- ١٩٤
- المدارس في جبل شمر ١٩٤- ١٩٧

المبحث الثاني : العوامل التي زادت من صلة علماء جبل شمر بجنوبي العراق

- العامل السياسي ١٩٨
- العامل الإقتصادي ..... ١٩٨ - ٢٠٠
- العامل الإجتماعي..... ٢٠٠ - ٢٠٢
- العامل الديني والعلمي ..... ٢٠٢ - ٢٠٣
- مرور قوافل الحج والتجارة بجبل شمر ٢٠٣

المبحث الثالث : صلة علماء جبل شمر بالعلماء العراقيين .

- عوض بن محمد الحجي ٢٠٤-٢٠٧
- صالح بن سالم آل بنيان ٢٠٧-٢٠٩
- حسن بن محمد الحجي ٢٠٩-٢١٢

المبحث الرابع : أثر هذه الصلة على الحياة العلمية في جبل شمر ٢١٣- ٢١٨

الفصل الخامس

الصلات العلمية من جنوبي العراق بجبل شمر

المبحث الأول : الحياة العلمية في جنوبي العراق ٢٢٠-٢٢٢

- المدارس الدينية ٢٢٢
- الكتاتيب ٢٢٢
- المدارس الرشدية ٢٢٣- ٢٢٤
- المدارس العليا (دار المعلمين) ٢٢٤- ٢٢٥
- المدارس غير إسلامية ٢٢٥- ٢٢٦
- المدارس الشيعية ٢٢٦-٢٢٨
- المدارس في الزبير ٢٢٨-٢٣١
- مظاهر إزدهار الحياة العلمية في جنوبي العراق ٢٣١-٢٣٢

المبحث الثاني : العوامل التي أدت إلى صلة علماء جنوبي العراق بجبل شمر

- العامل السياسي ..... ٢٣٣ - ٢٣٥
- العامل الإجتماعي ..... ٢٣٥ - ٢٣٦
- العامل الإقتصادي ٢٣٦
- إهتمام أمراء ال رشيد بطرق الحجاج ..... ٢٣٧ — ٢٣٨

المبحث الثالث : صلة العلماء العراقيين بعلماء وأمراء جبل شمر

- صلة جعفر الحلي النجفي بأمراء جبل شمر ..... ٢٣٩ - ٢٤٢
- صلة محمد صالح الهمداني بأمراء جبل شمر..... ٢٤٢ - ٢٤٣
- صلة محمد سعيد الحبوبي بأمراء جبل شمر والسكان ..... ٢٤٣ - ٢٤٤
- صلة الشيخ محمد أمين الشنقيطي بعلماء جبل شمر ..... ٢٤٤ — ٢٤٧

المبحث الرابع : التوزع المذهبي بين المنطقتين

- المذهب السائد في جبل شمر ..... ٢٤٨ - ٢٥٠
- المذهب السائد في جنوبي العراق ..... ٢٥٠ – ٢٥٧

المبحث الخامس : أثر هذه الصلة على الحياة العلمية في جنوبي العراق ..... ٢٥٨ – ٢٦٢

الخاتمة ..... ٢٦٣ – ٢٦٦

الملاحق ..... ٢٦٧ – ٢٨٠

المصادر والمراجع ..... ٢٨١ - ٢٩٨

المحتويات ..... ٢٩٩ – ٣٠٤